التفسير و المفسرون
في ثوبه القشيب

الجزء الأول

تأليف:

الاستاذ المحقق
الشيخ محمد هادي معرفة

الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية

الكتاب:

التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب

المؤلف :الاستاذ المحقق الشيخ محمد هادي معرفة.
الموضوع :في علوم القرآن.
الناشر:الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية.
الطبعة :الاولى.
عدد المطبوع :٣٠٠٠ نسخة.
التاريخ :ربيع الاول ١٤١٨.
الامور الفنية و الطبع :مؤسسة الطبع و النشر في الاستانة الرضوية المقدسة.
))جميع الحقوق محفوظة للناشر.((

مقدمة الناشر

بسم اللّه الرحمن الرحيم . تظل الحاجة قائمة الى تفسير القرآن الكريم بوصفه دستور الاسلام الرفيع ، و معجزة النبي (ص (الخالدة لاسباب عرضها هذا الكتاب من هنا كان الرسول الاعظم (ص) اول من تولى تفسيره عبر اعداده ثلة من الصحابة الاكفا الذين كان امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) اكثرهم تالقا و يليه عبد اللّه بن مسعود، و ابي بن كعب ، وعبداللّه بن عباس وكانت لهؤلا معرفة ملحوظة في تفسير القرآن.

وازدادت الحاجة الى تفسير القرآن الكريم اكثر فاكثر بعد وفاة الن بي الاكرم (ص) بسبب البعد عن زمن نزول الوحي ، و اتساع نطاق الفتوحات الاسلامية ، و بروز مسائل علمية جديدة فتوزع عدد من الصحابة على الامصار، فاستقر عبداللّه بن عباس بمكة ، و عبداللّه بن مسعود بالكوفة ، و ابي بن كعب بالمدينة و ابو موسى الاشعرى بالبصرة ، و ابو الدردا بالشام و القى هؤلا دروسهم في تفسير القرآن ، و جهدوا في سبيل ذلك ،فاثمرت مساعيهم من خلال اعداد شريحة من التابعين , وظهور مدارس تفسيرية متنوعة.

و هكذا انتقل التراث الثمين لتفسير القرآن الكريم من التابعين الى تابعي التابعين و حفظته الصدور و تناقلته الالسن الى ان حان تدوين اول التفاسير، فاشرق فصل جديد في عرض المعارف القرآنية السامقة للاجيال القادمة ، و ظهرت اساليب مختلفة في التفسير.

و اضطلع التواقون الى القرآن الكريم بتدوين مئات التفاسير ـ كاملة كانت ام ناقصة ـ رغبة منهم في خدمة هذا الكتاب المقدس بعد ان تجشموا عنا كبيرا على تواتر الايام ، و بعد ان شهد العالم الاسلامي انبثاق مدارس فكرية متنوعة في حقل الفلسفة ، و الكلام ، و العرفان ، و التصوف ، و شهد ظهور المعتزلة ، و الاشاعرة ولعل تعرف الامم و الشعوب على الاسلام و رغبتها في رسالة هذا الدين فرضا ضرورة تعريف القرآن لها، ممافضى الى بروز ظاهرة جديدة باسم ((الترجمة.((

ان مرور اربعة عشر قرنا على تفسير القرآن ، و ظهور مدارس تفسيرية مختلفة ،و جهود الفرق الاسلامية و علما المسلين لاستيعاب المعارف القرآنية ، و الاهتمام بمستلزمات تفسير القرآن ، و عشرات الموضوعات الاخرى ، كل ذلك حفز الجميع على الاتجاه الجاد نحوفصل مهم في علوم القرآن ، تحت عنوان ((التفسير و المفسرون.((

و اول كتاب مستقل تم تدوينه في هذا المجال هو كتاب ((مذاهب التفسير الاسلامي)) الذي الفه جولد تسيهر و ترجم هذا المستشرق في الكتاب المذكور و غيره من كتبه الاخرى جهله ، بل حقده على الاسلام و حذا حذوه الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه ((التفسير و المفسرون ((الذي الفه في جزين و لقي هذا الكتاب ترحيبا من قبل الاوساط العلمية و الجامعية من لدن صدوره حتى اليوم و هو الكتاب الوحيد الذي تبسط في مباحثه حول التفسير و المفسرين.

بيد انه مني ايضا بمثالب فاظعة ، اذ انه غفل عن كثير من الكتب التي صنفت و الانكى من ذلك كله ان مؤل فه عبر عن بغضه و اجحافه بحق بعض المذاهب الاسلامية و تفاسيرها مما قلل من قيمة الكتاب كثيرا.

و من بين المذاهب التي اسخطته ، و تجرعت مضض جفائه اكثر من غيرها هو المذهب الجعفري , اذتحامل الذهبي على عقائد الشيعة ، و ذكر تفاسيرهم في عداد ان ما يؤلمنا حقا هو تدريس هذا الكتاب في جامعات بلادنا، و ذلك يعود الى غياب كتاب يستبدل به و قيض اللّه تعالى من يملا هذا الفراغ ، و هو الاستاذالمحقق ، الباحث القرآني سماحة آية اللّه محمد هادي معرفة ـ دام ظله ـ الذي هب الى تاليف كتاب ((التفسيرو المفسرون)) بعزم راسخ و جهد كبير و بحث شامل.

و نلحظ ان هذا المؤل ف الكريم ـ كما ذكر هو نفسه ـ قد امضى ما ينيف على ثلاثين سنة في البحث والتحقيق متحديا الصعاب دفاعا عن كيان التشيع ، و اثباتا لدور علمائه في بث العلوم و المعارف القرآنية.

و كان عطا تلك الجهود تدوين مجموعة كاملة في مباحث العلوم القرآنية بصورة واسعة و جامعة ، و تشتمل هذه الدورة على سبعة اجزا تحت عنوان ((التمهيد في علوم القرآن))، طبع منها

لحد الان ستة اجزا.
و في هذا المضمار تم تاليف كتاب ((التفسير و المفسرون)) في جزين و مما الرضوية للعلوم الاسلامية بمشهد المقدسة قبل نشره و جد في تحبيره من خلال اضافة فصول جديدة اثنا التدريس.
و يحسن هنا ان نشير الى بعض خصائص الكتاب:
1ـ كل من يراجع الكتاب مراجعة يسيرة يدرك ان مؤلفه اخذ من كل مصدر يمكن ان يغني بحثه ، و لم يغفل عن التتبع اللازم.
2ـ ازين الكتاب بدراسات شاملة تتناول نقد الارا و تحليلها بعد نقلها، على عكس بعض الكتب التي تكتفي بنقل الارا و الاقوال.
3ـ ظاهرة الابداع معلم بارز من معالم الكتاب اذ نجد فيه مباحث جديدة كضوابط التاويل ، و المنهج البياني للقرآن ، و دور اهل البيت (ع) في تفسير القرآن و هي مباحث يمكننا ان نقول عنها انها تعرض لاول مرة في كتاب علمي ، مطعمة بالدليل.
4ـ لقد بذل المؤلف جهودا ملحوظة و مشكورة من اجل تحقيق هدفه المتمثل بالدفاع عن المذهب الجعفري من خلال طرحه فصولا جديدة في الكتاب ، منها: دور اهل البيت في تفسير القرآن ، و تحقيق جامع حول الموالين لاهل البيت من الصحابة و التابعين ، و تفاسير الشيعة ، و غير ذلك.
5ـ توفر المؤلف في دراسة دور المفسرين من الصحابة و التابعين على نقد الارا المطروحة حولهم وتحليلها اعتمادا على المصادر الرجالية ، و ذهب الى براة كثير منهم مما الصق بهم جرحا و تضعيفا، و اثبت موالاة الكثيرين منهم لاهل البيت (ع.(
6ـ اذا انعمنا النظر في الابحاث التي تدور حول تاريخ التفسير، فاننا نجدمجموعة كاملة من هذا العلم قد طرحت في الكتاب اعتبارا من الاصطلاحات المستعملة حتى عصور تبلور التفسير، و المدونات التفسيرية التي نلحظها في ذكر تفاسير الفريقين جميهما وذلك كله باسلوب شامل مقبول و ان مسائل هذا العلم تغني كل مراجع.
من المعالم البارزة في كتب المؤلف قوة قلمه و يستبين هذا المعلم من مقايسة كتبه ببعض الكتب المؤلفة باللغة العربية و نلحظ في كتبه كلها ملكة عربية ، و الماما بالزوايا البيانية للغة العربية من اجل تبيان اهدافه.
و مؤلفنا القدير يزاول التدريس في الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية عددسنين ، مهتما بنشر الثقافة القرآنية و اعداد الطلاب الكفؤين و قد تفضل بالموافقة على اقتراح جامعتنا لطبع كتابه المذكور و اختصنا بشرف ذلك.
و انجزت المراحل التمهيدية قبل الطبع كالمراجعة ، و الاخراج الفني ، و اعدادفهارسه ، و تنضيد الحروف المطبعية بالحاسب الالكتروني و غيرها، في قسم الدراسات القرآنية في الجامعة الرضوية.
نبتهل الى المولى القدير جل و علا ان يتقبل من المؤلف الكريم و من كافة الاخوة الذين ساهموا في اعداد الكتاب و طبعه هذا الجهد.
و انه لمن دواعي سرورنا ان نقدم هذا الكتاب الثمين لاودا القرآن الكريم جميعهم ، و للّه الحمد اولا وآخرا.
الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية.
قسم الدراسات القرآنية.
التفسير و المفسرون.
في ثوبه القشيب.
)كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا.
آياته و ليتذكر اولوا الا لباب.(
بحث مستوف بشؤون التفسير:
نشاته و تطوره و الوانه.
مع عرض شامل لاشهر المفسرين.

و تحليل كامل لاهم كتب التفسير.
التفسير و المفسرون.
بسم اللّه الرحمن الرحيم.
مما لاشك فيه ان القرآن الكريم هو معجزة النبي (ص) الخالدة ، و يعتبر المحور الاساسي للشريعة الاسلامية ،فتفسيره و تبيان ما اشكل على المسلمين هدف منتظر، و دعوة من اللّه تعالى ، اذ قال :(و لو ردوه الى الرسول و الى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) من هنا نرى النبي (ص (هو اول من بادر الى تفسيره ، فشكل حلقات دراسية لذلك ، و اخذ يسعى مثابرا في تربية صحابته الاكفا ـ و هم حشدعظيم ـ، و قد اشتهر منهم عدد بتفسير القرآن الكريم ، و افصاح معانيه ، و كان في طليعتهم الامام علي ابن ابي طالب (ع.(و بعد ان التحق النبي (ص) بالرفيق الاعلى و بعد المسلمون عن زمن نزول الوحي ، و اتسعت الرقعة الاسلامية بالفتوحات ، نشات ابعاد علمية اخرى مستجدة ، الامر الذي اثار الاحتياج الى تفسير معاني القرآن اكثر فاكثر،فتصدى كل من تلقف من معين الرسول الاعظم لهذا الامر، و جابوا في البقاع الاسلامية ، فابن عباس في مكة ،و عبد اللّه بن مسعود بالكوفة ، و ابي بن كعب بالمدينة ، و ابو موسى الاشعري في البصرة ، و ابو الدردا في الشام مشيدين نواة مدارس التفسير و حلقات التعليم ، و سعوا سعيهم في ذلك على اكمل وجه ، الامر الذي ادى الى تربية عدد من التابعين في علم التفسير، و ظهور مدارس تفسيرية متنوعة .
و قد تلقى التابعون هذه الوفرة الثمينة من التفسير من الصحابة و ورثوها بدورهم الى اجيالهم من تابعيهم ، وهكذا بقيت تتناقل في الصدور الى ان بدا عهد التدوين ، حيث دون اول التفاسير، الامر الذي فتح فصلا جديدافي عرض معارف القرآن الرفيعة السامية للاجيال عبر التاريخ.
و على مر الايام و عبر الازمان ، و منذ عهد التدوين و حتى يومنا هذا، اخذ التفسير يتنوع في اسلوبه و طابعه ، وبدت المدارس الفكرية المختلفة من فلسفة و كلام و عرفان و تصوف و تشاهد على الساحة التفسيرية ، فنتجت من ذلك ـ و على يد عشاق القرآن ـ مئات التصانيف التفسيرية ، خدمة للقرآن العظيم.
و تزامنا مع تعرف الامم على الثقافة الاسلامية و اشتياقهم لمعرفة رسالة هذا الدين الحنيف , ازدادت ضرورة تعريف القرآن ، الامر الذي اسفر عن نشؤ ظاهرة اخرى الا و هي ظاهرة ترجمة القرآن.
كما ان ظهور صفحة عريضة من التاريخ في تفسير القرآن الكريم ، التي استوعبت اربعة عشر قرنا، و كذلك ظهور مدارس تفسيرية شتى ، و تقويم محاولات المفسرين في تلقي معاني القرآن ، و العناية بما يجب مراعاته في التفسير، و عشرات من الامور الاخرى التي استدعت ترقب الجميع الى فصل مهم في علوم القرآن ، يحمل عنوان ((التفسير و المفسرون.((
و اول كتاب مستقل دون تحت هذا العنوان هو ((مذاهب التفسير الاسلامي)) الذي الفه جولد تسيهر، و ترجم هذا المستشرق في الكتاب المذكور و غيره من كتبه الاخرى جهله بل بغضه على الاسلام ثم استلهم منه الدكتورمحمد حسين الذهبي و الف كتابه ((التفسير و المفسرون)) في جزين و لقى هذا الكتاب ترحيبا في الاوساطالجامعية و لفت انتباهها، و ذلك لان هذا الكتاب فريد في موضوعه ، يستعرض مباحث مسهبة في ((التفسير والمفسرين))، بيد انه مني ايضا بمثالب فاظعة ، اذ انه غفل عن كثير من الكتب التي صنفت قبله في التفسير، و وهم في تعريف المفسرين و كتبهم لاعتماده على مصادر ضعيفة ، و الانكى من ذلك كله ان مؤلفه عبر عن بغضه واجحافه بحق بعض المذاهب الاسلامية و تفاسيرها مما قلل من قيمة الكتاب كثيرا.
و من بين المذاهب التي اسخطته ، و تجرعت مضض جفائه اكثر من غيرها هو المذهب الجعفري , اذ تحامل الذهبي على عقائد الشيعة ، و ذكر تفاسيرهم في عداد التفاسير المشوبة بالبدع.
و مما يؤسف له ان الاوساط الجامعية في بلدنا الاسلامي هذا، اختارت هذا الكتاب كمنهج

تدريسي , و ذلك لعدم ما يحل محله ، الى ان شمر المحقق المتتبع ، الباحث القرآني الشيخ محمد هادي معرفة ـ دام ظله ـ عن ساعد الجد و الجهد، بعزم راسخ ، و تحقيق شامل ، فالف كتابه القيم ((التفسير و المفسرون)) سدا لهذا النقص والعوز.
و نلحظ ان هذا المؤلف الكريم امضى ما ينيف على ثلاثين سنة في البحث و التحقيق متحديا الصعاب دفاعا عن كيان التشيع ، و اثباتا لدور علمائه في بث العلوم و المعارف القرآنية.
و كان ثمار تلك الجهود تدوين مجموعة كاملة في مباحث العلوم القرآنية ، بصورة واسعة و جامعة , تحت عنوان ((التمهيد في علوم القرآن.((
و في هذا المضمار قام الاستاذ بتاليف كتابه ((التفسير و المفسرون)) في جزين ،و الكتاب هذا نال السبق عن غيره من المؤلفات ، لان المؤلف الجليل قام بتدريسه طوال سنوات قبل النشر في الحوزة العلمية بقم المشرفة ، و الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية بمشهد المقدسة قبل نشره ، حيث جد في تحبيره من خلال اضافة فصول جديدة اليه اثنا التدريس.
و يجدر بنا ان نشير الى بعض ميزات الكتاب ، و هي كما يلي:
كل من يتصف ح الكتاب تصفحا متواضعا يجد ان المؤلف قد صرف جهده في تزويد الكتاب بمباحث قيمة ومجدية ، و لم يال جهدا من التتبع الحثيث و مراجعة المصادر التي ساعدته في الوصول الى الهدف المنشود.
2ـ ان فصول الكتاب مشحونة بتحقيقات مستوعبة حول الارا و الاقوال المذكورة ،و قد تصدى المؤلف لنقدها و مناقشتها، خلافا لكثير من الكتب التي اقتصرت على نقل الارا و الاقوال فحسب.
3ـ ظاهرة الابداع معلم بارز من معالم الكتاب ، اذ نجد فيه مباحث جديدة كضوابطالتاويل ، و المنهج البياني للقرآن ، و دور اهل البيت (ع) في تفسير القرآن و هي مباحث يمكننا ان نقول عنها :انهاتعرض لاول مرة في كتاب علمي ، مدعمة بالادلة.
4ـ لقد سعى الاستاذ سعيا حثيثا في صدد تحقيق هدفه من تاليف الكتاب ، و هو الذب عن مذهب اهل البيت في التفسير، اذ عقد له فصولا وافية ، متناولا دورهم البنا في ذلك ، كما شمل سعيه و تحقيقه الصحابة الموالين لاهل البيت و التابعين لهم باحسان ، و كذلك البحث عما كتبه اتباع مذهب اهل البيت في التفسير.
5ـ في البحث عن دور مفسري الصحابة و التابعين ركن الى مصادر الرجال المعتمدة ، و اخذ يناقش علماالرجال ، فبرا الكثير منهم مما ابداه الرجاليون فيهم من الجرح و التضعيف ، و اثبت موالاتهم لاهل البيت (ع)، رغم شهرتهم بانهم من الاغيار.
و من دواعي الفخر و الاعتزاز ان تحتضن الجامعة الرضوية امثال هؤلا الاعلام و لاسيما استاذنا)معرفة)، اذ اغتنمت فرصة وجوده بين ظهرانيها منذ عدة سنوات ، فاقترحت عليه موضوع طبع هذا الكتاب لسد الثغرة ، فاستجاب سماحته مشكورا ملبيا الدعوة ، و بها نالت جامعتنا و سام الفخر في نشره.
و انجزت المراحل التمهيدية قبل الطبع كالمراجعة ، و الاخراج الفني ، و اعدادفهارسه ، و تنضيد الحروف المطبعية بالحاسب الالكتروني و غيرها، في قسم الدراسات القرآنية في الجامعة الرضوية.
نبتهل الى المولى القدير جل و علا ان يتقبل من المؤلف الكريم و من كافة الاخوة الذين ساهموا في اعدادالكتاب و طبعه ، هذا الجهد.
و انه لمن دواعي سرورنا ان نقدم هذا الكتاب الثمين لاودا القرآن الكريم جميعهم ، و للّه الحمد اولا و آخرا.
قسم الدراسات القرآنية.
التابعة للجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية.
التفسير و المفسرون.
)كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا.
آياته و ليتذكر اولوا الا لباب.(
بحث مستوف بشؤون التفسير:

نشاته و تطوره و الوانه.
مع عرض شامل لاشهر المفسرين.
و تحليل كامل لاهم كتب التفسير.

مقدمة المؤلف

بسم اللّه الرحمن الرحيم . الحمدللّه و سلام على عباده الذين اصطفى ، محمد و آله الطاهرين.
قال تعالى : (و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شى و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين. ((1)))
كان المسلمون في عهدهم الاول يفهمون القرآن على خالصته ، و يستسيغون معانيه على بساطتها الاولى ،صافية نقية عن كدر الاوهام والدخائل ، اذ كان قد نزل بلغتهم وعلى اساليب كلامهم الفصيح البليغ ، كانوا يتلقونه غضا طريا، و يجيدون فهمه عذبا رويا.
و لئن كادت تكون لهم وقفات عند مبهمات التعابير، لدقتها و رقة معانيها، فان الوقفة لم تكن لتطول بهم ، حيث الرسول ـ و هو الذريعة العليا و الوسيلة الكبرى للوصول الى فهم الشريعة في جميع مناحيها ـ في متناولهم القريب ، فكان يبين لهم اذ ذاك ما خفي على افهامهم او دق عن اذهانهم ، اذ كان عليه البيان ، كما كان عليه البلاغ ، قال تعالى : (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((2)))
و هكذا ظل المسلمون يفهمون القرآن على حقيقته ، و يعملون به على بينة من امره ، اقويا اعزا، في سلامة وسعادة و عيش هني ، مستمسكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها و قد تداومت بهم هذه الحياة العليا طوال عهد الرسالة ، وشطرا بعدها غير قليل.
ثم خلف من بعدهم خلف ـ على تطاول الاى ام ـ اضاعوا بعض تلكم الطريقة المثلى ، واتبعوا السبل , فتفرقت بهم ذات اليمين و ذات الشمال ، ربما في اهوا متباينة و آرا متضاربة ، فكانت احداث و بدع و ضلالات ، وابتداع مذاهب و انحيازات ، كل يضرب على وتره ، و يعمل على شاكلته.
و كان من جرا ذلك ان دخلت في الحديث والتفسير دخائل و اساطير مستوردة من ابنا اسرائيل و مسلمة اهل الكتاب ، كان يبثها بين المسلمين فئات تظاهرت بالاسلام اما لغلبة الجو والمحيط، او لرغبة في الدس والتزوير.
تلك كانت بلية المسلمين ، وقد كثر الخبط والتخليط، و لم يفترق السليم عن السقيم ، وكان نصيب التفسير من هذا الخبط الحظ الاوفر بما اوتي هؤلا من قدرة للاستحواذ على عقول الضعفا و اهل الاطماع من الامرا.
نعم كانت هناك معايير و مقاييس تميز الغث من السمين ، و قد عرفها النبي الكريم (ص) للامة منذ ان احس بدخائل اهل الضغائن على الاسلام ، ممن يت بعون المتشابهات من الايات ابتغا الفتنة وابتغا التاويل.
فوضع حدودا دون رسوب تلكم الدسائس الخبيثة ، و كان من اهمها: العرض على محكمات الايات))هن ام الكتاب))، ثم اللجؤ الى العترة الطاهرة ((الثقل الاصغر)) كما في حديث الثقلين ، و انهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض و عدم الافتراق ، يعني : تلازمهما و لا غنا باحدهما دون الاخر ,فالكتاب اساس الدين ، والطيبون من العترة حملته و حرسته ، لانهم ورثة سيد المرسلين صلوات اللّه عليهم اجمعين.
و نحن اذ نحاول انتهاج منهج السلف الصالح : الصحابة الاخيار، والتابعين الكبار،والسادة الاطهار ,نتتبع طرائقهم في فهم كلام اللّه و استنباط معانيه والوقوف على مبانيه ، وفق ما رسمه لناالعلما الاعلام والائمة العظام ، سائلين المولى تعالى التوفيق على ذلك والتسديد، انه ولي ذلك و هو المستعان.
قم ـ محمدهادي معرفة.
/12ع١ /١٤١١.
التفسير.

التعريف بالتفسير

التفسير من فسر، بمعنى ابان و كشف . قال الراغب : الفسر والسفر متقاربا المعنى كتقارب لفظيهما ,لكن جعل الفسر لاظهارالمعنى المعقول ، والسفر لابراز الاعيان للابصار يقال : سفرت المراة عن وجهها و اسفرت و اسفر الصبح ، و قال تعالى : (و لا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق و احسن تفسيرا ((3)) (اي بيانا و تفصيلا((4)) .

و اصطلحوا على ان التفسير، هو: ازاحة الابهام عن اللفظ المشكل ، اي المشكل في افادة المعنى المقصود.

و كانت صياغته من باب ((التفعيل)) نظرا للمبالغة في محاولة استنباط المعنى ، كما في كشف و اكتشف ، فان في الثاني افادة زيادة المحاولة في الكشف ، فكان اخص من المجرد، و ذلك بنا على ان زيادة المباني تدل على زيادة المعاني.

فالتفسير ليس مجرد كشف القناع عن اللفظ المشكل ، بل هو محاولة ازالة الخفا في دلالة الكلام ، فلا بد ان يكون هناك ابهام في وجه اللفظ، بحيث ستر وجه المعنى ، و يحتاج الى محاولة و اجتهادبالغ حتى يزول الخفا و يرتفع الاشكال.

و هذا هو الفارق بين التفسير والترجمة ، لانها حيث كان الجهل باللغة و عدم معرفة الوضع الذي يرتفع بمراجعة كتب اللغة المعروفة ، و ليس في ذلك كثير جهد و عنا.

الحاجة الى التفسير

ما وجه الحاجة الى تفسير القرآن ، و قد انزله اللّه نورا و هدى و بصائر للناس و تبيانا لكل شي ((5)) , كما انه جا ليكون بنفسه احسن تفسيرا((6)) , فهل هناك حاجة الى تفسير؟.

نعم انزل اللّه الكتاب ليكون بذاته بيانا للناس عامة و تفصيلا لكل شي ((7)) , غير ان بواعث الابهام امر عارض ،و لعله كان من طبيعة البيان القرآني ، جا تشريعا للاصول والمباني ، و اجمل في البيان ايكالا الى تبيين النبى (ص) ليبين للناس تفاصيل ما نزل اليهم((8)) .

قال الامام الصادق (ع) :((ان رسول اللّه (ص) نزلت عليه الصلاة ولم يسم لهم ثلاثا و لا اربعا ,حتى كان رسول اللّه (ص) هوالذي فسر لهم ذلك. ((9)) ((

هذا جانب من الاجمال (الابهام) الحاصل في وجه لفيف من آيات الاحكام ، و لعله طبيعي في مثل البيان القرآني ، كما نبهنا.

و جانب آخر اهم : احتوا القرآن على معان دقيقة و مفاهيم رقيقة ، تنبؤك عن كمون الخليقة و اسرار الوجود،هي تعاليم و حكم راقية جا بها القرآن ، و كانت فوق مستوى البشرية آنذاك ، ليقوم النبى (ص) بتبيينها و شرح تفاصيلها، و كذا صحابته العلما (هو الذي بعث في الا ميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين. ((10)) (

و ذلك في مثل صفاته تعالى ـ الجلال و الجمال ـ، و معرفة وجود الانسان ، و سر خلقته ، و مقدار تصرفه في الحياة ، و الهدف من الخلق و الايجاد، و مسائل المبدا والمعاد.

كل ذلك جا في القرآن في اشارات عابرة ، و في الفاظ و تعابير كنائية ، واستعارة و مجاز، فكان حلها و الكشف عن معانيها بحاجة الى فقه و دراسة وتدبر، و امعان نظر و تفكير.

و ايضا فان في القرآن الماعات الى حوادث غابرة و امم خالية ، جا ذكرها لاجل العظة و الاعتبار , الى جنب عادات جاهلية كانت معاصرة ، عارضها و شدد النكير عليها، في مثل مسالة النسي ، و انها زيادة في الكفر ((11)) ,و نهيه عن دخول البيوت من ظهورها((12)) و نحو ذلك ، فاستنكرها عليهم و عنفهم عليها حتى ابادها، و قطع من جذورها فلم يبق منها سوى اشارات عابرة ، لولا الوقوف عليها، لما امكن فهم معاني تلكم الايات.

كما تعرض لامور اتى عليها من وجه كليها و اهمل جانب تعيينها، فجات مجملة هي بحاجة الى شرح و بيان ،في مثل الدابة التي تخرج من الارض فتكلم الناس ((13)) , و البرهان الذي عصم يوسف من ارتكاب الاثم((14)) .

هذا مضافا الى غرائب اللغة التي جات في القرآن على افصحها و ابلغها، وان كان صعبا فهمها على عامة الناس ،لولا الشرح والبيان.

قال الراغب : فالتفسير اما ان يستعمل في غريب الالفاظ، نحو ((البحيرة)) و((السائبة)) و

))الوصيلة)) او في وجيزكلام يبين و يشرح ، كقوله : (و اقيموا الصلاة و آتوا الزكوة ((15)) (او في كلام مضم ن بقصة لا يمكن تصوره الا بمعرفتها، نحو قوله تعالى : (انما النسي زيادة في الكفر ((16)) (و قوله : (و ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها. ((17)) (
قال الامام بدر الدين الزركشي : التفسير علم يعرف به فهم كتاب اللّه ، و بيان معانيه ، واستخراج احكامه وحكمه ، و ان اللّه انما خاطب خلقه بما يفهمونه ، ولذلك ارسل كل رسول بلسان قومه ، و انزل كتابه على لغتهم.
والقرآن انما انزل بلسان عربى مبين في زمن افصح العرب ، و كانوا يعلمون ظواهره و احكامه ، و انما احتيج الى التفسير، لما فيه من دقائق باطنة لا تظهر الا بعد البحث والنظر، مع سؤال النبى (ص) عنها في الاكثر، كسؤالهم لمانزل : (و لم يلبسوا ايمانهم بظلم , ((18)) (فقالوا: اينا لم يظلم نفسه ((19)) , و كسؤال عائشة عن الحساب اليسير((20)) , فقال : ((ذلك العرض ، و من نوقش الحساب عذب , ((21)) ((و كقصة عدي بن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت راسه ((22)) , وغير ذلك مما سالوه عن آحاد منه((23)) .
قال : ولم ينقل الينا عنهم تفسير القرآن و تاويله بجملته ، فنحن نحتاج الى ما كانوا يحتاجون اليه و زيادة ،لقصورنا عن مدارك احكام اللغة بغير تعلم ، فنحن اشد الناس احتياجا الى التفسير.
قال : و معلوم ان تفسير القرآن يكون بعضه من قبيل بسط الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها، و بعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض ، لبلاغته و لطف معانيه ، و لهذا لايستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه ، و يرجع في تفسيره اليه ، من معرفة مفردات الفاظه و مركباتها، و سياقه ، و ظاهره و باطنه ، وغير ذلك ممالا يدخل تحت الوهم ، و يدق عنه الفهم.
بين اقداحهم حديث قصير ـــ هو سحر، و ما سواه كلام.
و في هذا تتفاوت الاذهان ، و تتسابق في النظر اليه مسابقة الرهان فمن سابق بفهمه ، و راشق كبد الرمية بسهمه ،و آخر رمى فاشوى ((24)) و خبط في النظر خبط عشوا، كما قيل : و اين الرقيق من الركيك ، و اين الزلال من الزعاق((25)) .

الفرق بين التفسير و التاويل

كان التاويل في استعمال السلف مترادفا مع التفسير، و قد داب عليه ابو جعفرالطبري في جامع البيان لكنه في مصطلح المتاخرين جا متغايرا مع التفسير، و ربما اخص منه.
التفسير ـ كما عرفت ـ : رفع الابهام عن اللفظ المشكل ، فمورده : ابهام المعنى بسبب تعقيد ((26)) حاصل في اللفظ.
و اما التاويل فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الاقوال و الافعال ، فمورده حصول شبهة في قول او عمل ، اوجبت خفا الحقيقة (الهدف الاقصى او المعنى المراد)فالتاويل ازاحة هذا الخفا.
فالتاويل ـ مضافا الى انه رفع ابهام ـ فهو دفع شبهة ايضا، فحيث كان تشابه في اللفظكان ابهام في وجه المعنى ايضا، فهو دفع و رفع معا.
و لنتكلم شيئا في التاويل ، في حقيقته و المعاني التي جا استعمالها في القرآن والحديث ، و ما قيل او قد يقال فيه.
التاويل : من الاول ، و هو الرجوع الى حيث المبدا، فتاويل الشي ارجاعه الى اصله و حقيقته ، فكان تاويل المتشابه توجيه ظاهره الى حيث مستقر واقعه الاصيل.
والتشابه قد يكون في كلام اذا اوجب ظاهر تعبيره شبهة في نفس السامع ، او كان مثارا للشبهة ، ـ كما في متشابهات القرآن ـ ، كان يتبعها اهل الزيغ ابتغا الفتنة وابتغا تاويلها، الى حيث اهدافهم الخبيثة.
و قد يكون التشابه في عمل كان ظاهره مريبا، كما في اعمال قام بها صاحب موسى ،بحيث لم يستطع موسى الصبر عليها دون استجوابه ، والسؤال عن تصرفاته تلك المريبة و قد بحثنا عن المتشابهات و انواعها، و الاسباب الموجبة لوقوع التشابه في القرآن ،في الجز الثالث من التمهيد.
والان فلنذكر المعاني التي يحملها لفظ ((التاويل)) في عرف القرآن و استعمال السلف.

معاني التاويل

جا استعمال لفظ))التاويل ((في القرآن على ثلاثة وجوه : ١ـ تـاويـل الـمتشابه ، بمعنى توجيهه حيث يصح و يقبله العقل و النقل ،اما في متشابه القول ، كما في قـولـه تعالى :(فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة و ابتغا تاويله , ((27)) (اوفـي مـتـشـابـه الـفعل ، كما في قوله : (سانبؤك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا)، (ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا. ((28)) (

2ـ تـعـبـيـر الـرؤيـا، و قـد جـا مـكـررا فـي سـورة يـوسـف فـي ثـمـانـيـة مواضع :(٦و٢١و٣٦و٣٧و٤٤و٤٥و١٠٠و١٠١.)

3ـ مـل الامـر و عـاقـبـتـه ، و مـا يـنـتـهـى الـيـه الامر في نهاية المطاف ، قال تعالى : (و زنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و احسن تاويلا , ((29)) (اي اعود نفعا و احسن عاقبة.

ولـعل منه قوله : (فان تنازعتم في شـى فردوه الى اللّه والرسـول ، ان كنتم تؤمنون باللّه واليوم الا خر، ذلك خير و احسن تاويلا , ((30)) (اي انتج فائدة و افضل ملا.

و يحتمل اوجه تفسيرا و اتقن تخريجا للمعنى المراد، نظير قوله تعالى : (و لو ردوه الى الرسول و الـى اولـي الا مـر مـنـهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم , ((31)) (و قال تعالى : (هل ينظرون الا تـاويـلـه يوم ياتي تاويله , ((32)) (اي هل ينتظرون ماذا يؤول اليه امر الشريعة والقرآن ، لكن لا يطول بهم الانتظار(يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) , ((33)) (كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) , ((34)) (و لات حين مناص. ((35)) (

4ـ والـمـعـنـى الرابع ـ للتاويل ـ جا استعماله في كلام السلف : مفهوم عام ، منتزع من فحوى الاية الواردة بشان خاص ، حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد.

و قـد عبر عنه بالبطن المنطوي عليه دلالة الاية في واقع المراد، في مقابلة الظهر المدلول عليه بالوضع والاستعمال ، حسب ظاهر الكلام قال رسول اللّه (ص): ((ما في القرآن آية الا و لها ظهر و بطن.((

سـئل الامـام ابـوجـعفر الباقر(ع) عن هذا الحديث الماثور عن رسول اللّه (ص)، فقال : ((ظهره تـنـزيـلـه و بـطـنـه تـاويـلـه ،مـنـه مـا قـد مضى و منه ما لم يكن ، يجري كما تجري الشمس والقمر. ((36)) ((

و قـال (ع): ((و لـو ان الاية اذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ، ماتت الاية ولما بقي من القرآن شي و لكن القرآن يجري اوله على آخره ، ما دامت السماوات و الارض ، و لكل قوم آية يتلونها، هم منها من خير اوشر. ((37)) ((

و في الحديث عنه (ص): ((ان فيكم من يقاتل على تاويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ، و هو على بن ابي طالب. ((38)) ((

فانه (ص) قاتل على تنزيل القرآن ، حيث كان ينزل بشان قريش و مشركي العرب ممن عاند الحق و عـارض ظـهـور الاسـلام امـا عـلـى (ع) فقد قاتل اشباه القوم ممن عارضوا بقا الاسلام ، على نم ط معارضة اسلافهم في البد.

و لـهـذا الـمعنى عرض عريض ، و لعله هو الكافل لشمول القرآن و عمومه لكل الازمان والاحيان فلولا تلك المفاهيم العامة ، المنتزعة من موارد خاصة ـ وردت الاية بشانها بالذات ـ لما بقيت لاكثر الايات كثير فائدة ،سوى تلاوتها و ترتيلها ليل نهار.

و اليك بعض الامثلة على ذلك:

مفاهيم عامة منتزعة من الايات .

قال تعالى : (واعلموا ان ما غنمتم من شى فان للّه خمسه و للرسول و لذي القربى ((39)) (.نزلت بشان غنائم بدر، و غاية ما هناك ان عمت غنائم جميع الحروب ، على شرائطها.

لـكـن الامـام ابا جعفر محمد بن على الباقر(ع) نراه ياخذ بعموم الموصول ، و يفسر ((الغنيمة ((بمطلق الفائدة ، وارباح المكاسب و التجارات ، يربحها ارباب الصناعات و التجارات و غيرهم طول عامهم ، في كل سنة بشكل عام.

قـال (ع): ((فـامـا الغنائم و الفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام ، قال اللّه تعالى : (و اعلموا ان ما غنمتم من شى فان للّه خمسه و للرسول و لذي القربى.(

و هـكـذا عـن الامـام مـوسـى بـن جعفر الكاظم (ع): ((الخمس في كل ما افاد الناس من قليل او كثير. ((40))))
و قال تعالى : (و انفقوا فى سبيل اللّه و لا تلقوا بايديكم الى التهلكة. ((41)))
نـزلـت بـشان الاعداد للجهاد، دفاعا عن حريم الاسلام ، فكان مفروضا على اصحاب الثروات القيام بنفقات الجهاد، دون سيطرة العدو الذي لا يبقي و لا يذر.
لـكـن ((الـسـبيل)) لا يعني القتال فحسب ، فهو يعم سبيل اعلا كلمة الدين و تحكيم كلمة اللّه في الارض ، ويـتـلـخـص فـي تثبيت اركان الحكم الاسلامي في البلاد، في جميع ابعاده : الاداري و الاجـتماعي و التربوي والسياسي و العسكري ، و ما شابه و هذا انما يقوم بالمال ، حيث المال طاقة يـمـكـن تبديلها الى اى طاقة شئت ، ومن ثم قالوا: قوام الملك بالمال فالدولة القائمة بذاتها انما تكون قائمة اذا كانت تملك الثروة اللازمة لادارة البلادفي جميع مناحيها.
و هـذا المال يجب توفره على ايدي العائشين تحت لوا الدولة الحاكمة ، و يكون مفروضا عليهم دفع الـضرائب و الجبايات ، كل حسب مكنته و ثروته ، الامر الذي يكون شيئا ورا الاخماس و الزكوات التي لها مصارف خاصة ، لاتعني شؤون الدولة فحسب.
و هذه هي (المالية) التي يكون تقديرها و توزيعها على الاموال والممتلكات ، حسب حاجة الدولة و تقديرها، ومن ثم لم يتعين جانب تقديرها في الشريعة ، على خلاف الزكوات والاخماس ، حيث تعين المقدار والمصرف والمورد فيها بالنص.
فـقـد فـرض الامام امير المؤمنين (ع) على الخيل العتاق في كل فرس في كل عام دينارين ، و على البراذين دينارا((42)) .

ضابطة التاويل

و مـما يجدر التنبه له ان للاخذ بدلائل الكلام ـ سوا اكانت جلية ام خفية ـ شرائط و معايير، لا بد من مراعاتهاللحصول على الفهم الدقيق فكما ان لتفسير الكلام ـ و هو الكشف عن المعاني الظاهرية لـلـقـرآن ـ قـواعـد واصول مقررة في علم الاصول و المنطق ، كذلك كانت لتاويل الكلام ـ و هو الـحـصول على المعاني الباطنية للقرآن ـ شرائط و معايير، لاينبغي اعفاؤها و الا كان تاويلا بغير مقياس , بل كان من التفسير بالراي الممقوت.
ولـيـعـلم ان التاويل ـ و هو من الدلالات الباطنية للكلام ـ داخل في قسم الدلالات الالتزامية غير البينة ، فهو من دلالة الالفاظ لكنها غير البينة ، و دلالة الالفاظ جميعا مبتنية على معايير يشرحهاعلم الـمـيـزان ، فـكـان التاويل ـ و هو دلالة باطنة ـ بحاجة الى معيار معروف كي يخرجه عن كونه تفسيرا بالراي.
فـمـن شـرائط الـتـاويل الصحيح ـ اي التاويل المقبول في مقابلة التاويل المرفوض ـاولا: رعاية الـمناسبة القريبة بين ظهر الكلام و بطنه ، اي بين الدلالة الظاهرية و هذه الدلالة الباطنية للكلام , فـلاتكون اجنبية ، لا مناسبة بينها و بين اللفظ ابدا فاذا كان التاويل ـ كما عرفناه ـ هو المفهوم العام المنتزع من فحوى الكلام ، كان لا بد ان هناك مناسبة لفظية او معنوية استدعت هذا الانتزاع.
مـثلا: لفظة ((الميزان)) وضعت لالة الوزن المعروفة ذات الكفتين ، وقد جا الامر باقامتها و عدم البخس فيها، في قوله تعالى : (و اقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان. ((43)))
لـكـنا اذا جردنا اللفظ من قرائن الوضع و غيره و اخلصناه من ملابسات الانس الذهني ، فقد اخذنا بـمفهومه العام :كل ما يوزن به الشي ، اي شي كان ماديا ام معنويا، فانه يشمل كل مقياس او معيار كان يقاس به او يوزن به في جميع شؤون الحياة ، و لا يختص بهذه الالة المادية فحسب.
قال الشيخ ابو جعفر الطوسي : فالميزان آلة التعديل في النقصان و الرجحان ، والوزن يعدل في ذلك و لـولا الـميزان لتعذر الوصول الى كثير من الحقوق ، فلذلك نبه تعالى على النعمة فيه و الهداية اليه و قيل : المراد بالميزان : العدل ، لان المعادلة موازنة الاسباب ((44)).
وروى مـحمد بن العباس المعروف بماهيار (ت ح٣٣٠) ـ في كتابه الذي وضعه لبيان تاويل الايات ـ بـاسـنـاده الى الامام الصادق (ع) قال : الميزان الذي وضعه اللّه للانام ، هو الامام العادل الذي يحكم بـالـعدل ، و بالعدل تقوم السماوات والارض ، و قد امر الناس ان لا يطغوا عليه و

يطيعوه بالقسط و العدل ، ولايبخسوا من حقه ، او يتوانوا في امتثال اوامره((45)) .
و هـكـذا قـوله تعالى : (قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بما معين ((46)) (كانت دلالة الايـة فـي ظـاهـر تـعبيرها واضحة ، ان نعمة الوجود و وسائل العيش و التداوم في الحياة ، كلها مرهونة بارادته تعالى وفق تدبيره الشامل لكافة انحا الوجود.
واللّه تعالى هو الذي مهد هذه البسيطة لامكان الحياة عليها، و لولا فضل اللّه و رحمته لعباده لضاقت عليهم الارض بما رحبت.
هذا هو ظاهر الاية الكريمة ، حسب دلالة الوضع والمتفاهم العام.
و لـلامـام ابي جعفر الباقر(ع) بيان يمس جانب باطن الاية و دلالة فحواها العام ، قال : ((اذا فقدتم امامكم فلم تروه فماذا تصنعون.((
و قـال الامام على الرضا(ع): ((ماؤكم : ابوابكم الائمة ، والائمة : ابواب اللّه فمن ياتيكم بما معين , اي ياتيكم بعلم الامام . ((47)) ((

لا شـك ان اسـتـعارة ((الما المعين)) للعلم النافع ,و لا سيما المستند الى وحي السما ـ من نبي او وصي نبي ـ امرمعروف و متناسب لا غبار عليه.
فـكـما ان الما اصل الحياة المادية و المنشا الاول لامكان المعيشة على الارض ، كذلك العلم النافع و علم الشريعة بالذات ، هو الاساس لامكان الحياة المعنوية التي هي سعادة الوجود و البقا مع الخلود.
)يا ايها الذين آمنوا استجيبوا للّه و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم. ((48)) (
)لـقـد مـن اللّه عـلى المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم أياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين (((49)) .
فهنا قد لوحظ الما ـ وهو اصل الحياة ـ في مفهومه العام المنتزع منه الشامل للعلم ،فيعم الحياة المادية و المعنوية.
و ايـضـا قـولـه تعالى : (فلينظر الا نسان الى طعامه , ((50)) (اي فليمعن النظر في طعامه ، كيف عـملت الطبيعة في تهيئته و تمهيد امكان الحصول عليه ، و لم ياته عفوا، و من غير سابقة مقدمات و تـمهيدات لو امعن النظر فيها،لعرف مقدار فضله تعالى عليه ، و لطفه و رحمته ، و بذلك يكون تناول الطعام له سائغا، و مستدعيا للقيام بالشكرالواجب.
هـذا، و قـد روى ثـقـة الاسلام الكليني باسناده الى زيد الشحام ، قال : سالت الامام جعفر بن محمد الصادق (ع)قلت : ما طعامه ؟ قال : ((علمه الذي ياخذه عمن ياخذه. ((51)) ((
والـمـنـاسبة هنا ـ ايضا ـ ظاهرة ، لان العلم غذا الروح ، و لا بد من الاحتياط في الاخذ من منابعه الاصيلة ، و لاسيما علم الشريعة و احكام الدين الحنيف.
و ثانيا: مراعاة النظم و الدقة في الغا الخصوصيات المكتنفة بالكلام ، ليخلص صفوه و يجلو لبابه في مـفهومه العام ، الامر الذي يكفله قانون ((السبر و التقسيم)) من قوانين علم الميزان (علم المنطق (و الـمـعـبـر عنه في علم الاصول : بتنقيح المناط، الذي يستعمله الفقها للوقوف على الملاك القطعي لحكم شرعي ، ليدور التكليف او الوضع معه نفيا و اثباتا، و لتكون العبرة بعموم الفحوى المستفاد،لا بخصوص العنوان الوارد في لسان الدليل و هذا امر معروف في الفقه ، و له شرائط معروفة.
و مـثـال تطبيقه على معنى قرآني ، قوله تعالى ـ حكاية عن موسى (ع) ـ : (قال رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين. ((52)) (
هـذه قـولـة نبي اللّه موسى (ع) قالها تعهدا منه للّه تعالى ، تجاه ما انعم

عليه من البسطة في العلم و الجسم : (و لمابلغ اشده واستوى آتيناه حكما و علما و كذلك نجزي المحسنين ((53)) (قضى على عدوله بوكزة وكزه بها، فحسب انه قد فرط منه ما لا ينبغي له ، فاستغفر ربه فغفر له فقال ذلك تعهدا منه للّه ، ان لايستخدم قواه و قدره الذاتية ، والتي منحه اللّه بها، في سبيل الفساد في الارض ، و لا يجعل ما آتاه اللّه من امكانات معنوية و مادية في خدمة اهل الاجرام.
هذا ما يخص الاية في ظاهر تعبيرها بالذات.
و هل هذا امر يخص موسى (ع) لكونه نبيا و من الصالحين ، ام هو حكم عقلي بات يشمل عامة اصحاب القدرات ، من علما و ادبا و حكما و ارباب صنائع و فنون ، و كل من آتاه اللّه العلم و الحكمة و فصل الخطاب ؟ لا ينبغي في شريعة العقل ان يجعل ذلك ذريعة سهلة في متناول اهل العبث و الاستكبار في الارض ،بل يجعلها وسيلة ناجحة في سبيل اسعاد العباد و احيا البلاد (هو انشاكم من الا رض و استعمركم فيها. ((54)) (
و هذا الفحوى العام للاية الكريمة انما يعرف وفق قانون ((السبر و التقسيم)) و الغاالخصوصيات المكتنفة بالموضوع ، فيتنقح ملاك الحكم العام.
وفي القرآن كثير من هذا القبيل ، انما الشان في امعان النظر و التدبر في الذكر الحكيم ، و بذلك يبدو وجه استفادة فرض الاخماس من آية الغنيمة ، و دفع الضرائب من آية الانفاق في سبيل اللّه.

مزاعم في التاويل

هناك من حسب من تاويل القرآن شيئا ورا المفاهيم الذهنية او التعابير الكلامية ، و كان من نمط الاعيان الخارجية ، و كان ما ورد في القرآن من حكم و آداب و تكاليف و احكام كلها تعود اليه ، اذ تنتزع منه و تنتهي اليه في نهاية المطاف ، فكان ذلك تاويلا للقرآن في جميع آياته الكريمة.
و قد اختلفوا في تبيين تلك الحقيقة التي تعود اليها جميع الحقائق القرآنية في اصول معارفه والاحكام:
ذكر ابن تيمية ـ في رسالة وضعها بشان المتشابه و التاويل ـ : ان التاويل في عرف المتاخرين صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معنى مرجوح ، لدليل يقترن به فالتاويل ـ على هذا ـ يحتاج الى دليل ، والمتاول عليه وظيفتان : بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي يدعيه ، و بيان الدليل الموجب للصرف اليه عن المعنى الظاهر.
قال : و اما التاويل ـ في عرف السلف ـ فله معينان : احدهما: ما يرادف التفسير والبيان ، و هو الذي عناه مجاهد بقوله : ان العلما يعلمون تاويل القرآن ، اي تفسيره و تبيينه.
و الثاني : نفس المراد بالكلام ، ان كان طلبا فتاويله نفس العمل المطلوب ، و ان كان خبرا فتاويله نفس الشي المخبر به.
قال : و بين هذا المعنى ـ الاخير ـ والذي قبله ـ الذي جا اولا في عرف السلف ، والذي جا في عرف المتاخرين ـ بون ، فان الذي قبله يكون التاويل فيه من باب العلم و الكلام كالتفسير و الشرح و الايضاح ويكون وجود التاويل في القلب و اللسان ، له الوجود الذهني و اللفظي و الرسمي.
و اما هذا ـ المعنى الثاني في عرف السلف ـ فالتاويل فيه نفس الامور الموجودة في الخارج ، سوا كانت ماضية او مستقبلة فاذا قيل : طلعت الشمس ، فتاويل هذا نفس طلوعها.
قال : و هذا الوضع و العرف الثالث ـ الذي جا ثانيا في عرف السلف ـ هو لغة القرآن التي نزل بها((55)) .
و قال في تفسير سورة الاخلاص ـ بعد كلام تفصيلي له عن تاويل المتشابه من الايات ، و ان الراسخين في العلم يعلمون تاويله ، و استعظام ان يكون جبرائيل و محمد(ص)

و الصحابة و التابعون لهم باحسان و ائمة المسلمين لا يعرفون تاويل متشابه القرآن ، و يكون اللّه تعالى قد استاثر بعلم معاني هذه الايات كما استاثربعلم الساعة ، و انهم جميعا كانوا يقراون الفاظا لا يفهمون لها معنى ، كما يقرا احدنا كلاما ليس من لغته فلا يعرف معناه ، من قال ذلك فقد كذب على القوم ، و الماثور عنهم متواترا يناقض هذا الزعم ، و انهم يفهمون معنى المتشابه كما يفهمون معنى المحكم ـ قال بعد ذلك:

فان قيل : هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بين التاويل الذي يراد به التفسير، و بين التاويل الذي في كتاب اللّه.

قيل : لا يقدح في ذلك ، فان معرفة تفسير اللفظ و معناه و تصوره في القلب ، غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج ، المرادة بذلك الكلام.

فان الشي له وجود في الاعيان ، و وجود في الاذهان ، و وجود في اللسان ، و وجود في البيان فالكلام لفظ له معنى في القلب ، و يكتب ذلك اللفظ بالخط فاذا عرف الكلام و تصور معناه في القلب و عبر عنه باللسان ، فهذاغير الحقيقة الموجودة في الخارج ، و ليس كل من عرف الاول عرف عين الثاني.

مثال ذلك : ان اهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة النبي (ص) و خبره و نعته ، و هذا معرفة الكلام و معناه وتفسيره ، و تاويل ذلك هو نفس محمد المبعوث ، فالمعرفة بعينه معرفة تاويل ذلك الكلام.

و كذلك الانسان قد يعرف الحج و المشاعر، كالبيت و المساجد و منى و عرفة و مزدلفة ، و يفهم معنى ذلك ولايعرف الامكنة حتى يشاهدها، فيعرف ان الكعبة المشاهدة هي المذكورة في قوله : (و للّه على الناس حج البيت) و كذلك ارض عرفات و غيرها.

و كذلك الرؤيا يراها الرجل ، و يذكر له العابر تاويلها فيفهمه و يتصوره ، ثم اذا كان ذلك فهو تاويل الرؤيا، ليس تاويلها نفس علمه و تصوره و كلامه ، و لهذا قال يوسف الصديق : (هذا تاويل رؤياي من قبل) و قال : (لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما) فقد انباهما بالتاويل قبل ان ياتي التاويل ، فنحن نعلم تاويل ما ذكر اللّه في القرآن من الوعد و الوعيد، و ان كنا لا نعرف متى يقع هذا التاويل المذكور في قوله تعالى : (هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله. ((56)) (

و قد اشاد السيد محمد رشيد رضا (منشئ مجلة المنار المصرية) من هذه النظرة التيمية بشان تاويل القرآن ، واعجبته غاية الاعجاب قال ـ بعد ان نقل عن شيخه الاستاذ محمد عبده ، ان التاويل بمعنى ما يؤول اليه الشي وينطبق عليه ، لا بمعنى ما يفسر به((57)) ـ : ليس في كتب التفسير المتداولة ما يروي الغليل في هذه المسالة ، و ماذكرناه آنفا هو صفوة ما قالوه ، و خيرة كلام الاستاذ الامام و قد راينا ان نرجع بعد كتابته الى كلام في المتشابه والتاويل ، لشيخ الاسلام احمد بن تيمية , فرجعنا اليه و قراناه بامعان ، فاذا هو منتهى التحقيق و العرفان ، و البيان الذي ليس وراه بيان ، اثبت فيه انه ليس في القرآن كلام لايفهم معناه ، و ان المتشابه اضافي اذا اشتبه فيه الضعيف لا يشتبه فيه الراسخ ، و ان التاويل الذي لا يعلمه الا اللّه تعالى هو ما تؤول اليه تلك الايات في الواقع ،ككيفية صفاته تعالى ، و كيفية عالم الغيب ، و كيفية قدرته تعالى و تعلقها بالايجاد والاعدام ، و كيفية استوائه على العرش و لا كيفية عذاب اهل النار، و لا نعيم اهل الجنة ، كما قال تعالى :(فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ((58)) (فليست نار الاخرة كنار الدنيا، و انما هي شي آخر و ليست ثمرات الجنة و لبنها وعسلها من جنس المعهود لنا في هذا العالم ، و انما هو شي آخر يليق بذلك العالم و يناسبه.

قال : و اننا نبين ذلك بالاطناب الذي يحتمله المقام ، مستمدين من كلام هذا الحبر العظيم ، ناقلين بعض ماكتبه((59)) و جعل ينقل ما سرده ابن تيمية باسهاب.

و هذا الذي ذكره ابن تيمية و اشاد به رشيدرضا، لا يعدو ما يعود اليه امر الشي ، اخذا بالمفهوم اللغوي لمادة التاويل اما العين الخارجية بالذات فلعله من اشتباه المصداق بالمفهوم ، فان الوجود العيني للاشيا هي عين تشخصاتها المعبر عنها بالمصاديق

الخارجية ، و لم يعهد اطلاق لفظ ((التاويل ((على المصداق في متعارف الاستعمال الا ان يكون من عرفهما الخاص ، و لا مشاحة في الاصطلاح.
و على اى تقدير، فانهما لم ياتيا بشي جديد، فان مسالة الوجودات الاربعة للاشيا(الذهني و اللفظي و الكتبي و العيني) امر تعارف عليه ارباب المنطق منذ عهدقديم ، الا ان الشي الذي لم يتعارف عليه هو اطلاق اسم ((التاويل)) على العين الخارجية ، باعتبارها مصداقاللوجودات الثلاثة المنتزعة عنها، سوى كونه مصطلحا جديدا غير معروف.
و لسيدنا العلامة الطباطبائي كلام تحقيقي لطيف حول مسالة التاويل ، يراه متغايرا مع المفاهيم ، بعيدا عن جنس الالفاظ و المعاني و التعابير، و انما هي حقائق راهنة ، موطنها خارج الاذهان و العبارات.
انه (ره) تعرض لكلام ابن تيمية ، فصححه من جهة ، و خطاه من جهة اخرى ، صححه من جهة قوله : بشمول التاويل لجميع آي القرآن ، محكمه و متشابهه ، و قوله : بانه خارج الاذهان و العبارات لكن خطاه في حصره للتاويل في العين الخارجية البحت ، فانه مصداق و ليس بتاويل انما التاويل حقائق راهنة ، هي مصالح واقعية واهداف و غايات مقصودة من ورا التكاليف والاحكام ، و كذا الحكم و المواعظ والاداب ، و حتى القصص والاخبار والاثار التي جات في القرآن.
قال ـ مناقشا لراي ابن تيمية ـ:
))انه و ان اصاب في بعض كلامه ، لكنه اخطا في بعضه الاخر انه اصاب في القول : بان التاويل لا يختص بالمتشابه ، بل هو عام لجميع القرآن ، و كذا القول : بان التاويل ليس من سنخ المدلول اللفظي , بل هو امر خارجي يبتنى عليه الكلام لكنه اخطا في عد كل امر خارجي مرتبط بمضمون الكلام ـ حتى مصاديق الاخبار الحاكية عن الحوادث الماضية والمستقبلة ـ تاويلا للكلام. ((60)) ((
ثم قال : ((الحق في تفسير التاويل انه الحقيقة الواقعية التي تستند اليها البيانات القرآنية ، من حكم او موعظة اوحكمة ، و انه موجود لجميع الايات القرآنية محكمها و متشابهها، و انه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليهابالالفاظ، بل هي من الامور العينية المتعالية من ان يحيط بها شبكات الالفاظ و انما قيدها اللّه سبحانه بقيدالالفاظ لتقريبها من اذهاننا بعض التقريب ، فهى كالامثال تضرب ليقرب بها المقاصد و توضح ، بحسب ماياناسب فهم السامع ، كما قال تعالى : (والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم. ((61)) (
و قال ـ في شرح الاية ـ:
))ان هناك كتابا مبينا عرض عليه جعله مقروا عربيا، و انما البس لباس القراة و العربية ليعقله الناس ، و الا فانه ـوهو في ام الكتاب ـ عند اللّه على لا تصعد اليه العقول ، حكيم لا يوجد فيه فصل و فصل فالكتاب المبين ـ في الاية ـ هو اصل القرآن العربي المبين ، و للقرآن موقع هو في الكتاب المكنون ، و ان التنزيل حصل بعده ، و هوالذي عبر عنه بام الكتاب و باللوح المحفوظ فالكتاب المبين الذي هو اصل القرآن و حكمه الخالي عن التفصيل ، امر ورا هذا المنزل ، و انما هذا بمنزلة اللباس لذاك ان هذا المعنى ، اعني كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة الى الكتاب المبين ، و نحن نسميه بحقيقة الكتاب ، بمنزلة اللباس من المتلبس ، و بمنزلة المثال من الحقيقة ، و بمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام. ((62)) ((
و اضاف : ((فالحقيقة الخارجية التي توجب تشريع حكم من الاحكام او بيان معرفة من المعارف الالهية او وقوع حادثة هي مضمون قصة من القصص القرآنية ، و ان لم تكن امرا يدل عليه بالمطابقة نفس الامر و النهي او البيان او الواقعة الكذائية ، الا ان الحكم او البيان او الحادثة ، لما كان كل منهاينشا منها و يظهر منها، فهو اثرها الحاكي لها بنحو من الحكاية والاشارة. ((63)) ((
و اخيرا لخص كلامه في بيان التاويل بما يلي:

))الـتـاويـل فـي عرف القرآن هو الحقيقة التي يتضمنها الشي و يؤول اليها و يبتنى عليها، كتاويل الـرؤيـا، و هـوتـعـبـيرها، و تاويل الحكم ، و هو ملاكه ، و تاويل الفعل ، و هو مصلحته و غايته الحقيقية ، و تاويل الواقعة ، و هوعلتها الواقعية ، و هكذا. ((64)) ((
غير ان وقفة فاحصة عند كلام هذا المحقق العلامة ، تجعلنا نتردد في التوافق معه ، انه (ره) لو كان اقـتـصـر عـلـى مـالـخـصه اخيرا، من جعل ملاكات الاحكام و المصالح و الغايات الملحوظة في التشريعات و التكاليف تاويلا، اي اصلا لها و مرجعها الاساسي لكل ذلك المذكور، لامكننا مرافقته.
لـكنه توسع في ذلك ، و فرض من تاويل آي القرآن كلها امرا بسيطا ذا احكام رصين ، ليس فيه شـي مـن هـذه الـتجزئة و التفصيل الموجود في القرآن الحاضر الذي يتداوله المسلمون منذ اول يومهم فـالـى مـا لا نـهـاية ، فان ذاك عار عن كونه آية آية و سورة سورة ، وجودا واحدا بسيطا صرفا ,مستقرا في محل ارفع ، في كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون.
و فرض من القرآن ذا وجودين : وجودا ظاهريا يتشكل في الفاظ و عبارات ذوات مفاهيم معروفة , و هو الذي يتلى و يقرا و يدرس ، و يتداوله الناس حسبما الفوه طوال عهد الاسلام.
و وجـودا آخـر باطنيا، هو وجوده الحقيقي الاصيل ، المترفع عن ان تناله العقول والاحلام ، فضلا عن الاوهام ، و ذلك الوجود الحقيقي الرفيع هو تاويل القرآن ، اي اصله و مرجعه الاصيل.
قال ـ بصدد بيان نزول القرآن دفعة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان ، و انه لم يكن هذا القرآن المتلو الذي بايدي الناس ، فانه نزل تدريجا بلا ريب ـ:
))و الـذي يـعـطـيه التدبر في آيات الكتاب امر آخر، فان الايات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان او في ليلة القدر انما عبرت عن ذلك بلفظ الانزال الدال على الدفعة ، دون التنزيل ، و اعتبار الدفعة اما بلحاظ المجموع اوالبعض ، و اما لكون الكتاب ذا حقيقة اخرى ورا ما نفهمه بالفهم العادي , الذي يقضي فيه بالتفرق و التفصيل والانبساط و التدريج ، هو المصحح لكونه واحدا غير تدريجي و نـازلا بـالانـزال دون الـتـنـزيل ، و هذا هو اللائح من الايات الكريمة : (كتاب احكمت آياته ثم فـصلت ((65)) (فان هذا الاحكام مقابل التفصيل ، و التفصيل هو جعله فصلا فصلا و قطعة قطعة , فـالاحـكـام كـونه بحيث لا يتفصل فيه جز من جز، و لا يتميز بعض من بعض ، لرجوعه الى معنى واحـد لا اجزا فيه و لا فصول و الاية ناطقة بان هذا التفصيل المشاهد في القرآن ، انماطرا عليه بـعد كونه محكما غير مفصل ، و اوضح منه قوله تعالى : (حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون و انه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ((66)) (فانه ظاهر في ان هناك كتابا مبينا عرض عـلـيه جعله مقروا عربيا، و انما البس لباس القراة و العربية ليعقله الناس ، و الا فانه في ام الكتاب عـنـد اللّه عـلـى لا يـصـعـد اليه العقول ، حكيم لا يوجد فيه فصل فصل فالكتاب المبين الذي هو اصـل الـقـرآن و حـكـمـه الـخـالـي عن التفصيل امر ورا هذا المنزل و انما هذا بمنزلة اللباس لذاك ((67)).
ثم احال تمام الكلام الى بيانه الاتي حول آية المتشابهات ، قال هناك:
))الـحـق فـي تفسير التاويل انه الحقيقة الواقعية التي تستند اليها البيانات القرآنية ، و انه موجود لـجـمـيع الايات ، وانه ليس من قبيل المفاهيم بل من الامور العينية المتعالية من ان يحيط بها شبكات الالـفاظ، و انما قيدها اللّه بقيدالالفاظ لتقريبها من اذهاننا، قال تعالى : (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تـعـقـلـون و انه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم (((68))و في القرآن تصريحات و تلويحات بهذا المعنى((69)) .
و بـعد، فلنتسال : ما هو السبب الداعي لفرض وجودين للقرآن الكريم : وجودا لديه تعالى في كتاب مـكـنـون ، لايـمـسـه الا المطهرون ، عاريا عن التجزئة و التفصيل ، متعاليا عن شبكات الالفاظ و العبارات ، و وجودا ارضيا نزل تدريجا لهداية الناس ، و البس لباس العربية لعلهم يعقلونه ؟ و لـعـلـه لـلـنظر الى قوله تعالى : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن (

((70))و قوله :(حم و الـكـتـاب الـمـبـيـن انـا انـزلـنـاه فـي ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا ((71)) (و قوله :(انا انزلناه في ليلة القدر. ((72)) (
و قـد ورد فـي الحديث ـ من طرق الفريقين ـ : ان القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر، ثم نزل تدريجا طوال عشرين عاما. ((73)) ((
و لذلك فرض علامتنا الطباطبائي وجودين للقرآن الكريم و نزولين و كان نزوله الدفعي بوجوده البسيط الذي كان بمنزلة الروح لهذا القرآن ، النازل تدريجا بوجوده التفصيلي.
و بـذلـك نراه قد جمع بين ظواهر الايات و دلالة الروايات ، و ايد ذلك بالفارق اللغوي بين لفظتي))الانزال)) و((التنزيل.((
لكن تشريف شهر رمضان انما كان بنزول هذا القرآن المعهود لدى المخاطبين بهذا الخطاب ، لا بامر لا يعرفونه عـلـى ان الـقـرآن الـنـازل فـي هـذا الـشـهـر، قد وصف بكونه (هدى للناس و بينات من الهدى والـفـرقـان ((74)) (و معلوم ان الهداية و البينات ، انما هي بهذا الكتاب الذي يتداولونه ، لا بكتاب مكنون عند اللّه محفوظ لديه في مكان على لا تناله الايدي و الابصار.
كـمـا ان الـذي يـبتغيه اهل الزيغ لاجل الفساد في الارض ، هو تفسير الايات على غيروجهها، لا وجودا آخر للقرآن ، هو في اعلى عليين.
فـقوله (ره) :((و انه موجود لجميع الايات محكمها و متشابهها، و انه ليس من قبيل المفاهيم بل من الامور العينية المتعالية من ان يحيط بها شبكات الالفاظ)) غير مفهوم لنا.
والفرق بين ((الانزال)) و ((التنزيل)) امر ابدعه الراغب الاصبهاني ، و لا شاهد له.
قال : و انما خص لفظ الانزال دون التنزيل ، لما روي ان القرآن نزل دفعة واحدة الى سما الدنيا، ثم نـزل نجمافنجما و لفظ الانزال اعم من التنزيل ، قال : (لو انزلنا هذا القران على جبل ((75)) (و لم يقل : لو نزلنا،تنبيها انا لو خولناه مرة ما خولناك مرارا.
و يرد عليه ما حكاه اللّه عن قولة العرب : (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة. ((76)) (
و كذلك قوله تعالى : (و قالوا لولا نزل عليه آية من ربه. ((77)) (
و قوله : (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة. ((78)) (
و قوله : (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه. ((79)) (
و قوله : (لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا. ((80)) (
كما جمع بين التعبيرين بشان امر واحد في قوله تعالى : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((81)) (
كما جا استعمال ((الانزال)) بشان التدريجيات ايضا:
)انزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم. ((82)) (
)هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات. ((83)) (
لان الـكـتاب الذي منه محكم و متشابه ، هو هذا الكتاب الذي نزل تدريجا (افغير اللّه ابتغي حكما و هوالذي انزل اليكم الكتاب مفصلا , ((84)) (اذ الذي نزل مفصلا هو هذا القرآن الذي نزل منجما.
و اخـيـرا فما هي الفائدة المتوخاة من ورا نزول القرآن دفعة واحدة الى السما الدنيا او الى السما الرابعة ، في البيت المعمور او بيت العزة ـ على الاختلاف في الفاظ الروايات ـ ، ثم نزوله بعد ذلك تدريجا في طول عهدالرسالة ؟.
و هـل لـوجـود الـقـرآن بوجوده البسيط الروحاني ـ في ذلك المكان الرفيع ـ فائدة تعودعلى اهل السماوات او سكان الارضين ؟.
و اجـاب الفخر الرازي عن ذلك ، و علل وجود القرآن هناك ، في مكان انزل من العرش و اقرب الى الارض ، ليسهل التناول منه لجبرائيل عند مسيس الحاجة((85)) .
و عـلـل بـعـض الاساتذة المعاصرين ذلك ، بان الرابط بين ذلك القرآن المحفوظ لديه تعالى ، و هذا الـقـرآن الـمعروض على الناس ، هو ((رابط العلية)) فكل ما في هذا القرآن من حكم و مواعظ و آداب ، و تعاليم و معارف و احكام ، انما تنشا مما حواه ذلك القرآن ، على بساطته و علو رفعته ، فهذا اشعاع من ذلك النور الساطع ، و افاضة من ذلك المقام الرفيع

((86)).
غـيـر ان هـذا كله تكلف في التاويل ، و تمحل في القول بلا دليل ، و لعلنا في غنى عن البسط فيه و التذييل.
و امـا الايـات الـتي استندوا اليها لاثبات وجود آخر للقرآن محفوظ عنداللّه ، في كتاب مكنون لا يمسه الاالمطهرون فهي تعني امرا آخر غير ما راموه.
و لـيعلم ان المقصود من الكتاب المكنون ، هو: علم الل ه المخزون ، المعبر عنه ب (اللوح المحفوظ (ايضا، و هكذاالتعبير ب (ام الكتاب) كناية عن علمه تعالى الذاتي الازلي ، بما يكون مع الابد.
و قـد ذكـر العلامة الطباطبائي ـ في تفسير سورة الرعد حديثا عن الامام الصادق (ع)قال : ((كل امـر يريده اللّه ، فهوفي علمه قبل ان يضعه ، و ليس شـي يبدو له الا و قد كان في علمه)) قال ذلك تفسيرا لقوله تعالى : (يمحواللّه ما يشا و يثبت و عنده ام الكتاب(((87)) .
فقوله تعالى : (و انه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ((88)) (يعني قضى اللّه في علمه الازلي الحتم ان الـقـرآن ـ فـي مسيرته الخالدة ـ سوف يشغل مقاما عليا، مترفعا عن ان تناله ايدي السفها، حكيما مستحكماقوائمه ، لا يتضعضع و لا يتزلزل ، يشق طريقه الى الامام بسلام((89)) .
و كـذا قـولـه : (بـل هـو قـرآن مـجـيـد فـي لـوح مـحفوظ ((90)) (اي هكذا قدر في علمه تعالى المكنون((91)) .
و هكذا ذكر الطبرسي و غيره في تفسير قوله تعالى : (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الاالـمـطـهـرون ((92)) (انـه اشارة الى مقامه الرفيع عند اللّه ، و قد جرى في علمه تعالى انه محفوظ عن مناوشة المناوئين.
قـال سـيـد قطب : ((انه لقرآن كريم : كريم بمصدره ، و كريم بذاته ، و كريم باتجاهاته في كتاب مـكنون : مصون ، وتفسير ذلك في قوله تعالى بعده : لا يمسه الا المطهرون فقد زعم المشركون ان الـشـيـاطـين تنزلت به ، فهذا نفي لهذاالزعم فالشيطان لا يمس هذا الكتاب المكنون في علم اللّه و حـفـظـه ، انـما تنزل به الملائكة المطهرون ، و لذلك قال ـ بعدها ـ : تنزيل من رب العالمين ، اي لا تنزيل من الشياطين. ((93)) ((

هل يعلم التاويل غير اللّه ؟ .

سـؤال اثـارتـه ظـاهـرة الـوقـف عـلـى (الا اللّه) من قوله تعالى : (و ما يعلم تاويله الا اللّه) ثم الاستئناف لقوله : (و الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا. ((94)) (و مـا ورد فـي بـعـض الاحاديث من اختصاص علم التاويل باللّه تعالى ، و ان الراسخين في العلم لا يـعـلـمـون تاويله ، و انما يكلون علمه الى اللّه سبحانه ، من ذلك ما ورد في خطبة الاشباح من كلام مولانا اميرالمؤمنين (ع:(
))فـانـظـر ايها السائل ، فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته ، و ما كلفك الـشـيـطان علمه مماليس في الكتاب عليك فرضه ، و لا في سنة النبى (ص)و ائمة الهدى اثره ، فكل علمه الى اللّه سبحانه فان ذلك منتهى حق اللّه عليك.((
))و اعـلـم ان الـراسـخـيـن في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب , الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح اللّه تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لـم يـحيطوا به علما، و سمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا، فاقتصر على ذلك ، و لا تقدرعظمة اللّه سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين. ((95)) ((
هـذه الـخـطـبة من جلائل الخطب و اعلاها سندا، فلا مغمز في صحة اسنادها، و انما الكلام في فحوى المراد منها.
و قد اجمع شراح النهج((96)) على ان مراده (ع) بهذا الكلام هو الصفات ، و ان صفاته تعالى انما يـجـب التعبد بها والتوقف فيها دون الولوج في معرفة كنهها، اذ لا سبيل الى

معرفة حقيقة الصفات , كما لا سبيل الى معرفة حقيقة الذات.
حيث قوله (ع) : ((فما دلك القرآن من صفته فائتم به ، و ما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه.((
اذ من وظيفتنا ان نصفه تعالى بما وصف به نفسه في كلامه : سميع بصير، حكيم عليم ، حى قيوم و لم نكلف الولوج في معرفة حقائق هذه الصفات منسوبة الى اللّه تعالى ، اذ ضربت دون معرفتهاالسدد و الحجب ، فلا سبيل الى بلوغها، فيجب التوقف دونها.
اذن فلا مساس لكلامه (ع) هنا، مع متشابهات الايات التي لاينبغي الجهل بها للراسخين في العلم , حيث تحليهم بحلية العلم هي التي مكنتهم من معرفة التنزيل و التاويل جميعا.
نعم لا نتحاشا القول بانهم في بد مجابهتهم للمتشابهات يقفون لديها، وقفة المتامل فيها، حيث المتشابه متشابه على الجميع على سوا، لولا انهم بفضل جهودهم في سبيل كشفها و ارجاعها الى محكمات الايات صارواىعرفونها في نهاية المطاف فعجزهم البادئ كان من فضل رسوخهم في العلم ، بان المتشابه كلام صادر ممن صدرعنه المحكم ، فزادت رغبتهم في معرفتها بالتامل فيها و الاستمداد من اللّه في العلم بها، و من جد في امر وجده بعون اللّه.
فوجه تناسب استشهاده (ع) بهذه الاية بشان الصفات محضا، هو العجز البادئ لدى المتشابهات , يقربه الراسخون في اول مجابهتهم للمتشابهات ، و ان كان الامر يفترق في نهاية المطاف.
قال ابن ابي الحديد: ان من الناس من وقف على قوله : (الا اللّه) و منهم من لم يقف و هذا القول اقوى من الاول ، لانه اذا كان لا يعلم تاويل المتشابه الا اللّه لم يكن في انزاله و مخاطبة المكلفين به فائدة , بل يكون كخطاب العربي بالزنجية ، و معلوم ان ذلك عيب قبيح.
و اما موضع (يقولون) من الاعراب ، فيمكن ان يكون نصبا على انه حال من الراسخين ، و يمكن ان يكون كلاما مستانفا، اي هؤلا العالمون بالتاويل ، يقولون : آمنا به.
و قد روي عن ابن عباس انه تاول آية ، فقال قائل من الصحابة : (و ما يعلم تاويله الا اللّه) فقال ابن عباس : (و الراسخون في العلم) و انا من جملة الراسخين((97)) .
و نحن قد تكلمنا عن هذه الاية بتفصيل و توضيح ، عند الكلام عن متشابهات القرآن , فراجع((98)) .

هل التفسير توقيف ؟

ربما كان بعض السلف يحتشم عن القول في القرآن ، خشية ان يكون قولا على اللّه بغير علم , او تفسيرا برايه الممنوع شرعا و تبعهم على ذلك بعض الخلف ، فامسكوا عن تفسير القرآن ، سوى ما ورد فيه اثر صحيح و نقل صريح.
فقد اخرج الطبري باسناده الى ابي معمر، قال : قال ابوبكر: ((اي ارض تقلني و اى سما تظلني اذا قلت في القرآن ما لا اعلم))، و في رواية اخرى ايضا عنه : ((اذا قلت في القرآن برايي. ((99)) ((
و هذا عند ما سئل عن ((الاب)) في قوله تعالى : (و فاكهة و ابا، متاعا لكم و لانعامكم(, ((100))فقداخرج السيوطي باسناده الى ابراهيم التميمي ، قال : سئل ابو بكر عن قوله تعالى : (و ابا)، فقال)) : اى سماتظلني و اى ارض تقلني اذا قلت في كتاب اللّه ما لا اعلم. ((101)) ((
و هكذا روي عن عمر انه جعل التكلم في الاية تكلفا يجب تركه و ايكاله الى اللّه ، اخرج السيوطي بعدة اسانيدان عمر قرا على المنبر: (فانبتنا فيها حبا و عنبا و قضبا ـ الى قوله ـ و ابا) قال : كل هذا قد عرفناه ، فماالاب ؟ ثم رفض عصا كانت في يده ، فقال :هذا لعمرو اللّه هو التكلف ، فما عليك ان لا تدري ما الاب ، اتبعوامابين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به ، و ما لم تعرفوه فكلوه الى ربه((102)) .

و عن عبيد اللّه بن عمر قال : لقد ادركت فقها المدينة ، و انهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبداللّه ، و القاسم بن محمد، و سعيد بن المسيب ، و نافع و عن يحيى بن سعيد، قال : سمعت رجلا يسال سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ، فقال : لا اقول في القرآن شيئا و في رواية اخرى : انه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : انا لا اقول في القرآن شيئا، و كان لا يتكلم الا في المعلوم من القرآن قال يزيد: و اذا سالنا سعيداعن تفسير آية من القرآن ، سكت كان لم يسمع.

و عن ابن سيرين ، قال : سالت عبيدة السلماني عن آية ، قال : عليك بالسداد، فقد ذهب الذين علموا فيم انزل القرآن.

و جا طلق بن حبيب الى جندب بن عبد اللّه ، فساله عن آية من القرآن ، فقال له : احرج عليك ان كنت مسلما،لما قمت عني ، او قال : ان تجالسني.

و روي عن الشعبي ، قال : ثلاث لا اقول فيهن حتى اموت : القرآن ، و الروح ، و الراي ، و كان يقول : و اللّه ما من آية الا قد سالت عنها، و لكنها الرواية عن اللّه.

و روي عنه انه قال : ادركتهم ـ اي الاوائل ـ و ما شي ابغض اليهم ان يسالوا عنه و لاهم له اهيب , من القرآن ذكره صاحب كتاب المباني.

و رووا في ذلك بطريق ضعيف عن عائشة ، قالت : ما كان النبى (ص) يفسر شيئا من القرآن الا آيا تعد، علمهن اياه جبريل((103)) , اي انه (ص)لم يكن يفسر الا القلائل من الايات ، تلك القلائل ايضا كان بوحي و توقيف ، و لم يكن عن فهمه.

و روي عن ابراهيم ، قال : كان اصحابنا يتقون التفسير و يهابونه.

قال ابن كثير: فهذه الاثار الصحيحة و ما شاكلها عن ائمة السلف ، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسيربما لا علم لهم فيه فاما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة و شرعا فلا حرج عليه ، و لهذا روي عن هؤلا و غيرهم اقوال في التفسير، و لا منافاة ، لانهم تكلموا فيما علموه و سكتوا عما جهلوه و هذا هو الواجب على كل واحد،فانه كما يجب السكوت عما لا علم به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ، لقوله تعالى : (لتبيننه للناس و لا تكتمونه. ((104)) (

و بعين ذلك ذكر ابن تيمية في مقدمته((105)) .

و قال ابن جرير الطبري : ان معنى ((احجام)) من احجم عن القيل في تاويل القرآن وتفسيره من علما السلف ، انما كان احجامه عنه حذرا ان لا يبلغ ادا ما كلف من اصابة صواب القول فيه ، لاعلى ان تاويل ذلك محجوب عن علما الامة ، غير موجود بين اظهرهم ((106)).

قلت : و الدليل على صحة ذلك ان من تحرج من القول في معاني القرآن من السلف ، كانوا هم القلة القليلة من الاصحاب و التابعين ، اما الاكثرية الساحقة من علما الامة و نبها الصحابة فقد عنوا بتفسير القرآن و تاويله عناية بالغة ، كانت الوفرة الوفيرة من رصيدنا اليوم في التفسير.

قال ابن عطية : و كان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه ، و هم ابقى على المسلمين في ذلك.

فاما صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعلي بن ابي طالب (ع)، و يتلوه عبد اللّه ابن عباس ، و هو تجرد للامر وكمله ، و تبعه العلما عليه ، كمجاهد، و سعيد بن جبير، و غيرهما و المحفوظ عنه في ذلك اكثر من المحفوظ عن على بن ابي طالب.

و قال ابن عباس : ما اخذت من تفسير القرآن فعن على بن ابي طالب.

و كان على بن ابي طالب يثني على تفسير ابن عباس ، و يحض على الاخذ عنه و كان عبد اللّه بن مسعود يقول :نعم ترجمان القرآن عبد اللّه بن عباس.

و هو الذي قال فيه رسول اللّه (ص) : ((اللهم فقهه في الدين))، و حسبك بهذه الدعوة

و قال عنه على بن ابي طالب (ع): ((ابن عباس كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق.((

و يتلوه عبد اللّه بن مسعود، و ابى بن كعب ، و زيد بن ثابت ، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص.

قال : و كل ما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم((107)) .
و اما حديث عائشة ـ فضلا عن تكلم ابن جرير و ابن عطية و غيرهما في تاويله و ضعف سنده ـ فالارجح في تاويله : انه (ص) كان يفسر لهم القرآن اعدادا فاعدادا، كل فترة عددا خاصا حسبما كان جبرئيل يعلمه عن اللّه ـجل جلاله ـ و لم يكن التعليم فوضى من غير انتظام و سيوافيك حديث ابن مسعود في ذلك : كان الرجل منا اذاتعلم عشر آيات ، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن.
قال صاحب كتاب المباني : و اما ما روي عن عائشة ، فان ذلك يدل على انه (ع) كان يحتاج مع ما انزل عليه من القرآن الى تفسير آيات يعلمهن اياه جبريل (ع) و تلك آيات معدودة قد اجملت فيها احكام الشريعة ، بحيث لايوقف عليه الا ببيان الرسول عن اللّه تعالى.
و اما ما ذكروه من امتناع من امتنع من القول في التفسير، فان ذلك بمنزلة من امتنع منهم عن الرواية عن رسول اللّه (ص) الا فيما لم يجد فيه بدا.
و لذلك قلت روايات رجال من اكابر الصحابة ، مثل عثمان و طلحة و الزبير و غيرهم روى عامر بن عبد اللّه بن الزبير عن ابيه قال : قلت للزبير: ما لي لا اسمعك تحدث عن رسول اللّه ، كما اسمع ابن مسعود و فلانا و فلانا؟فقال : اما اني لم افارقه منذ اسلمت ، و لكني سمعت رسول اللّه (ص (يقول : ((من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار.((
و قيل لربيعة : انا لنجد عند غيرك من الحديث ما لا نجد عندك منه ، و لكني سمعت رجلا من آل الهدير يقول : صحبت طلحة و ما سمعته يحدث عن رسول اللّه (ص) الا حديثا واحدا.
قال : و هذا عبد اللّه بن عباس ، لم يدع آية في القرآن الا و قد ذكر من تفسيرها، على ما روت عنه الرواة ، ولذلك قيل : ابن عباس ترجمان القرآن.
و روي عن ابي مليكة قال : رايت مجاهدا يسال ابن عباس في تفسير القرآن و معه الواحه ، فيقول ابن عباس : اكتبه ، حتى ساله عن التفسير كله.
و روي عن سعيد بن جبير انه قال : من قرا القرآن و لم يفسره كان كالاعمى او كالاعرابي .
و روى مسلم عن مسروق بن الاجدع قال : كان عبد اللّه يقرا علينا السورة ثم يحدثنا فيها، و يفسرها عامة النهار.
و عن ابي عبد الرحمان قال : حد ثونا الذين كانوا يقرئوننا: انهم كانوا يستقرئون من النبى ، فكانوا اذا تعلموا عشرآيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل ، فيعلموا القرآن والعمل جميعا.
و عن ابن مسعود: كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ((108)).
و بعد، فقد ذكر الراغب الاصبهاني هنا شرائط يجب توفرها في المفسر، حتى لايكون تفسيره تفسيرا بالراي الممنوع شرعا و المقبوح عقلا، نذكره بتفصيله ، فان فيه الفائدة المتوخاة في هذا الباب.

صلاحية المفسر

قال الراغب : اختلف الناس في تفسير القرآن ، هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه ؟ فبعض تشدد في ذلك ، وقال : لايجوز لاحد تفسير شي من القرآن ، و ان كان عالما اديبا، متسعا في معرفة الادلة والفقه و النحو والاخباروالاثار و انما له ان ينتهي الى ما روي عن النبى (ص)، و عن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة ، و الذين اخذواعنهم من التابعين و احتجوا في ذلك بما روي عنه (ع): ((من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار))، و قوله :((من فسر القرآن برايه فاصاب فقد اخطا)) و في خبر: ((من قال في القرآن برايه فقد كفر.((

قـال : و ذكر آخرون ان من كان ذا ادب وسيع ، فموسع له ان يفسره ، فالعقلا الادبا فوضى فضا في معـرفـة الاغـراض و احـتـجوا في ذلك بقوله تعالى : (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكراولوا الا لباب. ((109)) (
و ذكـر بعض المحققين ان المذهبين هما: الغلو و التقصير، فمن اقتصر على المنقول اليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج اليه ، و من اجاز لكل احد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط، و لم يعتبر حقيقة قوله تعالى : (ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الا لباب.(
قـال : و الـواجـب ان يـبـيـن اولا ما ينطوي عليه القرآن ، و ما يحتاج اليه من العلوم ، فنقول و باللّه التوفيق:
ان جـمـيـع شـرائط الايـمان و الاسلام التي دعينا اليها و اشتمل القرآن عليها ضربان :علم غايته الاعـتقاد، و هو الايمان باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر و علم غايته العمل ، و هو معرفة احكام الدين و العمل بها.
و العلم مبدا، و العمل تمام و لا يتم العلم من دون عمل ، و لا يخلص العمل دون العلم ، و لذلك لم يفرد تعالى احدهما من الاخر في عامة القرآن ، نحو قوله : (ومن يؤمن باللّه و يعمل صالحا) , ((110)) (و من عمل صالحا من ذكر او انثى و هو مومن) ((111)) (الذين آمنوا و عملوا الصالحات طوبى لهم و حسن مب (((112)) .
و لا يمكن تحصيل هذين (العلم و العمل) الا بعلوم لفظية ، وعقلية ، و موهبية:
فالاول : معرفة الالفاظ، و هو علم اللغة.
والثاني : مناسبة بعض الالفاظ الى بعض ، و هو علم الاشتقاق.
والثالث : معرفة احكام ما يعرض الالفاظ من الابنية و التصاريف و الاعراب ، و هو النحو.
والرابع : ما يتعلق بذات التنزيل ، و هو معرفة القرات.
والخامس : ما يتعلق بالاسباب التي نزلت عندها الايات ، و شرح الاقاصيص التي تنطوي عليها السور ,من ذكر الانبيا(ع) و القرون الماضية ، و هو علم الاثار و الاخبار.
والـسـادس : ذكر السنن المنقولة عن النبى (ص)و عمن شهد الوحي ، و ما اتفقوا عليه و ما اختلفوا فيه ، مما هوبيان لمجمل ، او تفسير لمبهم المنبا عنه بقوله تعالى : (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ((113)) (و بقوله : (اولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده , ((114)) (و ذلك علم السنن.
والـسابع : معرفة الناسخ و المنسوخ ، و العموم و الخصوص ، و الاجماع و الاختلاف ،و المجمل و الـمـفـسـر، و الـقياسات الشرعية ، و المواضع التي يصح فيها القياس ، و التي لا يصح ، و هو علم اصول الفقه.
والثامن : احكام الدين و آدابه ، و آداب السياسات الثلاث التي هي سياسة النفس والاقارب و الرعية , مع التمسك بالعدالة فيها، و هو علم الفقه و الزهد.
والتاسع : معرفة الادلة العقلية ، و البراهين الحقيقية ، و التقسيم و التحديد، و الفرق بين المعقولات والمظنونات و غير ذلك ، و هو علم الكلام.
و العاشر: و هو علم الموهبة ، و ذلك علم يورثه اللّه من عمل بما علم قال امير المؤمنين (ع): قالت الحكمة :من ارادني فليعمل باحسن ما علم ، ثم تلا (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ((115)) (و روي عنه (ع) حيث سئل : هل عندك علم عن النبي لم يقع الى غيرك ؟ قال : ((لا، الا كتاب اللّه ، و ما في صحيفتي ، و فهم يؤتيه اللّه من يشا.((
و هذا هو التذكر الذي رجانا اللّه تعالى ادراكه بفعل الصالحات ، حيث قال : (ان اللّه يامر بالعدل والا حـسـان و ايتا ذي القربى ـ الى قوله ـ لعلكم تذكرون (, ((116))و هو الهداية المزيدة للمهتدي فـي قـوله : (والذين اهتدوا زادهم

هدى , ((117)) (و هو الطيب من القول المذكور: (و هدوا الى الطيب من القول ، و هدوا الى صراط الحميد. ((118)) (
فـجـمـلـة الـعلوم التي هي كالالة للمفسر، و لاتتم صناعته الا بها، هي هذه العشرة : علم اللغة ، و الاشتقاق ، و النحو،و القرات ، و السير، و الحديث ، و اصول الفقه ، و علم الاحكام ، و علم الكلام ، و علم الموهبة.
فمن تكاملت فيه هذه العشرة و استعملها، خرج عن كونه مفسرا للقرآن برايه و من نقص عن بعض ذلك مماليس بواجب معرفته في تفسير القرآن ، و احس من نفسه في ذلك بنقصه ، و استعان باربابه ، و اقتبس منهم ، واستضا باقوالهم ، لم يكن ـ ان شا اللّه ـ من المفسرين برايهم.
و اخيرا قال : و من حق من تصدى للتفسير ان يكون مستشعرا لتقوى اللّه ، مستعيذا من شرور نفسه و الاعـجاب بها، فالاعجاب اس كل فساد و ان يكون اتهامه لفهمه اكثر من اتهامه لفهم اسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل و باللّه التوفيق((119)) .
و لقد احسن و اجاد فيما افاد، وادى الكلام حقه في بيان الشرائط التي يجب توفرها في كل مفسر ,حتى يخرج عن كونه مفسرا برايه ، و بشرط ان يراعي تقوى اللّه ، فلا يقول في شي بغير علم و لا كتاب منير.
قال جلال الدين السيوطي : و لعلك تستشكل علم الموهبة ، و تقول : هذا شي ليس في قدرة الانسان و لـيس كما ظننت من الاشكال ، و الطريق في تحصيله ارتكاب الاسباب الموجبة له من العمل و الزهد قال الامام بدرالدين الزركشي : اعلم انه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ، و لا يظهر له اسراره ,و فـي قلبه بدعة او كبر اوهوى او حب الدنيا، او هو مصر على ذنب ، او غير متحقق بالايمان ، او ضعيف التحقيق ، او يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، او راجع الى معقوله و هذه كلها حجب و مـوانع بعضها آكد من البعض قال السيوطي : و في هذا المعنى قوله تعالى : (ساصرف عن آياتي الذين يـتـكـبـرون فـي الا رض بغير الحق ((120)) (قال سفيان بن عيينة : يقول تعالى : انزع عنهم فهم القرآن((121)) .
قـلـت : و هـكـذا قـولـه تـعـالـى : (انـه لـقـرآن كـريـم ، فـي كـتـاب مـكـنـون ، لا يـمـسه الاالمطهرون ((122)) (فلا تتجلى حقائق القرآن و معارفه الرشيدة الا لمن خلص باطنه و زكت نفسه عن الادناس و الارجاس.
قـال الامام امير المؤمنين (ع) ـ في خطبة خطبها بذي قار ـ : ((ان علم القرآن ليس يعلم ما هو الا من ذاق طعمه ،فعلم بالعلم جهله ، و بصر به عماه ، و سمع به صممه ، و ادرك به علم ما فات ، وحيي به بعد اذ مات ، و اثبت به عنداللّه الحسنات ، و محا به السيئات ، و ادرك به رضوانا من اللّه تبارك و تعالى ، فاطلبوا ذلك من عند اهله خاصة. ((123)) ((
و قـال ـ فـي حـديث آخر ـ : ((ان اللّه قسم كلامه ثلاثة اقسام ، فجعل قسما منه يعرفه العالم و الـجـاهـل ، و قـسما لايعرفه الا من صفا ذهنه و لطف حسه و صح تمييزه ، ممن شرح اللّه صدره للاسلام ، و قسما لايعلمه الا اللّه وامناؤه و الراسخون في العلم. ((124)) ((
قـال تـعـالـى : (يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا اللّه يجعل لكم فرقانا , ((125)) (و قال : (و اتقوا اللّه ويعلمكم اللّه. ((126)) (

اوجه التفسير

اخـرج الـطـبـري بـعد ة اسانيد الى ابن عباس ، قال : التفسير اربعة اوجه : وجه تعرفه العرب من كـلامـهـا، و تـفـسـيـر لايـعـذر احد بجهالته ، و تفسير يعلمه العلما ,و تفسير لا يعلمه الا اللّه تعالى((127)) .

قال الزركشي ـ في شرح هذا الكلام ـ : و هذا تقسيم صحيح:
فاما الذي تعرفه العرب ، فهو الذي يرجع فيه الى لسانهم ، و ذلك شان اللغة و الاعراب.
فاما اللغة ، فعلى المفسر معرفة معانيها، و مسميات اسمائها، و لايلزم ذلك القارئ ثم ان كان ما تتضمنه الفاظهايوجب العمل دون العلم ، كفى فيه خبر الواحد و الاثنين ، و الاستشهاد بالبيت و البيتين و ان كان مما يوجب العلم ، لم يكف ذلك ، بل لا بد ان يستفيض ذلك اللفظ، و تكثر شواهده من الشعر.
و اما الاعراب ، فما كان اختلافه محيلا للمعنى ،وجب على المفسر و القارئ تعلمه ، ليتوصل المفسر الى معرفة الحكم و ليسلم القارئ من اللحن و ان لم يكن محيلا للمعنى ، وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن ، و لايجب على المفسر، لوصوله الى المقصود دونه ، على ان جهله نقص في حق الجميع.
اذا تقرر ذلك ، فما كان من التفسير راجعا الى هذا القسم ، فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب ، و ليس لغير العالم بحقائق اللغة و مفاهيمها تفسير شي من الكتاب العزيز، و لا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا، و هو يعلم احد المعنيين.
الثاني : ما لا يعذر احد بجهله ، و هو ما تتبادر الافهام الى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الاحكام ودلائل التوحيد و كل لفظ افاد معنى واحدا جليا لا سواه ، يعلم انه مراد اللّه تعالى.
فهذا القسم لا يختلف حكمه ، و لا يلتبس تاويله ، اذ كل احد يدرك معنى التوحيد،من قوله تعالى) : فاعلم انه لا اله الا اللّه ((128)) (و انه لا شريك له في الهيته ، و ان لم يعلم ان ((لا ((موضوعة في اللغة للنفي و ((الا)) للاثبات ، و ان مقتضى هذه الكلمة الحصر و يعلم كل احد بالضرورة ان مقتضى قوله تعالى : (و اقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ((129)) (و نحوها من الاوامر، طلب ادخال ماهية المامور به في الوجود، و ان لم يعلم ان صيغة ((افعل)) مقتضاها الترجيح وجوبا او ندبا فما كان من هذا القسم لا يقدر احد ان يدعي الجهل بمعاني الفاظه ، لانها معلومة لكل احد بالضرورة.
الثالث : ما لا يعلمه الا اللّه تعالى ، فهو يجري مجرى الغيوب ، نحو الاي المتضمنة قيام الساعة ، و نزول الغيث ، وما في الارحام ، و تفسير الروح ، و الحروف المقطعة.
و كل متشابه في القرآن عند اهل الحق ، فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ، و لاطريق الى ذلك الا بالتوقيف ، من احد ثلاثة اوجه:
اما نص من التنزيل ، او بيان من النبى (ص)، او اجماع الامة على تاويله.
فاذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات ، علمنا انه مما استاثر اللّه تعالى بعلمه.
قلت : و هذا انما يصدق بشان الحروف المقطعة ، فانها رموز بين اللّه و رسوله ، لا يعلم تاويلها الا اللّه و الرسول ،و من علمه الرسول بالخصوص.
والرابع : ما يرجع الى اجتهاد العلما، و هو الذي يغلب عليه اطلاق التاويل ، و هو صرف اللفظ الى ما يؤول اليه فالمفسر ناقل ، و المؤول مستنبط، و ذلك استنباط الاحكام ، و بيان المجمل ، و تخصيص العموم.
و كل لفظ احتمل معنيين فصاعدا، فهو الذي لايجوز لغير العلما الاجتهاد فيه ، وعلى العلما اعتماد الشواهد و الدلائل ، و ليس لهم ان يعتمدوا مجرد رايهم فيه.
ثم اخذ في بيان كيفية الاجتهاد و استنباط الاحكام من ظواهر القرآن ، عند اختلاف اللفظ او تعارض ظاهرين ، بحمل الظاهر على الاظهر، و ترجيح احد معنيي المشترك ، و ما الى ذلك مما يرجع الى قواعد (علم الاصول.(
ثم قال : فهذا اصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل ، و اللّه العالم.
و اخيرا قال : اذا تقرر ذلك فينزل قوله (ص): ((من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار)) على قسمين من هذه الاربعة : احدهما: تفسير اللفظ، لاحتياج المفسر له الى التبحر في معرفة لسان العرب ، الثاني : حمل اللفظ المحتمل على احد معنييه ، لاحتياج ذلك الى معرفة انواع من العلوم:

علم العربية و اللغة و التبحر فيهما.
و من علم الاصول ما يدرك به حدود الاشيا، و صيغ الامر و النهي ، و الخبر،والمجمل و المبين ، و العموم و الخصوص ، و الظاهر و المضمر، و المحكم و المتشابه ، و المؤول ، و الحقيقة والمجاز ,و الصريح و الكناية ، و المطلق و المقيد.
و من علوم الفروع ما يدرك به استنباطا، و الاستدلال على هذا اقل ما يحتاج اليه ، و مع ذلك فهو على خطرفعليه ان يقول : يحتمل كذا، و لا يجزم الا في حكم اضطر الى الفتوى به((130)) .

التفسير بالراي

و اما الذي هابه اهل الظاهر، و زعموا من التكلم في معاني القرآن تفسيرا بالراي ، فيجب الاحتراز منه ، فهو مما اشتبه عليهم امره ، و لم يمعنوا النظر في فحواه امعانا.
و لا بد ان نذكر نص الحديث اولا، ثم النظر في محتواه. ((131)) :
1ـ روى ابو جعفر الصدوق باسناده عن الامام امير المؤمنين (ع) قال : قال رسول اللّه (ص): قال اللّه ـ جل جلاله ـ : ((ما آمن بي من فسر برايه كلامي. ((132)) ((
2ـ و ايضا روي عنه (ع) قال ـ لمدعي التناقض في القرآن ـ : ((اياك ان تفسر القرآن برايك , حتى تفقهه عن العلما فانه رب تنزيل يشبه بكلام البشر، و هو كلام اللّه ، و تاويله لا يشبه كلام البشر. ((133)) ((
3ـ و ايضا عن الامام على بن موسى الرضا(ع) قال لعلي بن محمد بن الجهم : ((لا تؤول كتاب اللّه ـ عز و جل ـ برايك ، فان اللّه ـ عز و جل ـ يقول : (و ما يعلم تاويله الا اللّه و الراسخون في العلم. ((134)) (
4ـ و روى ابو النضر محمد بن مسعود العياشي باسناده عن الامام ابي عبد اللّه الصادق (ع) قال)) : من فسرالقرآن برايه فاصاب لم يؤجر، و ان اخطا كان اثمه عليه))، و في رواية اخرى : ((و ان اخطا فهو ابعد من السما. ((135)) ((
5ـ و روى الشهيد السعيد زين الدين العاملي ، مرفوعا الى النبى (ص)قال : ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوامقعده من النار))، و قال : ((من تكلم في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا))، و قال : ((من قال في القرآن بغير ما علم ،جا يوم القيامة ملجما بلجام من نار))، و قال : ((اكثر ما اخاف على امتي من بعدي ، رجل يناول القرآن ، يضعه على غير مواضعه. ((136)) ((
و اخرج ابوجعفر محمد بن جرير الطبري باسناده عن ابن عباس عن النبى (ص)) :(من قال في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار.((
و في رواية اخرى : ((من قال في القرآن برايه او بما لايعلم.((
و ايضا عنه : ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار.((
و ايضا: ((من تكلم في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار.((
و باسناده عن جندب عنه (ص): ((من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا. ((137)) ((
و خص الطبري هذه الاحاديث بالاي التي لا سبيل الى العلم بتاويلها الا ببيان الرسول (ص)، مثل تاويل ما فيه من وجوه امره : واجبه و ندبه و ارشاده ، و صنوف نهيه ، و وظائف حقوقه و حدوده ، و مبالغ فرائضه ، و مقاديراللازم بعض خلقه لبعض ، و ما اشبه ذلك من احكام آيه التي لم يدرك علمها الا ببيان الرسول لامته ، و هذا وجه لايجوز لاحد القول فيه الا ببيان الرسول له بتاويله ، بنص منه عليه ، او بدلالة نصبها دالة امته على تاويله.
قال : و هذه الاخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من ان ما كان من تاويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه الابنص بيان الرسول او بنصبه الدلالة عليه ، فغير جائز لاحد القيل فيه برايه ، بل القائل في ذلك برايه و ان اصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله ، بقيله فيه برايه ، لان اصابته ليست اصابة موقن انه محق ، و انما هواصابة خارص و ظان ، و القائل في دين اللّه بالظن قائل على اللّه ما لم يعلم ، لان قيله فيه برايه ليس بقيل عالم ،ان الذي قال فيه من قول حق و صواب ، فهو قائل على اللّه ما لا يعلم ، آثم بفعله ما قد

نهى عنه و حظرعليه((138)) .
قلت : و هذا يعني العمومات الواردة في القرآن ، الوارد تخصيصاتها في السنة ببيان الرسول ، مثل قوله : (اقيموا الصلاة) و (آتوا الزكاة) و (للّه على الناس حج البيت) و نحو ذلك مما ورد في القرآن عاما، واوكل بيان تفاصيلها و شرائطها و احكامها الى بيان رسول اللّه (ص)فلا يجوز شرح تفاصيلها الا عن اثر صحيح وهذا حق ، غير ان حديث المنع غير ناظر الى خصوص ذلك.
و روى الترمذي باسناده الى ابن عباس عن النبى (ص) قال : ((اتقوا الحديث علي الا ما علمتم ، فمن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار، و من قال في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار. ((139)) ((
قال ابن الانباري : فسر حديث ابن عباس تفسيرين:
احدهما: من قال في مشكل القرآن بما لايعرف من مذهب الاوائل من الصحابة والتابعين ، فهو متعرض لسخط اللّه.
و الاخر: ـ و هو اثبت القولين و اصحهما معنى ـ من قال في القرآن قولا يعلم ان الحق غيره , فليتبوا مقعده من النار.
و قال : و اما حديث جندب عن رسول الل ه (ص): ((من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا , ((140)) ((فحمل بعض اهل العلم هذا الحديث على ان الراي معنى به الهوى من قال في القرآن قولا يوافق هواه ، لم ياخذه عن ائمة السلف ، فاصاب فقد اخطا، لحكمه على القرآن بما لايعرف اصله ، و لا يقف على مذاهب اهل الاثر و النقل فيه .
و قال ابن عطية : ((و معنى هذا ان يسال الرجل عن معنى في كتاب اللّه عز و جل ، فيتسور عليه برايه((141)) دون نظر فيما قال العلما، و اقتضته قوانين العلم كالنحو و الاصول و ليس يدخل في هذا الحديث ، ان يفسر اللغويون لغته ، والنحويون نحوه ، و الفقها معانيه ، و يقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم و نظر، فان القائل على هذه الص فة ليس قائلا بمجرد رايه.((
قال القرطبي ـ تعقيبا على هذا الكلام ـ : هذا صحيح ، و هوالذي اختاره غير واحد من العلما، فان من قال في القرآن بما سنح في وهمه و خطر على باله من غير استدلال عليه بالاصول فهو مخطئ ،و ان من استنبط معناه بحمله على الاصول المحكمة المتفق على معناها، فهو ممدوح.
و قال بعض العلما: ان التفسير موقوف على السماع ، للامر برده الى اللّه و الرسول ((142)).
قال : و هذا فاسد، لان النهي عن تفسير القرآن لايخلو: اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل و السماع وترك الاستنباط، او المراد به امرا آخر و باطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه ،فان الصحابة قد قراوا القرآن و اختلفوا في تفسيره على وجوه ، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبى (ص)، و قددعا لابن عباس : ((اللهم فقهه في الدين و علمه التاويل)) فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ، فما فائدة تخصيصه بذلك ، و هذا بين لا اشكال فيه.
و انما النهي يحمل على احد وجهين:
احدهما: ان يكون له في الشي راي ، و اليه ميل من طبعه و هواه ، فيتاول القرآن على وفق رايه و هواه ،ليحتج على تصحيح غرضه و لو لم يكن له ذلك الراي و الهوى ، لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.
و هذا النوع يكون تارة مع العلم ، كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته ، و هو يعلم ان ليس المراد بالاية ذلك ، و لكن مقصوده ان يلبس على خصمه.
و تارة يكون مع الجهل ، و ذلك اذا كانت الاية محتملة ، فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ، و يرجح ذلك الجانب برايه و هواه ، فيكون قد فسر برايه ، اي رايه حمله على ذلك التفسير، ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه.

و تارة يكون له غرض صحيح ، فيطلب له دليلا من القرآن ، و يستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به , كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي ، فيقول : قال اللّه تعالى : (اذهب الى فرعون انه طغى ((143)) (و يشير الى قلبه ، و يومئ الى انه المراد بفرعون و هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة ، تحسينا للكلام و ترغيبا للمستمع ، و هو ممنوع لانه قياس في اللغة ، و ذلك غير جائز وقد تستعمله الباطنية ((144)) في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس و دعوتهم الى مذاهبهم الباطلة ، فينزلون القرآن على وفق رايهم و مذهبهم ، على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة .
فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي.
الوجه الثاني : ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية ، من غير استظهار بالسماع و النقل ، فيما يتعلق بغرائب القرآن ، و ما فيه من الالفاظ المبهمة و المبدلة ، و ما فيه من الاختصار والحذف والاضمار و التقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير، و بادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، و دخل في زمرة من فسر القرآن بالراي والنقل و السماع لا بد له منهما في ظاهر التفسير، اولا ليتقي بهما مواضع الغلط، ثم بعدذلك يتسع الفهم و الاستنباط و الغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ، و لا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر، الا ترى ان قوله تعالى : (و آتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ((145)) (معناه : آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى الظاهر يظن ان الناقة كانت مبصرة ، فهذا في الحذف و الاضمار، و امثاله في القرآن كثير ((146)).
و هذا الذي ذكره القرطبي و شرحه شرحا وافيا، هو الصحيح في معنى الحديث ، و اكثر العلما عليه ، بل و في لحن الروايات الواردة عن الرسول (ص) ما يؤيد ارادة هذا المعنى ، نظرا للاضافة في ((رايه))، اي رايه الخاص ،يحاول توجيهه بما يمكن من ظواهر القرآن حتى و لو استلزم تحريفا في كلامه تعالى فهذا لا يهمه القرآن ، انمايهمه تبرير موقفه الخاص باتخاذ هذا الراي الذي يحاول اثباته باية وسيلة ممكنة فهذا في الاكثر مفتر على اللّه ،مجادل في آيات اللّه.
فقد روى ابوجعفر محمد بن على بن بابويه الصدوق باسناده الى سعيد بن المسيب عن عبد الرحمان بن سمرة ، قال : قال رسول اللّه (ص): ((لعن اللّه المجادلين في دين اللّه على لسان سبعين نبيا،و من جادل في آيات اللّه فقد كفر، و من فسر القرآن برايه فقد افترى على اللّه الكذب ، و من افتى الناس بغيرعلم فلعنته ملائكة السماوات والارض ، و كل بدعة ضلالة ، و كل ضلالة سبيلها الى النار. ((147)) ((
و روى ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني باسناده الى الامام ابي جعفر محمد بن علي الباقر(ع (قال : ((ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: اللّه اعلم ان الرجل لينتزع بالاية فيخر بها ابعد مابين السما و الارض. ((148)) ((
و كذا اذا استبد برايه ولم يهتم باقوال السلف و الماثور من احاديث كبار الائمة و العلما من اهل البيت (ع) وكذا سائر المراجع التفسيرية المعهودة ، فان من استبد برايه هلك ، و من ثم فانه ان اصاب احيانا فقد اخطاالطريق ، و لم يؤجر.
روى ابو النضر محمد بن مسعود بن عياش باسناده الى الامام جعفر بن محمدالصادق (ع) قال : ((من فسر القرآن برايه ، ان اصاب لم يؤجر، و ان اخطا فهو ابعد من السما ((, ((149))الى غيرهامن احاديث يستشف منها ان السر في منع التفسير بالراي امران:
احدهما: التفسير لغرض المرا و الغلبة و الجدال و هذا انما يعمد الى دعم نظرته و تحكيم رايه الخاص ، بمايجده من آيات متشابهة صالحة للتاويل الى مطلوبه ، ان صحيحا او فاسدا، غير ان الاية لا تهدف ذلك لولاالتوا بها في ذلك الاتجاه ، و لذلك فانه حتى لو اصاب في المعنى لم يؤجر، لانه لم يقصد تفسير القرآن ، و انمااستهدف نصرة مذهبه ايا كانت الوسيلة.
و هذا ناظر في الاكثر الى الايات المتشابهة لغرض تاويلها، فالنهي انما عنى التاويل غير المستند الى دليل قاطع (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة

وابتغا تاويله. ((150)) (
ثـانيهما: التفسير من غير استناد الى اصل ركين ، اعتمادا على ظاهر التعبير محضا،فان هذا هو من القول بلا علم ، و هو ممقوت لا محالة ، و لا سيما في مثل كتاب اللّه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا مـن خـلفه و من ثم فانه ايضا غير ماجور على عمله حتى و لو اصاب المعنى ، لانه اورد امرا خطيرا من غير مورده ، و الاكثر الغالب في مثله الخطا و الضلال ، و افترا على اللّه ، و هو عظيم.
و قـد اسـلـفـنـا كـلام الـراغـب و شـرحه بهذا الشان((151)) , و كذا ما ذكره الزركشي في هذاالباب ((152)) , و قد كان كلامهما وافيا بجوانب الموضوع ، لم يختلف عما ذكرناه هنا، فراجع .
و لـكـن نـقـل جـلال الدين السيوطي عن ابن النقيب محمد بن سليمان البلخي((153)) في مقدمة تفسيره:
ان جملة ما تحصل في معنى الحديث خمسة اقوال:
احدها: التفسير من غير حصول العلوم ، التي يجوز معها التفسير.
ثانيها: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا اللّه.
ثالثها: التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بان يجعل المذهب اصلا و التفسير تابعا،فيرد اليه باي طريق امكن ، و ان كان ضعيفا.
رابعها: التفسير بان مراد اللّه كذا على القطع من غير دليل.
خامسها: التفسير بالاستحسان و الهوى((154)) .
قلت : و يمكن ارجاع هذه الوجوه الخمسة الى نفس الوجهين اللذين ذكرناهما، اذ الخامس يرجع الى الثالث ، والرابع و الثاني يرجعان الى الاول ، فتدبر.

خلاصة القول في التفسير بالراي

يـتلخص القول في تفسير حديث ((من فسر القرآن برايه)): ان الشي المذموم او الممنوع شرعا، الذي استهدفه هذا الحديث ، امران:
احدهما: ان يعمد قوم الى آية قرآنية ، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من راي اوعقيدة ، او مذهب او مسلك ، تبريرا لما اختاروه في هذا السبيل ، او تمويها على العامة في تحميل مذاهبهم او عقائدهم , تعبيرا على البسطا الضعفا.
و هـذا قد جعل القرآن وسيلة لانجاح مقصوده بالذات ، و لم يهدف تفسير القرآن في شي و هذا هو الذي عنى بقوله (ع): فقد خر بوجهه ابعد من السما، او فليتبوا مقعده من النار.
و ثانيهما: الاستبداد بالراي في تفسير القرآن ، محايدا طريقة العقلا في فهم معاني الكلام ، و لا سيما كـلامـه تعالى فان للوصول الى مراده تعالى من كلامه وسائل و طرقا، منها: مراجعة كلام السلف ، و الـوقـوف عـلـى الاثـار الـواردة حول الايات ، و ملاحظة اسباب النزول ، و غير ذلك من شرائ ط يـجـب تـوفـرهـا في مفسر القرآن الكريم فاغفال ذلك كله ، و الاعتماد على الفهم الخاص ، مخالف لـطريقة السلف والخلف في هذا الباب و من استبد برايه هلك ، و من قال على اللّه بغير علم فقد ضل سـوا الـسبيل ، و من ثم فانه قد اخطا و ان اصاب الواقع ـ فرضا او صدفة ـ لانه اخطا الطريق ، و سلك غير مسلكه المستقيم.
قـال سيدنا الاستاذ الامام الخوئي ـ دام ظله ـ : ان الاخذ بظاهر اللفظ، مستندا الى قواعد و اصول يتداولها العرف في محاوراتهم ، ليس من التفسير بالراي ، و انما هو تفسير بحسب ما يفهمه العرف ، و بحسب ما تدل عليه القرائن المتصلة و المنفصلة ، و الى ذلك اشار الامام جعفر بن محمد الصادق (ع (بـقـوله : ((انما هلك الناس في المتشابه ، لانهم لم يقفوا على معناه ، و لم يعرفوا حقيقته ، فوضعوا له تاويلا من عند انفسهم برائهم ، و استغنوابذلك عن مسالة الاوصيا فيعرفونهم.((
قـال : و يحتمل ان معنى التفسير بالراي ، الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الائمة

(ع) مع انهم قـرنا الكتاب في وجوب التمسك ، و لزوم الانتها اليهم فاذا عمل الانسان بالعموم اوالاطلاق الوارد في الكتاب ، و لم ياخذ التخصيص او التقييد الوارد عن الائمة (ع) كان هذا من التفسير بالراي.
و عـلى الجملة ، حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة و المنفصلة ، من الكتاب و السنة او الدليل العقلي ، لا يعد من التفسير بالراي ، بل و لا من التفسيرنفسه((155)) .
قـلـت : و عـبـارته الاخيرة اشارة الى ان الاخذ بظاهر اللفظ، مستندا الى دليل الوضع اوالعموم او الاطـلاق ، او قـرائن حالية او مقالية و نحو ذلك ، لا يكون تفسيرا، اذ لا تعقيدفي اللفظ حتى يكون حله تفسيرا، و انما هو جري على المتعارف المعهود، في متفاهم الاعراف.
اذ قد عرفت ان التفسير، هو: كشف القناع عن اللفظ المشكل ، و لا اشكال حيث وجود اصالة الحقيقة او اصالة الاطلاق او العموم ، او غيرها من اصول لفظية معهودة.
نعم اذا وقع هناك اشكال في اللفظ، بحيث ابهم المعنى ابهاما، و ذلك لاسباب و عوامل قد تدعو ابهاما او اجمالا في لفظ القرآن ، فيخفى المراد خفا في ظاهرالتعبير، فعند ذلك تقع الحاجة الى التفسير و رفع هذا التعقيد.
و الـتـفـسـير ـ في هكذا موارد ـ لا يمكن بمجرد اللجؤ الى تلكم الاصول المقررة لكشف مرادات الـمتكلمين حسب المتعارف ، اذ له طرق و وسائل خاصة غير مايتعارفه العقلا في فهم معاني الكلام العادي ، على ما ياتي في كلام السيد الطباطبائي.
و الـتـفسير بالراي المذموم عقلا و الممنوع شرعا، انما يعني هكذا موارد متشابهة اومتوغلة في الابـهام ، فلا رابط ـ ظاهرا ـ لما ذكره سيدنا الاستاذ، مع موضوع البحث ، و عبارته الاخيرة ربما تشي بذلك.
و قال سيدنا العلامة الطباطبائي : ((الاضافة ـ في قوله : برايه ـ تفيد معنى الاختصاص و الانفراد و الاسـتـقـلال ، بان يستقل المفسر في تفسير القرآن بما عنده من الاسباب في فهم الكلام العربي , فـيـقيس كلامه تعالى بكلام الناس ،فان قطعة من الكلام من اى متكلم اذا ورد علينا، لم نلبث دون ان نـعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المرادالكلامي ، و نحكم بذلك انه اراد كذا، كما نجري عليه فـي الاقـاريـر و الـشـهادات و غيرهما كل ذلك لكون بياننامبنيا على ما نعلمه من اللغة ، و نعهده من مصاديق الكلمات ، حقيقة و مجازا.
و الـبـيان القرآني غير جار هذا المجرى ، بل هو كلام موصول بعضها ببعض ، في حين انه مفصول , ينطق بعضه ببعض ، و يشـهد بعضه على بعض ، كما قاله علي (ع.(
فـلا يكفي ما يتحصل من آية واحدة باعمال القواعد المقررة ، دون ان يتعاهد جميع الايات المناسبة لها، ويجتهد في التدبر فيها.
فـالـتفسير بالراي المنهى عنه امر راجع الى طريق الكشف دون المكشوف فالنهي انما هو عن تفهم كلامه تعالى على نحو ما يتفهم به كلام غيره ، حتى ولو صادف الواقع ، اذ على فرض الاصابة يكون الخطا في الطريق.
قـال : و يـؤيد هذا المعنى ، ما كان عليه الامر في زمن النبى (ص) فان القرآن لم يكن مؤلفا بعد، و لم يـكـن مـنـه الاسـور او آيات متفرقة في ايدي الناس ، فكان في تفسير كل قطعة قطعة منه خطر الوقوع في خلاف المراد.
قـال : و المحصل ان المنهي عنه انما هو الاستقلال في تفسير القرآن ، و اعتماد المفسر على نفسه من غير رجوع الى غيره ، و لازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع اليه.
قـال : و هـذا الـغير ـ لا محالة ـ اما هو الكتاب او السنة و كونه هي السنة ، ينافي كون القرآن هو الـمرجع في تبيان كل شي ، و كذا السنة الامرة بالرجوع الى القرآن عند التباس الامور، و عرض الـحديث عليه لتمييز صحيحه عن سقيمه ، فلم يبق للمراجعة و الاستمداد في تفسير القرآن سوى نـفـس الـقـرآن فـان الـقـرآن يـفـسـر بـعـضه بعضا، وينطق بعضه ببعض ، و يشـهد بعضه على بعض ((156)).

و هذا الذي ذكره سيدنا العلامة ـ هنا ـ تحقيق عريق بشان طريقة فهم معاني كلامه تعالى.
قال ـ في مقدمة التفسير ـ:
ان الاتكا و الاعتماد على الانس و العادة في فهم معاني الايات ، يشوش على الفاهم سبيله الى ادراك مقاصدالقرآن ، اذ كلامه تعالى ناشئ من ذاته المقدسة ، التي لا مثيل لها و لا نظير (ليس كمثله شي) ((157)),(لاتدركه الا بصار و هو يدرك الا بصار و هو اللطيف الخبير) , ((158)) (سبحان اللّه عمايصفون. ((159)) (
و هذا هو الذي دعا بالنابهين ان لا يقتصروا على الفهم المتعارف لمعاني الايات الكريمة ، و اجازوا لانفسهم الاعتماد ـ لادراك حقائق القرآن ـ على البحث والنظر و الاجتهاد.
و ذلك على وجهين : اما بحثا علميا او فلسفيا او غيرهما، للوصول الى مراده تعالى في آية من الايات ، و ذلك بعرض الاية على ما توصل اليه العلم او الفلسفة من نظريات او فرضيات مقطوع بها ,و ربما المظنون منها ظناراجحا، و هذه طريقة يرفضها ملامح القرآن الكريم.
و اما بمراجعة ذات القرآن ، و استيضاح فحوى آية من نظيرتها، و بالتدبر في نفس القرآن الكريم , فان القرآن ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض ، كما قال على (ع.(
قال تعالى : (و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي , ((160)) (و حاشا القرآن ان يكون تبيانا لكل شي و لا يكون تبيانا لنفسه ، و قد نزل القرآن ليكون هدى للناس و نورا مبينا و بينة و فرقانا، فكيف لا يكون هاديالناس الى معالمه و مرشدا لهم على دلائله ؟
لنهدينهم سبلنا , ((161)) (و اى جهاد اعظم من بذل الجهد في سبيل فهم كتاب اللّه ، و استنباط معانيه و استخراج لالئه نعم ،القرآن هو اهدى سبيل الى نفسه ، لا شي اهدى منه اليه.
و هذه هي الطريقة التي سلكها النبي و عترته الاطهارـ صلوات اللّه عليهم ـ في تفسير القرآن و الكشف عن حقائقه ـ على ما وصل الينا من دلائلهم في التفسير ـ و لا يوجد مورد واحد استعانوا لفهم آية ، على حجة نظريه عقلية او فرضية علمية ، و نحو ذلك ((162)).
و توضيحا لما افاده سيدنا العلامة في هذا المجال ، نعرض ما يلي:
كان للبيان القرآني اسلوبه الخاص في التعبير و الادا، ممتازا على سائر الاساليب ، ومختلفا عن سائر البيان ، مما يبدو طبيعيا، شان كل صاحب فن جديد كان قد اتى بشي جديد.
و من ثم كان للقرآن لغته الخاصة به ، و لسانه الذي يتكلم به ، و لهجته التي يلهج بها، ممتازة عن سائر اللهجات.
نعم ، ان للقرآن مصطلحات في تعابيره عن مقاصده و مراميه ، كانت تخصه ، و لا تعرف مصطلحاته الا من قبل نفسه ، شان كل صاحب اصطلاح.
و من المعلوم ان الوقوف على مصطلحات اى فن من الفنون ، لايمكن بالرجوع الى اللغة و قواعدها، و لا الى الاصول المقررة لفهم الكلام في الاعراف ، لانها اعراف عامة ، و هذا عرف خاص فمن رام الوقوف على مصطلحات علم النحو ـ مثلا ـ فلا بد من الرجوع الى النحاة انفسهم لا غيرهم ، و هكذا سائر العلوم و الفنون من ذوي المصطلحات.
و من ثم فان القرآن هو الذي يفسر بعضه بعضا، و ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض.
نعم يختص ذلك بالتعابير ذوات الاصطلاح ، و ليس في مطلق تعابيره التي جات وفق العرف العام.
و بعبارة اخرى : ليس كل تعابير القرآن مما لا يفهم الا من قبله ، انما تلك التعابير التي جات وفق مصطلحه الخاص ، و كانت تحمل معاني غير معاني سائر الكلام اما التي جات وفق اللغة او العرف العام ، فطريق فهمهاهي اللغة و الاصول المقررة عرفيا لفهم الكلام.
و بعبارة ثالثة : الحاجة الى عرفان مصطلحات القرآن ، انما تكون في موارد التفسير، حيث

الغموض و الابـهام في ظاهر التعبير، دون ترجمة الالفاظ و الكلمات ، و ادراك مفاهيم الكلام وفق الاعراف الـعامة ، مما يعود الى البحث عن حجية الظواهر، فانها حجة بلا كلام ، سوا في القرآن ام في غيره , سوا بسوا.
و هذا غير المبحوث عنه هنا، حيث خفا المراد ورا ستار اللفظ، المعبر عنه بالبطن المختفي خلف الـظهرفالظهرلعامة الناس حيث متفاهمهم ، و يكون حجة لهم و مستندا يستندون اليه في التكليف ، اما البطن فللخاصة ممن يتعمقون في خفايا الاسرار، و يستخرجون الخبايا من ورا الستار.
و مـن ثـم كـان الـمـطلوب من الامة (العلما و الائمة) التفكر في الايات و التدبر فيها، و تعقلها و معرفتهاحق المعرفة.
قال تعالى : (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((163)) (
قال : (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها. ((164)) (
و قال : (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر اولو الا لباب. ((165)) (
و قـال رسـول اللّه (ص): ((لـه ظهر و بطن ، فظاهره حكمة و باطنه علم ، ظاهره انيق و باطنه عـمـيـق ، لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه ، فليجل جال بصره ، و ليبلغ الصفة نظره ، فان التفكر حياة قلب البصير. ((166)) ((
قال العلامة الفيلسوف ابن رشد الاندلسي : ((و قد سلك الشرع في تعاليمه و برامجه الناجحة مسلكا يـنتفع به الجمهور، و يخضع له العلما و من ثم جا بتعابير يفهمها كل من الصنفين : الجمهورياخذون بـظـاهـر الـمـثال ، فيتصورون عن الممثل له مايشاكل الممثل به ، و يقتنعون بذلك والعلما يعرفون الحقيقة التي جات في طى المثال. ((167)) ((
و سنبحث عن منهج القرآن و اساليب بيانه في فصل قادم ، ان شا اللّه.
و اليك بعض الامثلة ، شاهدا لما ذكره سيدنا العلامة:
قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا للّه و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم و اعلموان اللّه يحول بين المر و قلبه و انه اليه تحشرون. ((168)) (
هذا خطاب عام يشمل كافة الذين آمنوا، يدعوهم الى الايمان الصادق و الاستجابة عقيدة و عملا ـ لـدعوة الاسلام ، و الاستسلام العام للشريعة الغرا، اذ في ذلك حياة القلب ، و الطمانينة في العيش ، و ادراك لذائذ نعمة الوجود .

اما الحائد عن طريقة الدين و المخالف لمناهج الشريعة ، فانه في قلق من الحياة ، يعيش مضطربا قد سلبت راحته كوارث الدهر، يخشى مفاجئتها في كل لحظة و اوان.
و اما المتكل على اللّه ، فهو آمن في الحياة ، يداوم مسيرته ، فارغ البال في كنفه تعالى (و من يتوكل عـلـى اللّه فـهـو حـسـبـه ان اللّه بالغ امره ((169)) (
) ,الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم الا بذكر اللّه تطمئن القلوب. ((170)) (
هذا تفسير الدعوة الى ما فيه الحياة ، و لعله ظاهر لا غبار عليه.
و اما قـولـه تعالى ـ بعد ذلك ـ : (واعلموا ان اللّه يحول بين المر و قلبه (
((171))فيعلوه غبار ابـهـام ، اذيـبـدو انه تهديد باولئك الحائدين عن جادة الحق ، ان سوف يجازون بحيلولة بينهم و بين انفسهم.
و السؤال : كيف هذه الحيلولة ، و ما وجه كونها عقوبة متقابلة مع نبذ احكام الشريعة ؟.
و لـلاجـابـة عـلـى هذا السؤال وقع اختلاف عنيف بين اهل الجبر و اصحاب القول بالاختيار، كما تناوشها كل من الاشاعرة و اهل الاعتزال ، كل يجر النار الى

قرصه ، كما اختلف ارباب التفسيرعلى وجوه اوردناها في الجز الثالث من التمهيد، عند الكلام عن المتشابهات ، ضمن آيات الهداية و الضلال برقم (٨٠).
و الذي رجحناه في تاويل الاية ، هو معنى غير ما ذكره جل المفسرين ، استفدناه من مواضع من القرآن نفسه :ان هذه الحيلولة كناية عن اماتة القلب ، فلا يعي شيئا بعد فقد الحياة.
لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت و ثوبه الكفن.
الاسلام دعوة الى الحياة ، و في رفضها رفض للحياة ، تلك الحياة المنبعثة عن ادراكات نبيلة ، و الملهمة للانسان شعورا فى اضا يسعد به في الحياة ، و يحظى بكرامته الانسانية العليا.
اما اذا عاكس فطرته و اطاح بحظه ، فانه سوف يشقى في الحياة ، و لم يزل يسعى في ظلمات غيه و جهله (اللّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور و الذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات. ((172)) (
فالانسان التائه في ظلمات غيه قد فقد شعوره ، و افتقد كرامته العليا في الحياة ، فهذا قد نسي نفسه و ذهل عن كونه انسانا، يحسب من نفسه موجودا ذا حياة بهيمية سفلى ، انما يسعى ورا نهمه و شبع بطنه ، لا هدف له في الحياة سواه.
و هذا التسافل في الحياة كانت نتيجة تساهله بشان نفسه و اهمال جانب كرامته ، وهذا هو معنى قوله تعالى : (و نقلب افئدتهم و ابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة , ((173)) (قال تعالى : (و لا تكونوا كالذين نسوا اللّه فانساهم انفسهم. ((174)) (
فان نسيان النفس كناية عن الابتعاد عن معالم الانسانية و الشرف التليد(و لو شئنا لرفعناه بها و لكنه اخلد الى الا رض و اتبع هواه. ((175)) (
و قال تعالى : (و السارق و السارقة فاقطعوا ايديهما جزا بما كسبا. ((176)) (
اختلف الفقها في موضع القطع من يد السارق ، حيث الابهام في ذات اليد، انها من الكتف ام من المرفق ام الساعد ام الكرسوع (طرف الزند) ام الاشاجع (اصول الاصابع)؟.
روى ابو النضر العياشي في تفسيره بالاسناد الى زرقان صاحب ابن ابي داود، قاضي القضاة ببغداد ,قال : اتي بسارق الى المعتصم و قد اقر بالسرقة ، فسال الخليفة تطهيره باقامة الحد، فجمع الفقهايستفتيهم في اقامة حد السارق عليه ، و كان ممن احضر محمد بن علي الجواد(ع)، فسالهم عن موضع القطع.
فقال ابن ابي داود: من الكرسوع ، استنادا الى آية التيمم ، حيث المراد من اليد في ضربتيه هو الكف , و وافقه قوم و قال آخرون : من المرفق ، استنادا الى أية الوضؤ.
فالتفت الخليفة الى الامام الجواد يستعلم رايه ، فاستعفاه الامام ، فابى و اقسم عليه ان يخبره برايه.
فقال (ع): اما اذا اقسمت علي باللّه ، اني اقول : انهم اخطاوا فيه السنة ، فان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الاصابع ، فيترك الكف.
قال المعتصم : و ما الحجة في ذلك ؟.
قال الامام : قول رسول اللّه (ص): السجود على سبعة اعضا: الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين ، فاذا قطعت يده من الكرسوع او المرفق ، لم يبق له يد يسجد عليها، و قد قال اللّه تعالى : (و ان المساجد للّه) يعني به هذه الاعضا السبعة التي يسجد عليها (فلا تدعوا مع اللّه احدا , ((177)) (و ما كان للّه لم يقطع.

فاعجب المعتصم هذا الاستنتاج البديع ، و امر بالقطع من الاشاجع((178)) .
انظر الى هذه الالتفاتة الرقيقة ، يجعل من آية المساجد، بتاويل ظاهرها (هي المعابد)الى باطنها(الشمول لما يسجد به ، اي يتحقق به السجود)، منضمة الى كلام الرسول في بيان مواضع السجدة ،يجعل من ذلك كله دليلا على تفسير آية القطع و تعيين موضعه ، بهذا النمط البديع.
و قد استظهر(ع) من الاية ان راحة الكف ، و هي من مواضع السجود، كانت للّه ، فلا تشملها عقوبة الحد التي هي جزا سيئة ، لا تحل فيما لا يعود الى مرتكبها، فان راحة الكف موضع السجود للّه.
و للاستاذ الذهبي ـ هنا ـ محاولة غريبة يجعل من التفسير بالراي قسمين : قسما جائزا و ممدوحا ,و آخرمذموما غير جائز و حاول تاويل حديث المنع الى القسم المذموم.
قال : و المراد بالراي هنا الاجتهاد، و عليه فالتفسير بالراي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب و مناحيهم في القول ، و معرفته للالفاظ العربية و وجوه دلالتها ,واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ، و وقوفه على اسباب النزول ، و معرفته بالناسخ و المنسوخ من آيات القرآن ،و غير ذلك من الادوات التي يحتاج اليها المفسر.
قال : و اختلف العلما قديما في جواز تفسير القرآن بالراي ، فقوم تشددوا في ذلك و لم يجيزوه ، و قوم كان موقفهم على العكس فلم يروا باسا من ان يفسروا القرآن باجتهادهم ، والفريقان على طرفي نقيض فيما يبدو، وكل يعزز رايه بالادلة و البراهين.
ثم جعل يسرد ادلة لكل من الفريقين ، و يجيب عليها واحدة واحدة باسهاب ، و اخيرا قال : و لكن لو رجعنا الى ادلة الفريقين و حللنا ادلتهم تحليلا دقيقا، لظهر لنا ان الخلاف لفظي ، و ان الراي قسمان. :
قسم جار على موافقة كلام العرب و مناحيهم في القول ، مع موافقة الكتاب والسنة ، و مراعاة سائر شروطالتفسير، و هذا القسم جائز لا شك فيه.
و قسم غير جار على قوانين العربية ، و لا موافقة للادلة الشرعية ، و لا مستوف لشرائ ط التفسير، و هذا هو موردالنهي و محط الذم((179)) .
قلت : اما تورع بعض السلف عن القول في القرآن ، فلعدم ثقته بذات نفسه وضلة معرفته بمعاني كلام اللّه اماالعلما العارفون بمرامي الشريعة ، فكانوا يتصدون التفسير عن جراة علمية و احاطة شاملة لجوانب معاني القرآن.
و اما التفسير بالراي فامر وقع المنع منه على اطلاقه ، و ليس على قسم منه ، كما زعمه هذا الاستاذ.
والذي اوقعه في هذا الوهم ، انه حسب التفسير بالراي هنا بمعنى الاجتهاد، في مقابلة التفسير بالماثور، و لا شك من جواز الاجتهاد في استنباط معاني الايات الكريمة ان وقع عن طريقه المالوف.

حجية ظواهر الكتاب

قد يزعم البعض ان هناك من يرى عدم جواز الاخذ بظواهر كلام اللّه تعالى ، حيث ظاهره انيق و باطنه عميق ، لايسبر غوره و لا يبلغ اقصاه ، و لا سيما بعد كثرة الصوارف عن هذه الظواهر، من تخصيص و تقييد و نسخ وتاويل.
غيران هذا يتنافى و الامر بالتدبر في آياته ، و الحث على التعمق فيها و استخراج للئها.
)افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها. ((180)) (
)فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون. ((181)) (
)و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر. ((182)) (
)انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون. ((183)) (

)قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون. ((184)) (
)كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر اولوا الا لباب. ((185)) (
و قد رغب النبى (ص) في الرجوع الى القرآن عند مدلهمات الامور و عرض مشتبهات الاحاديث عليه ، و هكذاندب الائمة من اهل البيت (ع) الى فهم الاحكام من نصوص الكتاب ، و الوقوف على رموزه و دقائقه في التعبيرو البيان.
قال رسول اللّه (ص): ((فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن ، فانه شافع مشفع و ماحل مصدق((186)) و من جعله امامه قاده الى الجنة ، و من جعله خلفه ساقه الى النار و هو الدليل يدل على خيرسبيل ، و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل ، و هو الفصل ليس بالهزل((187)) و له ظهر و بطن ، فظاهره حكم وباطنه علم((188)) , ظاهره انيق و باطنه عميق له نجوم و على نجومه نجوم ((189)) , لاتحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه((190)) فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة ، و دليل على المعرفة ، لمن عرف الصفة((191)) فليجل جال بصره , وليبلغ الصفة نظره((192)) ,ينج من عطب ، و يتخلص من نشب ((193)) فان التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص و قلة التربص ((194)).
و بهذا المعنى قال الامام ابو عبد اللّه الصادق (ع):((ان هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدجى فليجل جال بصره ، و يفتح للضيا نظره فان التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور. ((195)) ((
و التفكر المندوب اليه هنا هو التعمق في دلائل القرآن و دقائق تعبيره ، قال تعالى : (و انزلنا اليك الذكرلتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((196)) (
فالتفكر فيه ـ بعد التبيين و البيان ـ هو المندوب اليه ، و هي الغاية القصوى من نزول القرآن.
قال الامام الصادق (ع): ((لقد تجلى اللّه لخلقه في كلامه ، و لكنهم لا يبصرون ((
. ((197))
و قال : ((انما القرآن امثال لقوم يعلمون دون غيرهم ، و لقوم يتلونه حق تلاوته ، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه. ((198)) ((
قال الامام امير المؤمنين (ع): ((الا لا خير في قراة لا تدبر فيها. ((199)) ((
و قال رسول اللّه (ص): ((ما انعم اللّه على عبد، بعد الايمان باللّه ، افضل من العلم بكتاب اللّه و المعرفة بتاويله. ((200)) ((
و لما نزلت الاية (ان في خلق السماوات و الا رض و اختلاف الليل و النهار لايات لاولى الا لباب الذين يذكرون اللّه قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السماوات و الا رض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ((201)) (قال (ص):((ويل لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتدبرها. ((202)) ((
و بعد، فنقول : ويل لمن نظر في هذه الايات الكريمة و الاحاديث الماثورة عن اهل بيت الوحي و الرسالة ، و لاكها بين لحييه ثم لم يتدبرها بامعان ، فاخذها بالهزل و لم يعتبرها الحكم الفصل.
و ايضا، فان اخبار العرض على كتاب اللّه ، خير شاهد على امكان فهم معانيه و الوقوف على مبانيه.
قال رسول اللّه (ص): ((ان على كل حق حقيقة ، و على كل صواب نورا، فما وافق كتاب اللّه فخذوه ، و ما خالف كتاب اللّه فدعوه.((
و خطب بمنى ، و كان من خطبته : ((ايها الناس ما جاكم عني يوافق كتاب اللّه فانا قلته ، و ما جاكم يخالف كتاب اللّه فلم اقله.((
و قال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع): ((كل شي مردود الى الكتاب و السنة ، و كل حديث لا يوافق كتاب اللّه فهو زخرف.((
و قال : ((اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب اللّه ، او من قول رسول اللّه (ص)، و الا فالذي جاكم به اولى به. ((203)) ((

و فـي كـثير من ارجاعات الائمة (ع) اصحابهم الى القرآن ، لفهم المسائل و استنباط الاحكام منه , لدليل ظاهرعلى حجية ظواهر القرآن ، و ضرورة الرجوع اليه.
قـال زرارة بن اعين : قلت لابي جعفر الامام محمد بن علي الباقر(ع): الا تخبرني من اين علمت و قلت : ان المسح ببعض الراس و بعض الرجلين ؟.
فـضحك ، و قال : يا زرارة ، قاله رسول اللّه (ص)و نزل به الكتاب من اللّه ، لان اللّه عز و جل قال) : فاغسلواوجوهكم) فعرفنا ان الوجه كله ينبغي ان يغسل ، ثم قال : (و ايديكم الى المرافق) فوصل اليدين الى المرفقين بالوجه ، فعرفنا انه ينبغي لهما ان يغسلا الى المرفقين ، ثم فصل بين الكلام فقال) : وامـسحوابرؤوسكم)فعرفنا حين قال : ((برؤوسكم)) ان المسح ببعض الراس ، لمكان ((البا ((ثـم وصـل الـرجـلين بالراس ، كما وصل اليدين بالوجه ، فقال : (و ارجلكم الى الكعبين ((204)) (فعرفنا حين وصلهما بالراس ،ان المسح على بعضهما.
ثـم قـال : (فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم و ايديكم منه)فاثبت بعض الغسل مسحا((205)) .
فـقد نبه الامام على ان زيادة ((البا)) في مدخول فعل متعد بنفسه لا بد فيها من نكتة لافتة ، و ليست سـوى ارادة الاكـتـفـا بـمجرد مماسة الماسح مع الممسوح ، لان البا تدل على الربط و الالصاق ، و الـتكليف يتوجه الى القيدالملحوظ في الكلام فاذا وضع الماسح يده على راسه و امرها عليه ، فباول الامرار يحصل التكليف فيسقط، ولا دليل على الادامة ، فالاستيعاب ليس شرطا في المسح.
هكذا نبه الامام على امكان استفادة مثل هذا الحكم التكليفي الشرعي من الاية ، بامعان النظر في قيود الكلام.
و عن عبد الاعلى مولى آل سام ، قال : قلت لابي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق (ع): عثرت فانقطع ظفري ،فجعلت على اصبعي مرارة ، فكيف اصنع بالوضؤ؟.
قـال : يـعـرف هـذا و اشـبـاهـه من كتاب اللّه عز و جل ، قال اللّه تعالى :(ما جعل عليكم في الدين من حرج ((206)) (امسح عليه((207)) .
يـعني : ان آية نفي الحرج تدل على رفع التكليف ، حيث وجود ضرر او حرج على المكلف ، فيجب ان يفهم ذلك كل مسلم من القرآن ذاته.
و كـذلـك اسـتـدلالات الائمـة (ع) فـي كـثـير من الموارد، بيات قرآنية ، لاثبات مطلوبهم لدى المخاطبين ، ففي ذلك عرض مباشر لشمول فهم القرآن للعموم و قد اتى سيدنا الاستاذ الامام الخوئي ـ حفظه اللّه ـ بامثلة على ذلك كثيرة ، فليراجع((208)) .

نسبة خاطئة

نـعـم نسب الى جماعة الاخباريين ـ في عصر متاخر ـ ذهابهم الى رفض حجية الكتاب ، فلا يصح الاستناد اليه ولا استنباط الاحكام منه ، و هي نسبة غير صحيحة على اطلاقها، اذ لم يذهب الى هذا الـمـذهـب الـغريب احد من الفقها، لا في القديم و لا في الحديث ، و لا لمسنا في شي من استناداتهم الفقهية ما يشي بذلك ، بل الامربالعكس.
و لـعل فيما فرط من بعض المتطرفين منهم بصدد المغالاة بشان اهل البيت ـ و موضعهم القريب من الـقـرآن الـمـجـيد ـ بعض تعابير اوجبت هذا الوهم ، و مع ذلك فان له تاويلا، و ليس على ظاهره المريب.
قال المولى محمد امين الاسترابادي (ت ١٠٣٣:(
))الـصـواب عندي مذهب قدمائنا الاخباريين و طريقتهم اما مذهبهم فهو ان كل ما يحتاج اليه الامة الـى يـوم الـقـيـامـة ، عـلـيـه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى ارش الخدش و ان كثيرا مما جا به الـنـبى (ص)من الاحكام ، و ممايتعلق بكتاب اللّه و سنة نبيه ، من نسخ و تقييد و تخصيص و تاويل , مـخـزون عـند العترة الطاهرة ، و ان القرآن في الاكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة الى اذهان الـرعـيـة((209)) , و كـذلك كثير من السـنـن النبوية و انه لا سبيل لنافي ما لا نعلمه من الاحكام الـنـظرية((210)) الشرعية ، اصلية كانت او

فرعية ، الا السماع من الصادقين (ع) و انه لا يجوز اسـتـنـباط الاحكام النظرية من ظواهر الكتاب و لا ظواهر السنن النبوية ، ما لم يعلم احوالهما من جهة اهل الذكر(ع)، بل يجب التوقف و الاحتياط فيهما. ((211)) ((

و قـال بصدد بيان انحصار مدرك ما ليس من ضروريات الدين من المسائل الشرعية ،اصلية كانت او فرعية ، في السماع عن الصادقين (ع:(

))الـدلـيـل الـثـاني : حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين ، اذ معناه : انه يجب التمسك بكلامهم (ع (ليتحقق التمسك بالامرين و السر فيه انه لا سبيل الى فهم مراد اللّه ((212)) الا من جهتهم ، لانهم عـارفـون بناسخه و منسوخه ، والباقي على اطلاقه ، و المؤول و غير ذلك ، دون غيرهم ، خصهم اللّه و النبي بذلك. ((213)) ((

قلت : ليس في كلامه ـ و لا في كلام من تبعه من الاخباريين المتاخرين ـ ما يشي بترك كتاب اللّه و ابـعـاده عن مجال الفقه و الاستنباط نعم سوى عدم افراده في الاستناد، و لزوم مقارنته بالماثور من صحاح الاحاديث الصادرة عن ائمة اهل البيت (ع.(

و لا شـك ان في القرآن اصول التشريع و كلياته ، و ايكال التفاصيل الى بيان النبى (ص) الذي اودع الـكـثـير من بيانه بشان التشريع الى خلفائه المرضيين ، فعندهم ودائع النبوة ، و هم ورثة الكتاب و حملته الى الخلائق.

فلا يجوز افراد الكتاب عن العترة ، و لايفترقان حتى يردا على النبى (ص)عندالحوض.

و هـذا هـو مـراد الاسـترابادي ((لا يجوز استنباط الاحكام من الكتاب والسنة النبوية ما لم يعلم احوالهما من جهة اهل الذكر))، اي بعد الفحص عن الدلائل في كلامهم بشانهما، اما العثور على بيان منهم ، او الياس من التخصيص او التقييد، فعند ذلك يجوز.

و للمولى الكبير محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤) بيان مسهب بشان مواضع آل البيت من القرآن الكريم ، و ان لتفسيرهم بالذات مدخلية تامة في فهم معاني الايات ، و لا سيما آيات الاحكام .

و قـد تـوسع في الكلام حول ذلك في فوائده الطوسية (فائدة٤٨)، كما عقد لذلك ابوابا في كتاب القضا من كتابه وسائل الشيعة ، ذكر فيها ما يقرب من مئتين و عشرين حديثا، قال بشانها:

))اوردنـا منها ما تجاوز حد التواتر، و هي لا تقصر سندا و لا دلالة عن النصوص على كل واحد من الائمة ، و قدتضمنت انه لا يعلم المحكم و المتشابه ، و الناسخ و المنسوخ ، و العام و الخاص ، و غـيـر ذلـك الا الائمـة ، و انه يجب الرجوع اليهم في ذلك ، و انه لا يعلم تفسيره و لا تاويله ، و لا ظـاهـره و لا بـاطـنه غيرهم ، و لا يعلم القرآن كما انزل غيرهم ، و ان الناس غير مشتركين فيه كـاشـتراكهم في غيره ، و ان اللّه انما اراد بتعميته (اي الاجمال والابهام في لفظه) ان يرجع الناس فـي تفسيره الى الامام ، و انه كتاب اللّه الصامت ، و الامام كتاب اللّه الناطق و لايكون حجة الا بقيم)اي مـن يـقوم بتبيينه و تفسيره) و هو الامام ، و انه ما ورث علمه الا الائمة ، و لا يعرف الفاظه و معانيه غيرهم ، و انه لاحتماله للوجوه الكثيرة ، يحتج به كل محق و مبطل ، و انه انما يعرف القرآن من خوطب به. ((214)) ((

و ظـاهـر كـلامه هو ظاهر عنوان الباب الذي عقده ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ،في كتاب الـحـجة من الكافي الشريف ، لبيان : ((انه لم يجمع القرآن كله و لم يحط به علما، ظاهره و باطنه , سـوى الائمـة مـن اهـل البيت (ع)، و ان علم المحكم و المتشابه ، و الناسخ و المنسوخ ، والعام و الخاص علما كاملا، مودع عندهم ، ورثوه من جدهم الرسول (ص. ((215)) (((

و هذا شي لا ينكر، و لا يجوز الاخذ بظاهر الكتاب ، ما لم يرجع الى ما ورد عن الرسول و خلفائه الـعـلـمـا، فان في كلامهم التبيين و التفصيل لما جا في القرآن من الاجمال و الابهام ، في التكليف و التشريع.

و هـكـذا فـهم معاصره السيد نعمة اللّه الجزائري (١٠٥٠ ـ ١١١٢) من ظاهر الروايات ، و بذلك جمع بين متعارضاتها.

قال : ((ذهب المجتهدون ـ رضوان اللّه عليهم ـ الى جواز اخذ الاحكام من القرآن ، و بالفعل قد اخذوا الاحكام منه ، و طرحوا ما ظاهره المنافاة او اولوه ، و من ثم دونوا كتبا بشان ((آيات الاحكام)) و استنبطوا منها ما هداهم اليه امارات الاستنباط.
و اما الاخباريون ـ قدس اللّه ضرائحهم ـ فذهبوا الى ان القرآن كله متشابه بالنسبة الينا، و انه لايجوز لنا اخذحكم منه ، الا من دلالة الاخبار على بيانه.
قال : حتى اني كنت حاضرا في المسجد الجامع من شيراز، و كان استاذي المجتهد الشيخ جعفر البحراني ، وشيخي المحدث صاحب جوامع الكلم ـ قدس اللّه روحيهما ـ يتناظران في هذه المسالة فانجر الكلام بينهماحتى قال له الفاضل المجتهد: ما تقول في معنى (قل هو اللّه احد) فهل يحتاج في فهم معناها الى الحديث ؟فقال : نعم ، لا نعرف معنى ((الاحدية)) و لا الفرق بين الاحد و الواحد و نحو ذلك.
ثم عقبه بكلام الشيخ في التبيان ـ على ما سنذكر ـ و اردفه بتحقيق عن المولى كمال الدين ميثم البحراني ، بشان حديث التفسير بالراي و اخيرا قال : و كلام الشيخ اقرب من هذا، بالنظر الى تتبع الاخبار، و الجمع بين متعارضات الاحاديث و حاصل هذه المقالة : ان اخذ الاحكام من نص القرآن او ظاهره او فحواه و نحو ذلك ،جائز كما فعله المجتهدون.
قال : يرشد الى ذلك ما رواه امين الاسلام الطبرسي ـ في كتاب الاحتجاج ـ من جملة حديث طويل عن الامام امير المؤمنين (ع) قال فيه:
))ان اللّه قسم كلامه ثلاثة اقسام : فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل ، و قسما لا يعرفه الا من صفا ذهنه ولطف حسه و صح تمييزه و شرح صدره للاسلام ، و قسما لا يعرفه الا اللّه و امناؤه و الراسخون في العلم. ((216)) ((
و اصرح من الجميع كلام الفقيه البارع الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ ـ ١١٨٦) في موسوعته الفقهية الكبرى (الحدائق الناضرة) ذكر اولا الاخبار من الطرفين ، ثم عقبها بما حققه شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي (٣٨٥ ـ٤٦٠) في المقام ، و جعله (القول الفصل و المذهب الجزل) الذي تلقاه العلما بالقبول ، قال : قال الشيخ ابو جعفرالطوسي ـ بعد نقل الروايات المتعارضة و الدلائل المتناقضة ـ ما ملخصه : ((ان معاني القرآن على اربعة اقسام :
احدها: ما اختص اللّه تعالى بعلمه فلا يجوز لاحد التكلف فيه و لعل منه الحروف المقطعة في اوائل السور.
ثانيها: ما يكون ظاهره متطابقا مع معناه ، معروفا من اللغة و العرف ، لا غبار عليه فهذا حجة على الجميع ، لايعذر احد الجهل به ، مثل قوله تعالى : (و لا تقتلوا النفس التي حرم اللّه. ((217)) (
ثالثها: ما اجمل في تعبيره و اوكل التفصيل فيه الى بيان الرسول ، كالاوامر بالصلاة والزكاة و الحج و الصيام ، فتكلف القول فيه ـ من دون مراجعة دلائل الشرع ـ محظور منه.
رابعها: ما جا مشتركا محتملا لوجوه فلايجوز البت في تبيين مراده تعالى بالذات ، الا بدليل قاطع من نص معصوم او حديث متواتر. ((218)) ((
و بذلك قد جمع الشيخ بين روايات المنع و دلائل الترخيص ، باختلاف الموارد.
قال المحدث البحراني ـ تعقيبا على كلام الشيخ ـ : ((و عليه تجتمع الاخبار على وجه واضح المنار. ((219)) ((
قلت : فهذا شيخ المحدثين و رائد الاخباريين في العصور المتاخرة نراه قد وافق القول مع شيخ الطائفة و راس الاصوليين بشان التفسير، و الخوض في فهم معاني كلام اللّه العزيز الحميد.
فيا ترى ، ما الذي يدعو الى فرض الافتراق في هذا المجال العصيب و الحمد للّه على ما انعم علينا من لمس نعومة الوفاق و ذوق حلاوة الاتفاق.

دلائل مزعومة

لم نجد في كلام من يعتد به من المنتسبين الى الاخبارية احتجاجا يرفض حجية الكتاب ،

سوى ماجا في كلام غيرهم من حجج مفروضة ، و لعله تطوع لهم في تدليل او حدس وهموه بشانهم ، و اليك اهم ما ذكروه:
1ـ اختصاص فهم معاني القرآن بمن خوطب به.
2ـ احتواؤه على مطالب غامضة ، لا تصل اليها افكار ذوي الانظار.
3ـ النهي عن الاخذ بالمتشابه ، الشامل للظواهر ايضا، لوجود احتمال الخلاف.
4ـ النهي عن التفسير بالراي ، الشامل لحمل اللفظ على ظاهره.
5ـ العلم اجمالا بطرؤ التخصيص و التقييد و المجاز، في كثير من ظواهر القرآن.
6ـ احتمال التحريف و لو بتغيير حرف عن موضعه.
قالوا: انها حجج احتج بها نافو حجية ظواهر القرآن((220)) .
لكن المراجع يجد كلمات من نوهنا عنهم خلوا عن مثل هذا الترصيف الغريب ، و لا سيما مسالة التحريف لاتجدها في كلامهم البتة ، و انما اوردها صاحب الكفاية تبعا للشيخ في الرسائل ، احتمالا في المقام ، من غيرنسبته الى الاخبارية او غيرهم ((221)).
و العمدة : ان نظر القوم في مسالة حجية الكتاب ، انما يعود الى جانب آيات الاحكام التي اكتنفها لفيف ـ في حجم ضخم ـ من الاحاديث الماثورة بوفرة ، حيث جات اصول الاحكام في الكتاب و فروعها في الاحاديث ،فلا تخلو آية من تلكم الايات الا و حولها روايات عدة.
و في ذلك ـ بالذات ـ يقول الاخباريون ، كسائر الفقها الاصوليين : لا يجوز افرادالكتاب بالاستنباط ,بعيدا عن ملاحظة الروايات الواردة بشانها.
و هذا هو مقتضى التمسك بالثقلين : الكتاب و العترة ، لا يفترقان بعضهما عن بعض.
نعم لا يتضايقون القول بجواز مراجعة سائر الايات ، بشان فهم معارف الدين و الحكم و الاداب مراجعة ذاتية((222)) , اللهم الا اذا وجدت رواية صحيحة صريحة المفاد، فيجب ملاحظتها ايضا، كما هي العادة المتعارفة عند المفسرين.

منهج القرآن في الافادة و البيان

ان للقرآن في افادة معانيه منهجا يخصه ، لا هو في مرونة اساليب كلام العامة ,و لا هو في صعوبة تعابير الخاصة ،جمع بين السهولة و الامتناع ، وسطا بين المسلكين ، سهلا في التعبير و الادا، بحيث يفهمه كل قريب و بعيد ,ويستسيغه كل وضيع و رفيع ، و هو في نفس الوقت ممتنع في الافادة بمبانيه الشامخة ، و الادلا بمراميه الشاسعة ، ذلك انه جمع بين دلالة الظاهر و خفا الباطن ، في ظاهر انيق و باطن عميق.
قال رسول اللّه (ص): ((و هو الدليل يدل على خير سبيل ، و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل ، و هو الفصل ليس بالهزل ، و له ظهر و بطن ، فظاهره حكم و باطنه علم ، ظاهره انيق و باطنه عميق له نجوم و على نجومه نجوم ، لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة ، و دليل على المعرفة لمن عرف الصفة ((223)) .
))فما من آية الا و لها ظهر و بطن))، كما في حديث آخر مستفيض ((224)) , فهناك عبارات لائحة يستجيد فهمهاالعامة فهما كانت لهم فيه قناعة نفسية كاملة ، و لكنها الى جنب اشارات غامضة كانت للخاصة ، فيحلوا من عقدها، و يكشفوا من معضلها، حسبما اوتوا من مهارة علمية فائقة.
و بذلك قد وفق القرآن في استعمالاته للجمع بين معان ظاهرة و اخرى باطنة ، لتفيد كل لفظة معنيين او معاني متراصة ، و ربما مترامية حسب ترامي الاجيال و الازمان ، الامر الذي كان قد امتنع حسب المتعارف العام ، فيماقال الاصوليون : من امتناع استعمال لفظة واحدة و ارادة معان مستقلة لكن القرآن رغم هذا الامتناع نراه قداستسهله ، و اصبح منهجا له في الاستعمال.
كان ممن سلف من الاصوليين من يرى امتناع استعمال اللفظ و ارادة معنيين امتناعا عقليا، نظرا الى ان حقيقة الاستعمال ليس مجرد جعل اللفظ علامة لارادة المعنى ، بل

جعله وجها و عنوانا له ، بل بوجه نفسه كانه الملقى ،و لذا يسري اليه قبحه و حسنه و عليه فلايمكن جعل اللفظ كذلك الا لمعنى واحد، ضرورة ان لحاظه كذلك لايكاد يمكن الا بتبع لحاظ المعنى ، فانيا فيه فنا الوجه في ذي الوجه ، و العنوان في المعنون ، و معه كيف يمكن ارادة معنى آخر كذلك في استعمال واحد، مع استلزامه للحاظ آخر غير لحاظه الاول في نفس الوقت هكذاجا في تقرير كلام العلامة الاصولي الكبير المحقق الخراساني ((225)).

و جا الخلف ليجعلوا من هذا الامتناع العقلي ممكنا في ذاته ، و ممتنعا في العادة ،حيث لم يتعارف ذلك و لم يعهد استعمال لفظة و ارادة معنيين مستقلين في المتعارف العام ، فالاستعمال كذلك كان خلاف المتعارف حتى و لو كان ممكنا في ذاته ، نظرا لان الاستعمال (استعمال اللفظة و ارادة المعنى) انما هوبمثابة جعل العلامة من قبيل الاشارات و العلائم الاخطارية ، فلا مانع عقلا من استعمال علامة لغرض الاخطارالى معنيين او اكثر، اذا كان اللفظ صالحا له بالذات ، فيما اذا كان قد وضع لكلا المعنيين مشتركا لفظيا، او امكن انتزاع مفهوم عام نعم لم يعهد ذلك في الاستعمالات المتعارفة.

الامر الذي استسهله القرآن و خرج على المتعارف ، و جعله جائزا و واقعا في استعمالاته((226)) فقد استعمل اللفظة و اراد معناها الظاهري ، حسب دلالته الاولى ، لكنه في نفس الوقت صاغ منه مفهوما عاما و شاملا ثانيا، يشمل موارد اخر ليكون هذا المفهوم العام الثانوي هو الاصل المقصود بالبيان ، والضامن لبقا المفاهيم القرآنية عامة و شاملة عبر الايام ، و ليست بالمقتصرة على موارد النزول الخاصة.

و كان المفهوم البدائي للاية ، و الذي كان حسب مورد نزولها الخاص ، هو معناهاالظاهر، و يسمى بـ))التنزيل)) اما المفهوم العام المنتزع من الاية الصالح للانطباق على الموارد المشابهة ، فهومعناها الباطن ، المعبر عنه بـ ((التاويل))، و هذا المفهوم الثانوي العام للاية هو الذي ضمن لها البقا عبر الايام.

سئل الامام ابو جعفر محمد بن علي الباقر(ع) عن الحديث المتواتر عن رسول اللّه (ص): ((ما من آية الا و لها ظهر و بطن))، فقال : ((ظهره تنزيله ، و بطنه تاويله ، منه ما قد مضى و منه ما لم يجئ ، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جا شي منه وقع)) ((227)) .

و قال : ((ظهرالقرآن : الذين نزل فيهم ، و بطنه : الذين عملوا بمثل اعمالهم. ((228)) ((

و اضاف (ع): ((و لو ان الاية اذا نزلت في قوم ، ثم مات اولئك القوم ، ماتت الاية ، لما بقي من القرآن شي ، ولكن القرآن يجري او له على آخره ما دامت السماوات و الارض ، و لكل قوم آية يتلونها هم منها من خير اوشر. ((229)) ((

نعم كان العلم بباطن الاية ، اي القدرة على انتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على موارد مشابهة ، خاصا بالراسخين في العلم ، و ليس يفهمه كل احد حسب دلالة الاية في ظاهرها البدائي.

و الخلاصة : ان لتعابير القرآن دلالتين : دلالة بالتنزيل ، و هو ما يستفاد من ظاهر التعبير، و دلالة اخرى بالتاويل ، و هو المستفاد من باطن فحواها، و ذلك بانتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على الموارد المشابهة عبرالايام اذن اصبح القرآن ذا دلالتين : ظاهرة و باطنة ، الامر الذي امتاز به على سائر الكلام.

مثلا آية الانفاق في سبيل اللّه ، نزلت بشان الدفاع عن حريم الاسلام ، فكان واجبا على المسلمين القيام بهذاالواجب الديني ، لياخذوا باهبة الامر و يعدوا له عدته ، و منها بذل الاموال فضلا عن بذل النفوس هذا شي كان واجبا على عامة المكلفين انفسهم كل حسب امكانه ، هذا ما يفهم من ظاهر الاية البدائي.

اما الفقيه النابه فيستفيد من الاية شيئا اوسع ، يشمل كل ضرورات الدولة القائمة على اساس العدل ، و احيا كلمة اللّه في الارض ، فيجب بذل المال في سبيل تثبيت دعائم الحكم العادل والتشييد من مبانيه , فيجب دفع الضرائب المالية حسبما يقرره النظام ، مستفادا من الاية الكريمة في باطن فحواها، اخذا بالتاويل حسب المصطلح.

و هـكـذا الـمستفاد من آية خمس الغنائم ، وجوب دفع الخمس في مطلق الفوائد وارباح المكاسب , حسبما فهمه الامام الصادق (ع) من الاية ، اخذا بعموم الموصول ، و اطلاق الغنيمة على مطلق الفائدة.
و في القرآن من هذا القبيل الشي الكثير، الامر الذي ضمن للقرآن بقاه مع الخلود.
و جـهة اخرى : ان للقرآن لغته الخاصة به ، شان كل صاحب اصطلاح ، فللقرآن اصطلاحه الخاص , يستعمل الفاظا و تعابير في معان ارادها بالذات ، من غير ان يكون في اللغة او في سائر الاعراف دليل يـدل عـلـيـه ، لانـه من اصطلاحه الخاص و لا يعرف الا من قبله و من ثم كان القرآن ينطق بعضه ببعض ، و يشـهد بعضه على بعض ، كماجا في كلام الامام امير المؤمنين (ع. ((230)) (
ان فـي الـقـرآن تـعابير كثيرة لاتكاد تدرك معانيها الا اذا سبرت القرآن سبرا و فحصته فحصا ,لتعرف مفاهيمها التي اصطلح عليها القرآن من القرآن ذاته ، و ليس من غيره اطلاقا.
هـكـذا ذهب سيدنا العلامة الطباطبائي (قدس سره) الى ان الدلالة على مفاهيم القرآن ، انما هي من ذات الـقـرآن ، ولـيـس مـن خارجه ابدا، لانه تبيان لكل شـي ، و حاشاه ان لا يكون تبيانا لنفسه ، فان الـقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا هو اصل التفسير المعتمد، و قد بنى تفسيره في الميزان على هذا الاساس ((231)).
مـثـلا: لـفظة ((الاذن)) في الاستعمال القرآني ، جا بمعنى : امكان التداوم في التاثيرالحاصل وفق مـشـيـئة اللّه و ارادتـه الـخـاصـة ، اي تـداوم الافـاضـة مـن قـبله تعالى ، حيث التاثير في عالم الـتـكوين ،موقوف على اذنه تعالى ، بان يفيض على عامل التاثير خاصيته التاثيرية ، حالة التاثير، اي يـديمها و لا يقطع افاضته عليه حينذاك ، و الا لما امكن لعامل التاثير ان يؤثر شـيئا(و ما تشاؤون الا ان يـشـا اللّه رب الـعالمين ((232)) (تلك ارادته تعالى الحادثة ، هي التي امكنت للاشـيا تاثيرها و تـاثـرها في عالم الطبيعة ، ولولاها لماامكن لعامل طبيعي ان يؤثر شـيئا في عالم الوجود، و هذا هو المراد من تداوم افاضته تعالى في عالم التكوين.
قال تعالى : (و ما هم بضارين به من احد الا باذن اللّه ((233)) (فلولا اذنه تعالى ، اي تداوم افاضة ـامكان التاثير من قبله تعالى ـ لما امكن لسحرهم ان يؤثر شـيئا.
و ذلك نظرا لان عوامل التاثير في عالم الوجود، انما هي متاثرة ـ في امكان تاثيرها ـ بتاثيره تعالى , اذ لا مـؤثـرفي الوجود الا اللّه ، حيث الممكنات باسرها فقيرات في ذوات انفسـها، فكما انها بذاتها محتاجة الى افاضة الوجود عليها، كذلك اثرها في عالم الطبيعة امر ممكن ، و محتاج لافاضة الوجود عـليه ففور ارادة التاثير يجب تداوم افاضة امكان التاثير عليه حتى يتمكن من التاثير(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ((234)) (اي بامكان التاثير الحاصل من قبله تعالى.
و هـذا هـو مـعنى ((الاذن)) في التكوين ، حسب المصطلح القرآني ، مستفادا من قوله تعالى : (و ما تشاؤون الا ان يشا اللّه. ((235)) (
و قد داب القرآن على اسناد الافعال الصادرة في عالم الوجود كلها الى اللّه ، سوا اكان فاعلها فاعلا اراديـاكالانسـان و الحيوان ، ام غير ارادي كالشـمس و القمر، و ليس ذلك الا من جهة انه المؤثر في تحقق الافعال مهماكانت ، اختيارية ام غير اختيارية انه تعالى هو الذي اقدر الاشـيا على فعل الافعال , و امدهم بالقوى ، و افاض عليهم الاقدار بصورة مستديمة.
قال تعالى : (و نقلب افئدتهم و ابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ((236)) (اي انقلبت اهواؤهم و ابصارهم ، و هم الذين اوجبوا هذا القلب.
و هكذا قوله : (ختم اللّه على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة ((237)) (بدليل قوله تعالى : (و قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم اللّه بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ((238)) (
.
قـال تـعـالـى : (و نـقلبهم ذات اليمين و ذات الشمال ((239)) (اي تتقلب اجسادهم ذات

اليمين و ذات الشمال ، غير ان هذا التقلب كان باذنه تعالى ، فصح اسناد الفعل اليه.
و لفظة ((القلب)) في القرآن الكريم ، يعني : شخصيه الانسان الباطنة ، ورا شخصيته هذه الظاهرة , و هي التي كانت منبعث ادراكاته النبيلة ، و احاسيسه الكبرى الرفيعة ، المتناسبة مع شخصيته الانسانية الكريمة (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع و هو شهيد. ((240)) (
)يا ايها الذين آمنوا استجيبوا للّه و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم و اعلموا ان اللّه يحول بين المر و قلبه و انه اليه تحشرون. ((241)) (
المراد ب ((القلب)) في هذه الاية ، هي شخصية الانسان الكريمة اذا ما تمرد الانسان على قوانين الشريعة ، فانه يصبح بهيمة لايعرف من الانسانية شيئا (نسوا اللّه فانساهم انفسهم. ((242)) (
و لفظة ((المشيئة ((في القرآن ، مصطلح خاص يراد بها الارادة الحادثة المنبعثة عن مقام حكمته تعالى ، و ليست مطلق الارادة.
فقوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشا و تنزع الملك ممن تشا وتعز من تشا و تذل من تشا بيدك الخير انك على كل شي قدير. ((243)) (
كان المقصود: المشيئة وفق الحكمة ، فيؤتى الملك من اقتضت حكمته تعالى ، و ينزع الملك ممن اقتضت حكمته.
و هكذا (نرفع درجات من نشا , ((244)) (اي من تقتضيه حكمتنا ان نرفعه ، اي من كانت المقتضيات متوفرة في ذات نفسه ، فالاقتضا انما هو في ذاته ، فهو محل صالح لهذه العناية الربانية ، و ليس اعتباطا اوترجيحا من غير مرجح ، حيث الحكمة هي وضع الاشيا في مواضعها.
و الدليل على ذلك ، تذييل الاية بقوله : (ان ربك عليم حكيم) فالحكيم لا يشا شيئا الا ما كان وفق حكمته ، و ليس مطلق المشيئة.
و التعابير من هذا القبيل كثيرة في القرآن ، و انما هي مصطلحات قرآنية ، لا تعرف الامن قبله , ليكون القرآن هوالذي يفس ر بعضه بعضا .

قال الراغب : اختلف الناس في تفسير القرآن ، هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه ؟ فبعض تشدد في ذلك ، وقال : لايجوز لاحد تفسير شي من القرآن ، و ان كان عالما اديبا، متسعا في معرفة الادلة والفقه و النحو والاخباروالاثار و انما له ان ينتهي الى ما روي عن النبى (ص)، و عن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة ، و الذين اخذواعنهم من التابعين و احتجوا في ذلك بما روي عنه (ع): ((من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار))، و قوله :((من فسر القرآن برايه فاصاب فقد اخطا)) و في خبر: ((من قال في القرآن برايه فقد كفر.((

قال : و ذكر آخرون ان من كان ذا ادب وسيع ، فموسع له ان يفسره ، فالعقلا الادبا فوضى فضا في معرفة الاغراض و احتجوا في ذلك بقوله تعالى : (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكراولوا الا لباب. ((109)) (

و ذكر بعض المحققين ان المذهبين هما: الغلو و التقصير، فمن اقتصر على المنقول اليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج اليه ، و من اجاز لكل احد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط، و لم يعتبر حقيقة قوله تعالى : (ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الا لباب.(

قال : و الواجب ان يبين اولا ما ينطوي عليه القرآن ، و ما يحتاج اليه من العلوم ، فنقول و باللّه التوفيق:

ان جميع شرائط الايمان و الاسلام التي دعينا اليها و اشتمل القرآن عليها ضربان :علم غايته الاعتقاد، و هو الايمان باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر و علم غايته العمل ، و هو معرفة احكام الدين و العمل بها.

و العلم مبدا، و العمل تمام و لا يتم العلم من دون عمل ، و لا يخلص العمل دون العلم ، و لذلك لم يفرد تعالى احدهما من الاخر في عامة القرآن ، نحو قوله : (ومن يؤمن باللّه و يعمل صالحا) , ((110)) (و من عمل صالحا من ذكر او انثى و هو مومن) ((111)) (الذين آمنوا و عملوا الصالحات طوبى لهم و حسن مب. ((112)) (

و لا يمكن تحصيل هذين (العلم و العمل) الا بعلوم لفظية ، وعقلية ، و موهبية:

فالاول : معرفة الالفاظ، و هو علم اللغة.

والثاني : مناسبة بعض الالفاظ الى بعض ، و هو علم الاشتقاق.

والثالث : معرفة احكام ما يعرض الالفاظ من الابنية و التصاريف و الاعراب ، و هو النحو.

والرابع : ما يتعلق بذات التنزيل ، و هو معرفة القرات.

والخامس : ما يتعلق بالاسباب التي نزلت عندها الايات ، و شرح الاقاصيص التي تنطوي عليها السور ,من ذكر الانبيا(ع) و القرون الماضية ، و هو علم الاثار و الاخبار.

والسادس : ذكر السنن المنقولة عن النبى (ص)و عمن شهد الوحي ، و ما اتفقوا عليه و ما اختلفوا فيه ، مما هوبيان لمجمل ، او تفسير لمبهم المنبا عنه بقوله تعالى : (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ((113)) (و بقوله : (اولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده , ((114)) (و ذلك علم السنن.

والسابع : معرفة الناسخ و المنسوخ ، و العموم و الخصوص ، و الاجماع و الاختلاف ،و المجمل و المفسر، و القياسات الشرعية ، و المواضع التي يصح فيها القياس ، و التي لا يصح ، و هو علم اصول الفقه.

والثامن : احكام الدين و آدابه ، و آداب السياسات الثلاث التي هي سياسة النفس والاقارب و الرعية , مع التمسك بالعدالة فيها، و هو علم الفقه و الزهد.

والتاسع : معرفة الادلة العقلية ، و البراهين الحقيقية ، و التقسيم و التحديد، و الفرق بين المعقولات والمظنونات و غير ذلك ، و هو علم الكلام.

و العاشر: و هو علم الموهبة ، و ذلك علم يورثه اللّه من عمل بما علم قال امير المؤمنين (ع): قالت الحكمة :من ارادني فليعمل باحسن ما علم ، ثم تلا (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ((115)) (و روي عنه (ع) حيث سئل : هل عندك علم عن النبي لم يقع الى غيرك ؟ قال : ((لا، الا كتاب اللّه ، و ما في صحيفتي ، و

فهم يؤتيه اللّه من يشا.((
و هذا هو التذكر الذي رجانا اللّه تعالى ادراكه بفعل الصالحات ، حيث قال : (ان اللّه يامر بالعدل والا حسان و ايتا ذي القربى ـ الى قوله ـ لعلكم تذكرون , ((116)) (و هو الهداية المزيدة للمهتدي في قوله : (والذين اهتدوا زادهم هدى , ((117)) (و هو الطيب من القول المذكور: (و هدوا الى الطيب من القول ، و هدوا الى صراط الحميد. ((118)) (
فجملة العلوم التي هي كالالة للمفسر، و لاتتم صناعته الا بها، هي هذه العشرة : علم اللغة ، و الاشتقاق ، و النحو،و القرات ، و السير، و الحديث ، و اصول الفقه ، و علم الاحكام ، و علم الكلام ، و علم الموهبة.
فمن تكاملت فيه هذه العشرة و استعملها، خرج عن كونه مفسرا للقرآن برايه و من نقص عن بعض ذلك مماليس بواجب معرفته في تفسير القرآن ، و احس من نفسه في ذلك بنقصه ، و استعان باربابه ، و اقتبس منهم ، واستضا باقوالهم ، لم يكن ـ ان شا اللّه ـ من المفسرين برايهم.
و اخيرا قال : و من حق من تصدى للتفسير ان يكون مستشعرا لتقوى اللّه ، مستعيذا من شرور نفسه و الاعجاب بها، فالاعجاب اس كل فساد و ان يكون اتهامه لفهمه اكثر من اتهامه لفهم اسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل و باللّه التوفيق((119)) .
و لقد احسن و اجاد فيما افاد، وادى الكلام حقه في بيان الشرائط التي يجب توفرها في كل مفسر ,حتى يخرج عن كونه مفسرا برايه ، و بشرط ان يراعي تقوى اللّه ، فلا يقول في شي بغير علم و لا كتاب منير.
قال جلال الدين السيوطي : و لعلك تستشكل علم الموهبة ، و تقول : هذا شي ليس في قدرة الانسان و ليس كما ظننت من الاشكال ، و الطريق في تحصيله ارتكاب الاسباب الموجبة له من العمل و الزهد قال الامام بدرالدين الزركشي : اعلم انه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ، و لا يظهر له اسراره , و في قلبه بدعة او كبر اوهوى او حب الدنيا، او هو مصر على ذنب ، او غير متحقق بالايمان ، او ضعيف التحقيق ، او يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، او راجع الى معقوله و هذه كلها حجب و موانع بعضها آكد من البعض قال السيوطي : و في هذا المعنى قوله تعالى : (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الا رض بغير الحق ((120)) (قال سفيان بن عيينة : يقول تعالى : انزع عنهم فهم القرآن((121)) .
قلت : و هكذا قوله تعالى : (انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسه الاالمطهرون ((122)) (فلا تتجلى حقائق القرآن و معارفه الرشيدة الا لمن خلص باطنه و زكت نفسه عن الادناس و الارجاس.
قال الامام امير المؤمنين (ع) ـ في خطبة خطبها بذي قار ـ : ((ان علم القرآن ليس يعلم ما هو الا من ذاق طعمه ،فعلم بالعلم جهله ، و بصر به عماه ، و سمع به صممه ، و ادرك به علم ما فات ، وحيي به بعد اذ مات ، و اثبت به عنداللّه الحسنات ، و محا به السيئات ، و ادرك به رضوانا من اللّه تبارك و تعالى ، فاطلبوا ذلك من عند اهله خاصة. ((123)) ((
و قال ـ في حديث آخر ـ : ((ان اللّه قسم كلامه ثلاثة اقسام ، فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل ، و قسما لايعرفه الا من صفا ذهنه و لطف حسه و صح تمييزه ، ممن شرح اللّه صدره للاسلام ، و قسما لايعلمه الا اللّه وامناؤه و الراسخون في العلم. ((124)) ((
قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا اللّه يجعل لكم فرقانا , ((125)) (و قال : (و اتقوا اللّه ويعلمكم اللّه. ((126)) (

اوجه التفسير

اخرج الطبري بعد ة اسانيد الى ابن عباس ، قال : التفسير اربعة اوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها، و تفسير لايعذر احد بجهالته ، و تفسير يعلمه العلما ,و تفسير لا يعلمه الا اللّه تعالى((127)) .
قال الزركشي ـ في شرح هذا الكلام ـ : و هذا تقسيم صحيح:
فاما الذي تعرفه العرب ، فهو الذي يرجع فيه الى لسانهم ، و ذلك شان اللغة و الاعراب.
فاما اللغة ، فعلى المفسر معرفة معانيها، و مسميات اسمائها، و لايلزم ذلك القارئ ثم ان كان ما تتضمنه الفاظهايوجب العمل دون العلم ، كفى فيه خبر الواحد و الاثنين ، و الاستشهاد بالبيت و البيتين و ان كان مما يوجب العلم ، لم يكف ذلك ، بل لا بد ان يستفيض ذلك اللفظ، و تكثر شواهده من الشعر.
و اما الاعراب ، فما كان اختلافه محيلا للمعنى ،وجب على المفسر و القارئ تعلمه ، ليتوصل المفسر الى معرفة الحكم و ليسلم القارئ من اللحن و ان لم يكن محيلا للمعنى ، وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن ، و لايجب على المفسر، لوصوله الى المقصود دونه ، على ان جهله نقص في حق الجميع.
اذا تقرر ذلك ، فما كان من التفسير راجعا الى هذا القسم ، فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب ، و ليس لغير العالم بحقائق اللغة و مفاهيمها تفسير شي من الكتاب العزيز، و لا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا، و هو يعلم احد المعنيين.
الثاني : ما لا يعذر احد بجهله ، و هو ما تتبادر الافهام الى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الاحكام ودلائل التوحيد و كل لفظ افاد معنى واحدا جليا لا سواه ، يعلم انه مراد اللّه تعالى.
فهذا القسم لا يختلف حكمه ، و لا يلتبس تاويله ، اذ كل احد يدرك معنى التوحيد،من قوله تعالى) : فاعلم انه لا اله الا اللّه ((128)) (و انه لا شريك له في الهيته ، و ان لم يعلم ان ((لا ((موضوعة في اللغة للنفي و ((الا)) للاثبات ، و ان مقتضى هذه الكلمة الحصر و يعلم كل احد بالضرورة ان مقتضى قوله تعالى : (و اقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ((129)) (و نحوها من الاوامر، طلب ادخال ماهية المامور به في الوجود، و ان لم يعلم ان صيغة ((افعل)) مقتضاها الترجيح وجوبا او ندبا فما كان من هذا القسم لا يقدر احد ان يدعي الجهل بمعاني الفاظه ، لانها معلومة لكل احد بالضرورة.
الثالث : ما لا يعلمه الا اللّه تعالى ، فهو يجري مجرى الغيوب ، نحو الاي المتضمنة قيام الساعة ، و نزول الغيث ، وما في الارحام ، و تفسير الروح ، و الحروف المقطعة.
و كل متشابه في القرآن عند اهل الحق ، فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ، و لاطريق الى ذلك الا بالتوقيف ، من احد ثلاثة اوجه:
اما نص من التنزيل ، او بيان من النبى (ص)، او اجماع الامة على تاويله.
فاذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات ، علمنا انه مما استاثر اللّه تعالى بعلمه.
قلت : و هذا انما يصدق بشان الحروف المقطعة ، فانها رموز بين اللّه و رسوله ، لا يعلم تاويلها الا اللّه و الرسول ،و من علمه الرسول بالخصوص.
والرابع : ما يرجع الى اجتهاد العلما، و هو الذي يغلب عليه اطلاق التاويل ، و هو صرف اللفظ الى ما يؤول اليه فالمفسر ناقل ، و المؤول مستنبط، و ذلك استنباط الاحكام ، و بيان المجمل ، و تخصيص العموم.
و كل لفظ احتمل معنيين فصاعدا، فهو الذي لايجوز لغير العلما الاجتهاد فيه ، وعلى العلما اعتماد الشواهد و الدلائل ، و ليس لهم ان يعتمدوا مجرد رايهم فيه.
ثم اخذ في بيان كيفية الاجتهاد و استنباط الاحكام من ظواهر القرآن ، عند اختلاف اللفظ او تعارض ظاهرين ، بحمل الظاهر على الاظهر، و ترجيح احد معنيي المشترك ، و ما الى ذلك مما يرجع الى قواعد (علم الاصول.(
ثم قال : فهذا اصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل ، و اللّه العالم.
و اخيرا قال : اذا تقرر ذلك فينزل قوله (ص): ((من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده

من الـنـار)) عـلـى قسمين من هذه الاربعة : احدهما: تفسير اللفظ، لاحتياج المفسر له الى التبحر في معرفة لسان العرب ، الثاني : حمل اللفظ المحتمل على احد معنييه ، لاحتياج ذلك الى معرفة انواع من العلوم:
علم العربية و اللغة و التبحر فيهما.
و من علم الاصول ما يدرك به حدود الاشيا، و صيغ الامر و النهي ، و الخبر،والمجمل و المبين ، و العموم و الخصوص ، و الظاهر و المضمر، و المحكم و المتشابه ، و المؤول ، و الحقيقة والمجاز ,و الصريح و الكناية ، و المطلق و المقيد.
و مـن عـلوم الفروع ما يدرك به استنباطا، و الاستدلال على هذا اقل ما يحتاج اليه ، و مع ذلك فهو على خطرفعليه ان يقول : يحتمل كذا، و لا يجزم الا في حكم اضطر الى الفتوى به ((130)).

التفسير بالراي

و اما الذي هابه اهل الظاهر، و زعموا من التكلم في معاني القرآن تفسيرا بالراي ، فيجب الاحتراز منه ، فهو مماشتبه عليهم امره ، و لم يمعنوا النظر في فحواه امعانا.
و لا بد ان نذكر نص الحديث اولا، ثم النظر في محتواه. ((131)) :
1ـ روى ابـو جـعفر الصدوق باسناده عن الامام امير المؤمنين (ع) قال : قال رسول اللّه (ص): قال اللّه ـ جل جلاله ـ : ((ما آمن بي من فسر برايه كلامي. ((132)) ((
2ـ و ايضا روي عـنه (ع) قال ـ لمدعي التناقض في القرآن ـ : ((اياك ان تفسر القرآن برايك , حـتـى تـفقهه عن العلما فانه رب تنزيل يشبه بكلام البشر، و هو كلام اللّه ، و تاويله لا يشبه كلام البشر. ((133)) ((
3ـ و ايضا عن الامام على بن موسى الرضا(ع) قال لعلي بن محمد بن الجهم : ((لا تؤول كتاب اللّه ـ عـز و جـل بـرايـك ، فـان اللّه ـ عـز و جل ـ يقول : (و ما يعلم تاويله الا اللّه و الراسخون في العلم. ((134)) (
4ـ و روى ابـو الـنضر محمد بن مسعود العياشي باسناده عن الامام ابي عبد اللّه الصادق (ع) قال)) : من فسرالقرآن برايه فاصاب لم يؤجر، و ان اخطا كان اثمه عليه))، و في رواية اخرى : ((و ان اخطا فهو ابعد من السما. ((135)) ((
5ـ و روى الشهيد السعيد زين الدين العاملي ، مرفوعا الى النبى (ص)قال : ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوامقعده من النار))، و قال : ((من تكلم في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا))، و قال : ((من قـال في القرآن بغير ما علم ،جا يوم القيامة ملجما بلجام من نار))، و قال : ((اكثر ما اخاف على امتي من بعدي ، رجل يناول القرآن ، يضعه على غير مواضعه ((136)) ((
.
و اخـرج ابـوجعفر محمد بن جرير الطبري باسناده عن ابن عباس عن النبى (ص)) :(من قال في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار.((
و في رواية اخرى : ((من قال في القرآن برايه او بما لايعلم.((
و ايضا عنه : ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار.((
و ايضا: ((من تكلم في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار.((
و باسناده عن جندب عنه (ص): ((من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا. ((137)) ((
و خـص الـطبري هذه الاحاديث بالاي التي لا سبيل الى العلم بتاويلها الا ببيان الرسول (ص)، مثل تاويل ما فيه من وجوه امره : واجبه و ندبه و ارشاده ، و صنوف نهيه ، و وظائف حقوقه و حدوده ، و مبالغ فرائضه ، و مقاديراللازم بعض خلقه لبعض ، و ما اشبه ذلك من احكام آيه التي لم يدرك علمها الا ببيان الرسول لامته ، و هذا وجه لايجوز لاحد القول فيه الا ببيان الرسول له بتاويله ، بنص منه عليه ، او بدلالة نصبها دالة امته على تاويله.
قـال : و هـذه الاخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من ان ما كان من تاويل آي القرآن الذي لا يدرك عـلمه الابنص بيان الرسول او بنصبه الدلالة عليه ، فغير جائز لاحد القيل فيه برايه ، بل القائل في ذلك برايه و ان اصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله ، بقيله فيه برايه ، لان اصابته ليست اصابة مـوقـن انـه محق ، و انما هواصابة خارص و ظان ، و القائل في دين اللّه

بالظن قائل على اللّه ما لم يعلم ، لان قيله فيه برايه ليس بقيل عالم ،ان الذي قال فيه من قول حق و صواب ، فهو قائل على اللّه ما لا يعلم ، آثم بفعله ما قد نهى عنه و حظرعليه ((138)).

قلت : و هذا يعني العمومات الواردة في القرآن ، الوارد تخصيصاتها في السنة ببيان الرسول ، مثل قوله : (اقيمواالصلاة) و (آتوا الزكاة) و (للّه على الناس حج البيت) و نحو ذلك مما ورد في القرآن عاما، واوكل بيان تفاصيلها و شرائطها و احكامها الى بيان رسول اللّه (ص)فلا يجوز شرح تفاصيلها الا عن اثر صحيح وهذا حق ، غير ان حديث المنع غير ناظر الى خصوص ذلك.

و روى الترمذي باسناده الى ابن عباس عن النبى (ص) قال : ((اتقوا الحديث علي الا ما علمتم ، فمن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار، و من قال في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار. ((139)) ((

قال ابن الانباري : فسر حديث ابن عباس تفسيرين:

احدهما: من قال في مشكل القرآن بما لايعرف من مذهب الاوائل من الصحابة والتابعين ، فهو متعرض لسخط اللّه.

و الاخر: ـ و هو اثبت القولين و اصحهما معنى ـ من قال في القرآن قولا يعلم ان الحق غيره , فليتبوا مقعده من النار.

و قال : و اما حديث جندب عن رسول الل ه (ص): ((من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا , ((140)) ((فحمل بعض اهل العلم هذا الحديث على ان الراي معنى به الهوى من قال في القرآن قولا يوافق هواه ، لم ياخذه عن ائمة السلف ، فاصاب فقد اخطا، لحكمه على القرآن بما لايعرف اصله ، و لا يقف على مذاهب اهل الاثر و النقل فيه.

و قال ابن عطية : ((و معنى هذا ان يسال الرجل عن معنى في كتاب اللّه عز و جل ، فيتسور عليه برايه((141)) دون نظر فيما قال العلما، و اقتضته قوانين العلم كالنحو و الاصول و ليس يدخل في هذا الحديث ، ان يفسر اللغويون لغته ، والنحويون نحوه ، و الفقها معانيه ، و يقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم و نظر، فان القائل على هذه الص فة ليس قائلا بمجرد رايه.((

قال القرطبي ـ تعقيبا على هذا الكلام ـ : هذا صحيح ، و هوالذي اختاره غير واحد من العلما، فان من قال في القرآن بما سنح في وهمه و خطر على باله من غير استدلال عليه بالاصول فهو مخطئ ،و ان من استنبط معناه بحمله على الاصول المحكمة المتفق على معناها، فهو ممدوح.

و قال بعض العلما: ان التفسير موقوف على السماع ، للامر برده الى اللّه و الرسول((142)) .

قال : و هذا فاسد، لان النهي عن تفسير القرآن لايخلو: اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل و السماع وترك الاستنباط، او المراد به امرا آخر و باطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه ،فان الصحابة قد قراوا القرآن و اختلفوا في تفسيره على وجوه ، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبى (ص)، و قددعا لابن عباس : ((اللهم فقهه في الدين و علمه التاويل)) فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ، فما فائدة تخصيصه بذلك ، و هذا بين لا اشكال فيه.

و انما النهي يحمل على احد وجهين:

احدهما: ان يكون له في الشي راي ، و اليه ميل من طبعه و هواه ، فيتاول القرآن على وفق رايه و هواه ،ليحتج على تصحيح غرضه و لو لم يكن له ذلك الراي و الهوى ، لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

و هذا النوع يكون تارة مع العلم ، كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته ، و هو يعلم ان ليس المراد بالاية ذلك ، و لكن مقصوده ان يلبس على خصمه.

و تارة يكون مع الجهل ، و ذلك اذا كانت الاية محتملة ، فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ، و يرجح ذلك الجانب برايه و هواه ، فيكون قد فسر برايه ، اي رايه حمله على ذلك التفسير، ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه.

و تارة يكون له غرض صحيح ، فيطلب له دليلا من القرآن ، و يستدل عليه بما يعلم انه ما اريد

به , كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي ، فيقول : قال اللّه تعالى : (اذهب الى فرعون انه طغى ((143)) (و يشير الى قلبه ، و يومئ الى انه المراد بفرعون و هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة ، تحسينا للكلام و ترغيبا للمستمع ، و هو ممنوع لانه قياس في اللغة ، و ذلك غير جائز وقد تستعمله الباطنية((144)) في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس و دعوتهم الى مذاهبهم الباطلة ، فينزلون القرآن على وفق رايهم و مذهبهم ، على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة .

فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي.

الوجه الثاني : ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية ، من غير استظهار بالسماع و النقل ، فيما يتعلق بغرائب القرآن ، و ما فيه من الالفاظ المبهمة و المبدلة ، و ما فيه من الاختصار والحذف والاضمار و التقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير، و بادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، و دخل في زمرة من فسر القرآن بالراي والنقل و السماع لا بد له منهما في ظاهر التفسير، اولا ليتقي بهما مواضع الغلط، ثم بعدذلك يتسع الفهم و الاستنباط و الغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ، و لا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر، الا ترى ان قوله تعالى : (و آتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها (((145))معناه : آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى الظاهر يظن ان الناقة كانت مبصرة ، فهذا في الحذف و الاضمار، و امثاله في القرآن كثير((146)) .

و هذا الذي ذكره القرطبي و شرحه شرحا وافيا، هو الصحيح في معنى الحديث ، و اكثر العلما عليه ، بل و في لحن الروايات الواردة عن الرسول (ص) ما يؤيد ارادة هذا المعنى ، نظرا للاضافة في ((رايه))، اي رايه الخاص ،يحاول توجيهه بما يمكن من ظواهر القرآن حتى و لو استلزم تحريفا في كلامه تعالى فهذا لا يهمه القرآن ، انمايهمه تبرير موقفه الخاص باتخاذ هذا الراي الذي يحاول اثباته باية وسيلة ممكنة فهذا في الاكثر مفتر على اللّه ،مجادل في آيات اللّه.

فقد روى ابوجعفر محمد بن على بن بابويه الصدوق باسناده الى سعيد بن المسيب عن عبد الرحمان بن سمرة ، قال : قال رسول اللّه (ص): ((لعن اللّه المجادلين في دين اللّه على لسان سبعين نبيا،و من جادل في آيات اللّه فقد كفر، و من فسر القرآن برايه فقد افترى على اللّه الكذب ، و من افتى الناس بغيرعلم فلعنته ملائكة السماوات والارض ، و كل بدعة ضلالة ، و كل ضلالة سبيلها الى النار. ((147)) ((

و روى ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني باسناده الى الامام ابي جعفر محمد بن علي الباقر(ع (قال : ((ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: اللّه اعلم ان الرجل لينتزع بالاية فيخر بها ابعد مابين السما و الارض. ((148)) ((

و كذا اذا استبد برايه ولم يهتم باقوال السلف و الماثور من احاديث كبار الائمة و العلما من اهل البيت (ع) وكذا سائر المراجع التفسيرية المعهودة ، فان من استبد برايه هلك ، و من ثم فانه ان اصاب احيانا فقد اخطاالطريق ، و لم يؤجر.

روى ابو النضر محمد بن مسعود بن عياش باسناده الى الامام جعفر بن محمدالصادق (ع) قال : ((من فسر القرآن برايه ، ان اصاب لم يؤجر، و ان اخطا فهو ابعد من السما , ((149)) ((الى غيرهامن احاديث يستشف منها ان السر في منع التفسير بالراي امران:

احدهما: التفسير لغرض المرا و الغلبة و الجدال و هذا انما يعمد الى دعم نظرته و تحكيم رايه الخاص ، بمايجده من آيات متشابهة صالحة للتاويل الى مطلوبه ، ان صحيحا او فاسدا، غير ان الاية لا تهدف ذلك لولاالالتوا بها في ذلك الاتجاه ، و لذلك فانه حتى لو اصاب في المعنى لم يؤجر، لانه لم يقصد تفسير القرآن ، و انمااستهدف نصرة مذهبه ايا كانت الوسيلة.

و هذا ناظر في الاكثر الى الايات المتشابهة لغرض تاويلها، فالنهي انما عنى التاويل غير المستند الى دليل قاطع (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله. ((150)) (

ثانيهما: التفسير من غير استناد الى اصل ركين ، اعتمادا على ظاهر التعبير محضا،فان هذا هو من القول بلا علم ، و هو ممقوت لا محالة ، و لا سيما في مثل كتاب اللّه الذي لا ياتيه

الباطل من بين يديه و لا مـن خـلفه و من ثم فانه ايضا غير ماجور على عمله حتى و لو اصاب المعنى ، لانه اورد امرا خطيرا من غير مورده ، و الاكثر الغالب في مثله الخطا و الضلال ، و افترا على اللّه ، و هو عظيم.
و قـد اسـلـفـنـا كـلام الـراغـب و شـرحه بهذا الشان((151)) , و كذا ما ذكره الزركشي في هذاالباب ((152)) , و قد كان كلامهما وافيا بجوانب الموضوع ، لم يختلف عما ذكرناه هنا، فراجع .
و لـكـن نـقـل جـلال الدين السيوطي عن ابن النقيب محمد بن سليمان البلخي((153)) في مقدمة تفسيره:
ان جملة ما تحصل في معنى الحديث خمسة اقوال:
احدها: التفسير من غير حصول العلوم ، التي يجوز معها التفسير.
ثانيها: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا اللّه.
ثالثها: التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بان يجعل المذهب اصلا و التفسير تابعا،فيرد اليه باي طريق امكن ، و ان كان ضعيفا.
رابعها: التفسير بان مراد اللّه كذا على القطع من غير دليل.
خامسها: التفسير بالاستحسان و الهوى((154)) .
قلت : و يمكن ارجاع هذه الوجوه الخمسة الى نفس الوجهين اللذين ذكرناهما، اذ الخامس يرجع الى الثالث ، والرابع و الثاني يرجعان الى الاول ، فتدبر.

خلاصة القول في التفسير بالراي

يـتلخص القول في تفسير حديث ((من فسر القرآن برايه)): ان الشي المذموم او الممنوع شرعا، الذي استهدفه هذا الحديث ، امران:
احدهما: ان يعمد قوم الى آية قرآنية ، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من راي اوعقيدة ، او مذهب او مسلك ، تبريرا لما اختاروه في هذا السبيل ، او تمويها على العامة في تحميل مذاهبهم او عقائدهم , تعبيرا على البسطا الضعفا.
و هـذا قد جعل القرآن وسيلة لانجاح مقصوده بالذات ، و لم يهدف تفسير القرآن في شي و هذا هو الذي عنى بقوله (ع): فقد خر بوجهه ابعد من السما، او فليتبوا مقعده من النار.
و ثانيهما: الاستبداد بالراي في تفسير القرآن ، محايدا طريقة العقلا في فهم معاني الكلام ، و لا سيما كـلامـه تعالى فان للوصول الى مراده تعالى من كلامه وسائل و طرقا، منها: مراجعة كلام السلف ، و الـوقـوف عـلـى الاثـار الـواردة حول الايات ، و ملاحظة اسباب النزول ، و غير ذلك من شرائ ط يـجـب تـوفـرهـا في مفسر القرآن الكريم فاغفال ذلك كله ، و الاعتماد على الفهم الخاص ، مخالف لـطريقة السلف والخلف في هذا الباب و من استبد برايه هلك ، و من قال على اللّه بغير علم فقد ضل سـوا الـسبيل ، و من ثم فانه قد اخطا و ان اصاب الواقع ـ فرضا او صدفة ـ لانه اخطا الطريق ، و سلك غير مسلكه المستقيم.
قـال سيدنا الاستاذ الامام الخوئي ـ دام ظله ـ : ان الاخذ بظاهر اللفظ، مستندا الى قواعد و اصول يتداولها العرف في محاوراتهم ، ليس من التفسير بالراي ، و انما هو تفسير بحسب ما يفهمه العرف ، و بحسب ما تدل عليه القرائن المتصلة و المنفصلة ، و الى ذلك اشار الامام جعفر بن محمد الصادق (ع (بـقـوله : ((انما هلك الناس في المتشابه ، لانهم لم يقفوا على معناه ، و لم يعرفوا حقيقته ، فوضعوا له تاويلا من عند انفسهم برائهم ، و استغنوابذلك عن مسالة الاوصيا فيعرفونهم.((
قـال : و يحتمل ان معنى التفسير بالراي ، الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الائمة (ع) مع انهم قـرنا الكتاب في وجوب التمسك ، و لزوم الانتها اليهم فاذا عمل الانسان بالعموم اوالاطلاق الوارد في الكتاب ، و لم ياخذ التخصيص او التقييد الوارد عن الائمة (ع) كان هذا من التفسير بالراي.
و عـلـى الجملة ، حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة و المنفصلة ، من الكتاب و السنة او الدليل العقلي ، لا يعد من التفسير بالراي ، بل و لا من التفسيرنفسه ((155)).

قلت : و عبارته الاخيرة اشارة الى ان الاخذ بظاهر اللفظ، مستندا الى دليل الوضع اوالعموم او الاطلاق ، او قرائن حالية او مقالية و نحو ذلك ، لا يكون تفسيرا، اذ لا تعقيدفي اللفظ حتى يكون حله تفسيرا، و انما هو جري على المتعارف المعهود، في متفاهم الاعراف.
اذ قد عرفت ان التفسير، هو: كشف القناع عن اللفظ المشكل ، و لا اشكال حيث وجود اصالة الحقيقة او اصالة الاطلاق او العموم ، او غيرها من اصول لفظية معهودة.
نعم اذا وقع هناك اشكال في اللفظ، بحيث ابهم المعنى ابهاما، و ذلك لاسباب و عوامل قد تدعو ابهاما او اجمالا في لفظ القرآن ، فيخفى المراد خفا في ظاهرالتعبير، فعند ذلك تقع الحاجة الى التفسير و رفع هذا التعقيد.
و التفسير ـ في هكذا موارد ـ لا يمكن بمجرد اللجؤ الى تلكم الاصول المقررة لكشف مرادات المتكلمين حسب المتعارف ، اذ له طرق و وسائل خاصة غير مايتعارفه العقلا في فهم معاني الكلام العادي ، على ما ياتي في كلام السيد الطباطبائي.
و التفسير بالراي المذموم عقلا و الممنوع شرعا، انما يعني هكذا موارد متشابهة اومتوغلة في الابهام ، فلا رابط ـ ظاهرا ـ لما ذكره سيدنا الاستاذ، مع موضوع البحث ، و عبارته الاخيرة ربما تشي بذلك.
و قال سيدنا العلامة الطباطبائي : ((الاضافة ـ في قوله : برايه ـ تفيد معنى الاختصاص و الانفراد و الاستقلال ، بان يستقل المفسر في تفسير القرآن بما عنده من الاسباب في فهم الكلام العربي , فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس ،فان قطعة من الكلام من اى متكلم اذا ورد علينا، لم نلبث دون ان نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المرادالكلامي ، و نحكم بذلك انه اراد كذا، كما نجري عليه في الاقارير و الشهادات و غيرهما كل ذلك لكون بياننامبنيا على ما نعلمه من اللغة ، و نعهده من مصاديق الكلمات ، حقيقة و مجازا.
و البيان القرآني غير جار هذا المجرى ، بل هو كلام موصول بعضها ببعض ، في حين انه مفصول , ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض ، كما قاله علي (ع.(
فلا يكفي ما يتحصل من آية واحدة باعمال القواعد المقررة ، دون ان يتعاهد جميع الايات المناسبة لها، ويجتهد في التدبر فيها.
فالتفسير بالراي المنهى عنه امر راجع الى طريق الكشف دون المكشوف فالنهي انما هو عن تفهم كلامه تعالى على نحو ما يتفهم به كلام غيره ، حتى ولو صادف الواقع ، اذ على فرض الاصابة يكون الخطا في الطريق.
قال : و يؤيد هذا المعنى ، ما كان عليه الامر في زمن النبى (ص) فان القرآن لم يكن مؤلفا بعد، و لم يكن منه الاسور او آيات متفرقة في ايدي الناس ، فكان في تفسير كل قطعة قطعة منه خطر الوقوع في خلاف المراد.
قال : و المحصل ان المنهي عنه انما هو الاستقلال في تفسير القرآن ، و اعتماد المفسر على نفسه من غير رجوع الى غيره ، و لازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع اليه.
قال : و هذا الغير ـ لا محالة ـ اما هو الكتاب او السنة و كونه هي السنة ، ينافي كون القرآن هو المرجع في تبيان كل شي ، و كذا السنة الامرة بالرجوع الى القرآن عند التباس الامور، و عرض الحديث عليه لتمييز صحيحه عن سقيمه ، فلم يبق للمراجعة و الاستمداد في تفسير القرآن سوى نفس القرآن فان القرآن يفسر بعضه بعضا، وينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض ((156)).
و هذا الذي ذكره سيدنا العلامة ـ هنا ـ تحقيق عريق بشان طريقة فهم معاني كلامه تعالى.
قال ـ في مقدمة التفسير ـ:
ان الاتكا و الاعتماد على الانس و العادة في فهم معاني الايات ، يشوش على الفاهم سبيله الى ادراك مقاصدالقرآن ، اذ كلامه تعالى ناشئ من ذاته المقدسة ، التي لا مثيل لها و لا نظير (ليس كمثله شي) ((157)),(لاتدركه الا بصار و هو يدرك الا بصار و هو اللطيف الخبير( ) , ((158))سبحان اللّه عمايصفون. ((159)) (
و هذا هو الذي دعا بالنابهين ان لا يقتصروا على الفهم المتعارف لمعاني الايات الكريمة ، و اجازوا لانفسهم الاعتماد ـ لادراك حقائق القرآن ـ على البحث والنظر و الاجتهاد.

و ذلك على وجهين : اما بحثا علميا او فلسفيا او غيرهما، للوصول الى مراده تعالى في آية من الايات ، و ذلك بعرض الاية على ما توصل اليه العلم او الفلسفة من نظريات او فرضيات مقطوع بها ,و ربما المظنون منها ظناراجحا، و هذه طريقة يرفضها ملامح القرآن الكريم.
و اما بمراجعة ذات القرآن ، و استيضاح فحوى آية من نظيرتها، و بالتدبر في نفس القرآن الكريم ,فان القرآن ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض ، كما قال على (ع.(
قال تعالى : (و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي , ((160)) (و حاشا القرآن ان يكون تبيانا لكل شي و لا يكون تبيانا لنفسه ، و قد نزل القرآن ليكون هدى للناس و نورا مبينا و بينة و فرقانا، فكيف لا يكون هاديااللناس الى معالمه و مرشدا لهم على دلائله ؟ لنهدينهم سبلنا (, ((161))و اى جهاد اعظم من بذل الجهد في سبيل فهم كتاب اللّه ، و استنباط معانيه و استخراج لالئه نعم ،القرآن هو اهدى سبيل الى نفسه ، لا شي اهدى منه اليه.
و هذه هي الطريقة التي سلكها النبي و عترته الاطهار ـ صلوات اللّه عليهم ـ في تفسير القرآن و الكشف عن حقائقه ـ على ما وصل الينا من دلائلهم في التفسير ـ و لا يوجد مورد واحد استعانوا لفهم آية ، على حجة نظريه عقلية او فرضية علمية ، و نحو ذلك ((162)).
و توضيحا لما افاده سيدنا العلامة في هذا المجال ، نعرض ما يلي:
كان للبيان القرآني اسلوبه الخاص في التعبير و الاداء، ممتازا على سائر الاساليب ، ومختلفا عن سائر البيان ، مما يبدو طبيعيا، شان كل صاحب فن جديد كان قد اتى بشي جديد.
و من ثم كان للقرآن لغته الخاصة به ، و لسانه الذي يتكلم به ، و لهجته التي يلهج بها، ممتازة عن سائر اللهجات.
نعم ، ان للقرآن مصطلحات في تعابيره عن مقاصده و مراميه ، كانت تخصه ، و لا تعرف مصطلحاته الا من قبل نفسه ، شان كل صاحب اصطلاح.
و من المعلوم ان الوقوف على مصطلحات اى فن من الفنون ، لايمكن بالرجوع الى اللغة و قواعدها، و لا الى الاصول المقررة لفهم الكلام في الاعراف ، لانها اعراف عامة ، و هذا عرف خاص فمن رام الوقوف على مصطلحات علم النحو ـ مثلا ـ فلا بد من الرجوع الى النحاة انفسهم لا غيرهم ، و هكذا سائر العلوم و الفنون من ذوي المصطلحات.
و من ثم فان القرآن هو الذي يفسر بعضه بعضا، و ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض.
نعم يختص ذلك بالتعابير ذوات الاصطلاح ، و ليس في مطلق تعابيره التي جات وفق العرف العام .
و بعبارة اخرى : ليس كل تعابير القرآن مما لا يفهم الا من قبله ، انما تلك التعابير التي جات وفق مصطلحه الخاص ، و كانت تحمل معاني غير معاني سائر الكلام اما التي جات وفق اللغة او العرف العام ، فطريق فهمهاهي اللغة و الاصول المقررة عرفيا لفهم الكلام.
و بعبارة ثالثة : الحاجة الى عرفان مصطلحات القرآن ، انما تكون في موارد التفسير، حيث الغموض و الابهام في ظاهر التعبير، دون ترجمة الالفاظ و الكلمات ، و ادراك مفاهيم الكلام وفق الاعراف العامة ، مما يعود الى البحث عن حجية الظواهر، فانها حجة بلا كلام ، سوا في القرآن ام في غيره , سوا بسوا.
و هذا غير المبحوث عنه هنا، حيث خفا المراد ورا ستار اللفظ، المعبر عنه بالبطن المختفي خلف الظهرفالظهرلعامة الناس حيث متفاهمهم ، و يكون حجة لهم و مستندا يستندون اليه في التكليف ، اما البطن فللخاصة ممن يتعمقون في خفايا الاسرار، و يستخرجون الخبايا من ورا الستار.
و من ثم كان المطلوب من الامة (العلما و الائمة) التفكر في الايات و التدبر فيها، و تعقلها و معرفتهاحق المعرفة.
قال تعالى : (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((163)) (
قال : (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها. ((164)) (
و قال : (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر اولو الا لباب. ((165)) (
و قال رسول اللّه (ص): ((له ظهر و بطن ، فظاهره حكمة و باطنه علم ، ظاهره انيق و باطنه

عـمـيـق ، لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه ، فليجل جال بصره ، و ليبلغ الصفة نظره ، فان التفكر حياة قلب البصير. ((166)) ((
قال العلامة الفيلسوف ابن رشد الاندلسي : ((و قد سلك الشرع في تعاليمه و برامجه الناجحة مسلكا ينتفع به الجمهور، و يخضع له العلما و من ثم جا بتعابير يفهمها كل من الصنفين : الجمهورياخذون بظاهر المثال ، فيتصورون عن الممثل له مايشاكل الممثل به ، و يقتنعون بذلك والعلما يعرفون الحقيقة التي جات في طى المثال. ((167)) ((
و سنبحث عن منهج القرآن و اساليب بيانه في فصل قادم ، ان شا اللّه.
و اليك بعض الامثلة ، شاهدا لما ذكره سيدنا العلامة:
قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا للّه و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم و اعلموان اللّه يحول بين المر و قلبه و انه اليه تحشرون. ((168)) (
هذا خطاب عام يشمل كافة الذين آمنوا، يدعوهم الى الايمان الصادق و الاستجابة بعقيدة و عملا ـ لدعوة الاسلام ، و الاستسلام العام للشريعة الغرا، اذ في ذلك حياة القلب ، و الطمانينة في العيش ، و ادراك لذائذ نعمة الوجود .

و من المصطلح المتعارف في القرآن ، اعتماده المعهود من قرائن حالية ، ليصدر احكاما في صورة قضايا خارجية ـ اشارة الى المعهود الحاضر حال الخطاب ـ و ليست بقضايا حقيقية ، حتى تكون الاحكام مترتبة على الموضوعات ، متى وجدت و اين وجدت هذه الظاهرة كثيرة الدور في القرآن الكريم ، و ربما زعم زاعم انهاقضايا حقيقية دائمة ، و ليست كذلك.

مثلا قوله تعالى : (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين اشركوا و لتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين و رهبانا وانهم لا يستكبرون. ((245)) (

ليس المراد مطلق اليهود، سوا من عاصر نبي الاسلام ام غيرهم ، و لا مطلق من اشرك ، و لا مطلق النصارى بل يهود يثرب ممن عاصر نبي الاسلام ، و مشركو قريش ، و نصارى نجران ، و قيل : وفد النجاشي ذلك العهد، لانهاحكاية عن امة ماضية اسلم من اسلم منهم ، و عاند من عاند.

فقد جا تعقيب الاية بقوله : (و اذا سمعوا ما انزل على الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين و ما لنا لا نؤمن باللّه و ما جانا من الحق و نطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم اللّه بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و ذلك جزا المحسنين والذين كفروا و كذبوا بياتنا ـ يعني بهم اليهود و المشركين ـ اولئك اصحاب الجحيم. ((246)) (

و هذا نظير قوله تعالى عن المخلفين من الاعراب : (سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتناموالنا و اهلونا ((247)) (اشارة الى خصوص من قعد عن الحرب ايام الرسول (ص.(

و كذا ((الناس)) في قوله : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ((248)) (حيث المراد بالناس الاول : هم المنافقون المرجفون من اهل المدينة ، والناس الثاني : هم مشركو قريش رهطابي سفيان ، بعد هزيمتهم من احد.

و هكذا قوله تعالى : (الاعراب اشد كفرا و نفاقا و اجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل اللّه على رسوله و اللّه عليم حكيم ((249)) (المراد من عاصروا النبي من اهل الجفا و النفاق ، كما في قوله :(و ممن حولكم من الاعراب منافقون و من اهل المدينة مردوا على النفاق ((250)) (و غيرذلك مما وقع هذا التعبير في مواضع من سورة براة (الايات : ٩٠/٩٧/٩٨/٩٩/١٠١) حيث المقصود من الجميع : اعراب المدينة و من حولها.

و جهة ثالثة : ايفاؤه بالوفرة الوفيرة من المطالب و مختلف المسائل ، في اقصر تعابير و ايسر كلمات ، ربمايكون حجم المطالب اضعاف حجم الكلمات و التعابير و القرآن ملؤه ذلك ، و هو من اختصاصه ، ان يدلي باوفرالمعاني في اوجز الالفاظ.

هذه سورة الحجرات على قصرها، و هي ثماني عشرة آية ، تحتوي على اكثر من عشرين مسالة من امهات المسائل الاسلامية العريقة ، نزلت بالمدينة ، لتنظيم الحياة الاجتماعية العادلة و قد تعرض لها المفسرون و لا سيما المتاخرين بتفصيل ، و تعرضنا لاكثرها في تفسيرناللسورة.

و مما جا فيها التعرض لقاعدة ((اللطف)) التي هي اساس الشرائع ، و مسالة ((الحب في اللّه و البغض في اللّه))التي هي اساس الايمان ، في اقصر عبارة : (ولكن اللّه حبب اليكم الايمان و زينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر و الفسوق و العصيان ((251)) (فمن لطفه تعالى و عنايته بعباده ان مهد لهم اسباب الطاعة و قربها اليهم ، ليتمكنوا من طاعة اللّه و يجتنبوا الفسوق و العصيان ، و ذلك بان زين الايمان و الطاعة في قلوبهم ، اي ابدى لهم زينة الايمان ، بان رفع عن اعينهم غشا التعامي , كما انه تعالى كره اليهم العصيان بان اظهرقبحه في اعينهم فكرهوه في

ذات انفسهم فالمؤمن انما يطيع اللّه و هو محبب له الطاعة ، و من ثم فانه يقدم على الطاعة في وداعة و طمانينة و يسر، كما انه يجتنب المعاصي في يسر، لانه عن نفرة لها في نفسه.
و هذه هي قاعدة اللطف تمهيد ما يوجب قرب العباد الى الطاعة و بعدهم عن المعصية ، مستفادة من الاية الكريمة.
و شي آخر: مسالة ((الحب في اللّه و البغض في اللّه)) و هي اساس الايمان و صلب العقيدة ، و الباعث على الجد في العمل ، و من ثم قال الامام الصادق (ع): ((و هل الايمان الا الحب و البغض ، ثم تلا الاية الكريمة ((252)) ((و قد قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه. ((253)) (
و امر ثالث مستفاد من الاية الكريمة : ان هدايته للناس كانت فضلا من اللّه و رحمة ، ناشئة عن مقام فيضه القدوسي ، و ليس عن حق عليه سبحانه (فلولا فضل اللّه عليكم و رحمته لكنتم من الخاسرين) , ((254)) (و ما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك. ((255)) (
فالانسان بذاته لا يستحق شيئا على ربه ، و انما اللّه هو الذي تفضل على الانسان برحمته (الحمد للّه الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا اللّه , ((256)) (
و من ثم عقب سبحانه الاية بقوله : (فضلامن اللّه و نعمة و اللّه عليم حكيم (. ((257))
و في السورة اشارة الى مسالة التعاون في الحياة الاجتماعية ، جات في قوله تعالى : (يا ايها الناس اناخلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند اللّه اتقاكم. ((258)) (
و فيها الاشارة الى مسالة ((المساواة)) و ان لا شعوبية في الاسلام ، و لا عنصرية ، و لا قومية ، و ان لا فضل لاحدعلى غيره اطلاقا، لا حسبا و لا نسبا، الا بفضيلة التقوى ، و هو التعهد في ذات اللّه.
كما فيها الاشارة ايضا الى مسالة ((الاخوة الاسلامية)) المتطلبة للايثار و التضحية ، فوق قانون العدل و الانصاف.
و في القرآن كثير من عبارات يسيرة انطوت على مفاهيم ذات احجام كبيرة.,
كقوله تعالى في سورة الانفال : (و ما رميت اذ رميت و لكن اللّه رمى ((259)) (
اشارة الى مسالة))الامربين الامرين)) و ان لا جبر و لا تفويض ، و هي من المسائل المذيلة ذات تفصيل طويل.
و كقوله تعالى في سورة الواقعة : (افرايتم ما تحرثون ااانتم تزرعونه ام نحن الزارعون ((260)) (اشارة الى مسالة ((الاستطاعة)) و ان لا استقلال للعباد فيما يتصرفون من افعالهم الاختيارية.
و الامثلة على ذلك كثيرة و منبثة في القرآن الكريم ، غير خفية على الناقد البصير.
و جهة رابعة : قد سلك القرآن في تعاليمه و برامجه الناجحة مسلكا، ينتفع به الجمهور، و يخضع له العلما،و من ثم جا بتعابير يفهمها كل من الصنفين : الجمهور ياخذون بظاهر الكلام و يتصورون له من المعاني ما الفت بها اذهانهم في الامور المحسوسة ، و يحسبون فيما ورا محسوسهم ما يشاكل المحسوس ، و يقتنعون بذلك ، ويستريح بالهم.
و العلما يعرفون حقيقة الحال التي جات في طي المقال ، و ياخذون بلطائف الاشارات و ظرائف الكنايات التي مثلت لهم الحقيقة في واقع الامر، بما يخضعهم له و يطمئنون اليه.
خذ لذلك مثلا قوله تعالى ـ تعبيرا عن ذاته المقدسة في عالم الكون ـ : (اللّه نور السماوات و الا رض) لما كان ارفع الموجودات في الحس هو النور، ضرب اللّه به المثال ، و بهذا النحو من التصور امكن للجمهور ان يفهموا من الذات المقدسة موجودا اجلى و اظهر فيما ورا الحس ، يشبه ان يكون مثل النور في المحسوس

شبهاما، و يقتنعون بذلك.
اما العلما فيرون من هذا التشبيه اقرب ما يكون تصورا من ذاته المقدسة ، فليس في عالم المحسوس ما يكون على مثاله ، و في اخص اوصافه تعالى كالنور الذي هو ظاهر في نفسه ، و مظهر لغيره ، و ليس شي في عالم المحسوس (المبصرات) الا و يكون ظهوره بالنور، اما النور فهو ظاهر بنفسه و ليس بغيره.
و كذا لا يكون ـ في عالم المحسوس ـ شي اكثر ظهورا و في نفس الوقت اشد خفامن النور، ظاهر بناره ، خفي بكنهه و حقيقته.
و هذه هي نفس صفاته تعالى اذا ما لاحظنا حقيقة وجوده ، القائم بذاته ، المظهرلغيره ، الذي خفيت حقيقته و ظهرت آثاره ، و هو اللّه جل جلاله ، و عظمت كبرياؤه.
و هكذا نجد القرآن ، في استدلالاته ، قد جمع بين اسلوبين يختلفان في شرائطهما، هما: اسلوب الخطابة ، واسلوب البرهان ، ذاك اقناع للجمهور بما يتسالمون به من مقبولات القضايا و مظنوناتها ,و هذا اخضاع للعلمابما يتصادقون عليه من اوليات و يقينيات و من الممتنع في العادة ان يقوم المتكلم باجابة ملتمس كلا الفريقين ،ليجمع بين المظنون و المتيقن ، في خطاب واحد، الامر الذي حققه القرآن بعجيب بيانه و غريب اسلوبه.
و قد بحثنا عن ذلك و اتينا بامثلة عليه في مباحثنا عن الاعجاز البياني للقرآن ((261)).
و جهة خامسة : قد اكثر القرآن من انواع الاستعارة و اجاد في فنونها، و كان لا بد منه و هو آخذ في توسع المعاني توسع الافاق ، في حين تضايقت الالفاظ عن الايفا بمقاصد القرآن ، لو قيدت بمعانيها الموضوعة لهاالمحدودة النطاق.
جا القرآن بمعان جديدة على العرب لم تكن تعهدها، و ما وضعت الفاظها الا لمعان قريبة ، حسب حاجاتها في الحياة البسيطة البدائية القصيرة المدى اما التعرض لشؤون الحياة العليا المترامية الابعاد، فكان غريبا على العرب الاوائل المتوغلة في الجاهلية الاولى.
و من ثم لجا القرآن في افادة معانيه و الاشادة بمبانيه الى احضان الاستعارة و الكناية و المجاز ,ذوات النطاق الواسع ، حسب ابداع المتكلم في تصرفه بها، و القدرة على الاحاطة في تصريف المباني و الافادة بما يرومه من المعاني و قد ابدع القرآن في الاستفادة بها و تصريفها حيثما شا من المقاصد و الاهداف ، و لم يعهد له نظير في مثل هذه القدرة و مثل هذه الاحاطة ، على مثل هذا التصرف الواسع الاكناف ، الامر الذي ابهر و اعجب و اتى بالاعجاز.
و لعل هذا هو السبب ايضا في عروض التشابه في لفيف من آيات الخلق و التكوين ،نظرا لقصور الالفاظ عن الايفا بتلك المعارف الجليلة الواسعة الاكناف.
و بذلك اصبحت لغة القرآن ـ من هذه الجهة ـ ذات طابع خاص ، حيث وفرة الاستعارة من النم ط الراقي ، و عروض بعض التشابه بسبب هذا الشموخ و التعالي.

ترجمة القرآن في كفة الميزان

التعريف بالترجمة و اساليبها. نواحي القرآن الثلاث.
الترجمة الحرفية للقرآن.
الترجمة المعنوية (الحرة.(
اخطار الترجمة.
دفاع حاسم.
ترجمة القرآن من الوجهة الشرعية.
وثائق شرعية.
ترجمة القرآن ضرورة دعائية.

كيفية الترجمة و عرضها.
نماذج من تراجم خاطئة.
ترجمة القرآن.

مسائل ثلاث

هناك مسائل ثلاث عن ترجمة القرآن الى سائر اللغات : اولا: هـل بـالامـكان ترجمة كلام اللّه البليغ الوجيز، الذي نزل هدى للناس ، و معجزة خالدة ، في نظمه و اسلوبه ،و في لفظه و معناه جميعا، بما تحدى البشرية لو ياتوا بمثله ؟.

ثـانـيا: لو امكن ذلك ـ نسبيا و ليس من جميع الوجوه ـ فهل يجوز عرضه قرآنا و كتابا للمسلمين ,على غرار ماينشره اهل الكتاب من تراجم العهدين ، باسم التوراة و الانجيل ؟.

ثـالثا: ماذا تكون نظرة الشرع الحنيف ؟ فهل يجري على الترجمة ما يجري على الاصل من احكام و آثار شرعية ، في تلاوته و في قراته في الصلاة ، و غير ذلك من احكام شرعية خاصة بالقرآن ؟.

و للعلما ـ قديما و حديثا ـ آرا تختلف مع بعضها البعض ، و قد ثار حولها جدل عنيف في عهد قريب , و قد توسع حتى سرى الى الصحف و المجلات ، فضلا عن كتب و رسائل خصصت بهذاالشان.

و قـبـل ان نـخـوض الـبحث لا بد من : تعرفة الترجمة مفهوما و اسلوبا، و النظر في شرائطها و مقوماتها الاساسية في اطارها المعقول ، فنقول:

التعريف بالترجمة

الـتـرجـمـة ربـاعـية الوزن ، و تكون بمعنى : التبيين و الايضاح و يبدو من القاموس ان ه لا بد من اختلاف اللغة ، لانه قال : الترجمان : المفسر للسان و من ثم فالترجمة : نقل الكلام من لغة الى اخرى ، كـمـا فـي الـمعجم الوسيط اماالتعبير عن معنى بلفظ، بعد التعبير عنه بلفظ آخر، فهذا من التبيين المحض ، و ليس ترجمة اصطلاحا.

و يـجـب فـي الترجمة ان تكون وافية بتمام ابعاد المعنى المراد من الاصل ، حتى في نكاته و دقائقه الـكـلامية ذات الصلة باصل المراد، كناية او تعريضا او تحزنا او تحسرا او تعجيزا، و نحو ذلك مـن انـحـا الكلام المختلف في الايفا و البيان ، و المختلف في الاسلوب و النظم ، و غير ذلك مما هو معروف.

و مـن ثـم يـجـب ان تـتوفر في المترجم صلاحية هذا الشان ، بالاحاطة الكاملة على مزايا اللغتين الـكـلامية ، واقفاعلى اسرار البلاغة و البيان في كلتا اللغتين ، عالما بمواضع نظرات صاحب المقال الاصـل ، عارفا بالمستوى العلمي الذي حواه الكلام الاصل ، قادرا على افراغ تمام المعنى و كماله ـ بـمـيزاته و دقائقه ـ في قالب آخريحاكيه و يماثله جهد الامكان ، الامر الذي قل من ينتدب له من الكتاب و اصحاب الاقلام ، اذ قد زلت فيه اقدام كثير ممن حام حول هذا المضمار الخطير.

خطورة امر الترجمة

قـلنا: ان شرائط الترجمة ثقيلة ، و قل من توجد فيه هذه الصلاحية الخطيرة ، اذ من الصعب جدا ان يـحـيـط انـسـان عـلـمـا بـاللغتين في جميع مزاياهما الكلامية : اللفظية و المعنوية ، عارفا بانواع الاسـتعارات و الكنايات الدارجة في كلتا اللغتين ، قادرا على افراغ جميع مناحي الكلام من قالب الى قالب آخر ,يماثله و يحاكيه تماما.

هذا فضلا عن لزوم ارتقا مستواه العلمي و الادبي الى حيث مستوى الكلام المترجم او ما يقاربه ، و هذا اثقل الشروط و اخطرها عند مزلات الاقدام و مزالق الاقلام.

و سـنذكر نماذج من تراجم قام بها رجال كبار، و لكن لم يسعد لهم الحظ لمواصلة المسيرة بسلام , فكم من زلات اعفوها و لا مجال لاعفائها، و لا سيما في مثل كلام اللّه العزيز الحميد.

اساليب الترجمة

اذ كانت الترجمة نوعا من التفسير و الايضاح بلغة اخرى في ايجاز و ايفا،و بالاحرى هو افراغ المعنى من قالب الى قالب آخر اكشف للمراد، بالنسبة الى اللغة المترجم اليها، فلابد ان يعمد المترجم الى تبديل قوالب لفظية الى نظيراتها من غير لغتها، بشرط الوفا بتمام المراد، الامر الذي يمكن الحصول عليه من وجوه:

الاول : ان يعمد المترجم الى تبديل كل لفظة الى مرادفتها من لغة اخرى ، فيضعها بازائها، ثم ينتقل الى لفظة ثانية بعدها و ثالثة ، و هكذا على الترتيب حتى نهاية الكلام.

و هذه هي ((الترجمة الحرفية)) او الترجمة تحت اللفظية و هذه اردا انحا الترجمة ، و في الاغلب توجب تشويشا في فهم المراد او تشويها في وجه المعنى ، و ربما خيانة بامانة الكلام ، حيث المعهود من هكذا تراجم لفظية هو تغيير المعنى تماما، لان المترجم بهذا النمط انما يحاول التحفظ على اسلوب الكلام الاصل في نظمه وميزاته البلاغية ، لياتي بكلام يماثله تماما في النظم و الاسلوب ، الامر الذي لا يمكن بتاتا، بعد اختلاف اللغات في اساليب البلاغة و الادا، و كذا في النكات و الدقائق الكلامية السائدة في كل لغة حسب عرفها الخاص فرب كناية او تعريض او مثل سائر في لغة ، لا تعرفه لغة اخرى و لا تانس به ، فلو عمد المترجم الى ترجمة ذلك بعينه ،لاصبح غير مفهوم المراد، و ربما استبشعوا مثل هذا التعبير الغريب عن متفاهمهم.

مثلا قوله تعالى : (و لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ((262)) (جا ((غل اليد الى العنق و بسطها كل البسط))، كناية عن القبض و البسط الفاحش ، اي التقتيرو الاسراف في المعيشة و في الانفاق ، و هي كناية معروفة عند العرب و مانوسة الاستعمال لديهم فلو اريدالترجمة بنفس التعبير من لغة اخرى كان ذلك غريبا عليهم حيث لم يالفوه ، فربما استبشعوه و انكروا مثل هذاالتعبير غير المفهم ، لانهم يتصورون من مثل هذا التعبير: النهي عن ان يربط انسان يديه الى عنقه برباط من سلاسل و اغلال ، او يحاول بسط يديه يمينا و شمالا بسطا مبالغا فيه و لا شك ان مثل هذا الانسان انما يحاول عبثا و يعمل سفها، لانه يبالغ في اجهاد نفسه و اتعابها من غير غرض معقول ، الامر الذي لا ينبغي التعرض له في مثل كتاب اللّه العزيز الحميد.

الثاني : ان يحاول افراغ المعنى في قالب آخر، من غير تقيد بنظم الاصل و اسلوبه البياني ، و انما الملحوظ هوايفا تمام المعنى و كماله ، بحيث يؤدي افادة مقصود المتكلم بغير لغته ، بشرط ان لا يزيد في البسط بما يخرجه عن اطار الترجمة ، الى التفسير المحض.

نعم ان هكذا ((ترجمة معنوية)) قد تفوت بمزايا الكلام الاصل اللفظية ، و هذا لا يضر مادام سلامة المعنى محفوظة و هذا النمط من الترجمة هو النمط الاوفى و المنهج الصحيح الذي اعتمده ارباب الفن لا يتقيدون بنظم الاصل ، فيقدمون و يؤخرون ، و ينظمون الترجمة حسب اساليب اللغة المترجم اليها، كما لا يزيدون بكثير على مثال الالفاظ و التعابير التي جات في الاصل فان حصلت زيادة مطردة فهو من الشرح و التفسير، و ليس من الترجمة المصطلحة في شي.

ذكر الشيخ محمد بها الدين العاملي (١٠٣١) ـ نقلا عن الصفوي ـ : ان للترجمة طريقين ، احدهما :طريق يوحنا بن بطريق و ابن الناعمة الحمصي ، و هو: ان يعمد الى كل لفظة من الفاظ الاصل لياتي بلفظة اخرى ترادفها في الدلالة فيثبتها، و ينتقل الى اخرى و هكذا، حتى ياتي على جملة ما يريد ترجمتها، و هي طريقة رديئة لوجهين:

الاول : انه قد لا توجد في اللغة المترجم اليها لفظة تقابل الاصل تماما، و من ثم فتقضي الحاجة الى استيرادنفس الكلمة الاجنبية و استعمالها في الترجمة بلا امكان تبديل ، و من ثم كثرت اللغات الدخيلة اليونانية في مصطلحات العلوم المترجمة الى العربية.

الاخر: ان خواص التركيب و النسب الكلامية في الاسناد الخبري و سائر الانشاات و المجاز و الاستعارة وما شابه ، تختلف اساليبها في سائر اللغات ، و ليست تتحد في التعبير و الايفا، فالترجمة تحت اللفظية قد توجب خللا في الافادة باصل المراد.

اما الطريق الثاني ـ و هو طريق حنين بن اسحاق و الجوهري ـ فهو: ان ياتي بتمام الجملة و

يـتـحـصل معناها في ذهنه ، ثم يعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها في افادة المعنى المراد و ايفائه ، سوا اساوت الالفاظ ام خالفتها و هذا الطريق اجود، و لهذا لم يحتج كتب حنين بن اسحاق الى تـهـذيـب الا فـي العلوم الرياضية ، لانه لم يكن قيما بها، بخلاف كتب الطب و المنطق و الطبيعي و الالهي ، فان الذي عربه منها لم يحتج الى الاصلاح((263)) .
الثالث : ان يبسط في الترجمة و يشرح مقصود الكلام شرحا وافيا، فهذا من التفسير بلغة اخرى ، و ليست ترجمة محضة حسب المصطلح.
و قد تلخص البحث في انحا الترجمة الى ثلاثة اساليب:
1ـ الترجمة الحرفية ، او الترجمة اللفظية ، او تحت اللفظية ، و هي طريقة مرفوضة وغير موفقة الى حد بعيد.
2ـ الـتـرجـمة المعنوية ، او الترجمة التفسيرية غير المبسطة ، و يطلق عليها: الترجمة المطلقة)المسترسلة) غيرالمتقيدة بنظم الاصل ، و هي طريقة معقولة.
3ـ الترجمة التفسيرية المبسطة ، و هي الى الشرح و التفسير اقرب منه الى الترجمة.
و لـنـنظر الان في مسالة ترجمة القرآن الكريم بالذات ، من نواحيها المختلفة ، و على كلا اسلوبي الترجمة : الحرفية و المعنوية ، فنقول:

نواحي القرآن الثلاث

للقرآن الكريم نواح ثلاث تجمعن فيه ، و بذلك اصبح القرآن كتابا سماويا ذا قدسية فائقة ، و ممتازا على سائرالكتب النازلة من السما:
اولا: كلام الهي ذو قدسية ملكوتية ، يتعبد بقراته و يتبرك بتلاوته.
ثانيا: هدى للناس ، يهدي الى الحق و الى صراط مستقيم.
ثالثا: معجزة خالدة ، دليلا على صدق الدعوة عبر العصور.
تلك نواح ثلاث خطيرة تجمعن في هذا الكتاب ، رهن نظمه الخاص في لفظه و معناه ، و اسلوبه الفذ في الفصاحة و البيان ، و محتواه الرفيع في نظمه و تشريعاته.
و بعد، فهل بامكان الترجمة ـ من اية لغة كانت ـ الوفا بتلكم النواحي ام ببعضها على الاقل ، ام تذهب بهن جمع ادراج الرياح ؟ اما الـتـرجـمـة الحرفية فانها تفتقد دلائل الاعجاز اولا، و لا سيما البيانى منها القائم على اعلى درجـات الـبـلاغـة ،كـمـا تـعوزها تلك القدسية المعهودة بشان القرآن ، فلا تجري عليها الاحكام الـشـرعـيـة المترتبة على هذا العنوان الخاص (القرآن الكريم)، و اخيرا فانها تخون في التادية احيانا، ان لم يكن في الاغلب.
لكن الترجمة المعنوية ـ الحرة غير المتقيدة بنظم الاصل ـ فانها تواكب اختها غالبا في افتقاد دلائل الاعـجـاز، وكذا في الذهاب بقدسية القرآن الخاصة بهذا العنوان ، نعم سوى الايفا بالمعنى ان قامت على شروطها اللازمة ، واليك التفصيل:

الترجمة الحرفية للقرآن .

الترجمة الحرفية ان كانت بالمثل تماما، فمعناها: افراغ المعنى في قالب لفظي يشاكل قالبه الاول في جميع خصوصياته و مميزاته الكلامية تماما، سوى كونه من لغة اخرى ، الامر الذي لا يمكن الاتيان بـه بشان القرآن بتاتا، لان الاتيان بما يماثل القرآن نظما و اسلوبا، هو الامرالذي تحدى به القرآن الكريم كافة الناس لو ياتوا بمثله ، و قد دلت التجربة على استحالته.
و ان كانت بغير المثل ، بان يقوم المترجم بانشا كلام يشاكل نظم القرآن حسب المستطاع ، فهذا امر ممكن في نفسه ، الا انه حينئذ يفتقد الكثير من المميزات اللفظية و المعنوية التي كان القرآن مشتملا عليها، و كانت من دلائل الاعجاز لا محالة.
كـمـا انـه اذا غير الكلام الى غير لفظه و بسوى نظمه و لا سيما بغير لغته ، فهذا لا يعد من كلام الـمـتـكـلـم الاول ،لان من مقومات كلام كل متكلم هو البقا على نفس الكلمات و التعابير و النظم و الاسـلـوب الـذي جـا في كلامه ، فان غير في احد المذكورات ، فانه يصبح اجنبيا عنه و لا يعد من كلامه البتة ، الامر الذي لا يحتاج الى مزيد بيان.
و عـلـيـه فـلو كان كلام خاص ، يحمل قدسية خاصة ، و له احكام خاصة به ، و باعتبار انتسابه الى مـتـكـلـم خاص ،فان هذه الميزة سوف تذهب بادنى تغيير شكلي في كلامه فكيف اذا كان

تغييرا في الكلمات و الالفاظ من غيراللغة ، و مغيرا للنظم و الاسلوب ايضا و لو يسيرا، الامر الذي يتحقق في الترجمة الحرفية لا محالة.
من اجل ذلك نرى الفقها((264)) ـ و لا سيما فقها الامامية ـ متفقين على عدم اجزا القراة بغير العربية في الصلاة ، حتى على العاجز عن النطق بالعربية ، و انما يعوض بايات اخرى ، او دعا و تهليل و تسبيح ان امكن اماالفارسية او غيرها فلا تجوز اطلاقا، اللهم الا بعنوان الذكر المطلق ، اذا جوزناه بغير العربية ، و فيه اشكال ايضا.
قال المحقق الهمداني : يعتبر في كون المقرؤ قرآنا حقيقة ، كونه بعينه هي المهية المنزلة من اللّه تعالى على النبي (ص) مادة و صورة ، و قد انزله اللّه بلسان عربى ، فالاخلال بصورته التي هي عبارة عن الهيئات المعتبرة في العربية بحسب وضع الواضع كالاخلال بمادته ، مانع عن صدق كونه هي تلك الماهية((265)) .
و قال : و لا يجزئ المصلي عن الفاتحة ترجمتها، و لو بالعربية فضلا عن الفارسية ، اختيارا بلا شبهة ، فان ترجمتهاليست عين فاتحة الكتاب المامور بقراتها، كي تكون مجزئة((266)) .
قال ـ بشان العاجز عن العربية ـ : الاقوى عدم الاعتبار بالترجمة ـ في حالة العجز عن الفاتحة و بدلها (من قرآن غيرها او تحميد و تسبيح) ـ من حيث هي اصلا، ضرورة عدم كونها قرآنا و لا ميسوره ، بعد وضوح ان لالفاظ القرآن دخلا في قوام قرآنيتها نعم بنا على الاجتزابمطلق الذكر لدى العجز عن قراة شي من القرآن مطلقا، او لدى العجز عن التسبيح و التحميد و التهليل ايضا،اتجه الاجتزا بترجمة الفاتحة و نظائرها، لا من حيث كونها ترجمة للقرآن ، بل من حيث كونها من مصاديق الذكر، و اما ترجمة الايات التي هي من قبيل القصص فلا يجتزئ بها اصلا، بل لا يجوز التلفظ بها لكونها من الكلام المبطل((267)) .
و هذا اجماع من الامامية : ان ترجمة القرآن ليست بقرآن و في ذلك احاديث متظافرة عن النبى و الائمة الصادقين (ع:(
قال رسول اللّه (ص): ((تعلموا القرآن بعربيته.((
و عن الامام الصادق (ع) :((تعلموا العربية ، فانها كلام اللّه الذي كلم به خلقه و نطق به للماضين. ((268)) ((
و لا يزال الفقها يفتون بالمسائل التالية:
1ـ من لا يعرف قراة الحمد، يجب عليه التعلم.
2ـ و من تعذر عليه تعلمها استبدل من قراتها ما تيسر من سائر آيات القرآن.
3ـ و من لم يتيسر له ذلك ايضا يعوض عنه بما يعرفه من اذكار و ادعية على قدر سورة الفاتحة((269)) , بشرطادائها بالعربية.
4ـ و اذا كانت الترجمة لا تصدق عليها عنوان الذكر او الدعا، فغير جائزة البتة.
5ـ و اذا كانت من قبيل الدعا و الذكر فتجوز في الدرجة الثالثة ، بنا على جوازالدعا بغير العربية في الصلاة ، و هو محل خلاف بين الفقها.
و الخلاصة : ان فقها الامامية متفقون على عدم اجرا احكام القرآن ـ بصورة عامة ـ على ترجمته , باية لغة كانت و يوافقهم على هذا الراي اصحاب سائر المذاهب من عدا ابي حنيفة و اصحابه ، فقد اجازوا في الصلاة قراة ترجمة الفاتحة بالفارسية استنادا الى ما روي : ان الفرس كتبوا الى سلمان الفارسي (رض) ان يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقراون ذلك في صلاتهم ، حتى لانت السنتهم للعربية.
اما ابوحنيفة فقد اجاز ذلك مطلقا، و اما صاحباه (ابو يوسف و محمد) فقد اجازا لمن لا يحسن العربية((270)) وكان الحبيب العجمي ـ صاحب الحسن البصري ـ يقرا القرآن في الصلاة بالفارسية ، لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية((271)) .
و قد افتى بالجواز ـ عند العجز ـ الشيخ محمد بخيت ، مفتي الديار المصرية ـ سابقا ـ فتوى لاهل الترانسفال ،استنادا الى فعلة الحبيب العجمي((272)) , و سياتي تفصيل ذلك مشروحا.
هذا و من ناحية اخرى فان الترجمة الحرفية (تحت اللفظية) تخون في التادية و لا تفي بافادة المعنى المراد في كثير من الاحيان ، ان لم تشوه المعنى و تشوشه على اذهان القرا و

المستمعين , على ما سبق بعض الامثلة على ذلك ، و سياتي مزيد بيان.
و عـلـيـه فقد صح القول : بان الترجمة الحرفية تذهب بروا الكلام ، فضلا عن بلاغته الاولى التي كـانت من اهل دلائل الاعجاز في القرآن ، كما لم يصح اسناد الترجمة الى صاحب الكلام الاول ، بعد تـبـديـله الى غيره لفظا واسلوبا و اخيرا فانها تخون في تادية المراد في كثير من الاحيان ، الامر الذي يحتم ضرورة اجتنابها، و لا سيمافي مثل القرآن العظيم.

الترجمة المعنوية (التفسيرية(

اما الترجمة المعنوية ـ الترجمة الحرة غير المتقيدة بنظام الاصل ، ان دعت ضرورة الايفا بالمعنى الى مخالفة النظم ـ فهو امر معقول ، و تختلف عن الترجمة الحرفية بوفائها بتمام المراد، و ان كانت توافقها في الامرين الاولين (انتقاد دلائل الاعجاز و المميزات اللفظية التي كانت في الاصل ، و عدم اجـرا احكام القرآن عليه) امالوفا بالمعنى تماما فهو الامر الذي يختص به هذا النوع من الترجمة الحرة ، على شريطة الدقة و الاحاطة ، بتمام جهات المعنى المقصودة من الكلام.
و صـاحـب هذا النوع من الترجمة انما يقوم بعملية ايفا المعنى و بيان مقصود الكلام ، و هو نوع من الـشـرح والتفسير، و لكن في قالب لفظي متناسب مع الاصل مهما امكن ، فهو في الغالب (بل الاكثرية الساحقة) متوافق مع الاصل في النظم و الترتيب و حتى في الاسلوب البياني ، ان امكن ذلك ، و كانت اللغة المترجمة اليها متقاربة مع اللغة المترجم عنها في تلكم المصطلحات و فنون المحاورة غالبا و المعهود ان لغات الامم المتجاورة ، قريبات بعضهن مع البعض في آفاق التعبير و البيان.
و الترجمة المعنوية ، هي الراجحة و المتداولة في الاوساط العلمية و الادبية ، منذعهد سحيق ، و هـي الـوسيلة الناجحة لبث الدعوة بين الملا على مختلف لغاتهم و السنتهم ، و قد جرت عليهاسيرة الـمـسـلمين و لا تزال قائمة على ساق و لا شك ان عرض مفاهيم القرآن و حقائقه الناصعة ، على ذوي الاحلام الراجحة من سائر الامم ، من انجح الوسائل في ادا رسالة اللّه الى الخلق ، التي تحملتها عـواتق هذه الامة((273)) , الامر الذي لا يمكن الا بتبيين و ترجمة النصوص الاسلامية ـ كتابا و سـنة ـ و عرضها بالسن الامم ولغاتهم المالوفة((274)) و من ثم كانت ترجمة القرآن ترجمة صحيحة ، ضرورة دعائية يستدعيها صميم الاسلام وواقع القرآن ، حسبما ياتي.

المنع من الترجمة و اخطارها

لـم تـسبق من علما الاسلام نظرة منع من ترجمة القرآن ، بعد ان كانت ضرورة دعائية ,لمسها دعاة الاسـلام مـن اول يـومـه و انما حدث القول بعدم الجواز في عصر متاخر (في القرن الماضي ، في تـركـياالعثمانية ، و في مقاطعاتها العربية , مثل سوريا و مصر) و لعلها فكرة استعمارية تبشيرية ، محاولة لشد حصار قلعة الاسلام ، دون نشره و بث تعاليم الاسلام ، في المناطق غير العربية.
قال الدكتور علي شواخ : فلو تدبرنا و تعمقنا لوجدنا ان القول بالمنع عاصر فتوى النصارى الغربيين واسـتـعـمـارهـم لـبـلاد الاسلام ، فقد حاولوا تنصير المسلمين بكل وسيلة ، و لم يكتفوا بارسال المبشرين في شتى الملابس , بل منعوا ايضا تدريس اللغة العربية حتى في المستعمرات العربية مثل شـمـال افريقية و الظاهر انهم ارادوا اتمام حصار قلعة الاسلام بمنع تراجم القرآن بلغات اجنبية ، فـالـمـسـلمون غير العرب لا يعرفون العربية ، ولن يجدوا تراجم القرآن بلغات يعرفونها، فتبقى الـسـاحة فارغة للديانات الاخرى قال احد المبشرين (و بتعبيراصح : احد المنصرين) لبعض علما الاسـلام الساذجين)) :القرآن معجزة حقا، لا تتحمل بلاغته الترجمة لـشـدة الـسـرور ـ و قـال)) :الـفضل ما شـهدت به الاعدا اوتستحيل ترجمته))، و تبعه آخرون ، و في الخطوة الثانية قالوا: ((القرآن لا تجوز ترجمته. ((
و لـكـن الانـسـان يـدبـر، و اللّه يـقدر فالنصارى الذين دسوا هذه الفكرة ، ظنوا ان العرب سوف لايـقـومون بترجمة القرآن ، و لقد صدق ظنهم بشان العرب اما سائر المسلمين من غير العرب ، فان الـتـاريـخ يـشـهـد بانهم اهتموا بهذاالامر، فقاموا بالترجمة الى لغاتهم على يد علما كانوا

عارفين بالعربية ، فترجموه الى لغاتهم لتدريس ابنائهم وعامة اهل بلادهم الذين لم يدرسوا العربية((275)) .
قال الدكتور شواخ : و هكذا يتضح لنا، ان الحركة ضد ترجمة القرآن الى سائر اللغات ، انحصرت في بلاد العرب ،و بالدولة العثمانية خاصة ((276)).
و على هذا الغرار ساق الاستاذ الشاطر ـ راس المعارضين ـ ادلة في المنع عن الترجمة ، و ذكر اخطارا سوف تتجه نحو حامية الاسلام الحصينة (القرآن الكريم) ان اصبح عرضة للترجمة الى لغات اجنبية ، نذكر اهمها:
1ـ يقول : ان الترجمة تضيع بالقرآن ، كما ضاعت التوراة و الانجيل من جرا ترجمتهما الى غير لغتهما الاصل ،فقد ضاع الاصل بضياع لغته و ضياع الناطقين بها فيخشى ان يحل بالقرآن ـ لا سمح اللّه ـ لو ترجم الى غيرلغته ، ما حل باخويه من ذي قبل ((277)).
قلت : هذا قياس مع الفارق ، اذ السبب في ضياع التوراة و كذا الانجيل ، انما يعود الى اخفا الاصل عن العامة وابدا تراجمهما المحرفة للناس ، لغرض التمويه عليهم كان الاحبار و القساوسة يدابون في تحريف تعاليم العهدين تحريفا في معاني الكلم دون نص اللفظ، اذ لم يكن ذلك بمقدورهم ، فعمدوا الى تفسيرهما على غيروجهه ، و ابدا ذلك الى الملا باسم التعاليم الالهية الاصيلة.
قال تعالى ـ بشان التوراة ـ : (الكتاب الذي جا به موسى نورا و هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها و تخفون كثيرا , ((278)) (اي تبدون منه مواضع و تخفون اكثره.
و قد اسبقنا ـ في مسالة تحريف الكتاب ـ ان التحريف في العهدين انما يعني التحريف في معناهما، اي التفسيرعلى غير وجهه ، الامر الذي حصل في تراجم العهدين دون نصهما.
قال تعالى : (قل يا اهل الكتاب لستم على شي حتى تقيموا التوراة و الانجيل و ماانزل اليكم من ربكم ((279)) (و قال : (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين. ((280)) (فالكارثة كل الكارثة انما هي في اخفا نص العهدين الاصليين عن اعين الناس ، و هذا هو السبب الوحيدلضياعهما، دون مجرد ترجمتهما.
اما القرآن فهو الكتاب الذي يتعاهده المسلمون جيلا بعد جيل ، بل العالم كله من مسلم معتقد و آخر محقق مضطلع ، يحرسون على نص القرآن العزيز، و قد قال تعالى : (انا نحن نزلناالذكر و انا له لحافظون , ((281)) (اي في صدور الرجال و على ايدي الناس ، الاوليا و الاعدا جميعا،معجزة قرآنية خالدة.
2ـ يقع ـ بطبيعة الحال ـ اختلاف بين التراجم ، لاختلاف السلائق بل العقائد التي يذهب اليها كل مذهب من المذاهب ، و كذا اختلاف المواهب و الاستعدادات في فهم معاني القرآن و ترجمتها وفق الافهام و الاراالمتضاربة ، و لهذا الاختلاف في تراجم القرآن آثار سيئة ، اذ يستتبعها اختلاف الاستفادة و استنباط الاحكام و الاداب الشرعية ، و كل قوم من الاقوام انما يرتاي حسب ما فهم من الترجمة التي اتيحت له ، و ربما لا يدري مدى اختلافها مع سائر التراجم((282)) .
لكن هذا خروج عن مفروض الكلام ، فان للترجمة ضوابط يجب مراعاتها، و لا سيماترجمة القرآن الكريم ، يجب ان تكون تحت اشراف لجنة رسمية ، و من هياة علما و ادبا اختصاصيين برعاية حكومة اسلامية قاهرة ، لا تدع مجالا لتناوش ايدي الاجانب فيجعلوا القرآن عضين ، كما هو الشان في رسم خط المصحف الشريف ، و طباعته على اصول مقررة ، تحفظه عن الاختلاف و الاضطراب.
نعم يجب ان يعلم كل الامم الاسلامية ، ان الترجمة لا تضمن واقع القرآن ، و ان المصدر للاستنباط و استخراج الاحكام و السنن للمجتهدين هو نص القرآن الاصل ، ليس ما سواه هذا امر يجب الاعلان به ، فلا يذهب وهم الواهمين الى حيث لا ينبغي.
نعم ، على كل محقق اسلامي ان يتعلم القرآن بلغته العربية الفصحى ، و ليست الترجمة بذاتها لتفي بمقصوده اوتشبع نهمه.
3ـ ان للقرآن في كثير من آياته حقائق غامضة ، قد تخفى على كثير من العلما، و قد يعلمها غيرهم ممن جابعدهم ، و لذلك امثلة كثيرة فلو ترجمنا القرآن وفق معلومنا اليوم ، ثم جا الغد

ليرتفع مستوى العلوم و ينكشف من حقائق القرآن ما كان خافيا علينا، فهل نخطئ انفسنا بالعلانية و نغير الترجمة و نعلن للملا، ان الذي ترجمناه امس اصبح خطا، و ان الصحيح غيره. فماذا يقول لنا الناس ؟ و ما الذي يضمن بقا ثقتهم اليوم كثقتهم بالامس ؟ ثم ضرب لذلك امثلة :

1ـ منها: قوله تعالى : (و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ((283)) (فسر القدامى))الزوجين))بالصنفين ثم جا العلم الحديث ليكشف النقاب عن المعنى الصحيح ، و هو ان كل ثمرة فيها ذكر وانثى((284)) .

قال : فلو حصلت الترجمة وفق التفسير الاول لاضاعت على قارئيها تلك الحقيقة التي اظهرها العلم الحديث 2ـ و منها: قوله تعالى : (و اللّه الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت ((285)) (فقدفسر ((تثير)) بمعنى ((تسوق))، و بذلك قد ضاع المعنى البديع الذي اصبح معجزة للقرآن و هو ان لفظ ((تثير)) من الاثارة و هو التهييج ، نظير تهييج الغبار و الدخان ، و هذا مبدا ((عملية التبخير)) و تكوين الامطار فان التبخيريحصل من الحرارة المركزية و الحرارة الجوية و الريح ، اي لا بد من هذه العوامل الثلاثة لتكوين ((عملية التبخير))، ثم بعد ذلك تحمل الرياح هذا البخار الى حيث شا اللّه ، و هذا المعنى لم يظهر الا حديثا.

3ـ و منها: قوله تعالى : (و فرعون ذي الا وتاد ((286)) (فسروا ((الاوتاد)) بكثرة الجنود ,او انها كانت مساميراربعة كان يعذب الناس بها و قد تبين الان ان المراد هي هذه الاهرام و هي تشبه الجبال ، و قد عبر القرآن عن الجبال بالاوتاد في قوله تعالى : (الم نجعل الا رض مهادا و الجبال اوتادا. ((287)) (

4ـ و منها: قوله تعالى : (و الا رض بعد ذلك دحاها ((288)) (فسر ((الدحو)) بعض المفسرين بالبسط فلوترجم الى هذا المعنى ضاع المعنى الذي يؤخذ من ((الدحو))، و هو التكوير غير التام , كتكوير البيضة مع الدوران و لا يزال اهل الصعيد ـ و اصل اكثرهم عرب ـ يعبرون عن))البيض)) بالدحو او الدحى او الدح .

((289))5 ـ و كذلك اذا ترجم قوله تعالى : (يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل) بمايقوله بعض المفسرين((290)) , ذهب المعنى المستفاد من الاية ، و هو كروية الارض ، لان تكوير الضؤ او تقوسه يستلزم تكوير المضا و تقوسه ، لان النور و الظلمة انما يتشكلان باشكال الجسم الواقعين عليه فلو ترجمت الاية بذلك المعنى (التغشية) ثم دلتنا الادلة على صحة المعنى الثاني ، لكنا قد خسرنا معجزة من معجزات القرآن.

قال الاستاذ الشاطر: اني لاخشى ان ينطبق علينا الحديث الشريف : ((لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر و ذراعابذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لاتبعتموهم.

قيل : يا رسول اللّه (ص) اليهود و النصارى ؟ قال : فمن ؟((291)) .

دفاع حاسم

و لقد احسن الاستاذ محمد فريد وجدي الدفاع عن ((مشروع ترجمة القرآن الى اللغات الاجنبية)) و اجاب عن اعتراض الاستاذ (الشاطر) قائلا: نحن نعتقد ان القرآن كتاب لا تنقضي عجائبه ولا يدرك غوره ، كما يعتقد الاستاذ)الشاطر) و لكنا لا نذهب بالغلو في هذا المعنى الى درجة التعطيل ، و اعتباره طلسما تضل العقول في فهمه ، و لا تصل منه الى حقيقة ثابتة فان هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه ، فقد وصفه في غير آية بانه آيات بينات ، و بانه منزل ليتدبر الناس هذه الايات ، حتى قال : (و لقد يسرنا القرآن للذكرفهل من مدكر , ((292)) (اي سهلناه للاتعاظ و كررت هذه الاية اربع مرات في سورة واحدة الاتعاظ، معمى لا يمكن فكه ، و طلسم لا يستطاع حله.

نعم ان المفسرين بعد القرنين الاولين تذرعوا بالفنون الالية التي وضعوها لضبط قواعد اللغة ،

من : نحو و بيان وبديع و معاني ، الى زيادة التعمق في تمحيص الايات لهذا السبب ـ و اكثر هذا التعدد آلي محض ـ و لكن المعاني لم تخرج قط عن دائرة الفهم ، فلم يدع احد ان القرآن لم يفهم في عصر من العصور، و لا سيما الايات المحكمات و كيف يمكن ان يقال : ان محكمات القرآن لم تفهم على حقيقتها، و قد انبنى عليها الدين كله عقائده و عباداته و معاملاته ؟ فاللجنة التي ستدعي لترجمة القرآن ستنظر في المعاني التي قررها ائمة التفسير، فان آنسوا في بعضها ـ خلافابينهم ـ عمدوا الى اختيار ما رضيه جمهورهم ، مشيرين في الهامش الى بقية الاحتمالات ، فتكون الترجمة قداستوعبت جميع الارا.

هذا في آيات العقائد و العبادات و المعاملات و اما الايات الكونية و التاريخية و المتشابهات ، فان اللجنة ستترجم معانيها على ما يحتمله اللفظ العربى ، و لا تتعرض لشرحها، فمثل قوله تعالى : (و اللّه الذي ارسل الرياح فتثير سحابا) مثل هذه الاية تتولاها لجنة التفسير فتعطي معناها الصحيح للجنة الترجمة لتترجمه ،دون ان تتعرض ـ هذه الاخيرة ـ لما تشير اليه الالفاظ من الدلالات العلمية و لكنها تجتهد في ترجمة كلمة ((تثير)) مثلا لتكون واجدة لجميع خصائصها اللغوية((293)) , تاركة دلالاتها العلمية الى عقول القارئين ، تفاديا من الوقوع في مثل هذا الخطا الكبير الذي وقع فيه الاستاذ (الشاطر) في هذا الموطن نفسه((294)) , و حفظا للقرآن الكريم مما عسى ان يرجع عنه العلم من مقرراته الحالية ، و هو دائم التغير بطبيعته.

قال : و هنا يسوغ لنا ان نقول : اذا جرينا على مذهب الاستاذ الشاطر في تفسير الايات و ترجمتها، ثم رجع العلم عن رايه الاول ، انعيد اذ ذاك ترجمة القرآن ، ام نترك الترجمة على خطائها و لكن الترجمة على الاسلوب الذي ذكرناه فلا تجعل محلا لمثل هذا الندم ، لان الكلمة قد تبدلت الى ما يرادفها في الافادة ، من دون التعرض للشرح و البيان ، تاركين ذلك الى فهم القرآ، كما هو الحال بالنسبة الى الكلمة في موضعها من القرآن((295)) .

و اما الايات التي استشهد بها، فاظنه مشتبها فيها، فضلا عن ان الاختلاف في الترجمة لا يزيد خطرا عن الاختلاف في التفسير الذي لا محيص عنه البتة.

و قد تعرض الاستاذ وجدي لبيان الايات على وجه يخالف راي الاستاذ الشاطر، نذكرها على الترتيب:

اما الاية الاولى التي قال فيها: لكن العلم الحديث كشف لنا ان كل ثمرة فيها ذكر و انثى.

فقال الاستاذ وجدي : هذا خطا، اذ الثمار ليس فيها ذكر و لا انثى على الاطلاق ، نعم ان الذكورة و الانوثة من اعضا الازهار لا الاثمار فقد يكون هناك عضوان ذكر و انثى في زهرة واحدة ، و قديكونان في زهرتين من نفس الشجرة ، او في زهور شجرتين مستقلتين و هذا اللقاح النباتي كان معروفا منذاقدم العصور، حتى ان عرب الجاهلية كانوا يعرفونه ، فكانوا يلقحون اناث النخيل بالطلع المستخرج من ذكورها.

اذن فلم يكن هذا المعنى خافيا على المفسرين القدامى ، و من ثم اخذوا الاية حسب مفهومها الظاهر اللغوي ، وهو الصحيح ، بعد ملاحظة آية اخرى جا فيها وصف الجنتين اللتين وعد اللّه بهما المتقين , قال تعالى : (فيهمامن كل فاكهة زوجان ((296)) (و لا يمكن صرف هذه الاية بحال من الاحوال الى المعنى الذي اراده الاستاذ(الشاطر.(

و الاية الثانية ، التي جعل لفظة ((تثير)) فيها اشارة الى ((عملية التبخير)) بفعل الحرارة والرياح ، فالمعروف في علم الطبيعة ان عملية التبخير ـ في المياه و الرطوبات ـ انما تقوم على فعل الحرارة المركزية للارض ، و الحرارة الجوية للشمس ، اما الرياح فلا دور لها في ذلك ، و لم يقل به احد من العلما.

و قد كان العلما منذ خمسمائة عام قبل ميلاد المسيح (ع) يعرفون تكون الابخرة الارضية ، التي هي المؤلفة للسحب و هذه كتب الطبيعيات القديمة شاهدة بذلك ، و ليس امرا اكتشفه العلم حديثا.

و الاية الثالثة ـ التي زعم ((الاوتاد)) فيها هي الاهرام ـ فلا يمكن المصادقة عليه ، بعد ان كان السبب فى اطلاق ((الوتد)) على الجبل باعتبار تاثيره في ضبط الارض عن الميدان و عن التفتت و الاندثار، الامر الذي يرجع الى ضخامته و صلابته ، مما لا تناسب بينه وبين اكبر هرم

من اهرام مصر، الذي يبلغ ارتفاعه مائة و خمسين مترا، و طول قاعدته عن ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثين مترا فاين ذلك من جبل ((همالیا)) الذي يزيد ارتفاعه عن ثمانية آلاف متر وثمانمائة متر، و يشغل شمالي الهند كله او جبال انده في امريكا الجنوبية التي يبلغ طول قاعتها نحو سبعة آلاف كيلومترا ,و ارتفاعها بضعة آلاف متر لا جرم كان اطول الاهرام لا يساوي اصغر تلال الارض ، فلا يتناسب والاطلاق وتد الارض عليه ، اذ لا مناسبة حينذاك على ان ((الاهرام)) هي قبور فراعنة مصر ممن سبقوا فرعون موسى نحو ثلاثة آلاف عام ، و لم يكن هذا الاخير ممن شيدها، فكيف يصح نسبتها اليه ؟ و الاية الرابعة ، و كذا الخامسة ، فان الذي ذكره احتمال ، لا نستبعد امكان الدلالة عليه اجمالا، لكن ليس من الحتم ، فهو احتمال كسائر الاحتمالات التي تحتملها جل آيات الذكر الحكيم ، كما قال علي (ع): ((القرآن حمال ذو وجوه))، لكن لا يرتبط الامر و قضية امكان الترجمة بشكل يبقى احتمالات اللفظ على حالها في الترجمة ،كما هي في الاصل.
و على اية حال فليست الترجمة بذاتها مما يتنافى و احتمالات لفظ القرآن ، ان كانت الترجمة ـ كما ذكره الاستاذ وجدي((297)) ـ قائمة على اصولها حسبما عرفت.

الترجمة من الوجهة الشرعية

سبق ان الغاية من الترجمة هي الايفا بمفاهيم القرآن و ايضاح ما يحويه هذا الكتاب السماوى الخالد ,ايضاحابسائر اللغات لسائر الامم ، تقريبا لهم الى تعاليم القرآن و آداب الاسلام و احكامه و سننه ، الامر الذي لا باس به ـ فضلا عن كونه من ضرورة الدعا الى الاسلام ـ مادام لا تعتبر الترجمة قرآنا ,بل ترجمة له محضا فلا تشملهااحكام القرآن الخاصة به ، و انما شانها شان التفسير الذي وضع على اساس الايجاز و الايفا حسب المستطاع.
و اما الحديث الماثور عن رسول اللّه (ص): ((تعلموا القرآن بعربيته))، فانما هو حث على تعلم العربية ، حيث عبادات الاسلام عربية ، و على كل مسلم ان يتقنها مهما امكن قال الامام الصادق (ع)) :(تعلموا العربية فانها كلام اللّه الذي كلم به خلقه و نطق به للماضين)) و روى ابن فهد الحلي في))اعي ص ١٨((عن الامام الجواد(ع)، قال : ما استوى رجلان في حسب و دين قط الا كان افضلهما عند اللّه ـ عز و جل ـ ادبهما قال الراوي : قلت : قد علمت فضله عند الناس في النادي و المجلس ، فما فضله عند اللّه ؟ قال (ع): بقراة القرآن كماانزل ، و دعائه من حيث لا يلحن ، و ذلك ان الدعا الملحون لا يصعد الى اللّه.
هذا ان اريد قراة القرآن ذاته ، و ليس نهيا عن تفسيره او ترجمته بغير لغة العرب اذادعت الضرورة الى ذلك ، كما نبهنا و مع ذلك فقد اجيز القراة بلحن غير عربي لمن يتعذر عليه التلهج بلهجة العرب قال النبي (ص): ((ان الرجل الاعجمي من امتي ليقرا القرآن بعجميته ، فترفعه الملائكة على عربيته. ((298)) ((

وثائق شرعية

لم يبحث علماؤنا السلف)ره) عن مسالة ((ترجمة القرآن الى سائر اللغات)) بحثا مستوفى يشمل جوانب المسالة و في تمام ابعادها بتفصيل ، و انما جا كلامهم عن الترجمة عرضا عند التكلم في شروط القراة في الصلاة و يبدو من كلماتهم هناك : ان الترجمة في حد ذاتها لا ضير فيها، و من ثم وقع البحث منهم في جوازقراتها في الصلاة بدلا عن الفاتحة بحثا ثانويا، مفروغا عن جواز اصل الترجمة ذاتها.
كما انه في طول حياة المسلمين ، قام رجال من اهل الفضيلة و الادب بترجمة القرآن ،تماما او بعض آيه و سوره ، عرضا على اناس كانوا لا يحسنون العربية((299)) , و كان ذلك بمراى و مسمع من فقها الاسلام من غير نكير منهم ، مما ينبؤك عن تسالمهم على الجواز، و لا سيما للهدف المذكور.
نعم صدرت ـ اخيرا ـ فتاوي بشان جواز الترجمة ، و كتب كثيرون حول المسالة ، نقضاو ابراما اما الفقها فقد توافقوا على الجواز، بشروط ذكروها، و قد نوهنا عن طرف منها و نورد هنا بعضا من تلك النظرات و الارا:

فتوى الحجة كاشف الغطا

جا فيما كتبه سماحة الحجة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطا ـ تغمده اللّه برحمته ـ جوابا على استفتاالاستاذ عبد الرحيم محمد علي ، بشان جواز ترجمة القرآن الى اللغات الاجنبية ـ ما نصه ـ:

))اذا امعنا النظر في هذه القضية نجد ان اعجاز القرآن الذي ادهش العلما، بل و ادهش العالم , يرجع الى امرين :فصاحة المباني الى فصاحة الالفاظ، و بلاغة الاساليب و التراكيب و الثاني قوة المعاني و ما في القرآن من التشريع البديع و الوضع الرفيع ، و الاحكام الجامعة في صلاح البشر عامة من العبادات و الاجتماعيات ، يعني من اول كتاب الطهارة الى الحدود و الديات ، بعد العقائد المبرهنة في التوحيد و النبوة و المعاد و بالجملة فقدتكفل القرآن بصلاح عامة البشر معاشهم و معادهم بما لم يات بمثله اى كتاب سماوى ، و اى شريعة من الشرائع السابقة و لا شك ان الترجمة مهما كانت من القوة و البلاغة في اللغة الاجنبية فانها لا تقدر على الاتيان بهابلسان آخر، مهما كان المترجم قويا ماهرا في كلتا اللغتين العربية و الاجنبية فاذا صحت الترجمة و لم يكن فيهااي تغيير و تحريف ، فهي جائزة ، بل نقلها واجب على المقتدر فردا كان او جماعة ، لان فيها ابلغ دعوة للاسلام ودعاية للدين ، و يشمله قوله تعالى : (و لتكن منكم امة يدعون الى الخير ((300)) (و اى خير اهم و اعظم من الدعوة الى الاسلام قديم ، و لم يذكر احد من علمائناالافاضل (ره) المنع عنها، و اذا جاز بالفارسية جاز بغيرها قطعا و بهذا البيان لا حاجة الى التمسك باصالة الاباحة و نحوها، فان الامر اوضح و اصح و اجلى من ان يحتاج الى دليل او اصل اصيل ، و حسبنا اللّه و نعم الوكيل. ((301)) ((

نظرة الامام الخوئي

لسيدنا الاستاذ الامام الخوئي ـ دام ظله ـ نظرة وافية بشان ترجمة القرآن الى سائر اللغات ، ذكرها في ملحق كتابه ((البيان)) مع اشارة اجمالية الى شروطها الاولية ، و اليك نصها:

))لقد بعث اللّه نبيه لهداية الناس فعززه بالقرآن ، و فيه كل ما يسعدهم و يرقى بهم الى مراتب الكمال و هذا لطف من اللّه لا يختص بقوم دون آخر، بل يعم البشر عامة و قد شات حكمته البالغة ان ينزل قرآنه العظيم على نبيه بلسان قومه ، مع ان تعاليمه عامة و هدايته شاملة ، و لذلك فمن الواجب ان يفهم القرآن كل احد ليهتدي به و لاشك ان ترجمته مما يعين على ذلك ، و لكنه لا بد ان تتوفر في الترجمة براعة و احاطة كاملة باللغة التي ينقل منها القرآن الى غيرها، لان الترجمة مهما كانت متقنة لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن ، بل و يجري ذلك في كل كلام ، اذ لا يؤمن ان تنتهي الترجمة الى عكس ما يريد الاصل و لا بد اذن في ترجمة القرآن من فهمه ، و ينحصر فهمه في امور ثلاثة : ١ـ الظهور اللفظي الذي تفهمه العرب الفصحى ، ٢ـ حكم العقل الفظري السليم ، ٣ـ ما جا من المعصوم في تفسيره و على هذا تتطلب احاطة المترجم بكل ذلك لينقل منها معنى القرآن الى لغة اخرى و اما الارا الشخصية التي يطلقها بعض المفسرين في تفاسيرهم ، و لم تكن على ضؤ تلك الموازين ، فهي من التفسير بالراي و ساقطة عن الاعتبار، و ليس للمترجم ان يتكل عليها في ترجمته و اذاروعي في الترجمة كل ذلك ، فمن الراجح ان تنقل حقائق القرآن و مفاهيمه الى كل قوم بلغتهم ، لانها نزلت للناس كافة و لا ينبغي ان تحجب ذلك عنهم لغة القرآن ، ما دامت تعاليمه و حقائقه لهم جميعا. ((302)) ((

كتاب شيخ الازهر

جا في كتاب رسمي قدمه شيخ الجامع الازهر الاسبق الشيخ محمد مصطفى المراغي الى رئيس مجلس الوزرا المصري عام (١٣٥٥ه ق) ما نصه:

))اشتغل الناس قديما و حديثا بترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغات المختلفة ، و تولى ترجمته افراد يجيدون لغاتهم و لكنهم لا يجيدون اللغة العربية ، و لا يفهمون الاصطلاحات الاسلامية ، الفهم الذي يمكنهم من ادامعاني القرآن على وجه صحيح ، لذلك حدث في التراجم اخطا كثيرة ، و انتشرت تلك التراجم و لم يجد الناس غيرها، فاعتمدوا عليها في فهم اغراض القرآن الكريم و فهم قواعد الشريعة الاسلامية ، فاصبح لزاما على امة اسلامية كالامة

المصرية التي لها المكان الرفيع في العالم الاسـلامي ان تبادر الى ازاحة هذه الاخطا، و الى اظهار معاني القرآن الكريم نقية في اللغات الحية لدى العالم.
و لهذا العمل اثر بعيد في نشر هداية الاسلام بين الامم التي لا تدين بالاسلام ، ذلك ان اساس الدعوة الـى الـديـن الاسـلامي انما هو الادلا بالحجة الناصعة و البرهان المستقيم و في القرآن من الحجج الباهرة و الادلة الدامغة ما يدعو الرجل المنصف الى التسليم بالدين و الاذعان له.
و فـائدة اخرى للامم الاسلامية التي لا تعرف العربية و تشرئب اعناقها الى اقتطاف ثمرات الدين مـن مـصدرهاالرفيع ، فلا تجد امامها الا تراجم قد ملئت بالاخطا فاذا ما قدمت لها ترجمة صحيحة تـصـدرهـا هـياة لها مكانتهاالدينية في العالم ، اطمانت اليها و ركنت الى انها تعبر عن الوحي الالهي تعبيرا دقيقا.
و نـرى ان عـهـد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الذي تمت فيه اعمال جليلة لخير الاسلام و المسلمين ، خليق بان يتم هذا المشروع الجليل ، اطال اللّه بقا جلالته نصيرا للعلم و الدين.
لـذلـك اقـترح : ان يقرر مجلس الوزرا ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة رسمية ، على ان تقوم بـذلـك مـشيخة الازهر بمساعدة وزارة المعارف ، و ان يقرر مجلس الوزرا الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل ، فارجوالنظر في هذا.((
و هـناك كتاب رسمي آخر من وزير المعارف المصرية الى رئيس مجلس الوزرا، بشان تاييد كتاب شيخ الازهر و التاكيد من انجاز الطلب ((303)).

فتوى علما الازهر

قـدم الـى هياة علما الازهر اسـتفتا بشان ترجمة القرآن الى سائر اللغات ,ضمنه الشروط المقررة لهذاالمشروع فكان الجواب هي الموافقة الصريحة.
و اليك نص الاسـتفتا مشـفوعا بجوابه:
))ما قول السادة اصحاب الفضيلة العلما في السؤال الاتي بعد ملاحظة المقدمات الاتية ؟.
1ـ لا شـبـهة في ان القرآن الكريم اسم للنظم العربي الذي نزل على سيدنا محمد بن عبد اللّه (ص (و لا شـبـهـة ايضافي انه اذا عبر عن معاني القرآن الكريم بعد فهمها من النص العربى باية لغة من اللغات ، لا تسمى هذه المعاني ولا العبارات التي تؤدى هذه المعاني قرآنا.
2ـ و مـمـا لا خـلاف فيه ايضا ان الترجمة اللفظية ، بمعنى نقل المعاني مع خصائص النظم العربي المعجز مستحيلة.
3ـ وضـع الـناس تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشـتملت على اخطا كثيرة ، واعتمد على هذه الـتراجم بعض المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية ، و بعض العلما من غير المسلمين ممن يريد الوقوف على معاني القرآن الكريم.
4ـ و قد دعا هذا التفكير في نقل معاني القرآن الكريم الى اللغات الاخرى على الوجه الاتي :
يراد ـ اولا ـ فـهم معاني القرآن الكريم بوساطة رجال من خيرة علما الازهرالشريف ، بعد الرجوع لارا ائمـة الـمفسرين ، و صوغ هذه المعاني بعبارات دقيقة محدودة ثم نقل المعاني التي فهمها العلما، الى الـلغات الاخرى ، بوساطة رجال موثوق باماناتهم و اقتدارهم في تلك اللغات ، بحيث يكون مايفهم في تلك اللغات من المعاني هو ما تؤديه العبارات العربية التي يضعها العلما.
فهل الاقدام على هذا العمل جائز شرعا او هو غير جائز؟.
هـذا مـع الـعـلـم بانه سيوضع تعريف شامل يتضمن ان الترجمة ليست قرآنا، و ليس لها خصائص الـقـرآن ، و ليست هي ترجمة كل المعاني التي فهمها العلما، و انه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النص العربي للقرآن الكريم.((
و جا الجواب ما نصه:
))الـحـمـد للّه و الـصـلاة و الـسـلام على رسول اللّه (ص) و بعد فقد اطلعنا على جميع ما ذكر بـالاسـتـفـتا المدون بباطن هذا، و نفيد بان الاقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلا في السؤال ، جائز شرعا، و اللّه سبحانه و تعالى اعلم.((
و قد وقعه كبار علما الازهر و اسماؤهم كما يلى:

محمود الدنياوي عضو جماعة كبار العلما، و شيخ معهد طنطا.
عبدالمجيد اللبان شيخ كلية اصول الدين ، و عضو جماعة كبار العلما.
ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية و عضو جماعة كبار العلما.
محمد مامون الشناوي شيخ كلية الشريعة و عضو جماعة كبار العلما.
عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية و عضو جماعة كبار العلما.
محمد عبداللطيف الفحام وكيل الجامع الازهر و عضو جماعة كبار العلما.
دسوقي عبد اللّه البدري عضو جماعة كبار العلما.
احمد الدلبشاني عضو جماعة كبار العلما.
يوسف الدجوي عضو جماعة كبار العلما.
محمد سبيع الذهبي شيخ الحنابلة و عضو جماعة كبار العلما.
عبدالرحمان قراعة عضو جماعة كبار العلما.
احمد نصرعضو جماعة كبار العلما.
محمد الشافعي الظواهري عضو جماعة كبار العلما.
عبدالرحمان عليش الحنفي عضو جماعة كبار العلما.
و عقب شيخ الجامع الازهر محمد مصطفى المراغي على الفتوى المذكورة بالنص التالي ، و ابدى موافقته لهم في الجواب و هذا نصه:
))بسم اللّه الرحمن الرحيم وجهت هذا السؤال الى حضرات اصحاب الفضيلة جماعة كبار العلما و اني اوافقهم على ما راوه.((
رئيس جماعة كبار العلما.
محمد مصطفى المراغي.

قرار مجلس الوزرا المصري

اقر مجلس الوزرا المصري المشروع و وافق عليه ، و ادخل عليه عشرة آلاف جنيه في ميزانية السنة الجديدة ،لتنفيذ بعضها في ميزانية وزارة المعارف ، و بعضها في ميزانية الجامع الازهر، و بعضها في ميزانية المطبعة الاميرية و اصبح المشروع نافذ المفعول من الوجهة القانونية ، و استوفى الاجرات من الناحيتين العلمية والرسمية ، و هذا قرار مجلس الوزرا المصري كما يلي :
))بعد الاطلاع على كتاب فضيلة شيخ الجامع الازهر، و كتاب سعادة وزير المعارف العمومية , بشان ترجمة معاني القرآن الكريم ، و مع تقدير مجلس الوزرا لمشقة هذا العمل و صعوبته ، و منعالاضرار التراجم المنتشرة الى الان ، راى بجلسته المنعقدة في (١٢ ابريل / ١٩٣٦م) الموافقة على ترجمة معاني القرآن الكريم ، ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الازهر، بمساعدة وزارة المعارف العمومية ، و ذلك وفقا لفتوى جماعة كبار العلما، و اساتذة كلية الشريعة. ((304))((

محاولة دون تنفيذ القرار .

تكتلت الجماعة المعارضة بزعامة الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا ,و قاومت المشروع مقاومة عنيفة و انحاز اليهم شخصيات كبيرة ، امثال الشيخ محمد الاحمدي الظواهري ، شيخ الجامع الازهرالسابق و العضو في هياة كبار العلما، فلم يشهد الاجتماع الذي عقدته هياة كبار العلما لاقرار المشروع , و لم يوافق عليه ، اضف الى ذلك انه ارسل كتابا الى علي ماهر پاشا رئيس الوزارة السابقة ، يحمله على رفض المشروع.
و عقد مقاومو المشروع اجتماعات ، و اسسوا جمعية لمقاومته ، و وزعوا بعض نشرات ، و طافوا بمضابط في الاسواق ، يسالون الناس توقيعها، فوقعها كثيرون يعدون بالالوف ، و رفعوها الى البرلمان و اصدر فريق كبير من العلما فتوى ضد المشروع ، و في مقدمتهم الشيخ موسى الغراوي رئيس المحكمة الشرعية العليا السابق ، وغيره من قضاة المحاكم الشرعية و رؤسائها، و رفعوها الى البرلمان.
و تالف حزب في البرلمان ، بزعامة الشيخ عباس الجمل المحامي الشرعي ، يضم عددا كبيرا

من النواب والشيوخ لمقاومة المشروع ، و الالحاح بحذف المخصصات المرصدة له في الميزانية .

و ارسل فريق من اهل الشام و فلسطين و العراق كتبا الى رئيس الوزرا (النحاس پاشا) يطلبون اليه بكل الحاح و يستحلفونه باسم الايمان الذي يملا صدره و باسم القرآن و الدين ، ان يحول دون ترجمة القرآن.

فكانت مغبة هذه النعرات المعارضة ان حالت دون تحقيق المشروع و اوقفته وشيك تنفيذه و قام النحاس پاشابحل المشكلة شكليا، فقرر ترجمة تفسير جديد للقرآن دون ترجمة نفسه ، و بذلك حاول ارضا كلا الفريقين ظاهريا، و تخلص بنفسه عن خوض المعركة ، فانتهت بهذا الشكل الاسمي الباهت ((305)).

مناقشات فقهية

سبق ان فقها الامامية متفقون على ان الترجمة ليست قرآنا، ذلك الكتاب العلي الحكيم , الذي لا يمسه الاالمطهرون فبالتالي لا تجري عليها الاحكام الخاصة بالقرآن ,التي منها جواز القراة بها في الصلاة و قدعرفت كلام المحقق الهمداني : عدم اجزا الترجمة عن القراة في الصلاة ، حتى للعاجز عن النطق بالعربية و هذااجماع من علمائنا ـ قديما و حديثا ـ ان الترجمة ليست قرآنا اطلاقا.

اما سائر المذاهب ، فقد ذهب ابوحنيفة الى جواز قراة الترجمة بدلا عن القرآن نفسه ، مطلقا سوا اقدر على العربية ام عجز عنها، و استدل على ذلك بان القرآن الواجب قراته في الصلاة ، هى حقيقة القرآن و معناه الذي نزل على قلب رسول اللّه (ص) لقوله تعالى : (و انه لفي زبر الا ولين) , ((306)) (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم و موسى , ((307)) (و الضمير في))انه))، و الاشارة في ((ان هذا)) انما هو للقرآن ، و معلوم انه لم يكن في تلك الصحف الا معانيه.

و ايضا قوله تعالى : (و اوحي الي هذا القرآن لانذركم به و من بلغ ((308)) (و انما ينذر كل قوم بلسانهم((309)) و زاد السرخسي استدلال ابي حنيفة بما روى ان الفرس كتبوا الى سلمان الفارسي ، ان يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقراون ذلك في صلاتهم حتى لانت السنتهم للعربية((310)) .

اما صاحباه (ابو يوسف و محمد) فقد اجازا قراة الترجمة للعاجز عن العربية دون القادر عليها، و بذلك افتى الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية في فتوى له لاهل الترانسفال ، قال فيها: ((و تجوز القراة و الكتابة (اي للقرآن) بغير العربية للعاجز عنها، بشرط ان لا يختل اللفظ و لا المعنى فقد كان تاج المحدثين الحسن البصري يقرا القرآن في الصلاة بالفارسية العربية)) و قد ارسل بها الى مسلمي الترانسفال سنة (١٩٠٣م) و نشرتها مجلة المنار في ذلك الحين ((311)).

و بقية المذاهب وافقوا الامامية في المنع اطلاقا، فلا يجوز عندهم قراة الفاتحة بغير العربية على كل حال((312)) .

و هكذا افتى الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر (١٩٣٢م) بالجوازللعاجز عن العربية.

قال ـ في رسالته التي كتبها بهذا الشان ـ : ((و انتهي من البحث في هذه المسالة الى ترجيح راي قاضيخان و من تابعه من الفقها، و هو وجوب القراة في الصلاة بترجمة القرآن للعاجز عن قراة النظم العربي.((

و قال ـ ردا على المانعين و منهم صاحب الفتح ـ : ((ان حجة المانع هو ان ترجمة القرآن ليست قرآنا، و ما كان كذلك كان من كلام الناس ، فهو مبطل للصلاة قال : و هذا الاستدلال غير صحيح ، لان الترجمة و ان كانت غيرقرآن ، لكنها تحمل معاني كلام اللّه ، لا محالة و معاني كلام اللّه ليست كلام الناس قال : و عجيب ان توصف معاني القرآن بانها من جنس كلام الناس ، بمجرد ان تلبس ثوبا آخر غير الثوب العربي ، كان هذا الثوب هو كل شي. ((313)) ((قال السيد محمد العاملي ـ في شرح كلام المحقق الحلي : ((و لا يجزئ المصلي ترجمتها)) ـ:))هذا الحكم ثابت باجماعنا، و وافقنا عليه اكثر علما سائر المذاهب ، لقوله تعالى :(انا انزلناه

قرآنا عربيا , ((314)) (و لان الترجمة مغايرة للمترجم ، و الا لكانت ترجمة الشعرشعرا ((((315)) .
و اما استدلال ابي حنيفة بانه جا ذكر القرآن في ((زبر الاولين)) و في ((الصحف الاولى ,((فهذا يعني وصفه ونعته ، و ليس نفسه قال الطبرسي : اي و ان ذكر القرآن و خبره جا في كتب الاولين على وجه البشارة به وبمحمد(ص) لا بمعنى انه تعالى انزله على غير محمد ((316)).
و قال ـ في آية الصحف الاولى ـ : يعني ان هذا الذي ذكر من فلاح المتزكي الى تمام ما في الايات الاربع ، لفي الكتب الاولى فقد جا فيها ذكر فلاح المصلي و المتزكي و ايثار الناس الحياة الدنيا على الاخرة ، و ان الاخرة خير و ابقى((317)) و هذا لا يعني نفس الكتاب و انه مذكور بذاته في تلك الصحف ، ليستلزم ذلك ان يكون ذكرالمعاني ذكرا للقرآن نفسه.
و قال السيد العاملي ـ في آية البلاغ ـ : الانذار بالقرآن لا يستلزم نقل اللفظ بعينه ، اذمع ايضاح المعنى يصدق انه انذرهم به ، بخلاف صورة النزاع((318)) يعني ان هناك فرقا بين قولنا: انذر بهذا القرآن ،و قولنا: اقرا بهذا القرآن فان الاول لا يستدعي حكاية نفس القرآن و نقله بالذات الى المنذرين ، بل يكفي تخويفهم بما يستفاد من القرآن من الوعد و الوعيد و هذا بخلاف الثاني المستلزم تلاوة نفسه كما في قراة الصلاة.
قال ابن حزم : ((و من قرا ام القرآن او شيئا منها او شيئا من القرآن ، في صلاته مترجما بغير العربية ، او بالفاظعربية غير الالفاظ التي انزل اللّه تعالى ، عامدا لذلك ، او قدم كلمة او اخرها عامدا لذلك ، بطلت صلاته ، و هوفاسق ، لان اللّه تعالى قال : ((قرآنا عربيا)) و غير العربي ليس عربيا، فليس قرآنا و احالة رتبة القرآن((319)) تحريف كلام اللّه تعالى ، و قد ذم اللّه تعالى قوما فعلوا ذلك ، فقال : ((يحرفون الكلم عن مواضعه.((
))و قال ابوحنيفة : تجزئه صلاته و احتج له من قلده بقول اللّه تعالى : ((و انه لفي زبر الاولين)).
))قال علي((320)) : لا حجة لهم في هذا، لان القرآن المنزل علينا على لسان نبينا(ص)لم ينزل على الاولين ، و انمافي زبر الاولين ذكره و الاقرار به فقط، و لو انزل على غيره (ع) لما كان آية له و لا فضيلة له ، و هذا لا يقوله مسلم.
))و من كان لا يحسن العربية فليذكر اللّه تعالى بلغته ، لقوله تعالى : (لا يكلف اللّه نفسا الاوسعها ((321)) (و لا يحل له ان يقرا ام القرآن و لا شيئا من القرآن مترجما على انه الذي افترض عليه ان يقراه ،لانه غير الذي افترض عليه كما ذكرنا، فيكون مفتريا على اللّه تعالى. ((322)) ((
و اما فتوى الشيخ محمد بخيت لاهل الترانسفال ، فقد تشابه عليه الحسن بصاحبه ، لان الذي كان يقرا في الصلاة بالفارسية هو حبيب العجمي صاحب الحسن البصري.
قال ـ في شرح مسلم الثبوت ـ : ((يجوز القرآن بالفارسية للعذر ـ و هو عدم العلم بالعربية و عدم انطلاق اللسان بها ـ و قد سمعت من بعض الثقات ان تاج العرفا و الاوليا الحبيب العجمي صاحب تاج المحدثين و امام المجتهدين الحسن البصري كان يقرا في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية. ((323)) ((
و اما حديث ترجمة سلمان للفاتحة ، و قراة الفرس لها في صلاتهم ، فلم نعثر على مستند له وثيق ، و انما ارسله السرخسي عن ابي حنيفة ارسالا، لا يعلم مصدره و لعل الترجمة ـ على فرض الثبوت ـ كانت لمجرد العلم بمعناها لا للقراة بها في الصلاة

ترجمة القرآن ضرورة دعائية

و بعد، فاذ قد جازت ترجمة القرآن في حد ذاتها، ترجمة معنوية وافية بافادة معاني القرآن كملا، فعندئذ نقول:
ان ترجمة القرآن الى سائر اللغات اصبحت ضرورة دينية و واجبا اسلاميا عاما (وجوبا بالكفاية (و كان من وظيفة كل مسلم يحمل رسالة اللّه في طيات وجوده ، ان يهتم بهذا الامر الذي يمس صميم الاسلام ، لغرض انتشار الدعوة و بث تعاليم الاسلام عبر الخافقين.
الاسلام دين البشرية عامة (و ما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا و نذيرا) , ((324)) (تبارك

الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ((325)) (فلا يخص امة دون اخرى و لا جيلا دون جيل ، و كان في ذمة كل مسلم متعهد بدينه الاهتمام ببث الدعوة و نشرها بين الملا، وظيفة دينية في الصميم (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون) ((326)) (و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا. ((327)) (

و لا شك ان القرآن هو السند الوثيق الوحيد لبنا الدعوة و نشر تعاليم الاسلام ، و قد نزل بيانا للناس)هذا بيان للناس و هدى و موعظة للمتقين ((328)) (فكان حقيقا ان يبين للناس (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((329)) (

فالمنع عن ترجمته و بثها بين الناس كتمان لما انزله اللّه من البينات و الهدى (ان الذين يكتمون ماانزلنا من البينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون. ((330)) (

قال تعالى ـ عن لسان نبيه ـ : (و اوحي الي هذا القرآن لانذركم به و من بلغ. ((331)) (

ان في القرآن مقاصد عالية و مطالب سامية ، هي ذوات اهداف عالمية كبرى عبر الافاق و مر الايام , يجب بثها والاعلام بها لكافة الانام ، مما لا يتم الا بتعميم نشر القرآن و عرضه على العالمين جميعا ,الامر الذي لا يمكن الابترجمة معانيه الى كل اللغات الحى ة في العالم كله.

اما و لو اهملت هذه الامة بالقيام بهذه المهمة ، و تقاعست عن الاتيان بواجبها الديني الفرض ، و قصرت دون ادا رسالة اللّه في الارض ، فان اللّه تعالى سوف يستبدل بهم قوما غيرهم ثم لا يكونوا امثالهم (و ان تتولوايستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم. ((332)) (

و قد عرفت ان الاوائل كانوا يجيزون ترجمة معاني القرآن لاقوام كانوا جديدي عهد بالاسلام , ممن لم تكن لهم سابقة المام باللغة العربية ، فكانت تعرض عليهم الاية مصحوبة بترجمتها، لغرض افهام معاني الذكر الحكيم وبيان مقاصده و تعاليمه الرشيدة لملا الناس.

لا شك ان في الهجرة الاولى (الى الحبشة) حيث عرضت آي من القرآن الكريم على حاضري مجلس النجاشي من الوزرا و اعيان الدولة ، قد ترجمت ما تليت من آي الذكر الحكيم ، باللغة الحبشية)الامهرية)، اذ لم يكن الحضور يحسنون العربية بطبيعة الحال ، و في ذلك يقول صدر الافاضل : و اني اعتقد ان جعفر بن ابي طالب (ع)كان يجيد اللغة الحبشية ، و هو الذي قام بترجمة الايات التي تلاها حينذاك من سورة مريم((333)) , فكان ذلك التاثير العجيب في نفوس القوم و لا سيما النجاشي نفسه ، حيث قال : ((و اللّه ان كلام محمد، لا يختلف شيئا عن تعاليم سيدنا المسيح))، و بكى بكا شديدا.

و هكذا لما طلب الراجا (رائك مهروق) ـ الذي كان اميرا على منطقة الرور ـ من عبداللّه بن عمر بن عبد العزيز، مندوب الحكومة الاسلامية هناك سنة (٥٢٣٠ ق) ان يفسر القرآن له ، اي يترجمه بالهندية و عند انجاز الطلب على يد كاتب قدير، يقول المترجم : فانتهيت من التفسير الى سورة (يس) حتى وصلت الى الاية (قال من يحيي العظام و هي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم ((334)) (قال : فلما فسرت له هذا ـ اي ترجمته له باللغة السنسكرتية)الهندية القديمة)خر من سريره على الارض واضعا خده عليها و هي مبتلة ، فتاثر وجهه من بلة الارض ، و قال ـ باكيا ـ : ((هذا هوالرب المعبود، و الذي لا يشبه شي)) و كان قد اسلم سرا ,فكان بعد ذلك يخلو بنفسه في بيت عزلة يعبد اللّه و يناجي ربه سرا((335)) .

هذا من ناحية ، و من ناحية اخرى ان كثيرا من الناس قاموا ـ في زعمهم ـ ينقل القرآن الى لغات كثيرة وترجمات متعددة ، قد بلغت المت في خمس و ثلاثين لغة حية في العالم المتمدن اليوم و قد طبعت بعض هذه التراجم عدة طبعات بل عشرات الطبعات ، فقد طبعت الترجمة الانجليزية التي قام بها (سيل) اكثر من اربعين مرة و هكذا بالنسبة الى تراجم فرنسية و المانية و ايطالية و فارسية و تركية و اوردية و صينية و جاوية ، الى غيرها من لغات العالم الحية .

و من هؤلا المترجمين من يحمل عدا للاسلام و المسلمين عداوة ظاهرة ، و منهم من تعوزه كفاة المقدرة على ترجمة تامة ، وافية بمعاني القرآن ، و هذا الاخير لا يقل ضررة عن الاول

الذي يتعمد الدس و التزوير فمن هذا و ذاك قد حصل تحريف في معاني القرآن كثيرا، الامر الذي يعود ضرره في نهاية المطاف الى كيان الاسلام و المسلمين ، فضلا عن الاخطا الفاحشة التي وقعت في هكذا تراجم ، قام بهاغير الاهل.
اذن ينبغي ان لا نقف ـ نحن ابنا الاسلام و دعاته ـ مكتوفي الايدي ملجمين بلجام العار و الشغار ,مصممي الاخواه تجاه هذه الحوادث الفادحة و الحقائق المرة الماثلة بين ايدينا، نحن المسلمين.
و قد تصدى لترجمة القرآن ـ لغرض خبيث ـ قبل ثمانية قرون ، مطران مسيحي يدعى ((يعقوب بن الصليبي))ترجمه الى السريانية ، و نشرت خلاصتها سنة (١٩٢٥م) و تابع هذا المطران احبار و رهبان كانوا اسبق من غيرهم في هذا الميدان ، و اللّه اعلم بما يبيتون((336)) .
قال العلامة ابو عبد اللّه الزنجاني : و ربما كانت اول ترجمة الى اللغة اللاتينية ـ لغة العلم في اروپا ـ و ذلك سنة (١١٤٣م) بقلم ((كنت)) الذي استعان في عمله ببطرس طليطلي و عالم ثان عربي , و كان الغرض من الترجمة عرضه على ((دي كلوفي)) و بقصد الرد على القرآن الكريم ، و في عام (١٥٩٤م) اصدر ((هنكلمان)) ترجمته ، وجات على الاثر (١٥٩٨م) طبعة مرانشى مصحوبة بالردود((337)) .
و بعد، فاي عذر يبديه زعما الامة تجاه هذا التلاعب باساس الدين ؟ هذاالتناوش المقيت بمقدسات الاسلام من قريب و بعيد، لولا قيام المضطلعين باعبا رسالة الاسلام ـ حفظا على ناموس الدين ـ فيستعيدوا نشاطهم بامر الشريعة الغرا، و يؤلفوا لجنة مركزية من علما مبرزين ، فيقدموا الى العالم تراجم صحيحة من القرآن الكريم ، معترفا بها رسميا من مراجع دينية صالحة ، فيكون ذلك مكافحة صريحة مع تلكم المناوشات الخبيثة ، و مقابلة عملية تجاه اعدا الاسلام.
و سنوفي لك نماذج خاطئة في نهاية المقال دليلا على ضرورة القيام بهذه المقابلة الايجابية.

تراجم اسلامية عريقة

قد عرفت حديث ترجمة (سلمان الفارسي) لسورة الحمد، بطلب من فرس اليمن المسلمين((338)) و هكذا قام دعاة الاسلام و علما المسلمين بتراجم لسور و آيات قرآنية ، لغرض افهام معانيها لسائر الامم ممن دخلوا في الاسلام ، و كانوا لا يحسنون فهم العربية آنذاك.
و اضخم هياة علمية قامت بترجمة القرآن ، مصحوبة بترجمة اكبر موسوعة تفسيرية ، في اواس ط القرن الرابع للهجرة ، هم علما ماورا النهر (شرقي بلاد ايران) بطلب من السلطان منصور بن نوح السامانى (٣٥٠ـ٣٦٥ .(

و ذلك لما ان ارسل اليه التفسير الكبير (جامع البيان) لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (توفي سنة ٣١٠) في اربعين مجلدا ضخما، فاستعظمه و اكبر من شانه ، لكنه تاسف على عدم امكان استفادة شعبه من هذا التفسيرالعظيم ، فاستفتى ـ اولا ـ جميع علما و فقها ماورا النهر (بلخ و بخارى و باب الـهند و سمرقند و سپيجاب وفرغانة) في جواز الترجمة , فاجازوه جميعا فطلب منهم ان ينتدب مـنهم من يصلح لهذا الشان فاجتمع لفيف من العلما المعروفين من تلك الديار، فترجموا القرآن بد، ثم التفسير بكامله و يوجد من نسخ هذه الترجمة في مكتبات العالم ما فوق العشرة ، و طبع منها سنة ( ) في ايران ـ طهران ـ نسخة صحيحة في طباعة جيدة.
و قد وضع ـ في النسخ المخطوطة ـ نص القرآن الكريم ـ في عدد من آياته ـ اولا، ثم ترجمته ، و اخيرا ترجمة التفسير لكن النسخة المطبوعة اهملت ذكر النص ، و اكتفت بترجمة الايات مسبقا ثم تـرجـمـة الـتـفـسـيـر، الامـرالـذي يـؤخـذ عـلـى مسؤول الطبع ، و لا يقبل منه اعتذاره غير العاذر((339)) .
و اليك نص ما جا في مقدمة الاصل (الترجمة السامانية:(
))اين كتاب تفسير بزرگ است ، از روايت محمد بن جرير الطبرى ، ترجمه كرده بزبان پارسى و درى راه راسـت و ايـن كـتاب بياوردند از بغداد چهل مصحف بود اين كتاب نبشته بزبان تازى و بـه اسـنـادهاى دراز بود و بياوردند سوى امير سعيد مظفر ابو صالح منصور بن نوح بن نصر بن احـمـد بن اسماعيل پس دشخوار آمد بر وى خواندن اين كتاب و عبارت كردن آن بزبان تازى ، و چنان خواست كه مراين را ترجمه كند بزبان پارسى.
پـس عـلـما ماورا النهر را گرد كرد و اين از ايشان فتوى كرد كه روا باشد خواندن و نبشتن تـفسير قرآن بپارسى ، مر آن كس را كه او تازى نداند؟ از قول خداى عزوجل كه گفت : (و ما ارسـلنا من رسول الابلسان قومه ((340)) (گفت : من هيچ پيغامبرى را نفرستادم مگر بزبان قوم او و آن زبـانـى كـايـشان دانستند واينجا بدين ناحيت زبان پارسى است ، و ملوكان اين جاى ملوك عجم اند پس بفرمود ملك مظفر ابو صالح تاعلماى ماورا النهر را گرد كردند از شهر ((بخارا ((چـون فـقـيـه ابوبكر بن احمد بن حامد، و چون خليل بن احمدسجستانى و از شهر ((بلخ)) ابو جـعـفر بن محمد بن على و از ((باب الهند)) فقيه الحسن بن على مندوس را، وابوالجهم خالد بن هـانـى الـمـتـفـقـه را و هـم از ايـن گونه از شهر ((سمرقند)) و از شهر ((سپيجاب)) و))فـرغانه)) و از هرشهرى كه بود در ماورا النهر و همه خطبها بدادند بر ترجمه اين كتاب , كه اين راه راست است.
پس بفرمود امير سعيد ملك مظفر ابوصالح اين جماعت را تا ايشان از ميان خويش هر كدام فاضل تر و عالم تراختيار كنند تا اين كتاب را ترجمه كنند، پس ترجمه كردند ((341)).
و لـعـل اقـدم ترجمة رسمية للقرآن ، قام بها رجال الحكم ، هي التي وقعت بطلب من الراجا (رائك مهروق) في مقاطعة (الرور) من بلاد السند طلب من عبد اللّه بن عمر بن عبدالعزيز ـ و كان واليا هناك سنة (٢٣٠) ـ ان يترجم له معاني القرآن ، فامر عبد اللّه بن عمر احد العلما العرب ممن كانوا يجيدون لغة الهند القديمة (السنسكريتية) هناك ، فترجم له حسبما مرت عليك ((342)).
و تـرجـمـة فـارسـيـة اخـرى قـام بـهـا الـفـقـيه الحنفي ابو حفص نجم الدين عمر بن محمد الـنـسفي((343) 462 ـ٥٣٨)من علما ماورا النهر له تفسير لطيف باللغة الفارسية ، يبدا فيه بترجمة الاية ثم تفسيرها على اسلوب بديع.
و للخواجا عبد اللّه الانصارى تفسير فارسي للقرآن الكريم وصفه على اسلوب الذوق العرفاني ، و كـان مـوجـزا ومـختصرا فشرحه و اضاف اليه ابو الفضل رشيد الدين الميبدي عام (٥٢٠) يبدا بـالـتـرجـمة ثم بالتفسير في تنوع لطيف و سماه (كشف الاسرار و عدة الابرار) طبع اخيرا في عشر مجلدات كبار و سياتي شرحه

عند الكلام عن تفاسير اهل العرفان.
و للخواجا ـ عند تفسير قوله تعالى : (و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ((344)) (باستظهار لطيف بجواز تبليغ القرآن الى سائر الامم بلغاتهم ، نظرا لانه (ص) مبعوث الى كافة الناس ، و يستشهدعلى ذلك بعدة من الادلة لاثبات مطلوبه.
و الاحسن الاكمل من الجميع تفسير مبسط باللغة الفارسية ، قام بها العلم العلامة جمال الدين ابوالفتوح الحسين بن علي بن محمد بن احمد الرازي ، من احفاد نافع بن بديل بن ورقا الخزاعي ، من صحابة الرسول الاكرم (ص)قام بهذا التفسير و اكمله ـ في عشر مجلدات ضخام ـ في المنتصف من القرن السادس للهجرة.
يبدا فيه بالنص العربي ، ثم ترجمته تحت اللفظ، ثم التفسير و يعد من افصح النثر الفارسي القديم في اسلوب رائع و جيد للغاية ، مع البسط و الشرح لمناحي معاني الايات ، بصورة مستوعبة و مستوفاة و هو من اكبرالذخائر الاسلامية العريقة طبع هذا التفسير القيم في ايران عدة طبعات انيقة ، و قد اعتنى به العلما الافذاذ.
و لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (٧٢٨) تفسير بديع باسم (غرائب القرآن و رغائب الفرقان)يترجم الاية اولا باللغة الفارسية ، ثم التفسير بالعربي ، و يتعرض للتفسير الظاهري ، و يعقبه بالتفسير الباطني على اسلوبه العرفاني المعروف و قد طبع هذا التفسير مع حذف الترجمة في مصر على هامش الطبري ، لكن النسخ المخطوطة و المطبوعة في الهند و ايران مشتملة عليها.

كيفية ترجمة القرآن

تبين ـ ضمن المباحث السابقة ـ اسلوب الترجمة الذي نتوخاه ، و هو: ان يعمد المترجم الى آية آية من القرآن ، وفق الترتيب الموجود، فيستجيد ـ اولا ـ فهم مضامينها عن دقة وامعان ، بما فيها من دلالات اصلية و دلالات تبعية لفظية ,دون الدلالات التبعية العقلية ، اذ التصدي لهذه الاخيرة شان التفسير دون الترجمة.
فيفرغ المستفاد من كل آية ، في قالب لفظي من اللغة المترجم اليها و يتحرى الكلمات التي تفي بتادية المعاني التي كانت الفاظ الاصل تؤديها، وفا كاملا حتى في الدلالات التبعية اللفظية مهما امكن ، و الا فيحاول تاديتهاايضا و لو بمعونة قرائن ، لينعكس المعنى في الترجمة كما هو في الاصل كما يحاول ـ مبلغ جهده ـ ان لا يصطدم القالب اللفظي المشابه للاصل بشي من التحوير او التحريف.
و هذه الكيفية من الترجمة ـ التي تحافظ على سلامة المعنى بالدرجة الاولى ـ قدتستدعي تبديلا في مواضع بعض الالفاظ و التعابير ـ من تقديم او تاخير ـ او تغييرافي روابط كلامية معمولة في الاصل ، و في الترجمة على سوا.
كما قد تستدعي زيادة لفظة في التعبير، لغرض الوفا باصل المراد تماما الامر الذي لا باس به ، ما دامت الغاية هي المحافظة على سلامة المعنى.
غير ان الاولى ان يضع اللفظ المزيد بين قوسين ، فلا يلتبس على القارئ هذه الزيادة مع الفاظ الاصل .
و بالجملة فالواجب على المترجم ـ ترجمة معنوية صحيحة ـ ان يتابع الخطوات التالية:
1ـ فهم المعنى الجملي فهما جيدا دقيقا، و التاكد من ذلك.
2ـ تحليل جملة الفاظ الاصل الى كلماتها و روابطها الموجودة ، و فصل بعضها عن بعض ، ليعرف ما لكل من معنى و مفاد استقلالي او رابطي في لغة الاصل ، و التدقيق فيما اذا كان للوضع التركيبي الخاص معنى زائد على ما للالفاظ من معاني ، و يتاكد ذلك عن امعان.
3ـ التحري لكلمات و روابط من اللغة المترجم اليها، تشاكل الكلمات و الروابط الاصل ، تشاكلا في الافادة والمعاني ، ان حقيقة او مجازا.
4ـ تركيب هذه الكلمات و الالفاظ تركيبا صحيحا يتوافق مع ادب اللغة المترجم اليها، ادبا عاليا، و مراعيا ترتيب الاصل مهما امكن.

5ـ افراز الالفاظ و الكلمات الزائدة ، التي لا تقابلها كلمات و الفاظ في الاصل ، و انمازيدت في الترجمة لغرض الايفا بتمام المعنى ، فيضعها ـ مثلا ـ بين قوسين لكن يمسك عن تكرار ذلك كثيرافي كلام واحد، لانه يمل ، و قد يسبب تشويش فهم المعاني.
6ـ و اخيرا مقابلة الترجمة مع الاصل في حضور هياة ناظرة ,تحكم بالمطابقة في الارا و الايفا.
اما الشروط التي يجب توفرها في المترجم او المترجمين ، لتقع الترجمة مامونة عن الخطا و الخلل ، فهي كمايلي:
1ـ ان يكون المترجم مضطلعا بكلتا اللغتين : لغة الاصل و اللغة المترجم اليها عارفا بدابهما و المزايا الكلامية التي تبنتها كلتا اللغتين ، معرفة كاملة.
2ـ ان يتناول المعنى المستفاد من كل آية ، بمعونة التفاسير المعتمدة الموثوق بها، ولا يقتنع بما استظهره من الاية حسب فهمه العادي ، و حسب معرفة اوضاع اللغة فحسب ، اذ قد يكون دلائل و شواهد على ارادة غير الظاهر قد خفيت عليه ، لولامراجعته للمصادر التفسيرية المعتبرة.
3ـ ان لا يحمل ميلا الى عقيدة بذاتها، او انحيازا الى مذهب بخصوصه ، لانه حينذاك قد تجرفه رواسبه الذهنية التقليدية الى منعطفات السبل الضالة ، فتكون تلك ترجمة لعقيدة ، و ليست ترجمة لمعاني القرآن.
4ـ ان يترك الالفاظ المتشابهة كما هي ، و يكتفي بتبديلها الى مرادفاتها من تلك اللغة ،فلا يتعرض لشرحها و بسط معانيها، فان هذا الاخير من مهمة التفسير فقط.
5ـ ان يترك فواتح السور على حالها، لانها رموز يجب ان تبقى بالفاظها من غير تبديل و لا تفسير.
6ـ ان يترك استعمال المصطلحات العلمية او الفنية في الترجمة ، لان مهمة المترجم افراغ المعاني المستفادة افراغة لغوية بحتة.
7ـ ان لا يتعرض للارا و النظريات العلمية ، فلا يترجم الكلمات الواردة في القرآن بمعاني اكتشفها العلم ، بل يترجمها حسب الاستفادة اللغوية ، لتكون التادية لغوية بحتة.
تلك شروط خاصة يجب توفرها في كل مترجم يقوم بترجمة القرآن الكريم و هناك شروط عامة يجب مراعاتها في ترجمة القرآن ترجمة رسمية ، معترفا بها لدى جامعة المسلمين العامة ، هي:
8ـ ان تقوم هياة او لجنة متشكلة من علما صالحين لذلك ، و معروفين بسلامة الفكر و النظر و الاجتهاد،لان الترجمة الفردية كالتفاسير الفردية غير مامونة عن الخطا و الاشتباه كثيرا، و على الاقل يكون العمل الجماعي ابعد من الزلل مما يكون عملا فردى ا، و لذلك يكون آمن و احوط بالنسبة الى كتاب اللّه العزيزالحميد.
و هذه الهياة يجب ان تحمل تاييدا من قبل مقامات رسمية اسلامية ، اما حكومات عادلة او مراجع دينية عالية ، ذلك لكي يتنفذ القرار تنفيذا رسميا قاطعا.
9ـ ان يشترك مع اللجنة شخصية او شخصيات معروفة من اللغة المترجم اليها، لغرض التاكد من صحة الترجمة اولا، و ليطمئن اليها اصحاب تلك اللغة.
10ـ و الشرط الاخير ـ المتمم للعشر ـ ان توضع الترجمة مع الاصل ، مصحوبا معها، فلا يقدم الى مختلف الاقوام و الملل ، تراجم مجردة عن النص العربي الاصل.
و ذلك لغرض خطير، هو ان لا يلتبس على سائر الملل ، فيحسبوا من الترجمة قرآناهو كتاب المسلمين ، لا، بل هي ترجمة محضة و ليست قرآنا، و انما القرآن هوالاصل ، و كانت الترجمة الى جنبه توضيحا و تبيينا لمعانيه فحسب.
و بذلك نكون قد امننا على القرآن ضياعه ، فلا يضيع كما ضاعت التوراة و الانجيل من قبل ، بتجريد تراجمهماعن النص الاصل ، الامر الذي يجب ان لا يتكرر بشان هذا الكتاب السماوي الخالد(انا نحن نزلنا الذكرو انا له لحافظون. ((345)))

نماذج من تراجم خاطئة

لا ريب ان كل عمل فردي قد يتحمل اخطا لا يتحملها عمل جماعي ، و من ثم وقع الكثير من الافاضل في مزق الانفراد فزلوا او اخطاوا المقصود، هذا الامام بدر الدين الزركشي ، المضطلع

بـالـلغة و الادب ، و كذا تلميذه جلال الدين السيوطي الخبير بمواضع الكلام ، نراهما قد اشتبها في ((٣٤٦ ,))فزعماه من : هدى يهدى .((347)) مع العلم انه من : هاد يهود لكن الزمخشري في تفسيره يقول : هدنا ـ بالضم ـ : فعلنا من : هاده يهيده((348)) .
و قـال الـراغـب : الهود: الرجوع برفق ، و منه التهويد و هو مشي كالدبيب و صار ((الهود)) في التعارف التوبة ، قال تعالى : (انا هدنا اليك) اي تبنا((349)) .
و الاعـجـب اشـتـبـاه مـثـل الـراغـب ، ذكر في مادة (عنت) قوله تعالى : (و عنت الوجوه للحي الـقـيـوم ((350)) (اي ذلـت و خـضعت ((351)) , في حين انه من (عنى) بمعنى العنا و هو ذل الاسـتسـلام ، و لذلك يقال للاسير: العاني وقد غفل الراغب فذكره في (عنى) ايضا قال الطبرسـي : اي خضعت و ذلت خضوع الاسير في يد من قهره((352)) .
فـاذا كـان مثل هؤلا الائمة الاعلام يزلون مغبة انفرادهم في المسيرة ، فكيف بمن دونهم من ذوي الاقلام ؟ هذا العلامة المعاصر ((الهى قمشه اى)) مع اضطلاعه بالادب و العلوم الاسلامية ، تراه لم يسلم ـ فـي تـرجـمـته الفارسية للقرآن الكريم ـ من ذلة الانفراد، فقد ترجم قوله تعالى : (فاتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ((353)) (بما يلي:
))آنگاه قوم مريم كه به جانب او آمدند كه از اين مكان همراه ببرند گفتند.((
فحسب من القوم فاعلا، و انهم اتوا مريم مريم ، و انهم اتوها ليحملوها معهم فـي حـيـن ان الايـة تـعـنـي : ((ان مريم (س) هي التي اتت الى القوم ، في حال كونها تحمل الوليد المسيح (ع) على عكس ما زعمه المترجم.
و هكذا ترجم قوله تعالى : (و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ((354)) (الى قوله : ((تو خود بر آن مـردم گواه و ناظر اعمال بودى مادامى كه من در ميان آنها بودم)) في ((كنت)) للمتكلم لاللمخاطب ، فضلا عن تهافت المعنى على حسابه.
و تـرجـم قـوله تعالى : (فيومئذ لا يعذب عذابه احد و لا يوثق وثاقه احد , ((355)) (الى قوله :))وآنـروز بمانند عذاب انسان كافر هيچكس عذاب نكشد، و آنگونه جز انسان كافر، كسى به بند (هلاك) گرفتارنشود)) فـحسب من ((لا يعذب)) و ((لا يوثق)) مضارعا مبنيا للمفعول ، كما حسب من الضمير عوده الى الانسان المعذب والموثق.
و هذه غفلة عجيبة في قراة الاية القرآنية ، لا يمكن اعفاؤها ابدا.
و قـد جـمـع الدكتور السيد عبد الوهاب الطالقاني((356)) من ذلك لمة من تراجم قام بها اساتذة ذووا كفاة راقية ،فكيف بغير الاكفا و مـن الـتراجم الاجنبية ، جات ترجمة ((كازانوفا)) لكلمة ((الامي)) ـ وصفا للنبي (ص)بمعنى))الـشـعـبـي)) مـاخـوذامن ((الامة)) حسبما زعم في حين انه من ((ام القرى)) ـ اسما لمكة المكرمة ـ ليكون بمعنى ((المكي))، او نسبة الى ((الام)) كناية عن الذي لا يكتب و لا يقرا.
و تـرجـم ((كـازيـمـيـرسـكـي)) ((اسجدوا)) في قوله تعالى : (و اذ قلنا للملائكة اسجدوا ((357))في حين انه بمعنى الخضوع التام لادم (ع) او جعله قبلة بمعنى ((اعبدوا لادم)) للسجود للّه تعالى ـ كما عن بعض التفاسير.
و تـرجـم ((هـوا)) قوله تعالى : (و افئدتهم هوا ((358)) (بمعنى الهوى و الميل النفساني ، في حين انه بمعنى ((الفارغة الجوفا. ((359)) ((

التفسير نشاته و تطوره في مراحل:

اولا ـ في عهد الرسالة . ثانيا ـ في دور الصحابة.
ثالثا ـ في دور التابعين.
رابعا ـ دور اهل البيت في التفسير.
خامسا ـ التفسير في دور التدوين.

المرحلة الاولى التفسير في عهد الرسالة

النبى (ص) مفسرا هل تناول القرآن كله بالتفسير؟.
حجم الماثور من تفاسيره اوجه بيانه لمعاني القرآن نماذج من تفاسيره التفسير في نشاته الاولى.

)في عهد الرسالة.(
قال تعالى : (و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين(((360)) .
ان في القرآن الكريم من اصول معارف الاسلام و شرائع احكامه ، الاسس الاولية التي لا غنى لاى مسلم يعيش على هدى القرآن و يستظل بظل الاسلام ، ان يراجع دلائله الواضحة و يتلمس حججه اللائحة ، و ان ابهم عليه شي فليستطرق ابواب اهل الذكر ممن نزل القرآن في بيوتهم ، فيهدوه سوا السبيل.
نعم كان رسول اللّه (ص) هو المرجع الاول لفهم غوامض الايات و حل مشاكلها، مدة حياته الكريمة ، اذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ قال تعالى : (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون , ((361))(فكان دوره (ص) دور مرشد و معين ، و كان الناس هم المكلفين بالتفكر في آيات اللّه و التماس حججه.
و قد تصدى النبى (ص) لتفصيل ما اجمل في القرآن اجمالا، و بيان ما ابهم منه اما بيانا في احاديثه الشريفة وسيرته الكريمة ، او تفصيلا جا في حل تشريعاته من فرائض و سنن و احكام و آداب , كانت سنته (ص)قولا وعملا و تقريرا، كان كلها بيانا و تفسيرا لمجملات الكتاب العزيز و حل مبهماته في التشريع و التسنين فقد كان قوله (ص): ((صلوا كما رايتموني اصلي)) شرحا و بيانا لما جا في القرآن ، من قوله تعالى : (اقيموا‌الصلاة ((362))(و لقوله : (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ((363))(و كذا قوله (ص):((خذوا عني مناسككم)) بيان و تفسير لقوله تعالى : (و للّه على الناس حج البيت , ((364))(و هكذا فكل ماجا في الشريعة من فروع احكام العبادات و السنن و الفرائض ، و احكام المعاملات ، و الانظمة و السياسات ،كل ذلك تفصيل لما اجمل في القرآن من تشريع و تكليف.
و هكذا كان الصحابة يستفهمونه كلما تلا عليهم القرآن او اقراهم آية او آيات ، كانوا لايجوزونه حتى يستعلموا ما فيه من مرام و مقاصد و احكام ، ليعملوا بها و ياخذوا بمعالمها.
اخرج ابن جرير باسناده عن ابن مسعود، قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن و قال ابو عبد الرحمان السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا، انهم كانوا يستقرئون من النبى (ص) فكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل , قال : فتعلمنا القرآن و العمل جميعا((365)) .
نعم ، ربما كانوا يحتشمون هيبة الرسول (ص) فتحجبهم دون مسائلته ، فكانوا يترصدون مجي الاعراب المغتربين عن البلاد، ليسالوه عن مسائل ، فيغتنموها فرصة كانوا يترقبونها.
قال علي (ع): و ليس كل اصحاب رسول اللّه (ص) كان يساله و يستفهمه ، حتى كانوا ليحبون ان يجي الاعرابى او الطارئ فيساله (ع) حتى يسمعوا قال : و كان لا يمر من ذلك شي الا سالت عنه وحفظته((366)) .
و هكذا حدث ابو امامة ابن سهل بن حنيف ((367)) قال : كان اصحاب رسول اللّه (ص)يقولون : ان اللّه ينفعنابالاعراب و مسائلهم ، قال : اقبل اعرابي يوما فقال : يا رسول اللّه ، لقد ذكر اللّه في القرآن شجرة مؤذية ، و ما كنت ارى ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها السدر، فان لها شوكا فقال رسول اللّه :(في سدر مخضود ((368))(يخضد اللّه شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فانها تنبت ثمرا، تفتق الثمرة معهاعن اثنين و سبعين لونا، ما منها لون يشبه الاخر((369)) .
و من ثم كان ابن مسعود يقول : واللّه الذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب اللّه الا و انا اعلم فيم نزلت و اين نزلت و هكذا تواتر عن الامام امير المؤمنين (ع)، و تلميذه ابن عباس ، و غيرهم من علما الصحابة ، حسبماياتي في تراجمهم((370)) .

هل تناول النبى القرآن كله بالبيان ؟

عقد الاستاذ الذهبي بابا ذكر فيه الجدل بين فريقين ، يرى احدهما: ان النبى (ص)قد بين لاصحابه معاني القرآن كله افرادا و تركيبا و يتراس هذا الفريق احمد بن تيمية ، كان يرى ان النبى (ص) بين جميع معاني القرآن كمابين الفاظه ، لقوله تعالى : (لتبين للناس ما نزل اليهم ((371))(فانه يشمل الالفاظ و المعاني جميعا((372)) .

و الفريق الثاني ـ و يتراسهم الخويي و السيوطي ـ : يرون انه لم يبين سوى البعض القليل ، و سكت عن البعض الاخر، ثم فرض لهم دلائل ، اهمها ما اخرجه البزاز عن عائشة ، قالت : ما كان رسول اللّه (ص) يفسر شيئا من القرآن الا آيا بعدد، علمه اياهن جبريل((373)) .
و اسهب في النقض و الابرام ، و اخيرا نسب كلا من الفريقين الى المغالاة ، و اختار هووسطا بين الرايين ـ فيما حسب ـ و ان النبى (ص) بين الكثير دون الجميع ، و ترك ما استاثر اللّه بعلمه ، و مايعلمه العلما، و تعرفه العرب بلغاتها، مما لا يعذر احد في جهالته قال : و بديهي ان النبى (ص)لم يفسر ما يرجع فهمه الى معرفة كلام العرب ، كما لم يفسر ما استاثر اللّه بعلمه ، كقيام الساعة و حقيقة الروح ، مما يجري مجرى علم الغيوب التي لم يطلع اللّه عليها نبيه((374)) .
قلت : لم اجد، كما لا اظن احدا ذهب الى ان النبى (ص) لم يبين من معاني القرآن سوى البعض القليل و سكت عن الباقي (الكثير طبعا)، بعد الذي قدمنا، و بعد ذلك الخضم من تفاصيل الاحكام و التكاليف التي جات في الشريعة ، و كانت تفسيرا و بيانا لما ابهم في القرآن من تشريعات جات مجملة و بصورة كلية ، فضلا عما بينه الرسول و فضلا صحابته و العلما من اهل بيته ، شرحا لمعضلات القرآن و حلا لمشكلاته.
اما الذي نسبه الى شمس الدين الخويي((375)) و جلال الدين السيوطي ، من ذهابهما الى ذلك ، فان كلامهما ناظرالى جانب الماثور من تفاسير الرسول ، المنقول بالنص فانه قليل ((376)) , لو اغفلنا ما رويناه بالاسناد اليه (ص) عن طرق اهل البيت الائمة من عترته الطاهرة ـ صلوات اللّه عليهم ـ كما اغفله القوم ، و الا فالواقع كثير و شامل ، ولا سيما اذا ضممنا تفاصيل الشريعة (السنة الشريفة) الى ذلك المنقول من التفسير الصريح.
و قد جعل السيوطي جل تفاصيل الشريعة الواردة في السنة تفسيرا حافلا بمعاني القرآن و مقاصده الكريمة ونقل عن الامام الشافعي : ان كل ما حكم به رسول اللّه (ص) فهو مما فهمه من القرآن و بينه ، و قال (ص): الا اني اوتيت القرآن و مثله معه ، يعني السنة و اخيرا نقل كلام ابن تيمية الانف , و عقبه بالتاييد، بما اخرجه احمد و ابن ماجة عن عمر، انه قال : من آخر ما نزل آية الربا، و ان رسول اللّه (ص) قبض قبل ان يفسرها قال السيوطي : دل فحوى الكلام على انه (ص) كان يفسر لهم كل ما انزل ، و انه انما لم يفسر هذه الاية ، لسرعة موته بعد نزولها، والا لم يكن للتخصيص بها وجه((377)) .
و اما حديث عائشة ـ لو صح السند، و لم يصح كما قالوا ـ((378)) فهو ناظر الى جانب رعاية الترتيب في تفسيرالاي ، اعدادا فاعدادا، او حسب عدد الاي التي كان ينزل بها جبرائيل و هذا يشير الى نفس المعنى الذي رويناه عن ابن مسعود و تلميذه السلمي ، و قد نقله ابن تيمية نقلا بالمعنى قال السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوناالقرآن ، انهم كانوا اذا تعلموا من النبى (ص) عشر آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم و العمل ،قالوا: فتعلمنا القرآن و العلم و العمل جميعا((379)) .
قال الخطيب : هذا اقدم نص تاريخي عرفنا به الطريقة التي كان يتعلم بها المسلمون الاولون ، كانوا لا يعنون بالاكثار من العلم الا بعد اتقان ما يتعلمونه منه ، و بعد العمل به((380)) .
و اما الوسط الذي اختاره ، و ان الذي لم يبينه النبى (ص) من القرآن : هو ما استاثر اللّه بعلمه ، كقيام الساعة ، وحقيقة الروح ، و ما يجري مجرى ذلك من الغيوب التي لم يطلع اللّه عليها نبيه((381)) فشي غريب الكف عن جعله في متناول الناس عامة وقد تعرض المفسرون لتفسير آي القرآن جميعا حتى الحروف المقطعة ، فكيف يا ترى خفى عليهم ان لايتعرضوا لما لا يريد اللّه بيانه للناس ؟ اذن فالصحيح من الراي هو: انه)ص) قد بين لامته ـ و لاصحابه بالخصوص ـ جميع معاني القرآن الكريم ، وشرح لهم جل مراميه و مقاصده الكريمة ، اما بيانا بالنص ، او ببيان تفاصيل اصول الشريعة و فروعها، و لا سيمااذا ضممنا اليه ما ورد عن الائمة من عترته ,في بيان تفاصيل الشريعة و معاني القرآن ، و الحمد للّه.

حجم الماثور من تفاسير الرسول (ص(

قد يستغرب البعض اذ يجد قلة في التفسير الماثور عن رسول اللّه (ص) بالنص للاستغراب بعدالذي قدمنا، اولا: وفرة الوسائل لفهم معاني القرآن حينذاك ، ثانيا: جل بيانات الشريعة

كانت تفسيرا لمبهمات القرآن و تفصيلا لمجملاته.
نعم ، كانت موارد السؤال و الاجابة عليه فيما يخص تفسير القرآن بالنص قليل ، نظرا لعدم الحاجة الى اكثر من ذلك حسبما عرفت غير ان لهذا القليل من تفاسير الرسول (ص) كثيرا في واقعه ، قليلا في نقله وحكايته فالماثور منه قليل ، لا اصله و منبعه الاصيل.
قال جلال الدين السيوطي : الذي صح من ذلك قليل جدا، بل اصل المرفوع منه في غاية القلة و قد انهاهن في خاتمة كتاب الاتقان الى ما يقرب من مئتين و خمسين حديثا في التفسير، ماثورا عن النبى (ص)بالنص ((382)).
و هذا عدد ضئيل جدا، لا نسبة له مع عدد آي القرآن الكريم ، و مواضع ابهامه الكثير،الامر الذي دعا بابن حنبل ان ينكره راسا، الحاقا له بالعدم قال : ثلاثة ليس لها اصول ، او لا اصل لها: المغازي , والملاحم ، و التفسير قال بدر الدين الزركشي : قال المحققون من اصحابه : يعني ان الغالب انها ليس لها اسانيدصحاح متصلة الاسناد، و الا فقد صح من ذلك كثير((383)) هذا مع ان ابن حنبل قد جعل السنة برمتها تفسيراللقرآن ، و سنذكره.
فلو ضممنا سيرته الكريمة و سنته في الشريعة ، و احاديثه الشريفة في اصول الدين و فروعه و معارف الاسلام و دلائل الاحكام ، لو ضممنا ذلك كله الى ذلك العدد القليل ـ في الظاهر ـ لاصبح التفسير الماثور عن عهدالرسالة ـ على مشرفها آلاف التحية و الثنا ـ في حجم كبير و في كمية ضخمة ، كان الرصيد الاوفى للتفاسيرالواردة في سائر العصور.
اضف الى ذلك ما ورد عن طريق اهل البيت (ع) من التفسير الماثور((384)) المستند الى جدهم الرسول (ص)و هوعدد وفير، يضاف الى ذلك الكثير الوارد عن غير طرقهم.
و بعد، فانها تكون مجموعة كبيرة من التفسير المستند الى صاحب الرسالة ، لها شان في عالم التفسير عبر القرون.

اوجه بيان النبي لمعاني القرآن

قد عرفت كلام السيوطي : ان السنة بجنب القرآن شارحة له و موضحة له قال (ص)) :(الا اني اوتيت القرآن ومثله معه)) يعني السنة الشريفة((385)) .
قال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) :((ان اللّه انزل على رسوله الصلاة و لم يسم لهم : ثلاثا و لا اربعا، حتى كان رسول اللّه (ص) هو الذي فسر ذلك لهم و انزل الحج فلم ينزل : طوفوا اسبوعا ,حتى فسر ذلك لهم رسول اللّه ـ وفي رواية اخرى زيادة قوله ـ فنزلت عليه الزكاة فلم يسم اللّه : من كل اربعين درهما درهما، حتى كان رسول اللّه هو الذي فسر ذلك لهم. ((386)) ((
و معنى ذلك ان الفرائض و السنن و الاحكام انما جات في القرآن بصورة اجمال في اصل تشريعاتها ,اما التفصيل و البيان فقد جا في السنة في تفاصيل الشريعة ، التي بينها رسول اللّه (ص) طيلة حياته الكريمة فكانت السنة الى جنب القرآن تفسيرا لمواضع اجماله ، و شارحة لمواضع ابهامه.
روى القرطبي بالاسناد الى عمران بن حصين ، انه قال لرجل ـ كان يزعم كفاية الكتاب عن السنة ـ : انك رجل احمق ، اتجد الظهر في كتاب اللّه اربعا لا يجهر فيها بالقراة والزكاة و نحو هذا ثم قال : اتجد هذا في كتاب اللّه مفسرا تفسر هذا.
و عن حسان بن عطية قال : كان الوحي ينزل على رسول اللّه (ص) ويحضره جبرئيل بالسنة التي تفسر ذلك وعن مكحول قال : ((القرآن احوج الى السنة من السنة الى القرآن))، و قال يحيى بن ابي كثير: ((السنة قاضية على الكتاب و ليس الكتاب بقاض على السنة))، قال الفضل بن زياد: سمعت احمد بن حنبل ـ و سئل عن هذاالحديث الذي روي ان ((السنة قاضية على الكتاب)) ـ فقال : ما اجسر على هذا ان اقوله ، و لكني اقول : ان السنة تفسر الكتاب و تبينه((387)) .
و بعد، فان تبيين مجملات القرآن ، من تفاصيل واردة في السنة ، يمكن على وجوه:
الاول : ما ورد في القرآن بصورة تشريعات كلية ، لا تفصيل فيها و لا تبيين عن شرائطها و احكامها ,فهذا يجب طلب تفاصيلها من السنة ، في اقوال الرسول و افعاله و تقاريره ، كما في قوله تعالى) : اقيموا الصلاة و آتواالزكاة , ((388)) (و قوله : (و للّه على الناس حج البيت (

((389))و ما شـابـه ، مـن تكاليف عبادية جا تشريعهافي القرآن بهذا الوجه الكلي فلابد لمعرفة اعداد الصلاة و ركعاتها و افعالها و اذكارها و سائر شروطها واحكامها((390)) , من مراجعة السنة ، و فيها البيان الوافي بجميع هذه التفاصيل ، و هكذا مسالة الزكاة المفروضة والحج الواجب.

و هـكـذا مـا جـا فـي مـخـتـلـف ابـواب الـمـعاملات ، من قوله تعالى : (و احل اللّه البيع و حرم الـربـا ((391)) (فـان للبيع الجائز انواعا، و للربا احكاما، ينبغي طلبها من السنة ، فهي التي تحدد موضوع كل معاملة و تبين الشرائطالتي فرضتها الشريعة في تفاصيل هذه المعاملات.

الـوجـه الثاني : عمومات ذوات تخصيص ، جا العام في القرآن و كانت مواردتخصيصه في السنة و هكذا مطلقات ذوات تقييد، جا الاطلاق في القرآن و كان التقييد في السنة و لا شك ان التخصيص و كذا التقييد بيان للمراد الجدي من العام و كذا من المطلق ، و هذا الذي دل عليه العام في ظاهرعمومه و الـمـطـلق في ظاهر اطلاقه ، انما هو المعنى الاستعمالي المستند الى الوضع او دليل الحكمة و الذي يكشف عن الجد في المراد هو الخاص الوارد بعد ذلك ، و كذا القيد المتاخر و هذا معروف في علم الاصول.

و مـثـال الاول قـولـه تـعـالـى : (و المطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قرؤ ((392)) (و هذا عام لمطلق المطلقات و في السنة تخصيص هذا الحكم بالمدخول بهن ، اما غير المدخول بهن فلا اعتداد لهن و كذلك قوله ـبعد ذلك ـ : (و بعولتهن احق بردهن)مخصوص بالرجعيات.

مـثال الثاني : (تقييد المطلق) قوله تعالى : (و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب اللّه عليه و لعنه و اعد له عذابا عظيما ((393)) (و قد تقيد هذا الاطلاق بما اذا لم يتب ، و كان قد قتله لايمانه ، كما رواه العياشي عن الامام الصادق (ع. ((394)) (

و قوله تعالى : (الذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الا من وهم مهتدون (

, ((395))اذ لـيـس المراد مطلق الظلم ، بل هو ((الشرك)) خاصة روي ذلك عن رسول اللّه (ص , ((396)) (وهـكـذا فـسر اليد (في القطع بالسرقة ((٣٩٧))) باليمين من مفصل الاصابع و مثله جلد الزاني المتقيد بغيرالمحصن.

و ايـضـا قوله تعالى : (من بعد وصية يوصى بها او دين ((398)) (فقد كان الميراث بعد اخراج ما اوصى به الميت و كذا دينه فالدين مطلق ، اما الوصية فقيدت بما اذا لم تتجاوز ثلث التركة بعد وضع الدين فهذا التقييدتعرضت له السنة ، و كان قد ابهم في القرآن ابهاما.

الـوجـه الثالث : ما اذا ورد عنوان خاص في القرآن ، و كان متعلقا لتكليف ، او قيدا في عبادة مثلا، و لكنه كان مصطلحا شرعيا من غير ان يكون مفهومه العام مرادا، فهذاايضا مما يجب تبيينه من السنة و هـذا فـي جـمـيع المصطلحات الشرعية ـ اي الحقائق الشرعية على حد تعبيرهم ـ مما لم تكن لها سابقة في العرف العام.

و هـذا كـمـا فـي الـصـلاة و الـزكـاة و الـحـج و الـجـهـاد و مـا شـاكـل ، انـهـا مصطلحات شـرعـيـة خاصة ((399)) , لا بد لمعرفة حقائقها و ماهياتها من مراجعة الشريعة ، كما كان يجب الـرجـوع الـيها لمعرفة احكامهاو شرائطها، اذ ليست الصلاة مطلق الدعا و المتابعة ـ كما هي في الـلـغة و العرف العام غير الاسلامي ـ بل عبادة خاصة ذات كيفية و افعال و اذكار خاصة ، اعلن بها الشرع الحنيف ، و تصدى لبيانه الرسول الكريم ، قال : ((صلواكما رايتموني اصلي)).

و هـكـذا لـيست الزكاة مطلق النمو، بل انفاق خاص في كيفية خاصة ، توجب تنمية المال بفضل اللّه تـعـالـى ان وقعت عن صدق و اخلاص ، الامر الذي جا تبيينه في السنة الشريفة و مثلها الحج ليس مطلق القصد، و كذاالجهاد ليس مطلق الاجتهاد و السعي ، و هكذا.

و كـذلـك مـوضوع الخطا و العمد في القتل ، تعرضت السنة لبيانهما، و ليس مطلق ما يفهم من هذين الـلـفـظين لغة اوفي المتفاهم العام ، فقد جا في السنة ان الخطا محضا هو ما لم يكن المقتول مقصودا اصـلا اما اذا كان مقصودا ولكن لم يقصد قتله ـ بان لم يكن العمل الذي وقع عليه مما يقتل به غالبا ـ فـوقـع قتله اتفاقا، فهو شبيه العمد امااذا كان مقصودا بالقتل فهو العمد محضا فهذا التفصيل و البيان انما تعرضت له السنة تفسيرا لما ابهم في القران من بيان هذه المفاهيم.

الوجه الرابع : موضوعات تكليفية تعرض لها القرآن من غير استيعاب و لا شمول ، اذ لم يكن الاستقصامقصودا بالكلام ، و انما هو بيان اصل التشريع و ذكر جانب منه ، مما كان موضع الابتلا ذلك الحين و من ثم يبدو ناقصا غير مستقصى ، و مجملا في الشمول و البيان.
اما الاستقصا و الشمول فالسنة الشريفة موردها، ففيها البيان و الكمال ، كما لم تات في القرآن شريعة (رجم المحصن) و انما فصلته السنة عن مطلق حكم الزاني الوارد في القرآن.
و مثل احكام الخطا و العمد في القتل لم يتعرض لها القرآن باستيعاب ، اذ هناك خطا محض ، و شبه العمد، والعمد المحض ليترتب على الاول ان الدية على العاقلة ، و على الثاني كانت الدية على القاتل , و في الثالث كان تشريع القصاص هو الاصل الا اذا رضي الاوليا بالدية او العفو.
فهذا الاستيعاب و الاستقصا انما تعرضت له السنة ، فاكملت بيان القرآن و رفعت من ابهامه ، في هذا الجانب الذي كان يبدو مجملا لو كان بصدد البيان و لم يكن اصل التشريع مقصودا فقط.
الوجه الخامس : بيان الناسخ من المنسوخ في احكام القرآن ، اذ في القرآن احكام اولية منسوخة ، و احكام اخر هي ناسخة نزلت متاخرا، فلتمييز الناسخ من المنسوخ لا بد من مراجعة السنة اماالقرآن ذاته فلا تمييز فيه بين ناسخه ومنسوخه ، و لا سيما و الترتيب الراهن بين الايات و السور قد تغير عماكان عليه النزول في البعض على الاقل اذن لم يبق لمعرفة وجه التمايز بين الحكم المنسوخ و الحكم الناسخ الامراجعة نصوص الشريعة و من ثم قال مولانا امير المؤمنين (ع) لقاض مر عليه بالكوفة : اتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فهاب الامام و اجاب بالنفى اهلكت ((400)).
فمن ذلك قوله تعالى ـ بشان المتوفى عنها زوجها ـ : (و الذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا،وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج ((401)) (كانت الشريعة في البد ان المراة المتوفى عنها زوجها لا ميراث لها سوى الامتاع في التركة حولا كاملا، و كان ذلك عدتها ايضا لكنها نسخت بية المواريث ((402)) و بية التربص اربعة اشهر و عشرا((403))) وآية التربص الناسخة مثبتة في سورة البقرة قبل آية الحول المنسوخة.(
هكذا ورد في الحديث عن الامام امير المؤمنين (ع)، و عن الامامين الباقر و الصادق (ع) ((404)) .
و من ذلك ايضا آية جزا الفحشا، فما في سورة النسا(١٥ـ١٦) منسوخة بشريعة الجلد (سورة النور/٢) والرجم ، هكذا ورد عن الامام الصادق (ع. ((405)) (
و نظير ذلك كثير، و لا سيما اذا عممنا النسخ ليشمل التخصيص و الاستثنا و سائر القيود ايضا , و قد كان معهوداذلك الحين.

نماذج من تفاسير ماثورة عن النبى (ص(

قلنا: ان الصحابة كانوا في غنى ـ في الاغلب ـ عن مسائلة الرسول (ص (بشان معاني القرآن ، او كانوايحتشمون سؤاله ، لما كان القرآن قد نزل بلغتهم و في مناسبات كانوا هم حضور مشهدها و احيانا اذا كان ابهام في وجه آية ، او خفي المراد من سياقها، كانوا يراجعونه لا محالة ، و في الاكثر كانوا يترصدون اسئلة الاعراب اوالطارئين فيتبادرون الى تفهم ما يجري بينهم و بين الرسول بشان معاني القرآن ، حتى قالوا: ان اللّه ينفعنابالاعراب و مسائلهم ((406)).
و بعد فقد جمع من هذا و ذاك حشد كبير من تفاسير ماثورة عن رسول اللّه (ص)رواها ائمة الحديث في امهات الجوامع الحديثية المعروفة.
و الاكثر سؤالا انما وقع عن مرادات القرآن ، بعد وضوح الكلمة في مفهومها اللغوي ،حيث ظاهر اللفظ ينبئ عن شي ، لكن المراد غير هذا الظاهر المفهوم حسب دلالة الوضع ، او يشك في ارادة هذا الظاهر، لقرائن حالية او مقالية ، تبعث على السؤال عن المراد الواقعي .

عن ((السائحين)) في قوله تعالى : (التائبون (فقد سئل النبى (ص فقال : هم الصائمون , ((407)) (العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون فلا غموض في معنى السياحة ، و لكن اى مصاديق السياحة مقصودة ((408)) هنا؟ و لعل هنا استعارة جات لامر معنوي ، مما يدعو الى السؤال عنه و مراجعة اهل الذكر قال الطبرسي : السائح من : ساح في الارض يسيح سيحا، اذا استمر في الذهاب ، و منه السيح للماالجاري ، و من ذلك يسمى الصائم سائحا، لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى قال : و روي عن النبي انه قال : و سئل عن الاستطاعة في قوله تعالى . ((409)) ((((سياحة امتي الصيام قال (ص): ((410)) (: (و للّه على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فان مفهوم الاستطاعة عام يشمل اى نحو من ((411)) ((((الزاد و الراحلة الاستطاعة و باى وسيلة مقدورة و كانت بالامكان ، غير ان هذا غير المراد بالاستطاعة الى الحج الواجب ، فبين (ع) انه القدرة على الزاد و الراحلة ، ان كان ذلك بوسعه من غير تكلف و هذا كناية عن الاستطاعة المالية ، كما فهمه و هكذا لما سالته عائشه عن الكسوة الواجبة في . الفقهارضوان اللّه عليهم كفارة الايمان ، في قوله تعالى : (فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ((عباة لكل مسكين)) :(اجاب (ص ((412)) (ما تطعمون اهليكم ، او كسوتهم و ساله رجل من هذيل عن قوله تعالى : (ومن كفر فان اللّه غني عن . ((413)) قال : يا رسول اللّه ، من تركه فقد كفر؟ فقال (ص): ((من ((414)) (العالمين كناية عمن تركه جحودا لا يؤمن ((415)) ((تركه لايخاف عقوبته و لا يرجو مثوبته بعاقبته ، فهذا كافر بالمعاد و بيوم الجزاو الحساب ، الامر الذي يعود الى انكار ضروري للدين و انكار الشريعة راسا، اما الذي تركه لا عن نكران فهوفاسق عاص و و هكذا روي عن الامام موسى الكاظم (ع) حينما ساله اخوه .ليس بكافر جاحد و سئل عن قوله تعالى : (كما . ((416)) على بن جعفر: من لم يحج منا فقد كفر؟ عضين))؟))مامعنى , ((417)) (انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فالاية الكريمة انكار على . ((418)) ((فقال (ص): ((آمنوا ببعض و كفروا ببعض الذين فرقوا بين اجزا القرآن الامر يثير السؤال عن المراد من هذه التجزئة المستنكرة ؟ و من ثم كان الجواب : انها التفرقة في الايمان بالبعض و الكفر بالبعض ((419)) (و سئل عن قوله تعالى : (فمن يرد اللّه ان يهديه يشرح صدره للاسلام . الانابة الى))كيف يشرح صدره ؟قال (ص): ((نور يقذف به فينشرح له و ينفسح , ((و التجافي عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل لقا الموت ,دارالخلود عن قوله تعالى : (لهم البشرى ((421))و ساله عبادة بن الصامت . ((420)) ماذا تكون تلك البشارة ؟ قال (ص): , ((422)) (في الحياة الدنيا و في الا خرة و روى الكليني في . ((423)) ((((هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل ، او ترى له الكافي و الصدوق في الفقيه باسنادهما عن النبى (ص) قال : ((البشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر بها في دنياه)) و زاد في الفقيه : ((و اما قوله : (في الاخرة)، فانها بشارة المؤمن عند الموت ، يبشر بها عند موته : ان اللّه عز و جل قد غفر لك و لمن يحملك الى قبرك)) و قال على بن الذين تتوفاهم) : ابراهيم القمي : و (في الاخرة) عند الموت ، و هو قوله تعالى و . ((424)) (الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر) : سئل عن قوله تعالى كيف يحشر اهل النار على وجوههم ؟ فقال (ص): ((425)) (مكانا واضل سبيلا و . ((426)) ((((ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم بهذا المعنى آية اخرى اوضحت الحشر على الوجوه بالسحب على و جوههم ، قال و , ((427)) (تعالى : (يوم يسحبون في النار على وجوههم ، ذوقوا مس سقر و اخرج الحاكم .(قوله : (و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا و صما و بكما

باسناده الى الاصبغ بن نباتة ـ و قال : انه احسن الروايات في هذاالباب ـ عن الامام قال رسول ((428)) (لما نزلت الاية (فصل لربك و انحر : امير المؤمنين (ع)، قال اللّه (ص):يا جبرئيل ، ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي ؟ قال : انها ليست بنحيرة ، و لكنه يامرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت و اذا ركعت و اذا رفعت راسك من الركوع ، فانها صلاتنا و صلاة الملائكة الذين في السماوات السبع و في رواية اخرى زيادة قوله : ان لكل شي زينة ، و زينة الصلاة رفع ((429)) الايدي قال (ص):رفع الايدي من الاستكانة التي قال اللّه ـ عز و جل : (فما استكانوا عن المنكر (و سالته ام هانئ (بنت ابي طالب . ((430)) (لربهم و مايتضرعون الذي كان قوم لوط ياتونه في ناديهم ، حيث قوله تعالى :(وتاتون في ناديكم . ((432)) ((؟ فقال (ص): ((كانوا يخذفون اهل الطريق ويسخرون ((431)) (المنكر ففي المجمع : كانت مجالسهم تشتمل على , و لعل هذا كان بعض اعمالهم المنكرة انواع من المناكير و القبائح ، مثل الشتم و السخف و الصفع و القمار، و ضرب و كشف العورات ,المخارق و خذف الاحجار على المارين و ضرب المعازف و المزامير و ربما سالوه . ((433)) و اللواط، و قيل : كانوايتضارطون من غير حشمة و لا حيا عن عموم حكم و شموله لبعض ما اشتبه عليهم امره ، فقد ساله جريربن عبد اللّه عن نظرة الفجاة ، و قد قال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من ((434)) الجبلي فهل يشمل عموم الامر بالغض لما اذا كانت النظرة فجاة ، و , ((435)) (ابصارهم اي لا يداوم , ((436)) فامرني (ص) ان اصرف بصري :قال جرير .هي غير ارادية ؟ قال : جا رجل (و عن ابي جعفر الباقر(ع . في النظرة ، و يصرف ببصره من فوره و آتواالـيتامى) : الى النبى (ص) و ساله عن امر اليتامى ، حيث قوله تعالى اموالهم و لا تتبدلوا الخبيث بالطيب و لا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا) الى قوله : (و لا تاكلوها اسرافا و بدارا ان يكبروا، و من كان غنيافليستعفف فقال : يا رسول اللّه ، ان اخي هلك و ((437)) (، ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ترك ايتاما و لهم ماشية ، فما يحل لي منها؟ فقال رسول اللّه (ص): ان كنت تليط فاشرب من البانها، غير مجتهد و لاضار ,حوضها، و ترد ناديتها، و تقوم على رعيتها اشارة الى قوله تعالى : ((438)) بالولد، و اللّه يعلم المفسد من المصلح (ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير و ان تخالطوهم فاخوانكم و اللّه يعلم و احيانا كانت الاسئلة لغوية ، على ما اسبقنا ان . ((439)) (المفسد من المصلح القرآن اخذ من لغات القبائل كلها، و ربما كانت اللفظة المتداولة في قبيلة ، غير عن معنى ((440)) من ذلك ما ساله قطبة بن مالك الذبياني . معروفة عند الاخرين قال : ما ((441)) (((البسوق)) من قوله تعالى : (و النخل باسقات لهاطلع نضيد باسقات ، اي طويلات و الباسق : قال الراغب ((442)) بسوقها؟ فقال (ص): طولها و . علاهم : هوالذاهب طولا من جهة الارتفاع ، و منه بسق فلان على اصحابه ,(ساله عبد اللّه بن عمرو بن العاص عن الصور في قوله تعالى : (و نفخ في الصور و عن الامام جعفر بن محمد . ((444)) قال (ص): هو قرن ينفخ فيه ((443)) (الصادق (ع) قال : قال رسول اللّه (ص) في قوله تعالى :(فتقعد ملومامحسورا الحسر: كشف الملبس عما عليه و الحاسر: . ((446)) الاقتار :، الاحسار ((445)) من لا درع له و لا مغفر و ناقة حسير: انحسر عنها اللحم و القوة والحاسر: المعيا، اذن فالمحسور: من افتقد اسباب المعيشة التي اهمها المال ، و . لانكشاف قواه ليس من الحسرة كماتوهم ، فصح تفسير المحسور بالمقتر، لان القتر فقد النفقة او قد تجعل المسلمين في , و ربما كانت الاية شديدة الوطاة .تقليلها، و المقتر: الفقير . قلق ، لولا مراجعته (ص)ليفسرها لهم بما يرفع عنهم الم الياس و قلق الاضطراب من ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن الامام ابي جعفر الباقر(ع) قال : لما نزلت قال بعض اصحاب رسول ,**فقال لهم رسول اللّه : اما** ((447))الاية : (من يعمل سؤ اللّه (ص): ما اشدها من آية تبتلون في اموالكم وانفسكم و ذراريكم ؟ قالوا: بلى

و سئل . ((448))، قال : هذا مما يكتب اللّه لكم به الحسنات و يمحو به السيئات فيما النجاة غدا؟ فقال (ص): ((النجاة ان لا تخادعوا اللّه فيخدعكم ، فانه من يخادع فقيل : كيف يخادع اللّه ؟ .((اللّه يخدعه و يخلع منه الايمان ، و نفسه يخدع لو يشعر قال : ((يعمل بما امره اللّه ثم يريد به غيره ، فاتقوا اللّه فاجتنبوا الريا فانه شرك و ذلك قوله تعالى : (ان المنافقين يخادعون اللّه و هو خادعهم و , ((449)) ((باللّه و لما نزلت الاية : (و . ((450)) (اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس قالوا: يا رسول اللّه ، ((451)) (ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم فضرب : من هؤلا الذين اذا تولينا استبدلوا بنا؟ هذا و قومه و في رواية الطبري على منكب سلمان و قال : من هذا و قومه و الذي نفسي بيده لو ان الدين تعلق بالثريالنالته رجال من اهل فارس و في رواية البيهقي : لو كان الايمان منوطا بالثريا و ربما سالوه (ص) عن غير الاحكام مما جا ذكره . ((452))لتناوله رجال من فارس في القرآن اجمالا، ليبعثهم حب الاستطلاع على السؤال عنه من ذلك سؤال فروة عن ((سبا)): رجل او امراة ام ارض ؟ فقال (ص): هو ((453)) بن مسيك المرادي رجل ولدعشرة من الولد، ستة من ولده باليمن ، و اربعة بالشام فاما اليمانيون فمذحج و كندة و الازد والاشعريون و انمارو حمير، خير كلها، و اما الشاميون فلخم و قال الطبرسي : سبا، هو ابو عرب اليمن كلها، و . ((454)) جذام و عاملة و غسان و هو الظاهر من عود ضمير العقلا اليهم في قوله , ((455)) قد تسمى به القبيلة كلوا من رزق , تعالى : (لقد كان لسبا في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين و شمال و ساله ابو هريرة عن قوله . ((456)) (ربكم ، و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور كل شي))؟))قال : انبئنى عن , ((457)) (تعالى : (و جعلنا من الما كل شي حي بمعنى ان الما اصل الحياة ، حيوانا , ((458)) ((كل شي خلق من الما)) :(قال (ص و احيانا كان (ص) . ((459)) كان ام نباتا و ورد في الحديث : اول ما خلق اللّه الما يتصدى لتفسير آية او آيات لغرض العظة او الاعتبار، كالذي رواه ابو سعيد الخدري عن رسول اللّه (ص) في قوله تعالى : (تلفح وجوههم النار و هم فيها ((460)) قال (ص):تشويها النار فتتقلص شفاهها العليا حتى تبلغ ((461)) (كالحون وسط الرؤوس ، و تسترخي شفاهها السفلى حتى تبلغ الاسرة اخرجه الحاكم ، و قرا النبى (ص): (يومئذ : و عن ابي هريرة ، قال . ((462)) قال : صحيح الاسناد اللّه ورسوله اعلم في يوم كذا :تحدث اخبارها)ثم قال : اتدرون ما اخبارها؟ قالوا قال : سمعت رسول اللّه (ص) قرا: (ثم ((464)) و عن ابي الدردا . ((463)) وكذا اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم ثم ((465)) (جنات عدن يدخلونها ,سابق بالخيرات باذن اللّه ، ذلك هو الفضل الكبير قال : ((السابق و المقتصد يدخلان الجنة غيرحساب ، و الظالم لنفسه يحاسب ((467)) و هكذا روى عمران بن حصين . ((466)) ((حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة لا يقوم الا لعظيم صلاة , قال : كان النبى (ص) يحدثنا عامة ليله عن بني اسرائيل هذا غيض من فيض و . و لعله ذات ليلة او ليالي معدودة كانت معهودة . ((468)) رشف من رشح ، فاضت به ينبوع الحكمة و مهبط الوحي الكريم ، و لا زالت بركاته هم درجات عند اللّه . المرحلة الثانية التفسير في دور الصحابة .متواصلة عبر الخلود . قيمة تفسير الصحابي . اعلم الصحابة بمعاني القرآن . المفسرون من الصحابة . . التفسير فى دور الصحابة . ميزات تفاسير الصحابة

. هم درجات عند اللّه

, لا شك ان الصحابة . ((469)) (قال تعالى : (نرفع درجات من نشا و فوق كل ذى علم عليم كانوا هم مراجع الامة بعد الرسول (ص)اذ كانوا ((470)) (ممن (رضي اللّه عنهم و رضوا عنه نعم كانوا على .حاملي لوائه و مصادر شريعته الى الملا، ليس يعدل عنهم الى الابد درجات من العلم و الفضيلة حسبما اوتوا من فهم و ذكا و سائرالمواهب و الاستعداد(انزل يؤتي الحكمة من يشا و من يؤت الحكمة فقد), ((471)) (من السما ما فسالت اودية بقدرها

جالست اصحاب : ((473)) قال مسروق بن الاجدع الهمداني . ((472)) (اوتي خيرا كثيرا محمد(ص) فوجدتهم كالاخاذ ـ يعني الغدير من الماـ فالاخاذ يروي الرجل ، و الاخاذ يروي الرجلين ، و الاخاذ يروي العشرة ، و الاخاذ يروي المائة ، و الاخاذ لونزل به اهل الارض لاصدرهم و في لفظ ابن الاثير: تكفي الاخاذة الراكب ، و تكفي الاخاذة الراكبين ، و تكفي . ((474)) الاخاذة الفئام من الناس قال : و الاخاذ ككتاب : مصنع للما يجتمع فيه و الفئام : الجماعة الامام امير المؤمنين ، عليه صلوات المصلين ، (و يعني بالاخير (لاصدرهم . ((475)) الكثيرة قال مسروق : ((476)) حيث كان ـ سلام اللّه عليه ـ ينحدر عنه السيل و لا يرقى اليه الطير و عالم بالعراق عبد اللّه ابن , عالم بالمدينة على بن ابي طالب : ((انتهى العلم الى ثلاثة مسعود، و عالم بالشام ابي الدردا، فاذا التقوا سال عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة و قال الاستاذ محمد حسين الذهبي : الحق ان الصحابة كانوا . ((477)) ((هو لم يسالهم يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن و بيان معانيه المرادة منه ، و ذلك راجع الى اختلافهم فمنهم الواسع الاطلاع الملم بغريبها , في ادوات الفهم فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم (كعبد اللّه بن عباس)، و منهم دون ذلك ، و منهم من لازم النبى (ص)فعرف من اسباب النزول ما لم يعرفه غيره (كعلى بن ابي طالب (ع)) اضف الى ذلك ان الصحابة لم يكونوا في . ((478)) درجتهم العلمية و مواهبهم العقلية سوا، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافا عظيما العربي الصميم ، حسب من قوله تعالى : (و كلوا و اشربوا حتى , ((479)) هذا عدى بن حاتم انه تمايز احد خيطين : ابيض و ((480)) (يتبين لكم الخيط الا بيض من الخيط الا سود من الفجر آخر اسود،احدهما عن الاخر في ضؤ الفجر، فاخذ عقالين ابيض و اسود و جعلهما تحت وساده ، فجعل ينظر اليهما فلايتبين له احدهما عن الاخر، فلما اصبح غدا الى رسول اللّه (ص) يخبره حتى بدت نواجذه ، و في رواية ، قال له : ان , فضحك رسول اللّه من صنيعه ذلك , بما صنع وسادك اذن لعريض ـ كناية عن عدم تنبهه لحقيقة الامر ـ ثم قال له : انما ذاك بياض النهار من انه البياض المعترض على الافق تحت سواد الليل المنصرم وفي الدر , ((481)) سواد الليل المنثور: لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال و لا الفجر المستطيل ـ و هو الساطع المصعد ـ و لكن الفجرالمستظهر في الافق ، هو المعترض الاحمر، يلوح الى الحمرة و في حديث : لايمنعكم اذان بلال من سحوركم فانه ينادي بليل ، فكلوا و اشربوا حتى تسمعوا اذان ابن ام قال الامام ابو جعفر الباقر (ع): ((الفجر هو . ((482)) مكتوم ، فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر و زعمت عائشة من قوله تعالى . ((483)) ((الخيط الابيض المعترض ، و ليس هو الابيض صعدا يوتون ما آتوا) ارادة ارتكاب المثم ، الامر الذي يتنافى مع سياق الاية الواردة بشان الاشادة) : بموضع المؤمنين حقا، قال تعالى : (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ـ الى قوله ـ و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات و هم فسالت عن ذلك رسول اللّه (ص)، و قالت : هو الذي يسرق و يزني . ((484)) (لها سابقون كناية عن اتيانه الطاعات ، وجلا ان لايكون مؤديا لها ((485)) و يشرب الخمر، و هو يخاف اللّه ؟ و لعلها كانت تتصور من الكلمة انها مقصورة (ياتون ما اتوا) بمعنى : . تامة حسبما اراده اللّه و ان الصحيح هو قراة المد (يؤتون ما ((486)) (يعملون ما عملوا)، و قد اسلفنا الكلام عن تزييفه آتوا) بمعنى : يؤدون ما ادوا، اي من افعال البر و الخيرات ، من غير اعجاب و لا ريا، و الى ذلك و روى زرارة عن الامام ابي جعفر الباقر(ع) قال : اتى عمار بن ياسر .(ينظر تفسيره (ص رسول اللّه (ص) فقال : يا رسول اللّه ،اجنبت الليلة و لم يكن معي ما قال : كيف صنعت ؟ قال : طرحت ثيابي ثم قمت الى الصعيد فعلمه رسول اللّه التيمم ، سوا اكان بدل وضؤ ام بدل و قرا عمر بن الخطاب من سورة ((عبس)) حتى وصل الى قوله تعالى : . ((488))غسل (فلينظر الا نسان الى طعامه ، اناصببنا الما صبا، ثم شققنا الا رض شقا، فانبتنا فيها حبا، و فقال , ((489)) (متاعا لكم و لانعامكم ,و حدائق غلبا، و فاكهة و ابا ,عنبا و قضبا، و زيتونا ونخلا : هذه الفاكهة قدعرفناها، فما الاب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال : ان هذا لهو التكلف يا عمر و في رواية : ثم رفض ـ او نقض ـ عصا كانت في يده ، و قال : هذا لعمر اللّه هو التكلف ، فما عليك ان لا تدري ماالاب ، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به ، و ما لم تعرفوه فكلوه و قد ورد ان ابابكر ـ ايضا ـ سئل قبل . الى ربه ولعله سئل عن تفسير الاية فحار في الجواب

ذلك عن تفسير الاية ، فقال : اى سما تظلني ، واى ارض تقلني ، اذا قلت في كتاب اللّه ما لم قال الذهبي : و لو اننا رجعنا الى عهد الصحابة لوجدنا انهم لم يكونوا في درجة . ((490)) اعلم واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن ،بل تتفاوت مراتبهم ، و اشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم و هذا يرجع الى تفاوتهم في القوة العقلية ،و تفاوتهم في معرفة ما احاط بالقرآن من ظروف و ملابسات و اكثر من هذا انهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات ، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة ، و لا ضير في هذا،فان قال : و .اللغة لا يحيط بها الا معصوم ، و لم يدع احد ان كل فرد من امة يعرف جميع الفاظ لغتها مما يشهد لهذا الذي ذهبنا اليه ، ما اخرجه ابو عبيدة في الفضائل عن انس : ان عمر بن فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الاب ؟ ثم رجع (الخطاب قرا على المنبر (و فاكهة و ابا ان هذا لهو التكلف يا عمر و ما روي من ان عمر كان على المنبر فقرا: (او : الى نفسه فقال ثم سال عن معنى التخوف ،فقال له رجل من هذيل : التخوف ((491)) (ياخذهم على تخوف تخوف الرحل منها تامكا قردا ـــ كما تخوف عود النبعة السفن :عندنا التنقص ، ثم انشد و هو ان ياخذ الاول فالاول حتى لايبقى منهم , قال الطبرسي : التخوف : التنقص . ((492)) احد، و تلك حالة يخاف معهاالهلاك و الفنا و هو الغنا تدريجا، ثم انشد البيت بتبديل الرحل الى قال الفرا: جا التفسير بانه التنقص و العرب تقول : تحوفته ـ بالحا . ((493)) السير و معنى الاية ـ على ذلك ـ : انه تعالى يهلكهم على . ((494)) المهملة ـ : تنقصه من حافاته حيث يرون انهم في تنقيص ، و الاخذ من ,تدرج شيئا فشيئا، بما يجعلهم على خوف الفنا افلا يرون انا ناتي الا رض ننقصها من) : جوانبهم تدريجا، و هذا نظير ما ورد في آية اخرى و قوله : (و لنبلونكم بشي من الخوف و الجوع ونقص من الا موال و الا نفس و ((495)) (اطرافها و ايضا اخرج ابوعبيدة من طريق مجاهد عن عبد اللّه بن عباس ، قال : . ((496)) (الثمرات كنت لا ادري ما ((فاطر السماوات)) حتى اتاني اعرابيان يتخاصمان في بئر فقال احدهما: انا قال الذهبي : فاذا كان عمر بن الخطاب يخفى . ((497)) فطرتها، و الاخر يقول : انا ابتداتها عليه معنى ((الاب)) و معنى ((التخوف))، و يسال عنهما غيره ، و ابن عباس ـ و هو ترجمان القرآن ـ لا يظهر له معنى ((فاطر)) الا بعد سماعه من غيره ، فكيف شان غيرهما؟ مثلا ـ ان و فاكهة وابا)) انه تعداد للنعم التي انعم اللّه بها عليهم ، و لا يلزمون)) : يعلموا من قوله تعالى انفسهم بتفهم معنى الاية تفصيلا، ما دام المراد واضحاجليا ((498)) .

. المفسرون من الاصحاب

لاخامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن ، , اشتهر بالتفسير من الصحابة اربعة وهم : على بن ابي طالب (ع) و كان راسا و اعلم الاربعة ، و عبد اللّه ابن مسعود، و ابى بن اما غير هؤلا الاربعة .كعب ، و عبداللّه بن عباس ، كان اصغرهم و اوسع باعا في نشر التفسير اشتهر بالتفسير : قال جلال الدين السيوطي .فلم يعهد عنهم في التفسير سوى النزر اليسير من الصحابة عشرة : الخلفا الاربعة ، و ابن مسعود، و ابن عباس ، و ابى بن كعب ، و زيد بن ثابت ، و ابو موسى الاشعري ، و عبداللّه بن الزبير اما الخلفا فاكثر من روي عنه منهم على قال الاستاذ . ((499)) بن ابي طالب ، و الرواية عن الثلاثة (ابي بكر و عمر وعثمان) نزرة جدا الذهبي : و هناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلا، كانس بن مالك ، و ابي هريرة و عبداللّه بن عمر، و جابر بن عبد اللّه ، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، و عائشة غير ان ما نقل عنهم في التفسير قليل جدا، كما ان العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قلة و كثرة ، و المخصوصون بكثرة الرواية في التفسير منهم اربعة : على بن ابي طالب ، و ابن مسعود، و ابى بن كعب ، و ابن عباس اما باقي العشرة ، و هم : زيد، و ابو موسى وابن قال : لهذا نرى الامساك عن الكلام . الزبير، فقد قلت عنهم الرواية ، و لم يبلغوا ما بلغه الاربعة و (و (ابى بن كعب (في شان الستة ، و نتكلم عن (على بن ابي طالب) و (ابن مسعود (ابن عباس) نظرا لكثرة الرواية عنهم في التفسير، كثرة غذت مدارس الامصار على اختلافها وكثرتها ((500)) .

. اعلم الصحابة بمعاني القرآن فالاعلم

و صدر المفسرين من الصحابة هو على بن ابي طالب ، ثم ابن : قال الامام بدر الدين الزركشي عباس و هوتجرد لهذا الشان ، و المحفوظ عنه اكثر من المحفوظ عن علي (ع)، الا ان ابن قال الاستاذ الذهبي : كان علي (ع) بحرا من . ((501)) (عباس كان قد اخذ عن علي (ع العلم ، و كان قوى الحجة سليم الاستنباط، اوتي الحظ الاوفر من الفصاحة و الخطابة و الشعر، و كان ذا عقل ناضج و بصيرة نافذة الى بواطن الامور و كثيرا ما كان يرجع اليه الصحابة في فهم : حين ولاه قضا اليمن ، بقوله (ما خفي ، و استجلا ما اشكل و قد دعا له رسول اللّه (ص حتى , ((502))اللهم ثبت لسانه و اهد قلبه)) فكان موفقا مسددا، فيصلا في المعضلات)) قال : و لا عجب ، فقد تربى في بيت النبوة .((ضرب به المثل ، فقيل : ((قضية و لاابا حسن لها اكان في اصحاب محمد اعلم من :و تغذى بلبان معارفها، و عمته مشكاة انوارها و قيل لعطا , قال : اذا ثبت لناالشي , علي ؟ قال : لا، واللّه لا اعلمه و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ابن عباس : جل ما تعلمت من التفسير، . ((503)) عن علي ، لم نعدل عنه الى غيره من على بن ابي طالب و قال : علي علم علما علمه رسول اللّه ، ورسول اللّه علمه اللّه ، فعلم النبي من علم اللّه ، و علم علي من علم النبي ، و علمي من علم علي (ع) و ما علمي وعلم اصحاب محمد(ص) في علم علي الا كقطرة في سبعة ابحر و في حديث آخر: فاذا علمي بالقرآن في علم علي (ع) كالقرارة في المثعنجر، قال : القرارة : الغدير، و و قال : لقد اعطي على بن ابي طالب (ع) تسعة اعشار العلم ، . ((504)) البحر :المثعنجر الامر الذي احوج الكل اليه و استغنى عن الكل ، ,و ايم اللّه لقد شاركهم في العشر العاشر و قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول : اذا جانا الثبت عن علي (ع) . كما قال الخليل و قد . لم نعدل به و في لفظ ابن الاثير: اذا ثبت لنا الشي عن علي لم نعدل عنه الى غيره و قال سعيد بن .(عرفت ان ما اخذه ابن عباس من التفسير فانما اخذه عن علي (ع المسيب : ما كان احد من الناس يقول سلوني غير على بن ابي طالب قال : كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن و قد روى البلاذري في الانساب قولة عمر: ((لا ابقاني اللّه يقول : سلوني ، سلوني ، (و قال ابو الطفيل : كان علي (ع .((لمعضلة ليس لهاابوحسن و قال عبد اللّه .سلوني عن كتاب اللّه تعالى ، فو اللّه ما من آية الا و انااعلم انزلت بليل او نهار ان القرآن انزل على سبعة احرف ، ما منها حرف الا و له ظهر و بطن ، و ان على :بن مسعود ـ ٣٤٥) 261)و روى ابو عمرو الزاهد . ((505)) بن ابي طالب عنده منه الظاهر و الباطن باسناده الى علقمة ، قال : قال لنا عبد اللّه بن مسعود ذات يوم في حلقته :لو علمت احدا هو اعلم مني بكتاب اللّه عز و جل ، لضربت اليه آباط الابل قال علقمة : فقال رجل من الحلقة :القيت عليا(ع)؟ فقال : نعم ، قد لقيته ، و اخذت عنه ، و استفدت منه ، و قرات عليه ، و . ((506)) كان خير الناس و اعلمهم بعد رسول اللّه (ص) و لقد رايته كان بحرا يسيل سيلا ع) مرجع العلوم الاسلامية كلها ـ : و من العلوم علم)قال ابن ابي الحديد ـ بصدد كونه تفسير القرآن و عنه اخذ،و منه فرع و اذا راجعت الى كتب التفسير علمت صحة ذلك ، لان اكثره عنه و عن عبد اللّه بن عباس و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و انقطاعه اليه ، و انه تلميذه و خريجه و قيل له : اين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : كنسبة و اخرج الحاكم باسناده عن رسول اللّه (ص) قال . ((507)) قطرة من المطر الى البحر المحيط انا)) : : ((علي مع القرآن و القرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يرداعلي الحوض)) و قال و الان فلنستمع الى ما . ((508)) ((مدينة العلم و علي بابها، فمن اراد المدينة فلياتها من بابها فانه ليست , يصف (ع) نفسه و موضعه من رسول اللّه (ص) قال : ((سلوني عن كتاب اللّه آية الا و قد عرفت بليل نزلت ام بنهار، في سهل او جبل))، ((و اللّه ما نزلت آية الا و قد علمت قيل له : ((ما بالك .((فيم انزلت و اين نزلت و ان ربي و هب لي قلبا عقولا و لسانا سؤولا ((اكثر اصحاب النبى (ص) حديثا؟ فقال : لاني كنت اذا سالته انباني ، و اذا سكت ابتداني قال (ع): ((كنت اول داخل على النبى (ص) و آخر خارج من عنده ، و كنت اذا . ((509)) سالت اعطيت ، و اذا سكت ابتديت و كنت ادخل على رسول اللّه في كل يوم دخلة ، و في كل ليلة دخلة و ربما كان ذلك في بيتي ، ياتيني رسول اللّه اكثر من ذلك في منزلي فاذا

دخلت عليه في بعض منازله اخلى بي و اقام نساه ، فلم يبق عنده غيري و اذا اتاني لم يقم فاطمة و لا احدا من ولدي و اذا سالته اجابني ، و اذا سكت عنه و نفدت مسائلي ابتداني فما نزلت على رسول اللّه آية من القرآن الا اقرانيها و املاها علي و كتبتها بخطي ، فدعا اللّه و . ((510)) ((ان يفهمني ويعطيني ، فما نزلت آية من كتاب اللّه الا حفظتها و علمني تاويلها في الكافي : ((فما نزلت على رسول اللّه آية من القرآن الا اقرانيها و املاها على ، فكتبتها و ناسخها و منسوخها، و محكمها و متشابهها، و خاصها ,بخطي ، و علمني تاويلها و تفسيرها و عامها و دعا اللّه ان يعطيني فهمهاو حفظها فما نسيت آية من كتاب اللّه و لا علما املاه على و كتبته ، منذ دعا اللّه لي بما دعا و ما ترك شيئا علمه اللّه من حلال و لا حرام ، و لا امر و لا كتاب منزل على احد قبله من طاعة او معصية ،الاعل منيه و , و لا نهي كان او يكون حفظته ، فلم انس حرفا واحدا ثم وضع يده على صدري و دعا اللّه لي ان يملا قلبي علما و فهما وحكما و نورا فقلت : يا نبى اللّه ـ بابي انت و امي ـ منذ دعوت اللّه لي بما دعوت ، لم انس شيئا و لم يفتني شي لم اكتبه ، افتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال : لا، لست لعلي (ع): ((ان اللّه (و قد قال رسول اللّه (ص . ((511))اتخوف عليك النسيان و الجهل امرني ان ادنيك و لا اقصيك ، و ان اعلمك و لا اجفوك فحقيق علي ان اعلمك ، و حقيق عليك و في الخطبة القاصعة ـ من نهج البلاغة ـ : ((و قد علمتم موضعي من . ((512)) ((ان تعي رسول اللّه (ص) بالقرابة القريبة ، و المنزلة الخصيصة وضعني في حجره و انا ولد، يضمني و كان ((513)) , الى صدره ، و يكنفني الى فراشه ، و يمسني جسده ، و يشمني عرفه و لقد . في فعل ((514)) يمضغ الشي ثم يلقمنيه و ما وجد لي كذبة في قول ، و لا خطلة قرن اللّه به (ص)، من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، و و لقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ، يرفع لي في كل . محاسن اخلاق العالم ، ليله و نهاره و لقد كان يجاور في كل سنة بحرا، فاراه و لا يراه . يوم من اخلاقه علما، و يامرني بالاقتدا به و خديجة و انا ثالثهما ارى (غيري و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول اللّه (ص و لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه . نور الوحي و الرسالة ، و اشم ريح النبوة (ص) فقلت : يا رسول اللّه ، ما هذه الرنة ؟ فقال : هذا الشيطان ايس من عبادته انك تسمع و اما . ((515)) ((ما اسمع ، و ترى ما ارى ، الا انك لست بنبى و لكنك لوزير و انك لعلى خير عبد اللّه بن مسعود، فهو من السابقين في الايمان ، و اول من جهر بالقرآن بمكة ، و اسمعه قريشا بعدرسول اللّه (ص) و اوذي في اللّه من اجل ذلك و كان قد اخذه رسول اللّه اليه ، فكان يخدمه في اكثر شؤونه ، وهو صاحب طهوره و سواكه و نعله ، و يلبسه اياه اذا قام ، و يخلعه و يحمله في ذراعه اذا جلس ، و يمشي امامه اذاسار، و يستره اذا اغتسل ، و يوقظه هاجر .(اذا نام ، و يلج داره بلاحجاب ، حتى لقد ظن انه من اهل بيت رسول اللّه (ص كان من احفظ . الهجرتين ، و صلى الى القبلتين ، و شهد المشاهد كلها مع رسول اللّه من)) : الناس لكتاب اللّه ، و كان رسول اللّه يحب ان يسمع القرآن منه ، و كان (ص) يقول و كان حريصا على .((سره ان يقرا القرآن غضا طريا كما انزل فليقراه على قراة ابن ام عبد طلب العلم و لا سيما معاني آيات القرآن الكريم ، قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات ،لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن ، و من ثم كان يقول : و الذي لا اله غيره ، ما نزلت آية من كتاب اللّه الا و انا اعلم فيم نزلت و اين نزلت ، كما كان شديد الحرص ايضا على بث قال مسروق بن الاجدع : كان عبد اللّه يقرا علينا السورة ثم يحدثنا .العلم و نشره بين العباد فيها و يفسرها، عامة النهار، و قد اذعن له عامة صحابة الرسول (ص) بالفضيلة و العلم و من ثم كانت له مكانة سامية في التفسير، و بذلك طار صيته ، و . ((516)) بالكتاب و السنة و لاسماعيل :قال الخليلي في الارشاد . عنه في التفسيرالشي الكثير، و الطرق اليه متقنة السدي تفسير يورده باسانيد الى ابن مسعود و ابن عباس و روى عن السدي الائمة ، مثل قال جلال الدين السيوطي ـ . الثورى و شعبة ، و اضاف : ان امثل التفاسير تفسير السدي يورد منه ابن جرير , تعقيبا على كلام صاحب الارشاد ـ : و تفسير السدي الذي اشار اليه الطبري) كثيرا من طريق السدي عن ابي مالك ، و عن ابي صالح عن ابن عباس ، و عن مرة) و ناس من الصحابة هكذا قال : و الحاكم يخرج منه في مستدركه اشيا و ,عن ابن مسعود

اي , ((517)) يصححه ، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود، وناس فقط دون الطريق الاول قد اخذ العلم من على (ع) و (و كان بعد رسول اللّه (ص . طريق ابي صالح عن ابن عباس ليس من غيره بتاتا و قد تقدم حديث علقمة ، قال : قال ابن مسعود ذات يوم ، و كنا في حلقته فقال : : لو علمت ان احدا هو اعلم مني بكتاب اللّه عز و جل لضربت اليه آباطالابل قال علقمة رجل من الحلقة : القيت عليا؟ فقال : نعم ، قد لقيته ، و اخذت عنه ، و استفدت منه ، و قرات عليه و كان خير الناس و اعلمهم بعد رسول اللّه (ص) و لقد رايته كان بحرا يسيل سيلا و عده الخوارزمي و شمس الدين الجزري في ((اسنى المطالب)) من رواة . ((518)) و اخرج جلال الدين السيوطي عنه نزول آية التبليغ . ((519)) حديث الغدير من الصحابة (سورة المائدة / ٦٧) بشان على (ع) يوم الغدير، قال : و اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال : كنا نقرا على عهد رسول اللّه (ص): ((يا ايهاالرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ـ ان عليا نعم . ((520)) ((مولى المؤمنين ـ و ان لم تفعل فما بلغت رسالته ، و اللّه يعصمك من الناس كان ابن مسعود ممن شد وثاقه بولا آل بيت الرسول ، لم يشذ عن طريقتهم المثلى منذ اول روى الصدوق ابو جعفر ابن بابويه باسناده الى زيد بن وهب الجهني . يومه فالى آخرايام حياته ان اثني عشر رجلا من صحابة رسول اللّه (ص) انكروا : ((521)) ابي سليمان الكوفي و كان هو الذي اشاد .على ابي بكر تقدمه على على (ع) و عدمنهم : عبد اللّه بن مسعود قال . ((522)) بذكر اهل البيت ، و بث حديث ((الخلفا اثنا عشر)) في الكوفة و ما والاها المرتضى علم الهدى ـ بشانه ـ : لا خلاف بين الامة في طهارة ابن مسعود و فضله و ايمانه ، و و سياتي من . ((523)) مدح النبى (ص) له و ثنائه عليه ، و انه مات على الحالة المحمودة و روى . ((524))تقي الدين ابي الصلاح الحلبي ، عده و ابيا من المخصوصين بولاية آل البيت رضي الدين ابو القاسم على بن موسى بن طاووس (٦٦٤) عن كتاب ابي عبداللّه محمد بن (علي السراج في تاويل قوله تعالى : (و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة انه قد ,قال النبى (ص): ((يا ابن مسعود : بالاسناد الى عبد اللّه بن مسعود، انه قال ((525)) انزلت علي آية (و اتقوا فتنة) و انا مستودعكها، فكن لما اقول لك واعيا و عني له مؤديا، من ظلم عليا مجلسي هذا كمن جحد نبوتي و نبوة من كان قبلي فقال له الراوي : يا ابا عبدالرحمان ، اسمعت هذا من رسول اللّه (ص)؟ قال : نعم قال : فكيف وليت للظالمين ؟ و ذلك اني لم استاذن امامي كما استاذن جندب و , ((526)) لا جرم حلت عقوبة عملي : قال و مما يجدر التنبه له ان عامة . ((527)) ((عمار و سلمان ، و انا استغفر اللّه و اتوب اليه الكوفيين من مفسرين و فقها و محدثين ، كان طابعهم الولا لاهل البيت (ع) و قدخص اصحاب ابن مسعود بالميل لعلي (ع) الامر الذي كانت البيئة الكوفية تستدعيه بالذات ، على اثر وفرة العلما من صحابة الرسول (ص) هناك و لا غرو فانهم اعرف بموضع اهل البيت و لا سيما سيدهم و كبيرهم على بن ابي طالب ، من رسول اللّه ، و كثرة وصاياه بشانهم ، و التمسك و من ثم فقد امتازت الكوفة في امور جعلتها في .باذيالهم و السير على هديهم ، فلا يضلواابدا اولا: كانت مهجر علما الصحابة الاخيار و اعلام :قمة العظمة و الاكبار، على مدى الدهور , اخرج ابن سعد عن ابراهيم .(الامة الكبار، و بلغ اوجها عند مهاجرة الامام اميرالمؤمنين (ع قال : هبط الكوفة ثلاثمئة من اصحاب الشجرة ،و سبعون من اهل بدر و بذلك قال ابن عمرو: ما من يوم الا ينزل في فراتكم هذا مثاقيل من بركة الجنة كناية عن مهاجرة اصحاب الرسول و ثانيا: اصبحت معهد العلم في الاسلام في دور نضارته و ازدهار . ((528)) اليها فوجا فوجا معارفه ، فمن الكوفة صدرت العلوم و المعارف الاسلامية ، بشتى انحائها الى البلاد، و سارت به الركبان الى الامصار في عهدطويل اخرج ابن سعد ـ ايضا ـ عن عبيد اللّه بن موسى ، قال : اخبرنا عبد الجبار بن عباس عن ابيه ، قال : جالست عطا، فجعلت اساله فقال لي : و ثالثا: . ((529)) ممن انت ؟ فقلت : من اهل الكوفة فقال عطا: ما ياتينا العلم الا من عندكم كانت ارضا خصبة لتربية ولا آل الرسول (ص) في نفوس مؤمنة صادقة في ايمانها، مؤدية اجر رسالة نبيها، حافظة لكرامة رسول اللّه في ذريته الانجاب ، عارفة بانهم سفن النجاة ، و احد الثقلين ، و العروة الوثقى التي لا انفصام لها، و من ثم روى ابن سعد: ((ان اسعد الناس اما اصحاب ابن مسعود (الصحابي الجليل الموالي لال بيت . ((530)) ((بالمهدى اهل الكوفة

الرسول) فكانوا اصدق عند الناس على عـلـي (ع) عـلـى مـا اخرجه ابن سعد باسناده عن كانوا لايـغـالون و لا ينتقصون و من ثم روي عن على (ع , ((531)) ابي بكر ابن عياش عن مغيرة ((قال : ((اصحاب عبد اللّه سرج هذه القرية ,) ما يدل على رضائه عن موقفهم هذا المشرف انـمـا يـعـرف صـلاح الرجل و استقامته في الدين ، بتقواه عن محارم اللّه و . ملحوظة . ((532)) استسلامه لاوامره و نـواهـيه ، و في اطاعة الرسول و اتباع سنته و العمل بوصاياه ، من غير ان اذ مقتضى الايمان الصادق ان يسلم امره , يكون له الخيرة من امره بعد ما قضى اللّه و رسوله الى اللّه و رسوله تسليما.

عن ((السائحين)) في قوله تعالى : (التائبون (فقد سئل النبى (ص فقال : هم الصائمون , ((407)) (العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون فلا غموض في معنى السياحة ، و لكن اى مصاديق السياحة مقصودة ((408)) هنا؟ و لعل هنا استعارة جات لامر معنوي ، مما يدعو الى السؤال عنه و مراجعة اهل الذكر قال الطبرسي : السائح من : ساح في الارض يسيح سيحا، اذا استمر في الذهاب ، و منه السيح للماالجاري ، و من ذلك يسمى الصائم سائحا، لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى قال : و روي عن النبي انه قال : و سئل عن الاستطاعة في قوله تعالى . ((409)) ((((سياحة امتي الصيام قال (ص): ((410)) (: (و للّه على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فان مفهوم الاستطاعة عام يشمل اى نحو من ((411)) ((((الزاد و الراحلة الاستطاعة و باى وسيلة مقدورة و كانت بالامكان ، غير ان هذا غير المراد بالاستطاعة الى الحج الواجب ، فبين (ع) انه القدرة على الزاد و الراحلة ، ان كان ذلك بوسعه من غير تكلف و هذا كناية عن الاستطاعة المالية ، كما فهمه و هكذا لما سالته عائشه عن الكسوة الواجبة في . الفقهارضوان اللّه عليهم كفارة الايمان ، في قوله تعالى : (فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ((عباة لكل مسكين)) :(اجاب (ص ((412)) (ما تطعمون اهليكم ، او كسوتهم و ساله رجل من هذيل عن قوله تعالى : (ومن كفر فان اللّه غني عن . ((413)) قال : يا رسول اللّه ، من تركه فقد كفر؟ فقال (ص): ((من ((414)) (العالمين كناية عمن تركه جحودا لا يؤمن ((415)) ((تركه لايخاف عقوبته و لا يرجو مثوبته بعاقبته ، فهذا كافر بالمعاد و بيوم الجزاو الحساب ، الامر الذي يعود الى انكار ضروري للدين و انكار الشريعة راسا، اما الذي تركه لا عن نكران فهوفاسق عاص و و هكذا روي عن الامام موسى الكاظم (ع) حينما ساله اخوه .ليس بكافر جاحد و سئل عن قوله تعالى : (كما . ((416)) على بن جعفر: من لم يحج منا فقد كفر؟ عضين))؟))مامعنى , ((417)) (انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فالاية الكريمة انكار على . ((418)) ((فقال (ص): ((آمنوا ببعض و كفروا ببعض الذين فرقوا بين اجزا القرآن الامر يثير السؤال عن المراد من هذه التجزئة المستنكرة ؟ و من ثم كان الجواب : انها التفرقة في الايمان بالبعض و الكفر بالبعض ((419)) (و سئل عن قوله تعالى : (فمن يرد اللّه ان يهديه يشرح صدره للاسلام . الانابة الى))كيف يشرح صدره ؟قال (ص): ((نور يقذف به فينشرح له و ينفسح , ((و التجافي عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل لقا الموت ,دارالخلود عن قوله تعالى : (لهم البشرى ((421))و ساله عبادة بن الصامت . ((420)) ماذا تكون تلك البشارة ؟ قال (ص): , ((422)) (في الحياة الدنيا و في الا خرة و روى الكليني في . ((423)) ((((هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل ، او ترى له الكافي و الصدوق في الفقيه باسنادهما عن النبى (ص) قال : ((البشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر بها في دنياه)) و زاد في الفقيه : ((و اما قوله : (في الاخرة)، فانها بشارة المؤمن عند الموت ، يبشر بها عند موته : ان اللّه عز و جل قد غفر لك و لمن يحملك الى قبرك)) و قال على بن الذين تتوفاهم) : ابراهيم القمي : و (في الاخرة) عند الموت ، و هو قوله تعالى و . ((424)) (الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر) : سئل عن قوله تعالى كيف يحشر اهل النار على وجوههم ؟ فقال (ص): ((425)) (مكانا واضل سبيلا و . ((426)) ((((ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم بهذا المعنى آية اخرى اوضحت الحشر على الوجوه بالسحب على و جوههم ، قال و , ((427)) (تعالى : (يوم يسحبون في النار على وجوههم ، ذوقوا مس سقر و اخرج الحاكم .(قوله : (و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا و صما و بكما

باسناده الى الاصبغ بن نباتة ـ و قال : انه احسن الروايات في هذاالباب ـ عن الامام قال رسول ((428)) (لما نزلت الاية (فصل لربك و انحر : امير المؤمنين (ع)، قال اللّه (ص):يا جبرئيل ، ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي ؟ قال : انها ليست بنحيرة ، و لكنه يامرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت و اذا ركعت و اذا رفعت راسك من الركوع ، فانها صلاتنا و صلاة الملائكة الذين في السماوات السبع و في رواية اخرى زيادة قوله : ان لكل شي زينة ، و زينة الصلاة رفع ((429)) الايدي قال (ص):رفع الايدي من الاستكانة التي قال اللّه ـ عز و جل : (فما استكانوا عن المنكر (و سالته ام هانئ (بنت ابي طالب . ((430)) (لربهم و مايتضرعون الذي كان قوم لوط ياتونه في ناديهم ، حيث قوله تعالى :(وتاتون في ناديكم . ((432)) ((؟ فقال (ص): ((كانوا يخذفون اهل الطريق ويسخرون ((431)) (المنكر ففي المجمع : كانت مجالسهم تشتمل على , و لعل هذا كان بعض اعمالهم المنكرة انواع من المناكير و القبائح ، مثل الشتم و السخف و الصفع و القمار، و ضرب و كشف العورات ,المخارق و خذف الاحجار على المارين و ضرب المعازف و المزامير و ربما سالوه . ((433)) و اللواط، و قيل : كانوايتضارطون من غير حشمة و لا حيا عن عموم حكم و شموله لبعض ما اشتبه عليهم امره ، فقد ساله جريربن عبد اللّه عن نظرة الفجاة ، و قد قال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من ((434)) الجبلي فهل يشمل عموم الامر بالغض لما اذا كانت النظرة فجاة ، و , ((435)) (ابصارهم اي لا يداوم , ((436)) فامرني (ص) ان اصرف بصري :قال جرير .هي غير ارادية ؟ قال : جا رجل (و عن ابي جعفر الباقر(ع . في النظرة ، و يصرف ببصره من فوره و آتواالـيتامى) : الى النبى (ص) و ساله عن امر اليتامى ، حيث قوله تعالى اموالهم و لا تتبدلوا الخبيث بالطيب و لا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا) الى قوله : (و لا تاكلوها اسرافا و بدارا ان يكبروا، و من كان غنيافليستعفف فقال : يا رسول اللّه ، ان اخي هلك و ((437)) (، ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف ترك ايتاما و لهم ماشية ، فما يحل لي منها؟ فقال رسول اللّه (ص): ان كنت تليط فاشرب من البانها، غير مجتهد و لاضار ,حوضها، و ترد ناديتها، و تقوم على رعيتها اشارة الى قوله تعالى : ((438)) بالولد، و اللّه يعلم المفسد من المصلح (ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير و ان تخالطوهم فاخوانكم و اللّه يعلم و احيانا كانت الاسئلة لغوية ، على ما اسبقنا ان . ((439)) (المفسد من المصلح القرآن اخذ من لغات القبائل كلها، و ربما كانت اللفظة المتداولة في قبيلة ، غير عن معنى ((440)) من ذلك ما ساله قطبة بن مالك الذبياني . معروفة عند الاخرين قال : ما ((441)) (((البسوق)) من قوله تعالى : (و النخل باسقات لهاطلع نضيد باسقات ، اي طويلات و الباسق : قال الراغب ((442)) بسوقها؟ فقال (ص): طولها و . علاهم : هوالذاهب طولا من جهة الارتفاع ، و منه بسق فلان على اصحابه ,(ساله عبد اللّه بن عمرو بن العاص عن الصور في قوله تعالى : (و نفخ في الصور و عن الامام جعفر بن محمد . ((444)) قال (ص): هو قرن ينفخ فيه ((443)) (الصادق (ع) قال : قال رسول اللّه (ص) في قوله تعالى :(فتقعد ملوماًمحسورا الحسر: كشف الملبس عما عليه و الحاسر: . ((446)) الاقتار :، الاحسار ((445)) من لا درع له و لا مغفر و ناقة حسير: انحسر عنها اللحم و القوة والحاسر: المعيا، اذن فالمحسور: من افتقد اسباب المعيشة التي اهمها المال ، و . لانكشاف قواه ليس من الحسرة كماتوهم ، فصح تفسير المحسور بالمقتر، لان القتر فقد النفقة او قد تجعل المسلمين في , و ربما كانت الاية شديدة الوطاة .تقليلها، و المقتر: الفقير . قلق ، لولا مراجعته (ص)ليفسرها لهم بما يرفع عنهم الم الياس و قلق الاضطراب من ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن الامام ابي جعفر الباقر(ع) قال : لما نزلت قال بعض اصحاب رسول ,**فقال لهم رسول اللّه : اما** ((447))الاية : (من يعمل سؤ اللّه (ص): ما اشدها من آية تبتلون في اموالكم وانفسكم و ذراريكم ؟ قالوا: بلى

و سئل . ((448))، قال : هذا مما يكتب اللّه لكم به الحسنات و يمحو به السيئات فيما النجاة غدا؟ فقال (ص): ((النجاة ان لا تخادعوا اللّه فيخدعكم ، فانه من يخادع فقيل : كيف يخادع اللّه ؟ .((اللّه يخدعه و يخلع منه الايمان ، و نفسه يخدع لو يشعر قال : ((يعمل بما امره اللّه ثم يريد به غيره ، فاتقوا اللّه فاجتنبوا الريا فانه شرك و ذلك قوله تعالى : (ان المنافقين يخادعون اللّه و هو خادعهم و , ((449)) ((باللّه و لما نزلت الاية : (و . ((450)) (اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس قالوا: يا رسول اللّه ، ((451)) (ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم فضرب : من هؤلا الذين اذا تولينا استبدلوا بنا؟ هذا و قومه و في رواية الطبري على منكب سلمان و قال : من هذا و قومه و الذي نفسي بيده لو ان الدين تعلق بالثريالنالته رجال من اهل فارس و في رواية البيهقي : لو كان الايمان منوطا بالثريا و ربما سالوه (ص) عن غير الاحكام مما جا ذكره . ((452))لتناوله رجال من فارس في القرآن اجمالا، ليبعثهم حب الاستطلاع على السؤال عنه من ذلك سؤال فروة عن ((سبا)): رجل او امراة ام ارض ؟ فقال (ص): هو ((453)) بن مسيك المرادي رجل ولدعشرة من الولد، ستة من ولده باليمن ، و اربعة بالشام فاما اليمانيون فمذحج و كندة و الازد والاشعريون و انمارو حمير، خير كلها، و اما الشاميون فلخم و قال الطبرسي : سبا، هو ابو عرب اليمن كلها، و . ((454)) جذام و عاملة و غسان و هو الظاهر من عود ضمير العقلا اليهم في قوله , ((455)) قد تسمى به القبيلة كلوا من رزق , تعالى : (لقد كان لسبا في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين و شمال و ساله ابو هريرة عن قوله . ((456)) (ربكم ، و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور كل شي))؟))قال : انبئنى عن , ((457)) (تعالى : (و جعلنا من الما كل شي حي بمعنى ان الما اصل الحياة ، حيوانا , ((458)) ((كل شي خلق من الما)) :(قال (ص و احيانا كان (ص) . ((459)) كان ام نباتا و ورد في الحديث : اول ما خلق اللّه الما يتصدى لتفسير آية او آيات لغرض العظة او الاعتبار، كالذي رواه ابو سعيد الخدري عن رسول اللّه (ص) في قوله تعالى : (تلفح وجوههم النار و هم فيها ((460)) قال (ص):تشويها النار فتتقلص شفاهها العليا حتى تبلغ ((461)) (كالحون وسط الرؤوس ، و تسترخي شفاهها السفلى حتى تبلغ الاسرة اخرجه الحاكم ، و قرا النبى (ص): (يومئذ : و عن ابي هريرة ، قال . ((462)) قال : صحيح الاسناد اللّه ورسوله اعلم في يوم كذا :تحدث اخبارها)ثم قال : اتدرون ما اخبارها؟ قالوا قال : سمعت رسول اللّه (ص) قرا: (ثم ((464)) و عن ابي الدردا . ((463)) وكذا اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم ثم ((465)) (جنات عدن يدخلونها ,سابق بالخيرات باذن اللّه ، ذلك هو الفضل الكبير قال : ((السابق و المقتصد يدخلان الجنة غيرحساب ، و الظالم لنفسه يحاسب ((467)) و هكذا روى عمران بن حصين . ((466)) ((حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة لا يقوم الا لعظيم صلاة , قال : كان النبى (ص) يحدثنا عامة ليله عن بني اسرائيل هذا غيض من فيض و . و لعله ذات ليلة او ليالي معدودة كانت معهودة . ((468)) رشف من رشح ، فاضت به ينبوع الحكمة و مهبط الوحي الكريم ، و لا زالت بركاته هم درجات عند اللّه . المرحلة الثانية التفسير في دور الصحابة .متواصلة عبر الخلود . قيمة تفسير الصحابي . اعلم الصحابة بمعاني القرآن . المفسرون من الصحابة . . التفسير فى دور الصحابة . ميزات تفاسير الصحابة

. هم درجات عند اللّه

, لا شك ان الصحابة . ((469)) (قال تعالى : (نرفع درجات من نشا و فوق كل ذى علم عليم كانوا هم مراجع الامة بعد الرسول (ص)اذ كانوا ((470)) (ممن (رضي اللّه عنهم و رضوا عنه نعم كانوا على .حاملي لوائه و مصادر شريعته الى الملا، ليس يعدل عنهم الى الابد درجات من العلم و الفضيلة حسبما اوتوا من فهم و ذكا و سائرالمواهب و الاستعداد(انزل يؤتي الحكمة من يشا و من يؤت الحكمة فقد), ((471)) (من السما ما فسالت اودية بقدرها

جالست اصحاب : ((473)) قال مسروق بن الاجدع الهمداني . ((472)) (اوتي خيرا كثيرا محمد(ص) فوجدتهم كالاخاذ ـ يعني الغدير من الماـ فالاخاذ يروي الرجل ، و الاخاذ يروي الرجلين ، و الاخاذ يروي العشرة ، و الاخاذ يروي المائة ، و الاخاذ لونزل به اهل الارض لاصدرهم و في لفظ ابن الاثير: تكفي الاخاذة الراكب ، و تكفي الاخاذة الراكبين ، و تكفي . ((474)) الاخاذة الفئام من الناس قال : و الاخاذ ككتاب : مصنع للما يجتمع فيه و الفئام : الجماعة الامام امير المؤمنين ، عليه صلوات المصلين ، (و يعني بالاخير (لاصدرهم . ((475)) الكثيرة قال مسروق : ((476)) حيث كان ـ سلام اللّه عليه ـ ينحدر عنه السيل و لا يرقى اليه الطير و عالم بالعراق عبد اللّه ابن , عالم بالمدينة على بن ابي طالب : ((انتهى العلم الى ثلاثة مسعود، و عالم بالشام ابي الدردا، فاذا التقوا سال عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة و قال الاستاذ محمد حسين الذهبي : الحق ان الصحابة كانوا . ((477)) ((هو لم يسالهم يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن و بيان معانيه المرادة منه ، و ذلك راجع الى اختلافهم فمنهم الواسع الاطلاع الملم بغريبها , في ادوات الفهم فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم (كعبد اللّه بن عباس)، و منهم دون ذلك ، و منهم من لازم النبى (ص)فعرف من اسباب النزول ما لم يعرفه غيره (كعلى بن ابي طالب (ع)) اضف الى ذلك ان الصحابة لم يكونوا في . ((478)) درجتهم العلمية و مواهبهم العقلية سوا، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافا عظيما العربي الصميم ، حسب من قوله تعالى : (و كلوا و اشربوا حتى , ((479)) هذا عدى بن حاتم انه تمايز احد خيطين : ابيض و ((480)) (يتبين لكم الخيط الا بيض من الخيط الا سود من الفجر آخر اسود،احدهما عن الاخر في ضؤ الفجر، فاخذ عقالين ابيض و اسود و جعلهما تحت وساده ، فجعل ينظر اليهما فلايتبين له احدهما عن الاخر، فلما اصبح غدا الى رسول اللّه (ص) يخبره حتى بدت نواجذه ، و في رواية ، قال له : ان , فضحك رسول اللّه من صنيعه ذلك , بما صنع وسادك اذن لعريض ـ كناية عن عدم تنبهه لحقيقة الامر ـ ثم قال له : انما ذاك بياض النهار من انه البياض المعترض على الافق تحت سواد الليل المنصرم وفي الدر , ((481)) سواد الليل المنثور: لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال و لا الفجر المستطيل ـ و هو الساطع المصعد ـ و لكن الفجرالمستظهر في الافق ، هو المعترض الاحمر، يلوح الى الحمرة و في حديث : لايمنعكم اذان بلال من سحوركم فانه ينادي بليل ، فكلوا و اشربوا حتى تسمعوا اذان ابن ام قال الامام ابو جعفر الباقر (ع): ((الفجر هو . ((482)) مكتوم ، فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر و زعمت عائشة من قوله تعالى . ((483)) ((الخيط الابيض المعترض ، و ليس هو الابيض صعدا يوتون ما آتوا) ارادة ارتكاب المثم ، الامر الذي يتنافى مع سياق الاية الواردة بشان الاشادة) : بموضع المؤمنين حقا، قال تعالى : (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ـ الى قوله ـ و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات و هم فسالت عن ذلك رسول اللّه (ص)، و قالت : هو الذي يسرق و يزني . ((484)) (لها سابقون كناية عن اتيانه الطاعات ، وجلا ان لايكون مؤديا لها ((485)) و يشرب الخمر، و هو يخاف اللّه ؟ و لعلها كانت تتصور من الكلمة انها مقصورة (ياتون ما اتوا) بمعنى : . تامة حسبما اراده اللّه و ان الصحيح هو قراة المد (يؤتون ما ((486)) (يعملون ما عملوا)، و قد اسلفنا الكلام عن تزييفه آتوا) بمعنى : يؤدون ما ادوا، اي من افعال البر و الخيرات ، من غير اعجاب و لا ريا، و الى ذلك و روى زرارة عن الامام ابي جعفر الباقر(ع) قال : اتى عمار بن ياسر .(ينظر تفسيره (ص رسول اللّه (ص) فقال : يا رسول اللّه ،اجنبت الليلة و لم يكن معي ما قال : كيف صنعت ؟ قال : طرحت ثيابي ثم قمت الى الصعيد فعلمه رسول اللّه التيمم ، سوا اكان بدل وضؤ ام بدل و قرا عمر بن الخطاب من سورة ((عبس)) حتى وصل الى قوله تعالى : . ((488))غسل (فلينظر الا نسان الى طعامه ، اناصببنا الما صبا، ثم شققنا الا رض شقا، فانبتنا فيها حبا، و فقال , ((489)) (متاعا لكم و لانعامكم ,و حدائق غلبا، و فاكهة و ابا ,عنبا و قضبا، و زيتونا ونخلا : هذه الفاكهة قدعرفناها، فما الاب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال : ان هذا لهو التكلف يا عمر و في رواية : ثم رفض ـ او نقض ـ عصا كانت في يده ، و قال : هذا لعمر اللّه هو التكلف ، فما عليك ان لا تدري ماالاب ، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به ، و ما لم تعرفوه فكلوه و قد ورد ان ابابكر ـ ايضا ـ سئل قبل . الى ربه ولعله سئل عن تفسير الاية فحار في الجواب

ذلك عن تفسير الاية ، فقال : اى سما تظلني ، واى ارض تقلني ، اذا قلت في كتاب اللّه ما لم قال الذهبي : و لو اننا رجعنا الى عهد الصحابة لوجدنا انهم لم يكونوا في درجة . ((490)) اعلم واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن ،بل تتفاوت مراتبهم ، و اشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم و هذا يرجع الى تفاوتهم في القوة العقلية ،و تفاوتهم في معرفة ما احاط بالقرآن من ظروف و ملابسات و اكثر من هذا انهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات ، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة ، و لا ضير في هذا،فان قال : و .اللغة لا يحيط بها الا معصوم ، و لم يدع احد ان كل فرد من امة يعرف جميع الفاظ لغتها مما يشهد لهذا الذي ذهبنا اليه ، ما اخرجه ابو عبيدة في الفضائل عن انس : ان عمر بن فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الاب ؟ ثم رجع (الخطاب قرا على المنبر (و فاكهة و ابا ان هذا لهو التكلف يا عمر و ما روي من ان عمر كان على المنبر فقرا: (او : الى نفسه فقال ثم سال عن معنى التخوف ،فقال له رجل من هذيل : التخوف ((491)) (ياخذهم على تخوف تخوف الرحل منها تامكا قردا ـــ كما تخوف عود النبعة السفن :عندنا التنقص ، ثم انشد و هو ان ياخذ الاول فالاول حتى لايبقى منهم , قال الطبرسي : التخوف : التنقص . ((492)) احد، و تلك حالة يخاف معهاالهلاك و الفنا و هو الغنا تدريجا، ثم انشد البيت بتبديل الرحل الى قال الفرا: جا التفسير بانه التنقص و العرب تقول : تحوفته ـ بالحا . ((493)) السير و معنى الاية ـ على ذلك ـ : انه تعالى يهلكهم على . ((494)) المهملة ـ : تنقصه من حافاته حيث يرون انهم في تنقيص ، و الاخذ من ,تدرج شيئا فشيئا، بما يجعلهم على خوف الفنا افلا يرون انا ناتي الا رض ننقصها من) : جوانبهم تدريجا، و هذا نظير ما ورد في آية اخرى و قوله : (و لنبلونكم بشي من الخوف و الجوع ونقص من الا موال و الا نفس و ((495)) (اطرافها و ايضا اخرج ابوعبيدة من طريق مجاهد عن عبد اللّه بن عباس ، قال : . ((496)) (الثمرات كنت لا ادري ما ((فاطر السماوات)) حتى اتاني اعرابيان يتخاصمان في بئر فقال احدهما: انا قال الذهبي : فاذا كان عمر بن الخطاب يخفى . ((497)) فطرتها، و الاخر يقول : انا ابتداتها عليه معنى ((الاب)) و معنى ((التخوف))، و يسال عنهما غيره ، و ابن عباس ـ و هو ترجمان القرآن ـ لا يظهر له معنى ((فاطر)) الا بعد سماعه من غيره ، فكيف شان غيرهما؟ مثلا ـ ان و فاكهة وابا)) انه تعداد للنعم التي انعم اللّه بها عليهم ، و لا يلزمون)) : يعلموا من قوله تعالى انفسهم بتفهم معنى الاية تفصيلا، ما دام المراد واضحاجليا . ((498))

. المفسرون من الاصحاب

لاخامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن ، , اشتهر بالتفسير من الصحابة اربعة وهم : على بن ابي طالب (ع) و كان راسا و اعلم الاربعة ، و عبد اللّه ابن مسعود، و ابى بن اما غير هؤلا الاربعة .كعب ، و عبداللّه بن عباس ، كان اصغرهم و اوسع باعا في نشر التفسير اشتهر بالتفسير : قال جلال الدين السيوطي .فلم يعهد عنهم في التفسير سوى النزر اليسير من الصحابة عشرة : الخلفا الاربعة ، و ابن مسعود، و ابن عباس ، و ابى بن كعب ، و زيد بن ثابت ، و ابو موسى الاشعري ، و عبداللّه بن الزبير اما الخلفا فاكثر من روي عنه منهم على قال الاستاذ . ((499)) بن ابي طالب ، و الرواية عن الثلاثة (ابي بكر و عمر وعثمان) نزرة جدا الذهبي : و هناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلا، كانس بن مالك ، و ابي هريرة و عبداللّه بن عمر، و جابر بن عبد اللّه ، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، و عائشة غير ان ما نقل عنهم في التفسير قليل جدا، كما ان العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قلة و كثرة ، و المخصوصون بكثرة الرواية في التفسير منهم اربعة : على بن ابي طالب ، و ابن مسعود، و ابى بن كعب ، و ابن عباس اما باقي العشرة ، و هم : زيد، و ابو موسى وابن قال : لهذا نرى الامساك عن الكلام . الزبير، فقد قلت عنهم الرواية ، و لم يبلغوا ما بلغه الاربعة و (و (ابى بن كعب (في شان الستة ، و نتكلم عن (على بن ابي طالب) و (ابن مسعود (ابن عباس) نظرا لكثرة الرواية عنهم في التفسير، كثرة غذت مدارس الامصار على اختلافها وكثرتها . ((500))

. اعلم الصحابة بمعاني القرآن فالاعلم

و صدر المفسرين من الصحابة هو على بن ابي طالب ، ثم ابن : قال الامام بدر الدين الزركشي عباس و هوتجرد لهذا الشان ، و المحفوظ عنه اكثر من المحفوظ عن علي (ع)، الا ان ابن قال الاستاذ الذهبي : كان علي (ع) بحرا من . ((501)) (عباس كان قد اخذ عن علي (ع العلم ، و كان قوى الحجة سليم الاستنباط، اوتي الحظ الاوفر من الفصاحة و الخطابة و الشعر، و كان ذا عقل ناضج و بصيرة نافذة الى بواطن الامور و كثيرا ما كان يرجع اليه الصحابة في فهم : حين ولاه قضا اليمن ، بقوله (ما خفي ، و استجلا ما اشكل و قد دعا له رسول اللّه (ص حتى , ((502))اللهم ثبت لسانه و اهد قلبه)) فكان موفقا مسددا، فيصلا في المعضلات)) قال : و لا عجب ، فقد تربى في بيت النبوة .((ضرب به المثل ، فقيل : ((قضية و لاابا حسن لها اكان في اصحاب محمد اعلم من :و تغذى بلبان معارفها، و عمته مشكاة انوارها و قيل لعطا , قال : اذا ثبت لناالشي , علي ؟ قال : لا، واللّه لا اعلمه و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ابن عباس : جل ما تعلمت من التفسير، . ((503)) عن علي ، لم نعدل عنه الى غيره من على بن ابي طالب و قال : علي علم علما علمه رسول اللّه ، ورسول اللّه علمه اللّه ، فعلم النبي من علم اللّه ، و علم علي من علم النبي ، و علمي من علم علي (ع) و ما علمي وعلم اصحاب محمد(ص) في علم علي الا كقطرة في سبعة ابحر و في حديث آخر: فاذا علمي بالقرآن في علم علي (ع) كالقرارة في المثعنجر، قال : القرارة : الغدير، و و قال : لقد اعطي على بن ابي طالب (ع) تسعة اعشار العلم ، . ((504)) البحر :المثعنجر الامر الذي احوج الكل اليه و استغنى عن الكل ، ,و ايم اللّه لقد شاركهم في العشر العاشر و قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول : اذا جانا الثبت عن علي (ع) . كما قال الخليل و قد . لم نعدل به و في لفظ ابن الاثير: اذا ثبت لنا الشي عن علي لم نعدل عنه الى غيره و قال سعيد بن .(عرفت ان ما اخذه ابن عباس من التفسير فانما اخذه عن علي (ع المسيب : ما كان احد من الناس يقول سلوني غير على بن ابي طالب قال : كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن و قد روى البلاذري في الانساب قولة عمر: ((لا ابقاني اللّه يقول : سلوني ، سلوني ، (و قال ابو الطفيل : كان علي (ع .((لمعضلة ليس لهاابوحسن و قال عبد اللّه .سلوني عن كتاب اللّه تعالى ، فو اللّه ما من آية الا و انااعلم انزلت بليل او نهار ان القرآن انزل على سبعة احرف ، ما منها حرف الا و له ظهر و بطن ، و ان على :بن مسعود ـ ٣٤٥) 261)و روى ابو عمرو الزاهد . ((505)) بن ابي طالب عنده منه الظاهر و الباطن باسناده الى علقمة ، قال : قال لنا عبد اللّه بن مسعود ذات يوم في حلقته :لو علمت احدا هو اعلم مني بكتاب اللّه عز و جل ، لضربت اليه آباط الابل قال علقمة : فقال رجل من الحلقة :القيت عليا(ع)؟ فقال : نعم ، قد لقيته ، و اخذت عنه ، و استفدت منه ، و قرات عليه ، و . ((506)) كان خير الناس و اعلمهم بعد رسول اللّه (ص) و لقد رايته كان بحرا يسيل سيلا ع) مرجع العلوم الاسلامية كلها ـ : و من العلوم علم)قال ابن ابي الحديد ـ بصدد كونه تفسير القرآن و عنه اخذ،و منه فرع و اذا راجعت الى كتب التفسير علمت صحة ذلك ، لان اكثره عنه و عن عبد اللّه بن عباس و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و انقطاعه اليه ، و انه تلميذه و خريجه و قيل له : اين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : كنسبة و اخرج الحاكم باسناده عن رسول اللّه (ص) قال . ((507)) قطرة من المطر الى البحر المحيط انا)) : : ((علي مع القرآن و القرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يرداعلي الحوض)) و قال و الان فلنستمع الى ما . ((508)) ((مدينة العلم و علي بابها، فمن اراد المدينة فلياتها من بابها فانه ليست , يصف (ع) نفسه و موضعه من رسول اللّه (ص) قال : ((سلوني عن كتاب اللّه آية الا و قد عرفت بليل نزلت ام بنهار، في سهل او جبل))، ((و اللّه ما نزلت آية الا و قد علمت قيل له : ((ما بالك .((فيم انزلت و اين نزلت و ان ربي و هب لي قلبا عقولا و لسانا سؤولا ((اكثر اصحاب النبى (ص) حديثا؟ فقال : لاني كنت اذا سالته انباني ، و اذا سكت ابتداني قال (ع): ((كنت اول داخل على النبى (ص) و آخر خارج من عنده ، و كنت اذا . ((509)) سالت اعطيت ، و اذا سكت ابتديت و كنت ادخل على رسول اللّه في كل يوم دخلة ، و في كل ليلة دخلة و ربما كان ذلك في بيتي ، ياتيني رسول اللّه اكثر من ذلك في منزلي فاذا

دخلت عليه في بعض منازله اخلى بي و اقام نساه ، فلم يبق عنده غيري و اذا اتاني لم يقم فاطمة و لا احدا من ولدي و اذا سالته اجابني ، و اذا سكت عنه و نفدت مسائلي ابتداني فما نزلت على رسول اللّه آية من القرآن الا اقرانيها و املاها علي و كتبتها بخطي ، فدعا اللّه و . ((510)) ((ان يفهمني ويعطيني ، فما نزلت آية من كتاب اللّه الا حفظتها و علمني تاويلها في الكافي : ((فما نزلت على رسول اللّه آية من القرآن الا اقرانيها و املاها على ، فكتبتها و ناسخها و منسوخها، و محكمها و متشابهها، و خاصها ,بخطي ، و علمني تاويلها و تفسيرها و عامها و دعا اللّه ان يعطيني فهمهاو حفظها فما نسيت آية من كتاب اللّه و لا علما املاه على و كتبته ، منذ دعا اللّه لي بما دعا و ما ترك شيئا علمه اللّه من حلال و لا حرام ، و لا امر و لا كتاب منزل على احد قبله من طاعة او معصية ،الاعل منيه و , و لا نهي كان او يكون حفظته ، فلم انس حرفا واحدا ثم وضع يده على صدري و دعا اللّه لي ان يملا قلبي علما و فهما وحكما و نورا فقلت : يا نبى اللّه ـ بابي انت و امي ـ منذ دعوت اللّه لي بما دعوت ، لم انس شيئا و لم يفتني شي لم اكتبه ، افتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال : لا، لست لعلي (ع): ((ان اللّه (و قد قال رسول اللّه (ص . ((511))اتخوف عليك النسيان و الجهل امرني ان ادنيك و لا اقصيك ، و ان اعلمك و لا اجفوك فحقيق علي ان اعلمك ، و حقيق عليك و في الخطبة القاصعة ـ من نهج البلاغة ـ : ((و قد علمتم موضعي من . ((512)) ((ان تعي رسول اللّه (ص) بالقرابة القريبة ، و المنزلة الخصيصة وضعني في حجره و انا ولد، يضمني و كان ((513)) , الى صدره ، و يكنفني الى فراشه ، و يمسني جسده ، و يشمني عرفه و لقد . في فعل ((514)) يمضغ الشي ثم يلقمنيه و ما وجد لي كذبة في قول ، و لا خطلة قرن اللّه به (ص)، من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، و و لقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ، يرفع لي في كل . محاسن اخلاق العالم ، ليله و نهاره و لقد كان يجاور في كل سنة بحرا، فاراه و لا يراه . يوم من اخلاقه علما، و يامرني بالاقتدا به و خديجة و انا ثالثهما ارى (غيري و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول اللّه (ص و لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه . نور الوحي و الرسالة ، و اشم ريح النبوة (ص) فقلت : يا رسول اللّه ، ما هذه الرنة ؟ فقال : هذا الشيطان ايس من عبادته انك تسمع و اما . ((515)) ((ما اسمع ، و ترى ما ارى ، الا انك لست بنبى و لكنك لوزير و انك لعلى خير عبد اللّه بن مسعود، فهو من السابقين في الايمان ، و اول من جهر بالقرآن بمكة ، و اسمعه قريشا بعدرسول اللّه (ص) و اوذي في اللّه من اجل ذلك و كان قد اخذه رسول اللّه اليه ، فكان يخدمه في اكثر شؤونه ، وهو صاحب طهوره و سواكه و نعله ، و يلبسه اياه اذا قام ، و يخلعه و يحمله في ذراعه اذا جلس ، و يمشي امامه اذاسار، و يستره اذا اغتسل ، و يوقظه هاجر .(اذا نام ، و يلج داره بلاحجاب ، حتى لقد ظن انه من اهل بيت رسول اللّه (ص كان من احفظ . الهجرتين ، و صلى الى القبلتين ، و شهد المشاهد كلها مع رسول اللّه من)) : الناس لكتاب اللّه ، و كان رسول اللّه يحب ان يسمع القرآن منه ، و كان (ص) يقول و كان حريصا على .((سره ان يقرا القرآن غضا طريا كما انزل فليقراه على قراة ابن ام عبد طلب العلم و لا سيما معاني آيات القرآن الكريم ، قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات ،لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن ، و من ثم كان يقول : و الذي لا اله غيره ، ما نزلت آية من كتاب اللّه الا و انا اعلم فيم نزلت و اين نزلت ، كما كان شديد الحرص ايضا على بث قال مسروق بن الاجدع : كان عبد اللّه يقرا علينا السورة ثم يحدثنا .العلم و نشره بين العباد فيها و يفسرها، عامة النهار، و قد اذعن له عامة صحابة الرسول (ص) بالفضيلة و العلم و من ثم كانت له مكانة سامية في التفسير، و بذلك طار صيته ، و . ((516)) بالكتاب و السنة و لاسماعيل :قال الخليلي في الارشاد . عنه في التفسيرالشي الكثير، و الطرق اليه متقنة السدي تفسير يورده باسانيد الى ابن مسعود و ابن عباس و روى عن السدي الائمة ، مثل قال جلال الدين السيوطي ـ . الثورى و شعبة ، و اضاف : ان امثل التفاسير تفسير السدي يورد منه ابن جرير , تعقيبا على كلام صاحب الارشاد ـ : و تفسير السدي الذي اشار اليه الطبري) كثيرا من طريق السدي عن ابي مالك ، و عن ابي صالح عن ابن عباس ، و عن مرة) و ناس من الصحابة هكذا قال : و الحاكم يخرج منه في مستدركه اشيا و ,عن ابن مسعود

اي , ((517)) يصححه ، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود، وناس فقط دون الطريق الاول قد اخذ العلم من على (ع) و (و كان بعد رسول اللّه (ص . طريق ابي صالح عن ابن عباس ليس من غيره بتاتا و قد تقدم حديث علقمة ، قال : قال ابن مسعود ذات يوم ، و كنا في حلقته فقال : : لو علمت ان احدا هو اعلم مني بكتاب اللّه عز و جل لضربت اليه آباطالابل قال علقمة رجل من الحلقة : القيت عليا؟ فقال : نعم ، قد لقيته ، و اخذت عنه ، و استفدت منه ، و قرات عليه و كان خير الناس و اعلمهم بعد رسول اللّه (ص) و لقد رايته كان بحرا يسيل سيلا و عده الخوارزمي و شمس الدين الجزري في ((اسنى المطالب)) من رواة . ((518)) و اخرج جلال الدين السيوطي عنه نزول آية التبليغ . ((519)) حديث الغدير من الصحابة (سورة المائدة / ٦٧) بشان على (ع) يوم الغدير، قال : و اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال : كنا نقرا على عهد رسول اللّه (ص): ((يا ايهاالرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ـ ان عليا نعم . ((520)) ((مولى المؤمنين ـ و ان لم تفعل فما بلغت رسالته ، و اللّه يعصمك من الناس كان ابن مسعود ممن شد وثاقه بولا آل بيت الرسول ، لم يشذ عن طريقتهم المثلى منذ اول روى الصدوق ابو جعفر ابن بابويه باسناده الى زيد بن وهب الجهني . يومه فالى آخرايام حياته ان اثني عشر رجلا من صحابة رسول اللّه (ص) انكروا : ((521)) ابي سليمان الكوفي و كان هو الذي اشاد .على ابي بكر تقدمه على على (ع) و عدمنهم : عبد اللّه بن مسعود قال . ((522)) بذكر اهل البيت ، و بث حديث ((الخلفا اثنا عشر)) في الكوفة و ما والاها المرتضى علم الهدى ـ بشانه ـ : لا خلاف بين الامة في طهارة ابن مسعود و فضله و ايمانه ، و و سياتي من . ((523)) مدح النبى (ص) له و ثنائه عليه ، و انه مات على الحالة المحمودة و روى . ((524))تقي الدين ابي الصلاح الحلبي ، عده و ابيا من المخصوصين بولاية آل البيت رضي الدين ابو القاسم على بن موسى بن طاووس (٦٦٤) عن كتاب ابي عبداللّه محمد بن (علي السراج في تاويل قوله تعالى : (و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة انه قد ,قال النبى (ص): ((يا ابن مسعود : بالاسناد الى عبد اللّه بن مسعود، انه قال ((525)) انزلت علي آية (و اتقوا فتنة) و انا مستودعكها، فكن لما اقول لك واعيا و عني له مؤديا، من ظلم عليا مجلسي هذا كمن جحد نبوتي و نبوة من كان قبلي فقال له الراوي : يا ابا عبدالرحمان ، اسمعت هذا من رسول اللّه (ص)؟ قال : نعم قال : فكيف وليت للظالمين ؟ و ذلك اني لم استاذن امامي كما استاذن جندب و , ((526)) لا جرم حلت عقوبة عملي : قال و مما يجدر التنبه له ان عامة . ((527)) ((عمار و سلمان ، و انا استغفر اللّه و اتوب اليه الكوفيين من مفسرين و فقها و محدثين ، كان طابعهم الولا لاهل البيت (ع) و قدخص اصحاب ابن مسعود بالميل لعلي (ع) الامر الذي كانت البيئة الكوفية تستدعيه بالذات ، على اثر وفرة العلما من صحابة الرسول (ص) هناك و لا غرو فانهم اعرف بموضع اهل البيت و لا سيما سيدهم و كبيرهم على بن ابي طالب ، من رسول اللّه ، و كثرة وصاياه بشانهم ، و التمسك و من ثم فقد امتازت الكوفة في امور جعلتها في .باذيالهم و السير على هديهم ، فلا يضلواابدا اولا: كانت مهجر علما الصحابة الاخيار و اعلام :قمة العظمة و الاكبار، على مدى الدهور , اخرج ابن سعد عن ابراهيم .(الامة الكبار، و بلغ اوجها عند مهاجرة الامام اميرالمؤمنين (ع قال : هبط الكوفة ثلاثمئة من اصحاب الشجرة ،و سبعون من اهل بدر و بذلك قال ابن عمرو: ما من يوم الا ينزل في فراتكم هذا مثاقيل من بركة الجنة كناية عن مهاجرة اصحاب الرسول و ثانيا: اصبحت معهد العلم في الاسلام في دور نضارته و ازدهار . ((528)) اليها فوجا فوجا معارفه ، فمن الكوفة صدرت العلوم و المعارف الاسلامية ، بشتى انحائها الى البلاد، و سارت به الركبان الى الامصار في عهدطويل اخرج ابن سعد ـ ايضا ـ عن عبيد اللّه بن موسى ، قال : اخبرنا عبد الجبار بن عباس عن ابيه ، قال : جالست عطا، فجعلت اساله فقال لي : و ثالثا: . ((529)) ممن انت ؟ فقلت : من اهل الكوفة فقال عطا: ما ياتينا العلم الا من عندكم كانت ارضا خصبة لتربية ولا آل الرسول (ص) في نفوس مؤمنة صادقة في ايمانها، مؤدية اجر رسالة نبيها، حافظة لكرامة رسول اللّه في ذريته الانجاب ، عارفة بانهم سفن النجاة ، و احد الثقلين ، و العروة الوثقى التي لا انفصام لها، و من ثم روى ابن سعد: ((ان اسعد الناس اما اصحاب ابن مسعود (الصحابي الجليل الموالي لال بيت . ((530)) ((بالمهدى اهل الكوفة

الرسول) فكانوا اصدق عند الناس على عـلـي (ع) عـلـى مـا اخرجه ابن سعد باسناده عن كانوا لايـغـالون و لا ينتقصون و من ثم روي عن على (ع , ((531)) ابي بكر ابن عياش عن مغيرة ((قال : ((اصحاب عبد اللّه سرج هذه القرية ,) ما يدل على رضائه عن موقفهم هذا المشرف انـمـا يـعـرف صـلاح الرجل و استقامته في الدين ، بتقواه عن محارم اللّه و . ملحوظة . ((532)) استسلامه لاوامره و نـواهـيه ، و في اطاعة الرسول و اتباع سنته و العمل بوصاياه ، من غير ان اذ مقتضى الايمان الصادق ان يسلم امره , يكون له الخيرة من امره بعد ما قضى اللّه و رسوله الى اللّه و رسوله تسليما.

و مـن اهـم وصاياه (ص) و الذي جعله اجر رسالته ، هو الانضوا تحت لوا اهل البيت و الاستمساك بعرى وثائقهم مدى الحياة و قد كان علي (ع) شاخص هذا البيت الرفيع ، فمن كان معه كان مع الحق , و مـن دار مـعـه دارمع الحق ، و من حاد عنه حاد عن الاسلام و نبذ وصية الرسول ورا ظهره ، و اعـرض عـن الـحق الصريح فكيف الثقة به و هو حائد عن الجادة ، ضال عن الطريق ، فلا يصلح ان يكون هاديا، و هو لم يهتد السبيل . الامـر الذي يحفز بنا ان نجعل من الامام امير المؤمنين (ع) محورا اساسيا في هذا الحقل ، و ميزانا يـفصل بين الصالح و الطالح من الصحابة و التابعين ـ الفقها و المفسرين و المحدثين ـ و ليس ذلك منا بـدعـا، بـعـد ما جعله الرسول (ص) بابه الذي منه يؤتى ، و سفينة النجاة ، و ثاني الثقلين اللذين ما ان تمسكت الامة بهما معا (ولن يفترقا حتى يردا عليه الحوض) لن يضلوا ابدا .و لسنا ناخذ العلم الا ممن عرفنا صلاحه و وثقنا بايمانه الصادق تلك وصية امامنا ابي جعفر محمد بن عـلـي الـباقر(ع) قال في قوله تعالى) : فلينظر الا نسان الى طعامه ( )) : ((533))الى العلم الذي ياخذه عمن ياخذه . ((534)) ((و هكذا ابى بن كعب الانصاري الخزرجي ، هو اول من كتب لرسول اللّه (ص) عند مقدمه المدينة ، و كان قدلقب بسيد المسلمين ، لشرفه و فضله و علو منزلته في العلم و الفضيلة ، كما لقب بسيد القرا ,لـقوله (ص): ((واقرؤهم ابى بن كعب)) و كان هو الذي تولى رئاسة لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان ، عند ما عجز القوم الذين انتدبهم الخليفة لذلك ، و لم يكونوا اكفا، حسبما اسلفنا .و عنه في التفسير الشي الكثير، و الطرق اليه متقنة ايضا .قـال جلال الدين : و اما ابى بن كعب ، فعنه نسخة كبيرة يرويها ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عـن ابـي الـعـالـية عنه ، و هذا اسناد صحيح و قد اخرج ابن جرير و ابن ابي حاتم منها كثيرا، و كذاالحاكم في مستدركه ، و احمد في مسنده((535)) . و ذكـر ابـو الصلاح تقي الدين الحلبي (٣٧٤ ـ ٤٤٧) ابيا و ابن مسعود من الثابتين على ولا آل بـيت الرسول ،المتخصصين بهم في العهد الاول بعد وفاة الرسول (ص , ((536)) (و اضاف : ان ابيا حاول الاجهار بما يكنه ضميره في اخريات حياته لولا حؤول الموت ((537)) و قد كان من النفر الاثني عشر الذين نقموا على ابي بكر تصديه ولاية الامر دون الامام امير المؤمنين((538)) , و كابد الامرين على ذاك الحادث الجلل ، رافعا شكواه الى اللّه (قال :و الى اللّه المشتكى ((539)) (و قد سمع من سعد بن عبادة ما نطق بما يوجب فرض ولاية الامام (ع (. ((540))و امـا عـبـد اللّه بن عباس , فهو حبر الامة و ترجمان القرآن ، و اعلم الناس بالتفسير ـ تنزيله و تـاويله ـتلميذ الامام امير المؤمنين)ع)، الموفق و تربيته الخاصة ، و قد بلغ من العلم مبلغا قال في حـقـه الامـام امـيـرالـمـؤمـنـين)) : كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق)) و لا غرو فانه دعا الـرسـول (ص) بشانه : ((اللهم فقهه في الدين و علمه التاويل))، او قوله : ((اللهم علمه الكتاب و الحكمة))، او: ((اللهم بارك فيه و انشر منه . ((541)) ((قال (ص): ((و لكل شي فارس ، و فارس القرآن ابن عباس . ((542)) ((ولـد فـي الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، فحنكه النبى (ص) و بارك له فتربى في حجره ، و بعد وفاته (ص)كان قدلازم بيت النبوة و رباه الامام امير المؤمنين (ع) فاحسن تربيته ، و من ثم كان من الـمتفانين في ولاالامام (ع)و قد صح قوله : ((ما اخذت من تفسير القرآن فمن على بن ابي طالب ((هذا في اصول التفسير و اسسه . و كـان يـراجـع سائر الاصحاب ممن يحتمل عنده شي من احاديث الرسول و سننه ،مجدا في طلب الـعـلم مهما كلف الامر فكان ياتي ابواب الانصار ممن عنده علم من الرسول ، فاذا وجد احدهم نائما كـان ينتظره حتى يستيقظ، و ربما تسفي على وجهه الريح ، و لا يكلف من يوقظه حتى يستيقظ هو على دابه ، فيساله عما يريد و ينصرف , و بذلك كان يستعيض عما فاته من العلم ايام حياة النبى (ص (لصغره ،باستطراق ابواب العلما من صحابته الكبار . قـيل لطاووس : لزمت هذا الغلام ـ يعني ابن عباس لكونه اصغر الصحابة يومذاك ـ

وتركت الاكابر من اصحاب رسول اللّه (ص)؟ قال : اني رايت سبعين رجلا من اصحاب رسول اللّه ، اذا تدارؤوافي امر، صاروا الى قول ابن عباس . و عن عبيد اللّه بن على بن ابي رافع ، قال : كان ابن عباس ياتي جدي ابا رافع ، فيساله عما صنع النبي (ص) يوم كذا، و معه من يكتب له ما يقول . قال مسروق بن الاجدع : كنت اذا رايت ابن عباس قلت : اجمل الناس ، فاذا نطق قلت : افصح الناس , فاذا تحدث قلت : اعلم الناس . و قال ابو بكرة : قدم علينا ابن عباس البصرة ، و ما في العرب مثله حشما، و علما، وثيابا، و جمالا ,و كمالا .و قد لقب حبر الامة , و البحر، لكثرة علمه و ترجمان القرآن ، و ربانى هذه الامة ، لاضطلاعه بمعاني القرآن ووجوه السنة و الاحكام . و له مواقف مشهودة مع امير المؤمنين (ع) في جميع حروبه : صفين ، و الجمل ، و النهروان مات بالطائف سنة (٦٨) و قد ناهز السبعين ، وصلى عليه محمد ابن الحنفية((543)) . روى ابو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي باسناده الى عبد اللّه بن عبد ياليل ـ رجل من اهل الطائف ـقال : اتينا ابن عباس (ره) نعوده في مرضه الذي مات فيه ، فاغمي عليه فاخرج الى صحن الدار، فافاق ، و قال كلمته الاخيرة : ان رسول اللّه (ص (انباني اني ساهجر هجرتين : فهجرة مع رسول اللّه (ص)، و هجرة مع علي (ع) و امرني ان ابرا من خمسة : من الناكثين : و هم اصحاب الجمل ، و من القاسطين : و هم اصحاب الشام ، و من الخوارج : و هم اهل النهروان ، و من القدرية ، و من المرجئة ثم قال : ((اللهم اني احيا على ما حيى عليه على بن ابي طالب ، واموت على ما مات عليه على بن ابي طالب ، ثم مات (ره . ((544)) (((و هذا الذي رواه الكشي عن رجل من اهل الطائف (عبد اللّه بن عبد ياليل)، رواه ابو القاسم على بن محمدالخزاز الرازي ـ من وجوه العلما في القرن الرابع ـ في كتابه ((كفاية الاثر)) ـ بصورة اوسع ـ ، باسناده الى عطا،قال : دخلنا على عبد اللّه ابن عباس و هو عليل بالطائف ، في العلة التي توفي فيها ـ و نحن زها ثلاثين رجلا من شيوخ الطائف ـ و قد ضعف ، فسلمنا عليه و جلسنا، فقال لي : يا عطا، من القوم ؟ قلت : يا سيدي ، هم شيوخ هذاالبلد الطائفي ، و عمارة بن ابي الاجلح ، و ثابت بن مالك فما زلت اعد له واحدا بعد واحد ثم تقدموا اليه , فقالوا: يا ابن عم رسول اللّه ، انك رايت رسول اللّه و سمعت منه ما سمعت ،فاخبرنا عن اختلاف هذه الامة ، فقوم قدموا عليا على غيره ، و قوم جعلوه بعد الثلاثة ؟ .قال عطا: فتنفس ابن عباس الصعدا، فقال : سمعت رسول اللّه (ص) يقول : ((على مع الحق و الحق معه ، و هوالامام و الخليفة من بعدي ، فمن تمسك به فاز و نجا، و من تخلف عنه ضل و غوى))، و اخيرا قال : و تمسكوابالعروة الوثقى من عترة نبيكم ، فاني سمعته يقول : ((من تمسك بعترتي من بعدي كان من الفائزين .((قال عطا: ثم بعد ما تفرق القوم , قال لي : يا عطا، خذ بيدي و احملني الى صحن الدار، فاخذنا بيده ، انا و سعيد،و حملناه الى صحن الدار ,ثم رفع يديه الى السما، و قال : ((اللهم ، اني اتقرب اليك بمحمد و آل محمد، اللهم اني اتقرب اليك بولاية الشيخ ، على بن ابي طالب (ع))) فما زال يكررها حتى وقع الى الارض فصبرنا عليه ساعة ثم اقمناه فاذا هو ميت ، رحمة اللّه عليه((545)) . و له في فضائل اهل البيت و لا سيما الامام امير المؤمنين (ع) اقوال و آثار باقية ، الى جنب مواقفه الحاسمة . و يكفيك انه من رواة حديث الغدير الناص على ولاية على بالامر، و مفسرا له بالخلافة و الوصاية بعدالرسول (ص)، مصرا على ذلك . اخرج الحافظ السجستاني باسناده الى ابن عباس ، قال : ((وجبت و اللّه في اعناق القوم . ((546)) ((و اما مواقفه بشان الدفاع عن حريم اهل البيت فكثير ((547)) . و اخيرا فانه هو القائل)) : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللّه (ص) و بين ان يكتب لهم ذلك الكتاب حتى بل دمعه الحصى ،الى غير ذلك مما لا يحصى((548)) . الامر الذي ينبؤك عن مدى صلته بهذا البيت الرفيع ، و مبلغ ولائه و عرفانه بشان آل الرسول صلوات اللّه عليهم اجمعين((549)) . و من ثم كان

الائمة من ذرية الرسول (ع) يحبونه حبا جما و يعظمون من قدره و يشيدون بذكره روى المفيد في كتاب الاختصاص باسناده الى الامام ابي عبد اللّه الصادق (ع)، قال : كان ابي (الامام ابوجعفر الباقر(ع ((يحبه (اي ابن عباس) حبا شديدا و كان ابي ، و هو غلام ، تلبسه امه ثيابه , فينطلق في غلمان بني عبد المطلب , فاتاه (اي ابن عباس) بعد ما اصيب بصره ، فقال : من انت ؟ قال : انا محمد بن على بن الحسين بن علي فقال : حسبك ،من لم يعرفك فلاعرفك ((550)) , اي يكفي اني اعرفك من انت . كانت ولادة الامام ابي جعفر محمد بن علي الباقر(ع)، سنة (٦٠) على قول راجح((551)) , قبل واقعة الطف (٦١)بسنة و قد كف بصر ابن عباس بعد واقعة الطف ، لكثرة بكائه على مصائب اهل البيت (ع ((552)) (و في رواية : انه كف بصره قبل وفاته بسنة((553)) , و كانت وفاته عام (68)و عليه ـ ان صحت الرواية ـ فقد كانت سن الامام ابي جعفر حينذاك بين السادسة و السابعة . قال العلامة ـ في الخلاصة ـ : عبد اللّه بن العباس من اصحاب رسول اللّه (ص)، كان محبا لعلي (ع (و تلميذه ـحاله في الجلالة و الاخلاص لامير المؤمنين اشهر من ان يخفى و قد ذكر الكشي احاديث تتضمن قدحا فيه ، وهو اجل من ذلك . و قد حمل السيد ابن طاووس ـ في التحرير الطاووسي ـ ما ورد في جرحه بعدتضعيف الاسناد ـ على الحسد، قد صدر من الحاسدين الحاقدين عليه ، قال : و مثل حبر الامة ـ رضوان اللّه عليه ـ موضع ان يحسده الناس و ينافسوه ، و يقولوا فيه و يباهتوه . حسدوا الفتى اذ لم ينالوا فضله ـــ الناس اعدا له و خصوم . كضرائر الحسنا قلن لوجهها ـــ حسدا وبغيا: انه لدميم . و قد بحث الائمة النقاد عن روايات القدح ، و لا سيما ما قيل بشانه من الهروب ببيت مال البصرة ، و ما ورد من التعنيف لفعله ذلك , فاستخرجوا في نهاية المطاف من ذلك دلائل الوضع و الاختلاق بشان هذا العبد الصالح الموالي لال بيت الرسول نعم كان الرجل ممقوتا عند رجال السلطة الحاكمة ، لا سيما و كان يجابههم بما يخشون صراحته و صرامته ، و من ثم كان طاغية العرب معاوية الهاوية , يلعنه ضمن النفر الخمسة الذين كان يلعنهم في قنوته((554)) , و كان ذلك من شدة قنوطه من رحمة اللّه التي وسعت كل شي ، انه من قوم غضب اللّه عليهم قديئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور((555)) . و للمولى محمد تقي التستري ـ ادام اللّه فضله و البسه ثوب العافية ـ تحقيق لطيف بشان براة الرجل من الصاق هكذا تهم مفضوحة , و انه لم يزل في خدمة المولى امير المؤمنين (ع) لم يبرح البصرة حتى قتل الامام (ع (و كان من المحرضين لبيعة الامام الحسن المجتبى (ع) و بعد ان تم الصلح اضطر الى المغادرة الى بيت اللّه الحرام حتى توفاه اللّه ، عليه رضوان اللّه((556)) .و لسيدنا الاستاذ العلامة الفاني ـ رحمة اللّه عليه ـ رسالة وجيزة في براة الرجل ، استوفى فيها الكلام بشانه ،جزاه اللّه خيرا عن الحق و اهله((557)) .

توسعه في التفسير .

و لم تمض العشرة الاولى من وفاة الرسول (ص) الا و نرى ابن عباس قد تفرغ للتفسير و استنباط معاني القرآن((558)) بينما سائر الصحابة كانت قد اشغلتهم شؤون شتى ، مما يرجع الى جمع القرآن او اقرائه ، او تعليم السنن و القضا بين الناس ، او التصدي لسياسة البلاد، و ما شاكل و اذا بابن عباس نراه صارفا همته في فهم القرآن و تعليمه و استنباط معانيه و بيانه ، مستعيضا بذلك عما فاته ايام حياة الرسول (ص (لمكان صغره و عدم كفاته ذلك الحين فكان يستطرق ابواب العلما من الصحابة الكبار، كادا وجادا في طلب العلم من اهله اينماوجده ، و لا سيما من الامام امير المؤمنين باب علم النبى (ص)، كما لم يفته عقد حلقات في مسجد النبى (ص)لمدارسة علوم القرآن و معارفه و نشر تعاليم الاسلام من افخم بؤرته القرآن و يقال ((559)) : ان ذلك كان بامر من الامام امير المؤمنين (ع)، و بذلك فقد تحقق بشانه دعا الرسول : ((اللهم بارك فيه و انشر منه .((لكن بموازاة انتشار العلم منه في الافاق ، راج الوضع على لسانه ، لمكان شهرته و معرفته في التفسير و من ثم فان التشكيك

في اكثر الماثور عنه امر محتمل قال الاستاذ الذهبي : روي عن ابن عباس في التفسير ما لايحصى كثرة ، و تعددت الروايات عنه ، و اختلفت طرقها فلا تكاد تجد آية من كتاب اللّه الا و لابن عباس فيهاقول ماثور او اقوال ، الامر الذي جعل نقاد الاثر و رواة الحديث يقفون ازا هذه الروايات ـ التي جاوزت الحد ـوقفة المرتاب ((560)) . قال جلال الدين السيوطي : و رايت في كتاب فضائل الامام الشافعي ، لابي عبد اللّه محمد بن احمد بن شاكرالقطان ، انه اخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم ، قال : سمعت الشافعي يقول : لم يثبت عن ابن عباس في التفسير الا شبيه مائة حديث ((561)) . و ذكر ابن حجر العسقلاني : ان البخاري لم يخرج من احاديث ابن عباس ، في التفسير و غيره , سوى مائتين وسبعة عشر حديثا، بينما يذكر ان ما خرجه من احاديث ابي هريرة الدوسي ، يبلغ اربعمائة و ستة و اربعين حديثا((562)) . غير ان معرفته الفائقة في التفسير ,و ان الخريجين من مدرسته جعلته في قمة علوم التفسير و هذا الماثورالضخم من التفسير الوارد عنه او عن احد تلامذته المعروفين ـ وهم كثرة عدد نجوم السما ـ لمما يفرض من مقامه الرفيع في اعلا ذروة التفسير منه يصدر و عنه كل ماثور في هذا الباب . و لقد كان موضع عناية الامة , و لا سيما الكبار و الائمة ، من الصحابة و من عاصره و ممن لحقه على مدى الاحقاب فما اكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اختلاف مبانيها و مناهجها، و متنوع مسالكها و منازعهافي السياسة و المذهب . قال الدكتور الصاوي : و لعل في كثرة ما وضع و نسب اليه آية على تقدير له و اكبارا من الوضاع , و رغبة في تنفق بضاعتهم ، موسومة بمن في اسمه الرواج العلمي((563)) .

منهجه في التفسير .

كان ابن عباس تلميذ الامام امير المؤمنين (ع)، و منه اخذ العلم و تلقى التفسير، سوا في اصول مبانيه ام في فروع معانيه , فقد سار على منهج مستقيم في استنباط معاني القرآن الحكيم . انه لم يحد عن منهج السلف الصالح في تفسير القرآن و فهم معاني كتاب اللّه العزيز الحميد، ذلك المنهج الذي رست قواعده على اسس قويمة و مبان حكيمة . و قد حدد ابن عباس معالم منهجه في التفسير بقوله : ((التفسير على اربعة اوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر احد بجهالته ، و تفسير يعلمه العلما، و تفسير لا يعلمه الا اللّه)) ((564)) . و قد فسرته رواية اخرى عنه : ان رسول اللّه (ص) قال : ((انزل القرآن على اربعة احرف : حلال و حرام لا يعذراحد بالجهالة به ، و تفسير تفسره العرب ، و تفسير تفسره العلما، و متشابه لا يعلمه الا اللّه . ((565)) فالقرآن ، فيه مواعظ و آداب و تكاليف و احكام ، يجب على المسلمين عامة المعرفة بها و العمل عليها، لانها دستور الشريعة العام فهذا يجب تعليمه و تعلمه ، و لا يعذر احد بجهالته . و فيه ايضا غريب اللغة و مشكلها ,مما يمكن فهمها و حل معضلها، بمراجعة الفصيح من كلام العرب الاوائل ،لان القرآن نزل بلغتهم ، و على اساليب كلامهم المعروف . و فيه ايضا نكات و دقائق عن مسائل المبدا و المعاد، و عن فلسفة الوجود و اسرارالحياة ، لا يبلغ كنهها و لا يعرفها على حقيقتها غير اولي العلم ، ممن وقفوا على اصول المعارف ، و تمكنوا من دلائل العقل و النقل الصحيح . و بقي من المتشابه ما لا يعلمه الا اللّه ، ان اريد به الحروف المقطعة في اوائل السور، حيث هي رموز بين اللّه ورسوله ، لم يطلع اللّه عليها احدا من العباد سوى النبي و الصفوة من آله ، علمهم اياها رسول اللّه (ص .(و ان اريد به ما سوى ذلك مما وقع متشابها من الايات ، فانه لا يعلم تاويلها الا اللّه و الراسخون في العلم ، و هم رسول اللّه و العلما الذين استقوا من منهل عذبه الفرات ، لا سبيل الى معرفتها عن غير طريق الوحي فالعلم به خاص باللّه و من ارتضاه من صفوة خلقه . و على ضؤ هذا التقسيم الرباعي يمكننا الوقوف على مباني التفسير التي استندها ابن عباس في تفسيره العريض : اولا ـ مراجعة ذات القرآن في فهم مراداته . اذ خير دليل على مراد اى متكلم ، هي القرائن اللفظية التي تحف كلامه ، و التي جعلها مسانيد نطقه و بيانه ، و قد قيل : للمتكلم ان يلحق بكلامه ما شا مادام متكلما، هذا في القرائن المتصلة وكثيرا ما يعتمد المتكلمون على قرائن منفصلة من دلائل العقل او الاعراف الخاصة ، او ينصب في كلام آخر له مايفسر مراده من كلام سبق ، كما في العموم و الخصوص ، و الاطلاق و التقييد، و هكذا .فلو عرفنا من عادة متكلم اعتماده على قرائن منفصلة ، ليس لنا حمل كلامه على ظاهره البدائي ، قبل الفحص و

الياس عن صوارفه . والقرآن من هذا القبيل ، فيه من العموم ما كان تخصيصه في بيان آخر، و هكذا تقييدمطلقاته و سائر الصوارف الكلامية المعروفة . و ليس لاى مفسر ان ياخذ بظاهر آية ما لم يفحص عن صوارفها وسائر بيانات القرآن التي جات في غير آية ، و لا سيما و القرآن قد يكرر من بيان حكم او حادثة و يختلف بيانه حسب الموارد، ومن ثم يصلح كل واحد دليلا و كاشفا لما ابهم في مكان آخر .و هكذا نرى مفسرنا العظيم , عبد اللّه بن عباس ، يجري على هذا المنوال ، و هو امتن المجاري لفهم معاني القرآن ، و مقدم على سائر الدلائل اللفظية و المعنوية فلم يغفل النظر الى القرآن الكريم نفسه ، في توضيح كثيرمن الايات التي خفي المراد منها في موضع ، ثم وردت بشي من التوضيح في موضع آخر شانه في ذلك شان سائر المفسرين الاوائل ، الذين ساروا على هدى الرسول (ص .(فمن هذا القبيل ما رواه السيوطي باسانيده الى ابن عباس ، في قوله تعالى : (قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين(((566)قال : كنتم امواتا قبل ان يخلقكم ، فهذه ميتة ، ثم احياكم ، فهذه حياة ، ثم يميتكم فترجعون الى القبور، فهذه ميتة اخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة ، فهذه حياة فهما ميتتان و حياتان ، فهو كقوله تعالى : (كيف تكفرون باللّه و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون , ((567) (و هكذا اخرج عن ابن مسعود و ابي مالك و قتادة ايضا ((568)) .

ثانيا ـ رعايته لاسباب النزول .

و لاسباب النزول دورها الخطير في فهم معاني القرآن ، حيث الايات و السور نزلت نجوما، و في فترات و شؤون يختلف بعضها عن بعض فاذ كانت الاية تنزل لمناسبة خاصة و لعلاج حادثة وقعت لوقتها، فانها حينذاك ترتبط معها ارتباطا وثيقا و لولا الوقوف على تلك المناسبة ، لما امكن فهم مرامي الاية بالذات ، فلا بد لدارس معاني القرآن ان يراعي قبل كل شي شان نزول كل آية آية , ويهتم باسباب نزولها هذااذا كان لنزولها شان خاص ، فلا بد من النظر و الفحص . و هكذا اهتم حبر الامة بهذا الجانب , و اعتمد كثيرا لفهم معاني القرآن على معرفة اسباب نزولها ,و كان يسال ويستقصي عن الاسباب و الاشخاص الذين نزل فيهم قرآن وسائر ما يمس شان النزول ، و هذا من امتيازه الخاص الموجب لبراعته في التفسير و قد مر حديث اتيانه ابواب الصحابة يسالهم الحديث عن رسول اللّه (ص ((569) ,(كان حريصا على طلب العلم و منهوما لايشبع : من ذلك ما رواه جماعة كبيرة من اصحاب الحديث ، باسنادهم الى ابن عباس ، قال :لم ازل حريصا ان اسال عمر عن المراتين من ازواج النبى (ص) اللتين قال اللّه تعالى بشانهما (ان تتوبا الى اللّه فقد صغت قلوبكما ((570) (حتى حج عمر و حججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة ، فتبرز ثم اتى ,فصببت على يديه فتوضا، فقلت : يا امير المؤمنين ، من المراتان من ازواج النبى (ص) اللتان قال اللّه : (ان تتوبا الى اللّه فقد صغت قلوبكما)؟ فقال : وا عجبا لك يا ابن عباس ((571) . و في تفسير القرطبي ، قال ابن عباس : مكثت سنتين اريد ان اسال عمر عن المراتين اللتين تظاهرتا على النبى (ص) ما يمنعني الا مهابته ، فسالته ، فقال : هما حفصة و عائشه ((572) . و لقد بلغ في ذلك الغاية ، حتى لنجد اسمه يدور كثيرا في اقدم مرجع بين ايدينا عن سبب النزول ، و هو سيرة ابن اسحاق التي جا تلخيصها في سيرة ابن هشام . قال : و كان ابن عباس يقول : فيما بلغني نزل في النضر بن حارث ثمان آيات من القرآن : قول اللّه عز وجل : (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الا ولين , ((573) (و كل ما ذكر فيه من الاساطير من القرآن((574) . قال : و حدثت عن ابن عباس انه قال ـ و سرد قصة سؤال احبار اليهود النبى (ص)عند مقدمه المدينة ـ : فانزل اللّه عليه فيما سالوه عنه من ذلك : (و لو ان ما في الا رض من شجرة اقلام . ((575) (قال : و انزل اللّه تعالى عليه فيما ساله قومه من تسيير الجبال (و لو ان قرآنا سيرت به الجبال . ((576) (قال : و انزل عليه في قولهم : خذ لنفسك (و قالوا مال هذا الرسول , ((577) (و انزل عليه في ذلك من قولهم :(و ما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام و يمشون في الا سواق , ((578) (و كذا في قوله تعالى : (و لا تجهر بصلاتك و لا تخافت بها : ((579) (انما انزلت من اجل اولئك النفر((580) و هكذا يتابع ذكر اسباب نزول آيات ، و في الاكثر يسندها الى ابن عباس . و قد برع ابن عباس

في هذه الناحية من نواحي ادوات التفسير، حتى كان يخلص آي القرآن المدني من المكي فقد سال ابوعمرو ابن العلا مجاهدا عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي ، فقال :سالت ابن عباس عن ذلك ، فجعل ابن عباس يفصلها له و هكذا نجد ابن عباس بدوره قد سال ابى بن كعب عن ذلك ((581)) . كما تقصى اسباب النزول فاحسن التقصي ، فكان يعرف الحضري من السفري ، و النهاري من الليلي , و فيم انزل و فيمن انزل , و متى انزل و اين انزل ، و اول ما نزل و آخر ما نزل ، و هلم جرا((582)) , مما يدل على براعته و نبوغه في تفسير القرآن .ثالثا ـ اعتماده الماثور من التفسير المروي . اعتمد ابن عباس في تفسيره على الماثور عن النبى (ص) و الطيبين من آله و المنتجبين من اصحابه و قد اسلفناتتبعه عن آثار الرسول و احاديثه كان يستطرق ابواب الصحابة العلما، لياخذ منهم ما حفظوه من سنة النبى وسيرته الكريمة و قد جد في ذلك و اجتهد مبلغ سعيه ورا طلب العلم و الفضيلة ، حتى بلغ اقصاها و قد سئل :انى ادركت هذا العلم ؟ فقال : بلسان سؤول و قلب عقول((583)) . هو حينما يقول : ((جل ما تعلمت من التفسير من على بن ابي طالب (ع , ((584)) (((او ((ما اخذت من تفسير القرآن فعن على بن ابي طالب , ((585)) ((انما يعني اعتماده الماثور من التفسير ,اذا كان الاثر صحيحا صادرا من منبع وثيق . و هكذا عند ما كان ياتي ابواب الصحابة بغية العثور على اقوال الرسول في مختلف شؤون الدين و منها الماثور عنه في التفسير، ان ذلك كله لدليل على مبلغ اعتماده على المنقول صحيحا من التفسير .فهو عند كلامه الانف انما يلقي الضؤ على تفاسيره بالذات ، و انها من النمط النقلي في اكثره ، و ان كان لا يصرح به في الموارد، بعد اعطا تلك الكلية العامة .

رابعا ـ اضطلاعه بالادب الرفيع .

لا شك ان القرآن نزل بالفصحى من لغة العرب ، سوا في مواد كلماته ام في هيئات الكلم و حركاتها البنائية والاعرابية ، اختار الافصح الافشى في اللغة دون الشاذ النادر و حتى من لغات القبائل اختار المعروف المالوف بينهم دون الغريب المنفور فما اشكل من فهم معاني كلماته ، لا بد لحلها من مراجعة الفصيح من كلام العرب المعاصر لنزول القرآن ، حيث نزل بلغتهم و على اساليب كلامهم المالوف . و هكذا نجد ابن عباس يرجع ، عند مبهمات القرآن و ما اشكل من لفظه ، الى فصيح الشعر الجاهلي ، و البديع من كلامهم الرفيع و كان استشهاده بالشعر انما جاه من قبل ثقافته الادبية و اضطلاعه باللغة و فصيح الكلام و في تاريخ الادب العربي آنذاك شواهد رائعة تشيد بنبوغه و مكانته السامية في العلم والادب و ساعده على ذلك ذكا مفرط و حافظة قوية لاقطة ، كان لايسمع شيئا الا و كان يحفظه بكامله لوقته . يروي ابو الفرج الاصبهاني باسناده الى عمر الركا، قال : بينا ابن عباس في المسجدالحرام و عنده نافع بن الازرق (راس الازارقة من الخوارج) و ناس من الخوارج يسالونه ، اذ اقبل عمر بن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين او ممصرين((586)) حتى دخل و جلس فاقبل عليه ابن عباس فقال : انشدنا، فانشده : امن آل نعم انت غاد فمبكر ـــ غداة غد ام رائح فمهجر؟ .حتى اتى على آخرها فاقبل عليه نافع بن الازرق ، فقال : اللّه يابن عباس من اقاصي البلاد نسالك عن الحلال و الحرام فتتثاقل عنا، و ياتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك : رات رجلا اما اذا الشمس عارضت ـــ فيخزى و اما بالعشى فيخسر فقال : ليس هكذا قال قال : فكيف قال ؟ فقال : قال : رات رجلا اما اذا الشمس عارضت ـــ فيضحى و اما بالعشى فيحصر فقال : ما اراك الا و قد حفظت البيت فاني اشافانشده القصيدة حتى اتى على آخرها و ما سمعها قط الا تلك المرة صفحا((587)) , و هذا غاية الذكا .فقال له بعضهم : ما رايت اذكى منك قط و كان ابن عباس يقول : ما سمعت شيئا قط الا رويته . ثم اقبل على ابن ابي ربيعة ، فقال : انشد، فانشده : تشط غدا دار جيراننا و سكت . فقال ابن عباس : و للدار بعد غد ابعد فقال له عمر: كذلك قلت ـ اصلحك اللّه ـ افسمعته ؟ قال : لا، ولكن كذلك ينبغي ((588)) . و هذا غاية في الفطنة و الذكا، مضافا اليه الذوق الادبي الرفيع و هو الذي كان يحفظ خطب الامام امير المؤمنين (ع) الرنانة فور استماعها، فكان راوية الامام في خطبه و سائرمقالاته . و كان ذوقه الادبي الرفيع و ثقافته اللغوية العالية ، هو الذي حدا به الى استخدام هذه الاداة ببراعة ، حينما يفسرالقرآن و يشرح من غريب لفظه كان يقول : الشعر ديوان العرب ، فاذا خفي علينا

الحرف من القرآن ، الذي انزله اللّه بلغة العرب ، رجعنا الى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه . و اخرج ابن الانباري من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : اذا سالتموني عن غريب القرآن ,فالتمسوه في الشعر، فان الشعر ديوان العرب ((589)) . و اخرج الطبري من طريق سعيد بن جبير ـ في تفسير قوله تعالى : (و ما جعل عليكم في الدين من حرج ((590)) (ـ عن ابن عباس ، و قد سئل عن (الحرج)، قال : اذا تعاجم شي من القرآن فانظروا في الشعر فان الشعر عربي ثم دعا اعرابيا فقال : ما الحرج ؟ قال : الضيق قال ابن عباس : صدقت ((591)) . و كان اذا سئل عن القرآن , في غريب الفاظه ، انشد فيه شعرا قال ابوعبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير .قال ابن الانباري : و قد جا عن الصحابة و التابعين كثيرا، الاحتجاج على غريب القرآن و مشكله بالشعر، قال : و انكر جماعة ـ لا علم لهم ـ على النحويين ذلك ، و قالوا: اذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر اصلا للقرآن و ليس الامر كما زعموا، بل المراد تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لانه تعالى يقول :(انا جعلناه قرآنا عربيا , ((592)) (و قال : (و هذا لسان عربي مبين . ((593)) (

مسائل ابن الازرق .

و لعل اوسع ما اثر عن ابن عباس في هذا الباب هي مسائل نافع بن الازرق الخارجي((594)) ,جا ليسال حبرالامة تعنتا لا تفهما و كان متقنا للعربية و امير قومه و فقيههم ، فحاول افحام مثل ابن عباس استظهارا لمذهبه . و القصة كما رواها السيوطي في الاتقان , فيها شي من الغرابة ، و لعل فيها زيادة و تحريفا، غير انها على كل حال تحدد من اتجاه ابن عباس اللغوي في التفسير، و اضطلاعه بالادب الرفيع . قال جلال الدين السيوطي : قد روينا عن ابن عباس كثيرا من استشهاده بالشعر لحل غريب القرآن , و اوعب ماروياه عنه مسائل ابن الازرق ـ و ساقها تماما حسب استخراجه من كتاب الوقف لابن الانباري , و المعجم الكبير للطبراني ـ ((595)) و لنذكر منها طرفا :قال بينا عبد اللّه بن عباس جالس بفنا الكعبة ، قد اكتنفه الناس يسالونه عن تفسير القرآن ، و اذا بنافع بن الازرق قال لنجدة بن عويمر((596)) : قم بنا الى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فاتياه و قالا:نريد ان نسالك عن اشيا من كتاب اللّه ، فتفسرها لنا، و تاتينا بمصادقة من كلام العرب ، فان اللّه انما انزل القرآن بلسان عربي مبين قال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما .فساله نافع عن قوله تعالى) : عن اليمين و عن الشمال عزين ((597)) (؟ قال : العزون : الحلق الرقاق قال نافع : و هل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، اما سمعت عبيد بن الابرص و هو يقول : فجاؤوا يهرعون اليه حتى ـــ يكونوا حول منبره عزينا .قال الراغب : عزون ، واحدته عزة ، و اصله من : عزوته فاعتزى ، اي نسبته فانتسب . و قال الطبرسي : عزون , جماعات في تفرقة ، واحدتهم عزة و انما جمع بالواو و النون ، لانه عوض ، مثل سنة وسنون و اصل عزة عزوة من : عزاه يعزوه ، اذا اضافه الى غيره فكل جماعة من هذه الجماعات مضافة الى الاخرى((598)) . و ساله عن قوله : (اذا اثمر و ينعه ((599)) (؟ قال : نضجه و بلاغه و استشهد بقول الشاعر :اذا مشت وسط النسا تاودت ـــ كما اهتز غصن ناعم النبت يانع((600)) . و ساله عن (الفلك المشحون ((601)) (؟ قال : السفينة الموقرة الممتلئة و استشهد بقول ابن الابرص : شحنا ارضهم بالخيل حتى ـــ تركناهم اذل من الصراط((602)) . و ساله عن)زنيم ((603)) (؟ قال : ولد زنى و استشهد بقول الخطيم التميمي : زنيم تداعته الرجال زيادة ـــ كما زيد في عرض الاديم الاكارع((604)) .قال الراغب : الزنيم : الزائد في القوم و ليس منهم و هو المنتسب الى قوم هو معلق بهم لا منهم . و ساله عن (جد ربنا ((605)) (؟ قال : عظمة ربنا و استشهد بقول امية بن ابي الصلت :لك الحمد و النعما و الملك ربنا ـــ فلا شي اعلا منك جدا و امجدا .و كان يبحث عن لغات القبائل و يترصد اخبارهم ، استطلاعا للغريب من الفاظهم الواقعة في القرآن , و كان اذااشكل عليه فهم كلمة ارجاها حتى يتسمع قول الاعراب ليعثر على معناها، طريقة متبعة لدى اهل التحقيق . اخرج الطبري باسناده الى ابن ابي يزيد قال : سمعت ابن عباس ، و هو يسال عن قوله تعالى : (ما جعل عليكم في الدين من حرج , ((606)) (قال : ما هاهنا من هذيل ((607)) احد؟ فقال رجل :نعم ، قال : ما تعدون الحرجة فيكم ؟ قال : الشي الضيق قال ابن عباس : فهو كذلك ((608)) . و اخرج من طريق قتادة عن ابن عباس ، قال : لم اكن

ادري ما (افتح بيننا وبين قومنا بالحق ((609)) (حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها: تعال افاتحك ، تعني اقاضيك ((610)) . و اخرج ابوعبيد في الفضائل من طريق مجاهد عن ابن عباس ، قال : كنت لا ادرى ما(فاطر السماوات و الا رض ((611)) (حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر، فقال احدهما: انا فطرتها،يقول : انا ابتداتها((612)) . و في تفسير الزمخشري ـ عند قوله تعالى : (انه ظن ان لن يحور ((613)) (ـ : و عن ابن عباس : ما كنت ادري مامعنى))يحور)) حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها: حوري ، اي ارجعي . و استشهد الزمخشري بقول لبيد :و ما المر الا كالشهاب وضوئه ـــ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع((614)) . و قد جا نفس الاستشهاد في مسائل ابن الازرق ايضا((615)) . و هكذا استطاع بثقافته اللغوية ان يحيط بلغات القبائل ، و يميز عن بعضها البعض . روي عنه في قوله تعالى) : و كنتم قوما بورا ((616)) (انه قال : البور، في لغة اذرعات الفاسد ,فاما عند العرب فانه لا شي ((617)) . و قال في قوله تعالى : (و انتم سامدون ((618)) (السمود: الغنا، و هي يمانية . و في قوله تعالى : (اتدعون بعلا ((619)) (قال : ربا، بلغة اهل اليمن . و في قوله : (كلا لا وزر (((620))قال : الوزر: ولد الولد، بلغة هذيل . و في قوله) : في الكتاب مسطورا ((621)) (قال : مكتوبا، و هي لغة حميرية ، يسمون الكتاب اسطورا((622)) . بل نراه لم يقتصر على الاحاطة بلغات القبائل ، حتى ضم اليها التعرف الى الكلمات الوافدة الى العربية من لغات الامم المجاورة قال في قوله تعالى : (ان ناشئة الليل هى اشد وطئا و اقوم قيلا (بلسان الحبشة ، اذاقام الرجل من الليل قالوا :نشا((623)) . و قال في قوله تعالى : (فرت من قسورة) هو بالعربية الاسد، و بالفارسية شار (شير)، و بالقبطية اريا، وبالحبشية قسورة((624)) . هذا، مضافا الى معرفته بداب سائر الامم و رسومهم ، كان يقول في قوله تعالى : (يود احدهم لو يعمرالف سنة) هو قول الاعاجم : ((زه ، نوروز ,مهرجان حر . ((625)) ((و عن تلميذه سعيد بن جبير: هو قول بعضهم لبعض اذا عطس : زه هزار سال ، و في رواية عن ابن عباس : هو قول احدهم : زه هزار سال ، يقول : عش الف سنة((626)))) زه)) و ((زى ((بالفارسية بمعنى الدعا بطول العمر، من ((زيستن)) بمعنى الحياة . اضف الى ذلك معرفته بالتاريخ و الجغرافية ، و ما جرت على جزيرة العرب من حوادث و ايام ، و قد اتاح له حظا وافرا من هذه الثقافة , تنقله في البلاد، بين مكة و المدينة ، ثم ولايته على البصرة و اشتراكه في غزوة افريقية ، بل و تنقله بين انحا الجزيرة في طلب العلم ، اذ كان يهتم الاهتمام كله بتعرف قصة كل اسم او موطن او موضع جرى له ذكر في القرآن ، ان مبهما او صريحا يقول)) : الاحقاف ، المذكور في الكتاب العزيز: واد بين عمان و ارض مهرة)) و ارض مهرة هي حضرموت كما جا في كلام ابن اسحاق و قال قتادة : الاحقاف : رمال مشرفة على البحر بالشحر من ارض اليمن قال ياقوت : هذه ثلاثة اقوال غير مختلفة في المعنى((627)) . و قال ـ في البحرين ـ : روي عن ابن عباس : البحرين من اعمال العراق ، و حده من عمان ناحية جر فار، واليمامة على جبالها((628)) . و قال ـ في عرفة ـ : و قال ابن عباس : حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة الى جبالها الى قصر آل مالك و وادي عرفة((629)) . و قال ـ في تحديد جزيرة العرب ـ : و احسن ما قيل في تحديدها ما ذكره ابو المنذرهشام بن محمد بن السائب الكلبي مسندا الى ابن عباس ، قال : اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة اقسام قال : و انما سميت بلاد العرب جزيرة ، لاحاطة الانهار و البحار بها من جميع اقطارها و اطرافها , فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر((630)) . الى غيرها من موارد تدلك على سعة معرفة ابن عباس بالاوضاع و الاحوال التي تكتنفه ، شان اي عالم و محقق خبير .و بعد فان احاطته باللغة و بالشعر القديم , لتدلك على قوة ثقافته البالغة حدا لم يصل اليه غيره ، ممن كان في طرازه ذلك العهد ,الامر الذي جعله بحق زعيم هذا الجانب من تفسير القرآن ، حتى لقد قيل في شانه : هو الذي ابدع الطريقة اللغوية في التفسير((631)) فضلا عن كونه ابا للتفسير في جميع جوانبه و مجالاته . و بذلك كان قد كشف النقاب عن وجه كثير من آيات احاطت بها هالة من الابهام ،لولا معرفة سبب النزول . مثلا نتسال : ما هي العلاقة بين (ذكر اللّه و ذكر الابا) في قوله تعالى : (فاذا قضيتم مناسككم فاذكرواللّه كذكركم آباكم او اشد ذكرا ((632)) (و السياق وارد بشان احكام الحج و مناسكه ؟ .

و هنا ياتي ابن عباس ليوضح من موضع هذه العلاقة قال : ((ان العرب كانوا عند الفراغ من حجتهم بعد ايام التشريق , يقفون بين مسجد منى و بين الجبل ، و يذكر كل واحد منهم فضائل آبائه في السماحة و الحماسة وصلة الرحم ، و يتناشدون فيها الاشعار، و يتكلمون بالمنثور من الكلام ، و يريد كل واحد منهم من ذلك الفعل ،حصول الشهرة و الترفع بمثر سلفه فلما انعم اللّه عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم كذكرهم لابائهم او اشد ذكرا. ((633)) ((

و هكذا لما تسال بعضهم : ما وجه قوله تعالى : (فلا جناح عليه ان يطوف بهما (((634))اي لا حرج عليه و لا ماثم في السعي بين الصفا و المروة و ظاهره نفي الباس ، اي عدم المنع ، و هو لايقتضي الوجوب ، مع ان قوله تعالى ـ في صدر الاية ـ : (ان الصفا و المروة من شعائر اللّه) يستدعي الوجوب ، لانه خبر في معنى الامر؟ و قد كان ذلك موضع تساؤل منذ او ل يومه اخرج الطبري باسناده الى عمرو ابن حبيش قال : قلت لعبد اللّه بن عمر: (ان الصفا و المروة من شعائر اللّه ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما)، قال : انطلق الى ابن عباس فاساله فانه اعلم من بقي بما انزل على محمد(ص).(

قال : فاتيت ابن عباس فسالته ، فقال : انه كان عندهما اصنام ، فلما اسلموا امسكوا عن الطواف بينهما حتى انزلت (ان الصفا و المروة من شعائر اللّه ((635)) (

.

كان المشركون قد وضعوا على الصفا صنما يقال له : ((اساف))، و على المروة ((نائلة))فلما اعتمر رسول اللّه (ص)عمرة القضا تحرج المسلمون عن السعي بينهما، زعما منهم ان السعي بينهما شي كان صنعه المشركون تزلفاالى الصنمين ، فانزل اللّه ان لا حرج و لا موضع لما وهمه اناس ((636)).

.

مراجعة اهل الكتاب

و هل كان ابن عباس يراجع اهل الكتاب في فهم معاني القرآن ؟. سؤال اجيب عليه بصورتين : احداهما مبالغ فيها، و الاخرى معتدلة الى حد ما، كانت مراجعته لاهل الكتاب كمراجعة سائر الاصحاب ـ في دائرة ضيقة النطاق ، في امور لم يتعرض لها القرآن ، و لا جات في بيان النبى (ص)، حيث لم تعد حاجة ملحة الى معرفتها، و لا فائدة كبيرة في العلم بها كعدد اصحاب الكهف ، و البعض الذي ضرب به موسى من البقرة ، و مقدار سفينة نوح ، و ما كان خشبها، و اسم الغلام الذي قتله الخضر، و اسماالطيور التي احياها اللّه لابراهيم ، و نحو ذلك مما لا طريق الى معرفة الصحيح منه فهذا يجوز اخذه من اهل الكتاب , و التحدث عنهم و لا حرج ، كما ورد ((حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج , ((637)) ((المحمول على مثل هذه الامور.

قال ابن تيمية : و في بعض الاحيان ينقل عنهم (عن بعض الصحابة مثل ابن مسعود و ابن عباس و كثير من التابعين) ما يحكونه من اقاويل اهل الكتاب التي اباحها رسول اللّه (ص)، حيث قال : ((بلغوا عني و لو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل و لا حرج)) رواه البخاري عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، و لهذا كان عبد اللّه بن عمروقد اصاب يوم اليرموك زاملتين ((638)) من كتب اهل الكتاب ، فكان يحدث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الاذن في ذلك و لكن هذه الاحاديث الاسرائيلية انما تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فانها من الامور المسكوت عنها، ولم نعلم صدقها و لا كذبها مما بايدينا، فلا نؤمن به و لا نكذبه ، و تجوز حكايته ، و غالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى امر ديني ، و قد ابهمه اللّه في القرآن ، لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم و لادينهم((639)) .

و وافقه على هذا الراي الاستاذ الذهبي ، قال : كان ابن عباس يرجع الى اهل الكتاب و ياخذ عنهم , بحكم اتفاق القرآن مع التوراة و الانجيل ، في كثير من المواضع التي اجملت في القرآن و فصلت في كتب العهدين و لكن في دائرة محدودة ضيقة ، تتفق مع القرآن و تشهد له اما ما

عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن و لايتفق مع الشريعة ،فكان لا يقبله و لا ياخذ به.
قال : فابن عباس و غيره من الصحابة ، كانوا يسالون علما اليهود الذين اعتنقواالاسلام فيما لا يمس العقيدة او يتصل باصول الدين و فروعه ، كبعض القصص و الاخبار الماضية.
قال : و بهذا المسلك يكون الصحابة قد جمعوا بين قوله (ص): ((حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج))، و قوله : ((لاتصدقوا اهل الكتاب و لا تكذبوهم)) فان الاول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث والاخبار، لما فيها من العظة و الاعتبار، بدليل قوله بعد ذلك : ((فان فيهم اعاجيب)) و الثاني محمول على ما اذا كان المخبر به من قبلهم محتملا، ولم يقم دليل على صدقه و لا على كذبه قال : كما افاده ابن حجر، و نبه عليه الشافعي((640)) .
و اما المستشرقون فقد ذهبوا في ذلك مذاهب بعيدة ، بالغوا فيها الى حد ترفضه شريعة النقد و التمحيص يقول العلامة المستشرق اجنتس جولد تسيهر:
))و ترى الرواية الاسلامية ان ابن عباس تلقى بنفسه ـ في اتصاله الوثيق بالرسول ـ وجوه التفسير التي يوثق بهاوحدها((641)) و قد اغفلت هذه الرواية بسهولة ـ كما في احوال اخرى مشابهة ـ ان ابن عباس عند وفاة الرسول كان اقصى ما بلغ من السن (١٠ ـ ١٣) سنة.
))و اجدر من ذلك بالتصديق ، الاخبار التي تفيد ان ابن عباس كان لا يرى غضاضة ان يرجع ، في الاحوال التي يخامره فيها الشك ، الى من يرجو عنده علمها و كثيرا ما ذكر انه كان يرجع ـ كتابة ـ في تفسير معاني الالفاظ الى من يدعى (ابا الجلد) و الظاهر انه (غيلان بن فروة الازدي) الذي كان يثنى عليه بانه قرا الكتب ((642)).
))و كثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس ، اليهوديين اللذين اعتنقاالاسلام : كعب الاحبار، و عبد اللّه بن سلام ، كما نجد اهل الكتاب على وجه العموم ، اي رجالا من طوائف ورداالتحذير من اخبارها ـ عدا ذلك ـ في اقوال تنسب الى ابن عباس نفسه ومن الحق ان اعتناقهم للاسلام قد سمابهم على مظنة الكذب ، و رفعهم الى مرتبة مصادر العلم التي لا تثير ارتيابا((643)) .
))ولم يعد ابن عباس اولئك الكتابيين الذين دخلوا في الاسلام ، حججا فقط في الاسرائيليات و اخبار الكتب السابقة ، التي ذكر كثيرا عنها الفوائد((644)) , بل كان يسال ايضا كعب الاحبار مثلا عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين : (ام الكتاب ((645)) (و (المرجان. ((646)) (
))كان يفترض عند هؤلا الاحبار اليهود، فهم ادق للمدارك الدينية العامة الواردة في القرآن و في اقوال الرسول ،و كان يرجع الى اخبارهم في مثل هذه المسائل ، على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم. ((647)) ((
هذه هي عبارة (جولد تسيهر) البادي عليها غلوه المفرط بشان مسلمة اليهود، و دورهم في التلاعب بمقدرات المسلمين ، الامر الذي لا يكاد يصدق في اجوا كانت السيطرة مع الصحابة النبها ,انما كان ذلك في عهد طغى سطو امية على البلاد و قد اكثروا فيها الفساد، على ما سننبه.
و قد تابعه على هذا الراي الاستاذ احمد امين ، قال : و لم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من اخذقولهم روي ان النبى (ص) قال : ((اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم و لا تكذبوهم)) ولكن العمل كان على غير ذلك ، و انهم كانوا يصدقونهم و ينقلون عنهم ما حكاه الطبري و غيره عند تفسيرقوله تعالى : (هل ينظرون الا ان ياتيهم اللّه في ظلل من الغمام و الملائكة. ((648)) (
و عقبه بقوله : و قد رايت ابن عباس كان يجالس كعب الاحبار و ياخذ عنه((649)) , اشارة الى ما سبق من قوله : واما كعب الاحبار او كعب بن ماتع فيهودى من اليمن ، و اكبر من تسربت منهم اخبار اليهود الى المسلمين ، اسلم في خلافة ابي بكر او عمر ـ على خلاف في ذلك ـ و انتقل بعد اسلامه الى المدينة ثم الى الشام و قد اخذ عنه اثنان ، هما اكبر من نشر علمه : ابن عباس ـ و هذا يعلل ما في تفسيره من اسرائيليات ـ و ابوهريرة((650)) .

نقد و تمحيص

و انا لناسف كثيرا ان يغتر كتابنا النقاد ـ امثال الاستاذ احمد امين و الاستاذ الذهبي ـ بتخرصات لفقها اوهام مستوردة ، فلنترك المستشرقين في ريبهم يترددون ، و لكن ما لنا ـ

نحن معاشر المسلمين ـ ان نحذو حذوهم ونواكبهم في مسيرة الوهم و الخيال ؟ لا شك ان نبها الصحابة امثال ابن عباس كانوا يتحاشون مراجعة اهل الكتاب و يستقذرون ما لديهم من اساطيرو قصص و اوهام ، و انما تسربت الاسرائيليات الى حوزة الاسلام ، بعد انقضا عهد الصحابة ، و عند ما تسيطرالحكم الاموي على البلاد لغرض العيث في الارض و شمول الفساد، الامر الذي احوجهم الى مراجعة الانذال من مسلمة اليهود و من تبعهم من سفلة الاوغاد.

و سنذكر ان مبدا نشر الاسرائيليات بين المسلمين كان في هذا العهد المظلم بالخصوص ، حاشا الصحابة و حاشا ابن عباس بالذات ان يراجع ذوي الاحقاد من اليهود، و يترك الخلص من علما الاسلام امثال الامام علي بن ابي طالب (ع)، و كان سفط العلم و لديه علم الاولين و الاخرين ، علما ورثه من رسول اللّه (ص) في شمول و عموم.

و قد مر عليك انه كان يستطرق ابواب العلما من الصحابة بغية العثور على اطراف العلم الموروث من الرسول الاكرم (ص)، و قد سئل : انى ادركت هذا العلم ؟ فقال : بلسان سؤول و قلب عقول((651)) .

و اليك من تصريحات ابن عباس نفسه ، يحذر مراجعة اهل الكتاب بالذات ، فكيف ياترى ، ينهى عن شي ثم يرتكبه ؟

التحذير عن مراجعة اهل الكتاب

اخرج البخاري باسناده الى عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة عن ابن عباس ، قال)) : يا معشر المسلمين كيف تسالون اهل الكتاب ، و كتابكم الذي انزل على نبيه (ص)احدث الاخبار باللّه تقراونه لم يشب ((652)) , و قد حدثكم اللّه ان اهل الكتاب بدلوا ما كتب اللّه و غيروا بايديهم الكتاب ، فقالوا :هو من عند اللّه ليشتروا به ثمنا قليلا، افلاينهاكم ما جاكم من العلم عن مسائلتهم ، و لا واللّه ما راينا منهم رجلا قط يسالكم عن الذي انزل عليكم. ((653)) ((

و اخرج عن ابي هريرة قال : كان اهل الكتاب ((654)) يقراون التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لاهل الاسلام ،فقال رسول اللّه (ص): ((لا تصدقوا اهل الكتاب و لا تكذبوهم ، و قولوا : آمنا باللّه و ما انزل الينا و ما انزل اليكم. ((655)) ((

و اخرج عبد الرزاق من طريق حريث بن ظهير، قال : قال عبد اللّه بن عباس : ((لا تسالوا اهل الكتاب ، فانهم لن يهدوكم و قد اضلوا انفسهم ، فتكذبوا بحق اوتصدقوا بباطل. ((656)) ((

و هذا الحديث وضح من كلام النبى (ص) في عدم تصديقهم و لا تكذيبهم ، لانهم كانوا يخلطون الحق بالباطل ،فلايمكن تصديقهم ، لانه ربما كان تصديقا لباطل ، و لا تكذيبهم ، لانه ربما كان تكذيبا لحق , فالمعنى : ان لا يعتبرمن كلامهم شي و لا يترتب على مايقولونه شي فلا حجية لكلامهم و لا اعتبار لاقوالهم على الاطلاق ، اذن فلاينبغي مراجعتهم و لا الاخذ عنهم في وجه من الوجوه.

و اخرج احمد و ابن ابي شيبة و البزاز من حديث جابر، ان عمر اتى النبى (ص)بكتاب اصابه من بعض اهل الكتاب ، فغضب النبى (ص)، و قال : ((لقد جئتكم بها بيضا نقية ، لا تسالوهم عن شي , فيخبروكم بحق فتكذبوابه ، او باطل فتصدقوا به ، و الذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني)) و في رواية اخرى : ((لاتسالوا اهل الكتاب عن شي)) . ((657))

تلك مناهي الرسول (ص) الصريحة في المنع عن مراجعة اهل الكتاب اطلاقا، لا في كبير و لا صغير، فهل يا ترى احدا من صحابته الاخيار خالف اوامره وراجعهم في شي من مسائل الدين و القرآن ؟ الكتاب و ينقلون عنهم ((658)).

و اما الذي استشهدوا به على مراجعة مثل ابن عباس لليهود، فكله باطل و زور، لم يثبت منه شي.

اما الذي جا به الاستاذ مثلا من قوله تعالى : (هل ينظرون الا ان ياتيهم اللّه في ظلل من الغمام ((659)) (قال : فاقرا ما حكاه الطبري و غيره عند تفسير الاية.

فقد راجعنا تفسير الطبري و الدر المنثور و ابن كثير و غيرها من امهات كتب التفسيربالنقل الماثور((660)) , فلم نجد فيها ذكرا لكعب و لا مسائلته من قبل احد من الاصحاب ، او غيرهم

من التابعين ايضا و لم ندر من اين اخذ الاستاذ هذا المثال ، و من الذي عرفه ذلك ، فاوقعه في هذا الوهم الفاضح.
و اما قوله : كان ابن عباس يجالس كعب الاحبار، و كان اكثر من نشر علمه((661)) , فكلام اشد وهما و اكثر جفاعلى مثل ابن عباس الصحابي الجليل ، اذ لم نجد و لا رواية واحدة تتضمن نقلا لابن عباس عن احد من اليهود،فضلا عن مثل كعب الاحبار الساقط الشخصية ((662)).
نعم اشار المستشرق جولد تسيهر الى موارد، زعم فيها مراجعة ابن عباس لاهل الكتاب ، و لعلها كانت مستند الاستاذ احمد امين تقليدا من غير تحقيق و لكنا راجعنا تلك الموارد، فلم نجدهاشيئا ,كسراب بقيعة يحسبه الظمن ما.
منها: ان ابن عباس سال كعب الاحبار عن تفسير تعبيرين قرآنيين : ام الكتاب ، و المرجان ((663)).
روى الطبري باسناده الى عبد اللّه بن ميسرة الحراني : ان شيخا بمكة من اهل الشام سمع كعب الاحبار يسال عن المرجان (الرحمان / ٢٢) فقال : هو البسذ((664)) .
لكن من اين علم جولد تسيهر ان الذي سال كعبا هو شيخ مكة و زعيمها ابن عباس ؟ و كذا روي عن معتمر بن سليمان عن ابيه عن شيبان ، ان ابن عباس سال كعبا عن ام الكتاب (الرعد/ ٣٩) فقال :علم اللّه ما هو خالق و ما خلقه عاملون , فقال لعلمه : كن كتابا، فكان كتابا ((665)).
غير ان شيبان هذا ـ هو ابن عبد الرحمان التميمي مولاهم ، النحوي ابومعاوية البصري المؤدب ,سكن الكوفة ثم انتقل الى بغداد ـ مات في خلافة المهدي سنة (١٦٤) و كان من الطبقة السابعة((666)) , و عليه فلم يدرك ابن عباس المتوفى سنة (٦٨) و لا كعب الاحبار الذي هلك في خلافة عثمان سنة (٣٢) فالرواية مرسلة لم يعرف الواسطة ، فكانت ساقطة عن الاعتبار.
و ايضا روي عن اسحاق بن عبد اللّه بن الحرث عن ابيه ، ان ابن عباس سال كعبا عن قوله تعالى) : يسبحون الليل و النهار لا يفترون) و (يسبحون له بالليل و النهار و هم لا يسامون (((667))فقال : هل يؤودك طرفك ؟ هل يؤودك نفسك ؟ قال : لا، قال : فانهم الهموا التسبيح ، كما الهمتم الطرف و النفس ((668)).
و عبد اللّه هذا هو ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، ولد على عهد رسول اللّه (ص) بالمدينة واصبح من فقهائها، و تحول الى البصرة و رضيته العامة ، و اصطلحوا عليه حين هلك يزيد بن معاوية توفي سنة (٨٤) بالابوا و دفن بها، و كان خرج اليها هاربا من الحجاج((669)) .
غير ان الطبري روى باسناده الى حسان بن مخارق عن عبد اللّه بن الحرث ، انه هو الذي سال كعبا عن ذلك ،قال : قلت لكعب الاحبار: (يسبحون الليل و النهار لا يفترون) اما يشغلهم رسالة او عمل ؟ قال : يا ابن اخي ، انهم جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس ، الست تاكل و تشرب و تقوم و تقعد و تجي و تذهب و انت تتنفس ؟ قلت : بلى ((670)).
قلت : ياترى ، هل كان هو الذي سال كعبا او انه سمع ابن عباس يسال كعبا؟ في حين انه لايقول : سمعت ابن عباس يساله ، بل مجرد ان ابن عباس ساله ، الامر الذي لا يوثق بكون الرواية منتهيه الى سماع ، و الظاهر انه ارسال.
على انه من المحتمل القريب ان السائل هو بالذات ، لكن ابنه اسحاق كره نسبة السؤال من مثل كعب الى ابيه ،فذكر الحديث عن ابيه مع اقحام واسطة ارسالا من غير اسناد و يؤيد ذلك انه لم تات رواية غير هذه تنسب الى ابن عباس انه سال مثل كعب ، فالارجح في النظر انه مفتعل عليه لا محالة.
و استند جولد تسيهر ـ في مراجعة ابن عباس لاهل الكتاب ـ ايضا الى ما رواه الطبري باسناده الى ابي جهضم موسى بن سالم مولى ابن عباس ، قال : كتب ابن عباس الى ابي جلد (غيلان بن فروة الازدي ، كان قرا الكتب ، وكان يختم القرآن كل سبعة ايام و يختم التوراة كل ثمانية ايام ((671)) (يساله عن ((البرق)) في قوله تعالى : (هوالذي يريكم البرق خوفا و

طمعا) فقال : البرق : الما((672)) .
لـكـن في طبقات ابن سعد((673)) ان ابا الجلد الجوني ـ حي من الازد ـ اسمه جيلان بن فروة ,كـان يقرا الكتب وزعمت ابنته ميمونة : ان اباها كان يقرا القرآن في كل سبعة ايام ، و يختم التوراة في ستة ، يقراها نظرا، فاذا كان يوم يختمها حشد لذلك ناس.
لا شـك انـها مغالاة من ابنته يقول جولد تسيهر: و لا يتضح حقا من هذا الخبر الغامض ، الذي زادته مغالاة ابنته غموضا، اى نسخة من التوراة كان يستخدمها في دراسته((674)) .
لان الـتـوراة المعهودة اليوم و هي تشتمل على (٣٩) كتابا تكون في حجم كبير، ثم هي قصة حياة اسرائيل طول عشرين قرنا، و فيها تاريخ حياة انبيا بني اسرائيل و ملوكهم و رحلاتهم و حروبهم طول التاريخ ، و هي بكتب التاريخ اشبه منها بكتب الوحي فهل كان يقرا ذلك كله في ستة ايام ؟ و ما هي الفائدة في ذلك التكرار؟ عـلى ان راوي الخبر ـ و هو موسى بن سالم ابو جهضم ـ لم يلق ابن عباس و لا ادركه ، لانه مولى آل العباس ، وليس مولى لابن عباس ففي نسخة الطبري المطبوعة خطا قطعا قال ابن حجر: موسى بـن سـالم ابوجهضم مولى آل العباس ، ارسل عن ابن عباس و هو من رواة الامام ابي جعفر محمد بن عـلي الباقر(ع (((675))وفي الخلاصة :موسى بن سالم مولى العباسيين ابوجهضم عن ابي جعفر الباقر، و عنه الحمادان((676)) والامام الباقر توفي سنة (١١٤.(
و اخـيرا، فان الموارد التي ذكروا مراجعة ابن عباس فيها لاهل الكتاب لا تعدو معاني لغوية بحتة ، لا تـمس قضاياسالفة عن امم خلت كما زعموا، و لا سيما السؤال عن ((البرق))، و هو لفظ عربي خـالص ، لا موجب للرجوع فيه الى رجال اجانب عن اللغة كيف يا ترى يرجع مثل ابن عباس ـ و هو عـربي صميم وعارف بمواضع لغته اكثر من غيره ـ الى اليهود الاجانب ؟ للفظ البرق من مفهوم ؟ ثم كيف اقتنع بتفسيره بالما؟اللهم ان هذا الا اختلاق الامـر الذي يقضي بالعجب ، كيف يحكم هذا العلامة المستشرق حكمه البات ، بان كثيرا ما ذكر انه كـان يـرجع ـكتابة ـ في تفسير معاني الالفاظ الى من يدعى ابا الجلد؟((677)) و يجعل مستنده هذه المراجعة المفتعلة قطعا، اذكيف يعقل ان يراجع ، مثله في مثل هذه المعاني ؟ و اسـخـف من الجميع تبرير ما نسب الى ابن عباس من اقاصيص اسطورية جات عنه ، بانه من جرا رجـوعـه الـى اهل الكتاب في هكذا امور بعيدة عن صميم الدين قال الاستاذ امين : و هذا يعلل ما في تـفـسيره من اسرائيليات قال ذلك بعد قوله : و كان ابن عباس و ابو هريرة اكبر من نشر علم كعب الاحبار((678)) .
و قـال الـدكـتور مصطفى الصاوي : و كثيرا ما ترد عن ابن عباس روايات في بد الخليقة و قصص الـقـرآن ، مـمـا لا يمكن ان يكون قد رجع فيها الا الى اهل الكتاب ، حيث يرد هذا القصص مفصلا ,مـثـال هذا تفسيره للاية : (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدما ((679)) (قال : لكنه حين يـرجـع الـيهم مستفسرا، فانما يرجع رجوع العالم الذي يعير سمعه لما يقال ، ثم يعمل فكره و عقله فيما يسمع ، ثم ينخله مبعدا عنه الزيف ((680)).
قـلـت : ان كـانت فيما روي عنه في ذلك و امثاله غرابة او غضاضة ، فان العتب انما يرجع الى الذي نسبه الى ابن عباس ، ترويجا لاكذوبته ، و لا لوم على ابن عباس في كثرة الوضع عليه نعم و لعل هذه الـكثرة في الوضع عليه آية على تقدير له و اكبار من الوضاع ، لكنه في نفس الوقت ، رغبة منهم في ان تـنـفـق بـضـاعـتـهـم ، مـوسـومـة بـمن في اسمه الرواج العلمي و قد اعترف بذلك الدكتور , .((681))فلماذا حكم عليه ذلك الحكم القاسي ؟ فـالـصـحيح : ان ابن عباس كان في غنى عن مراجعة اهل الكتاب ، و عنده الرصيد الاوفى بالعلوم و المعارف والتاريخ و اللغة ، و لا سيما في مثل تلكم الاساطير السخيفة التي كانت كل ما يملكه اليهود من بضاعة مزجاة كاسدة ، بل ان موقف ابن عباس من اهل الكتاب عموما، و من كعب الاحبار خصوصا ,ما يصوره معتزا بدينه كريما على نفسه و ثقافته.
يروى ان رجلا اتى ابن عباس يبلغه زعم كعب الاحبار: انه يجا بالشمس و القمر يوم القيامة كانهما ثـوران عقيران فيقذفان في النار كذب كعب الاحبار، بل هذه يهودية يريد ادخالها في الاسـلام((682)) .
يقال : لما بلغ ذلك كعبا، اعتذر له بعد و تعلل((683)) .

و ربما كان كعب يجالس ابن عباس يحاول مراودته العلم فيما زعم ، فكان ابن عباس يجابهه بما يح ط مـن قـيـمته روي انه ذكر الظلم في مجلس ابن عباس ، فقال كعب : اني لا اجد في كتاب اللّه المنزل)يريد التوراة ((684)) (ان الظلم يخرب الديار، فقال ابن عباس : انا اوجدكه في القرآن ، قال اللّه عز و جل :(فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا. ((685)) (

هـذه حـقـيقة موقف ابن عباس من اليهود كما ترى ، و هو اذ كان يدعو الى تجنب الرجوع الى اهل الـكتاب ، لمايدخل بسبب ذلك من فساد على العقول و تشويه على العامة ، فكيف يا ترى انه كان يرجع الـيـهـم رغم نهيه وتحذيره تـقـولـون مـا لاتفعلون ، كبر مقتا عند اللّه ان تقولوا ما لا تفعلون , ((686)) (فحاشا ابن عباس ان يراجع اهل الكتاب ، و حاشاه حاشاه

استعمال الراي و الاجتهاد

و هل استعمل ابن عباس رايه في تفسير القرآن ؟. اذا كـان المراد من الراي ، ما انتجه الفكر و الاجتهاد بعد تمام مقدماته المعروفة ، فامرطبيعي لا بد منه ، و لايستطيع احد محايدته ، انما هو شي كان عليه الاصحاب و العلما من التابعين لهم باحسان.

كـان ابـن عـبـاس كـغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير، يرجعون في فهم معاني القرآن الى الـقرآن ذاته اولا، و الى ما وعوه من احاديث الرسول (ص) و اقواله في بيان معاني القرآن ، ثم الى مـايفتح اللّه به عليهم من طريق النظر و الاجتهاد، مع الاستعانة في ذلك بمعرفة اسباب النزول ، و الظروف والملابسات التي نزل فيها القرآن ، بالاضافة الى توسعهم في المعارف ، و لا سيما مثل ابن عـباس ، كان متوسعا في علومه فيما يتعلق بمواقع النزول و انحائه ، و معرفته بالاحكام و التاريخ و الجغرافية ، حسبما مر عليك.

فـالـراي الـمستند الى مثل هذه المقدمات المعروفة المتناسبة بعضها مع البعض ، راي ممدوح و امر طبيعي ، ليس ينكر البتة.

هـذا هو المنهج الذي سار عليه ابن عباس في التفسير، لم يحد عن مناهج سائر الصحابة النبها و قد ساهمت ثقافته العميقة في كثير من جوانب المعرفة ، على ان يتالق في منهجه ، كما ساعده على ذلك ـ اضافة على ماذكرنا ـ تبحره في معرفة مواقع النزول ، و استيعابه للمحكم و المتشابه ، و القراة و الاحكام و التاريخ والجغرافية ، فضلا عن اللغة و الادب الرفيع.

و هكذا كان ابن عباس بمعارفه الوسيعة يهتم بتعرف كل شي في القرآن ، حتى ليقول : اني لاتي على آيـة مـن كـتـاب اللّه تـعالى ، فوددت ان المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما اعلم ((687)) و يقول مـصـورا مـدى اقـتـداره على استنباط معاني القرآن : لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب اللّه تـعالى((688)) قال الجويني : و ما كان له ان يقول ذلك لولا اخذه من كل ثقافة بطرف ، و تسخيرها جميعا لخدمة تفسير القرآن((689)) .

و لـهـذا ظـل ابـن عـبـاس دوما موضع الاعتبار و التقدير من الصحابة الاولين و من معاصريه من التابعين ، و ممن لحقه بعد، منذ عهد التدوين و لايزال فما اكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اخـتـلاف مـناهجها و منازعهاالسياسية و المذهبية حتى الان ، فرحمه اللّه من مفسر لكلامه البليغ الوجيز.

الطرق اليه في التفسير

ذكـر الـسيوطي تسعة طرق الى ابن عباس في التفسير((690)) , وصف بعضها بالجودة وبعضها بالوهن حسبما يلى:

اولها ـ و هو من جيدها ـ : طريق معاوية بن صالح عن على بن ابي طلحة الهاشمي عن ابن عباس قال احمدبن حنبل : بمصر صحيفة في التفسير، رواها على بن ابي طلحة و لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا، ما كان كثيراقال ابن حجر: و هذه النسخة كانت عند ابي صالح كاتب الليث ، رواها معاوية بن صـالح عن على بن ابي طلحة عن ابن عباس و هي عند البخاري عن ابي صالح ، و قد اعتمد عليها في صـحـيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس و اخرج منها ابن جرير الطبري ، و ابن ابي حاتم ، و ابن المنذر كثيرا، بوسائط بينهم و بين ابي صالح.

و قـد غمز بعضهم في هذا الطريق ، حيث ان ابن ابي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس قال ابن حـبان : روى عن ابن عباس و لم يره ، و مع ذلك عده في الثقات ((691)) قالوا: و انما

اخذ التفسير عـن مـجـاهد او سعيد بن جبير، واسـنده الى ابن عباس راسا، و ذلك انه توفي سنة (١٤٣) و قد تـوفي ابن عباس سنة (٦٨)، و ما بين الوفاتين (٧٥) سنة ، الامر الذي يمتنع معه الرواية عن ابن عـبـاس مـبـاشـرة قـال الـخـليلي : و اجمع الحفاظ على ان ابن ابي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس ((692)).

و حـاول بـعـضـهـم رميه بالضعف و سؤ الراي و الخروج بالسيف ايضا قال يعقوب بن سفيان : ليس محمودالمذهب.

قال ابن حجر ـ بصدد رد الاعتراض ـ : اما اسقاط الواسطة فلا ضير فيه بعد ان عرفنا الواسطة و هـو ثـقـة((693)) , لاسيما و قد روى عنه الثقات قال صالح بن محمد: روى عنه الكوفيون و الـشـامـيون ـ لانه انتقل الى حمص ـ ، قال ابن حجر: و نقل البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس شيئا كثيرا.

قـال : و قد وقفت على السبب الذي رمى به الراي بالسيف ، و ذلك فيما ذكره ابو زرعة الدمشقي عن عـلى بن عياش الحمصي ، قال : لقي العلا بن عتبة الحمصي على بن ابي طلحة تحت القبة ، فقال (على لـعـلا): يا ابا محمد، تؤخذ قبيلة من قبائل المسلمين فيقتل الرجل و المراة والصبى ، لا يقول احد :اللّه ، اللّه استباحة دما بني امية من قبل بني العباس يومذاك و انهم يستحقون ذلك ، فطائفة منهم بارتكاب جرائم , و طائفة اخرى بالسكوت عما يفعله اخوانهم) ثم قال على بن ابي طلحة : يا عاجز ـ خطابا مع العلا ,لانه كان من اشياع بني امية((694)) ـ او ذنب على اهل بيت النبى (ص) (يريد بهم بني العباس) ان اخذوا قومابجرائرهم و عفوا عن آخرين ؟ فقال له العلا: و انه لرايك ؟ قال : نعم فقال له العلا: لا كلمتك من فمي بكلمة ابدا انما احببنا آل محمد بحبه , فاذاخالفوا سيرته و عملوا بخلاف سنته ، فهم ابغض الناس الينا((695)) .

اذن فلا مغمز فيما يرويه ابن ابي طلحة من تفسير يسنده الى ابن عباس ، كما لا ضعف في الاسناد.

قال الخليلي ـ في الارشاد ـ : تفسير معاوية بن صالح قاضي الاندلس عن على ابن ابي طلحة عن ابن عباس ، رواه الكبار عن ابي صالح كاتب الليث ، عن معاوية((696)) .

قـلـت : سـبب الغمز فيه انه كان متاثرا بمدرسة ابن عباس ـ و هو في حمص من بلادالشام في تلك الاوساط المتاثرة بنفثات آل امية المعادية للاسلام ـ فكان يحمل ولا آل بيت الرسول (ص) ويعادي اعداهم ، في اوساط ما كانت تتحمله ذلك العهد، و من ثم الصقت به تهما هو منها برا.

الـثـانـي ـ ايـضـا من جيد الطرق ـ : طريق قيس بن الربيع ابي محمد الاسدي الكوفي توفي سنة (168)عن عطابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال جلال الدين : هذه طريق صحيحة على شرط الشيخين و كثيرا ما يخرج منها الفريابي و الحاكم في مستدركه((697)) .

و ذكر ابن حجر عن احمد بن حنبل ان قيسا هذا كان يتشيع و لكن قال ابن ابي شيبة : هو عند جميع اصحابناصدوق و كتابه صالح((698)) .

و اما عطا بن السائب فكان ممن اخلص الولا لال بيت الرسول (ص) وفقا لتعاليم اشياخه سعيد و ابن عـبـاس و غـيـرهما، و له حديث مع الامام على بن الحسين زين العابدين (ع) ينبؤك عن مدى قربه لحضرته السنية((699)) .

الـثالث ـ كذلك جيد الطريق ـ : طريق محمد بن اسحاق صاحب السير و المغازي عن محمد بن ابي محمد، عن عكرمة او سعيد ـ هكذا بالتردد ـ عن ابن عباس.

و ابـن اسحاق معروف بتشيعه كما ذكره ابن حجر في التقريب ، و شيخنا الشهيد الثاني في تعليقته عـلـى خلاصة الرجال((700)) قال صاحب الكشف : هو اول من صنف في علم السير، و هو رئيس اهل المغازي((701)) .

قـال الـسـيـوطي : و هذه طريق جيدة و اسنادها حسن و قد اخرج منها ابن جرير و ابن ابي حاتم كثيرا و في معجم الطبراني منها اشيا((702)) .

الـرابـع ـ و هـو طـريق حسـن لا باس به ـ : طريق اسماعيل بن عبد الرحمان ابومحمد القرشي

الـكـوفـي الـسـدي الـكبير، عن ابي مالك و ابي صالح ، عن ابن عباس و كذلك عن مرة بن شراحيل الهمداني عن ابن مسعود، و ناس من الصحابة.
قال جلال الدين : و هذا التفسير يورد منه ابن جرير كثيرا، و كذا الحاكم في مستدركه يخرج منه اشيا، و يصححه ، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود، دون الطريق الاول.
و يرى صاحب التراث : انه من الممكن جمع نصوص هذا التفسير، و اعادة تكوينه من جديد((703)) .
و قال الخليلي ـ في الارشاد ـ : و تفسير السدي يورده باسانيد الى ابن مسعود و ابن عباس ، و روى عن السدي الائمة مثل الثوري و شعبة لكن التفسير الذي جمعه رواه اسباط بن نصر، و اسباط لم يتفقوا عليه قال : غيران امثل التفاسير تفسير السد ي((704)) .
كان اسماعيل بن عبد الرحمان السدي((705)) من الائمة الكوفيين ، و كان شديد التشيع هو و الكلبي و مع ذلك فقد وثقه القوم ، و اخرج مسلم عنه احاديث ، لانه كان يرجح تعديله على تجريحه((706)) فقد ذكره ابن حبان في الثقات ، و قال ابن عدى : له احاديث يرويها عن عدة شيوخ ، و هو عندي مستقيم الحديث صدوق لا باس به((707)) .
و عده الشيخ ابوجعفر الطوسي من اصحاب الائمة : على بن الحسين زين العابدين ، و محمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق (ع) قال : اسماعيل ابن عبد الرحمان السدي ابو محمد المفسر الكوفي((708)) .
قال المولى الوحيد ـ في التعليقة ـ : وصفه بالمفسر مدح قال المامقاني : و المتحصل من مجموع ما ذكر بشانه كون الرجل من الحسان((709)) , و قد اعتمده الشيخ في تفسيره (التبيان) كثيرا.
و هكذا عده ابن شهر آشوب من اصحاب الامام زين العابدين (ع. ((710)) (
و هو الذي روى قصة الاخنس بن زيد، الذي كان قد وطا جسم الحسين (ع) و فعل ما فعل ، فابتلى في تلك الليلة بحريق اصابه من فتيلة السراج ، فلم تزل به النار، حتى صار فحما على وجه الما((711)) .
الخامس ـ و هو ايضا حسن ـ : طريق عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، ابوخالد المكي من اصل رومي ،احد الاعلام الثقات ، فقيه اهل مكة في زمانه((712)) قال ابن خلكان : كان عبد الملك احد العلما المشهورين ، ويقال : انه اول من صنف الكتب في الاسلام كانت ولادته سنة (٨٠) و توفي سنة (150)قال : و جريج ، بضم الجيم و فتح الرا و سكون اليا و بعدها جيم ثانية ((713)).
قال الخطيب : و سمع الكثير من عطا بن ابي رباح و غيره و عن احمد بن حنبل ، قال : قدم ابن جريج بغداد على ابي جعفر المنصور، و كان صار عليه دين فقال : جمعت حديث ابن عباس ما لم يجمعه احد فلم يعطه شيئا.
و عن على بن المديني : نظرت فاذا الاسناد يدور على ستة ـ فذكرهم ـ قال : ثم صارعلم هؤلا الستة الى اصحاب الاصناف ، مم ن يصنف العلم ، منهم من اهل مكة عبد الملك بن عبد العزيز)ابن جريج) و كان قد تعلم على يد عطا بن ابي رباح ، و لزمه سبع عشرة سنة و سئل عطا: من نسال بعدك ؟ فقال :هذا الفتى ، يعني ابن جريج ، و كان يصفه بانه سيد اهل الحجاز.
و عن احمد بن حنبل : كان ابن جريج من اوعية العلم و قال ابن معين : اصحاب الحديث خمسة ، و عد منهم ابن جريج و قال يحيى بن سعيد القطان : كتب ابن جريج كتب الامانة ، و اذا لم يحدثك عن كتابه لم ينتفع به.
قال احمد: اذا قال ابن جريج : اخبرني و سمعت ، فحسبك به قال : الذي يحدث من كتاب اصح ، و كان في بعض حفظه ـ اذا حدث حفظا ـ سى قال ابن معين : ابن جريج ثقة في كل ما روي عنه من الكتاب.
كان ابن جريج و مالك بن انس (امام المالكية) قد اخذا الفقه من نافع ولكن ابن جريج كان مفضلا على مالك فعن احمد بن زهير، قال : رايت في كتاب ابن المديني : سالت يحيى بن سعيد، من اثبت اصحاب نافع ؟ قال :ايوب ، و عبيد اللّه ، و مالك بن انس و ابن جريج اثبت من

مالك في نافع قلت : و من ثم كان مـالـك ينافسه في هذه الفضيلة ، و ربما كان يرميه بالخلط قال المخارقي : سمعت مالك ابن انس يقول : كان ابن جريج حاطب ليل.
و اذا كـان مـقدما في الفقه عن نافع ، فهو مقدم في التفسير عن عطا بن ابي رباح فقد حدث صالح بن احمد بن حنبل عن ابيه ، قال : عمرو بن دينار و ابن جريج اثبت الناس في عطا ((714)).
و ذكـره ابن حبان في الثقات ، و قال : كان من فقها اهل الحجاز و قرائهم و متقنيهم و اضاف : و كان يدلس ((715)), لكن بم كان تدليسه ؟.
روى الـبخاري في تفسير (سورة نوح) حديثين اخرجهما عن طريق ابن جريج ، قال :قال عطا عن ابن عباس فزعم ابو مسعود ـ في الاطراف ـ ان هذا هو عطا الخراساني البلخي نزيل الشام وعطا هـذا لـم يـسـمـع من ابن عباس ، و ابن جريج لم يسمع التفسير من عطا هذا قال ابن حجر: فيكون .((716))و من ثم رموه بانه كان يدلس و قد رد ابن حجر على هذا الوهم بما يبرئ ساحة ابن جريج من هذه التهمة ، فراجع.
و اما حديثه عن ابن عباس فلا ضير فيه بعد ان كان الواسطة ـ و هو ثقة ـ معلوما، الا وهو عطا بن ابي رباح تلميذ ابن عباس و قد لازمه ابن جريج سبعة عشر عاما يتلقى منه العلم.
اذن فقد صح ما ذكره ابن حبان بشان ابن جريج اولا من كونه ثقة ثبتا متقنا، و ان لا منشا للغمز فيه , و بـذلـك نـرى انـه كـان موضع اعتماد الائمة من اهل البيت ايضا على ما رواه ثقة الاسلام الكليني بـاسـنـاده الصحيح عن اسماعيل بن الفضل الهاشمي ، قال : سالت ابا عبد اللّه الصادق (ع) عن المتعة , فـقـال : الق عبد الملك بن جريج فسله عنها، فان عنده منها علما فاتيته فاملى على منها شيئا كثيرا في استحلالها فكتبته ، و اتيت بالكتاب ابا عبداللّه (ع) فعرضت عليه فقال : صدق ، و اقر به((717)) .
و قـد استظهر المولى الوحيد البهبهاني من ذلك كون جريج موضع ثقة الامام (ع)، و ممن يرى راي الـشيعة في فقه الشريعة ، و لا سيما ما ذكره ابن اذينة ـ الراوي عن الهاشمي ـ في ذيل الحديث : و كـان زرارة بـن اعين يقول هذاو حلف انه الحق فهذا من المقارنة الظاهرة بين موضع الرجلين (ابن جريج و زرارة) في المسالة((718)) .
و هـكـذا استظهر تشيعه منها كل من المولى محمد تقي المجلسي الاول ، و الشيخ يوسف البحراني , على ما جافي كلام الحائري((719)) .
و ايـضـا روى الـشـيخ ابوجعفر الطوسي باسناده الى الحسن بن زيد، قال : كنت عندالامام ابي عبد اللّه (ع) اذ دخـل عـلـيـه عبد الملك ابن جريج المكي ، فقال له ابو عبد اللّه : ما عندك في المتعة ؟ قال :حدثني ابوك محمد بن علي عن جابر بن عبد اللّه الانصاري ، ان رسول اللّه (ص) خطب الناس , فـقـال : ايهاالناس ، ان اللّه احل لكم الفروج على ثلاثة معان : فرج مورث و هو البتات ، و فرج غير مورث و هو المتعة ، وملك ايمانكم((720)) .
و فـي سـؤال الامام منه عما لديه في المتعة ، دلالة على عنايته به و لطف سابق كما في الاجابة بانه حديث ابيك ظرافة و طرافة اما الرواية عن جابر فلعله تغطية لما عسى القوم ينكرون كيف الرواية عن رسول اللّه (ص) و لم يدركه و مـسـالـة استحلال المتعة كانت حينذاك من اختصاص خلص الصحابة و التابعين ممن يميلون الى مـذهب اهل البيت (ع) امثال ابن مسعود و ابى بن كعب و ابن عباس و جابر بن عبد اللّه و اضرابهم , فـلا غـرو ان يـنخرط مثل ابن جريج في تلك الزمرة الفائزة ، الامر الذي دعا بابن جريج ان يكافح الـقوم رايا و عملا ايضا فقد ذكر ابن حجر عن الشافعي ، قال : استمتع ابن جريج بسبعين امراة ، مع انه كان من العباد، و كان يصوم الدهر الا ثلاثة ايام من الشهر((721)) .

هذا و قد وقع في اسناد الصدوق من كتابه ((من لا يحضره الفقيه)): ابن جريج عن الضحاك عن ابن عباس ، في قضية الناقة التي اشتراها النبى (ص) من الاعرابي اربعمائة درهم ، فقبضها الاعرابي و لـم يسـلم الناقة الى النبي ، و انكر البيع راسا، حتى جا علي (ع) فقضى قضاه المبرم((722)) و ظاهر الصدوق اعتماده و قد عده الشيخ من اصحاب الامام الصادق (ع. ((723)) (

نعم ذكر ابو عمرو الكشي : ان محمد بن اسحاق ، و محمد بن المنكدر، و عمرو بن خالد الواسطي , و عـبـد الملك بن جريج ، و الحسين بن علوان الكلبي ، هؤلا من رجال العامة ، الا ان لهم ميلا و محبة شديدة((724)) بالنسبة لال البيت (ع.(

قال المامقاني : لايبعد ان يكون بنا الكشي ـ على كونه عاميا ـ ناشئا من شدة تقيته ، فان مثل ذلك كثير في رجال الشيعة((725)).

السادس ـ حسن ايضا ـ : طريق الضح اك بن مزاحم الهلالي الخراساني قال ابن شهر آشوب : اصله مـن الكوفة ، و كان من اصحاب السجاد((726)) و قال ابن قتيبة : هو من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكان معلما، اتى خراسان فاقام بها مات سنة (١٠٢. ((727)) (

و ذكـره ابـن حبان في الثقات ، و قال : لقى جماعة من التابعين ، و لم يشافه احدا من الصحابة ، و كان معلم كتاب وقال عبد اللّه بن احمد عن ابيه : ثقة مامون و قال ابن معين و ابو زرعة : ثقة.

قال ابوداود سلمة بن قتيبة عن شعبة : حدثني عبد الملك بن ميسرة ، قال : لم يلق الضحاك ابن عباس , انما لقى سعيد بن جبير بالري فاخذ عنه التفسير((728)) .

قـال الـذهـبـي : الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر، ابو القاسم ، و كان يؤدب ، فيقال : كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي ، و كان يطوف عليهم((729)).

و نـقـل المامقاني عن ملحقات الصراح : انه كان يقيم ببلخ و بمرو، و ايضا ببخارا وسمرقند مدة ، و يعلم الصبيان احتسابا، و له التفسير الكبير و التفسير الصغير ((730)).

و عـده الـشـيـخ مـن اصحـاب الامـام زيـن العابدين ، قال : الضحاك بن مزاحم الخراساني ، اصله الكوفة ،تابعي((731)).

و اسـتـظهر المامقاني من عبارة الشيخ هذه كونه اماميا، و لعله من جهة كونه من الكوفة مهد التشيع آنذاك.

نـعـم روى عـنه القمي (على بن ابراهيم بن هاشم) في تفسيره ، و قد تعهد في مقدمة التفسير ان لا يـروي الا عن مشايخه الثقات ((732)) , فقد روى ـ عند تفسير سورة الناس ـ باسناده عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس ((733)) و قد جعل سيدنا الاستاذ الامام الخوئي ـ عـافاه اللّه و اعاذه من شر الاعدا الظلمة الطغاة ـ تبعا للحر العاملي ، ذلك دليلا على وثاقة كل من وقع في اسناد هذاالكتاب ((734)).

و انـمـا غمزوا فيه جانب ارساله في الحديث ، و لا سيما عن ابن عباس قال ابن حجر في التقريب : صـدوق كثيرالارسال ((735)) قلت : لا ضير في الارسال بعد معلومية الواسطة ، و كون الرجل صدوقا كما ذكره ابن حجر بشان على بن ابي طلحة الهاشمي.

اذن لا وجه لما ذكره السيوطي : ان طريق الضحاك الى ابن عباس منقطعة ، فان الضحاك لم يلقه.

و اضاف : فان انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة عن ابي روق عنه ، فضعيفة لضعف بشر قال : و قد اخرج من هذه النسخة ابن جرير و ابن ابي حاتم كثيرا قال : و ان كان من رواية جويبر عن الضحاك فـاشـد ضـعـفا، لان جويبرا شديد الضعف متروك و لم يخرج ابن جرير و لا ابن ابي حاتم من هذا الطريق شيئا، و انما اخرجها ابن

مردويه و ابو الشيخ ابن حبان((736)) .
السابع : طريق صالح ، هو طريق ابي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني ،المروزي اصله من بلخ و انتقل الى البصرة و دخل بغداد و حدث بها و كان مشهورا بتفسير كتاب اللّه العزيز، وله التفسير المشهور قال ابن خلكان : اخذ الحديث عن مجاهد بن جبر و عطا بن ابي رباح و الضحاك و غيرهم ،و كان من العلما الاجلا قال الامام الشافعي : الناس كلهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير((737)) توفي سنة (١٥٠).
قال احمد بن سى ار: كان من اهل بلخ ، و تحول الى مرو، و خرج الى العراق توفي بالبصرة سنة .(150)
كان تفسيره موضع اعجاب العلما من اول يومه ، غير انهم كانوا يتهمونه باشيا هو منها برا قال القاسم بن احمد الصفار: قلت لابراهيم الحربي : ما بال الناس يطعنون على مقاتل ؟ قال : حسدا منهم له.
فعن ابن المبارك ـ لما نظر الى شي من تفسيره ـ : يا له من علم ، لو كان له اسناد عبد الملك ، عنه قال : ارم به ، و ما احسن تفسيره ، لوكان ثقة قال عبد الرزاق : سمعت ابن عيينة يقول : قلت لمقاتل : تحدث عن الضحاك , و زعموا انك لم تسمع منه يبادله الحديث ساعات طوال((738)) .
و رماه ابو حنيفة بالتشبيه و لكن لما ساله بعضهم عن ذلك ، فقال : بلغني انك تشبه ؟ قال : انما اقول) : قل هو اللّه احد، اللّه الصمد، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا احد)فمن قال غير ذلك فقدكذب ((739)).
و اخرج الخطيب عن القاسم بن احمد الصفار، قال : كان ابراهيم الحربي ياخذ مني كتب مقاتل , فينظر فيهافقلت له ذات يوم : اخبرني يا اباسحاق ، ما للناس يطعنون على مقاتل ؟ قال : حسدا منهم لمقاتل ، قال : و قال مقاتل :اغلق على و على الضحاك باب اربع سنين.
قال الخطيب : و كان له معرفة بتفسير القرآن ، و لم يكن في الحديث بذاك و اخرج عن احمد بن حنبل ، قال :كانت له كتب ينظر فيها، الا اني ارى انه كان له علم بالقرآن و عن يحيى بن شبل ، قال : قال لي عباد بن كثير :مايمنعك من مقاتل ؟ قال : قلت : ان اهل بلادنا كرهوه بقي احد اعلم بكتاب اللّه منه و كان عند سفيان بن عيينة كتاب مقاتل ، كان يستدل به و يستعين به و قال مقاتل بن حيان ـ لما سئل انت اعلم ام مقاتل بن سليمان ـ : ما وجدت علم مقاتل في علم الناس الا كالبحر الاخضر (المحيط) في سائر البحور و عن بقية بن الوليد، قال : كنت كثيرا اسمع شعبة و هو يسال عن مقاتل ، فما سمعته قط ذكره الابخير.
و من طريف ما يذكر عنه ـ و هو حال ببغداد ـ : ان ابا جعفر المنصور كان جالسا ذات يوم ، و كان ذباب قد الح عليه يقع على وجهه و الح في الوقوع مرارا حتى اضجره فارسل من يحضر مقاتل بن سليمان ، فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق اللّه الذباب ؟ قال : نعم ، ليذل اللّه به الجبارين , فسكت المنصور((740)) .
نعم كان الرجل صريحا في لهجته ، واسع العلم ، بعيد النظر، شديدا في دينه ، صلبافي عقيدته و فوق ذلك كان يميل مع مذهب اهل البيت ، ذلك المنهج الذي انتهجه اشياخه من قبل ، من المتاثرين بمدرسة ابن عباس رضوان اللّه عليه ، الامر الذي جعل من نفسه مرمى سهام الضعفا القاصرين ، و كم له من نظير.
يدلك على استقامة الرجل في المذهب ، كما يدل على وثاقته و اعتماد الاصحاب عليه ايضا، ما رواه ابوجعفر الصدوق باسناده الصحيح الى الحسن بن محبوب ـ و هومن اصحاب الاجماع ـ عن مقاتل بن سليمان عن الامام ابي عبد اللّه الصادق (ع) ـ يرفعه الى رسول اللّه (ص)قال : قال : انا سيد النبيين و وصيي سيد الوصيين و اوصياؤه سادة الاوصيا ـ ثم جعل يذكر الانبيا واوصياهم حتى انتهى الى بردة ، من اوصيا عيسى بن مريم (ع) ـ قال : و دفعها (اي الوصاية) الى بردة ، و انادفعها

اليك يا على ـ الى قوله ـ و لتكفرن بك الامة ، و لتختلفن عليك اختلافا شديدا، الثابت عليك كالمقيم معي ،و الشاذ عنك كالشاذ مني ، و الشاذ منى في النار، والنار مثوى الكافرين((741)) .
هذه الرواية ان دلت فانما تدل على كون الرجل من اخص الخواص لدى الامام (ع) وقد عده الشيخ ابوجعفرالطوسي ، من اصحاب الباقر و الصادق (ع. ((742)) (
و له رواية اخرى ، رواها الكليني باسناده الصحيح الى ابن محبوب عنه عن الصادق (ع. ((743)) (
و عده ابو عمرو الكشي من البترية (الزيدية ((744)) (لكن يبعده ان عقيدته كانت امتدادا لعقيدة ابن عباس.
و بعد، فلعلك تعرف السبب فيما ذكره السيوطي بشانه : الكلبي يفضل عليه ، لما في مقاتل من المذاهب الرديئة((745)) اما الخليلي فقد انصف حيث قال : فمقاتل في نفسه ضعفوه ، و قد ادرك الكبار من التابعين و الشافعي اشار الى ان تفسيره صالح((746)) .
الثامن ـ ايضا صالح ـ : طريق ابي الحسن عطيه بن سعد بن جنادة ، العوفي الكوفي المتوفى سنة (111)قال الذهبي : تابعي شهير((747)) , روى عن ابن عباس و عكرمة و زيد بن ارقم و ابي سعيدقال عطية : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات على وجه التفسير، و اما على وجه القراة فقرات عليه سبعين مرة و عن ملحقات الصراح : ان له تفسيرا في خمسة اجزا((748)) قال ابن عدى : قد روى عن جماعة من الثقات ، و هو مع ضعفه يكتب حديثه ، و كان يعد مع شيعة اهل الكوفة كتب الحجاج الى عامله محمد بن القاسم ان يعرضه على سب على (ع) فان لم يفعل فاضربه اربعمائة سوط و احلق لحيته ، فاستدعاه فابى ان يسب ،فامضى فيه حكم الحجاج ثم خرج الى خراسان ، فلم يزل بها حتى ولى عمر بن هبيرة العراق ، فقدمها فلم يزل بها الى ان توفي سنة (١١١ (و قال ابن حجر: و كان ثقة ان شا اللّه ، و له احاديث صالحة ، قال : و من الناس من لا يحتج به و قال ابن معين : صالح الحديث.
قال ابوبكر البزار: كان يعد في التشيع ، و روى عنه جلة الناس و قال الساجي : ليس بحجة ، و كان يقدم علياعلى الكل((749)) .
قال السيوطي : و طريق العوفي عن ابن عباس ، اخرج منها ابن جرير و ابن ابي حاتم كثيرا و العوفي ضعيف ليس بواه و ربما حسن له الترمذي((750)) .
قلت : لا قدح فيه بعد ان كان منشا الغمز هو تشيعه لال بيت الرسول (ص) و الدفاع عن حريمهم الطاهر و من ثم فقد اعتمده القوم وراوا احاديثه صالحة و كان عندهم مرضيا.
فقد ذكر ابوعبد اللّه الذهبي ـ في ترجمة ابان بن تغلب ، بعد ان يصفه بانه شيعي جلد، لكنه صدوق ، فلنا صدقه وعليه بدعته ، و قد وثقه ابن حنبل و ابن معين و ابوحاتم ـ : فلقائل ان يقول : كيف ساغ توثيق مبتدع ، و حد الثقة العدالة و الاتقان ؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة ؟ قال : و جوابه , ان البدعة على ضربين ، فبدعة صغرى كغلو التشيع او كالتشيع بلا غلو و لا تحرف ، فهذا كثير في التابعين و تابعيهم ، مع الدين و الورع و الصدق فلو رد حديث هولا، لذهب جملة من الاثار النبوية ، و هذه مفسدة بينة((751)) .
قال ابن حجر ـ بعد ان ذكر توثيق ابن عدى لابان بن تغلب قائلا: له نسخ عامتهامستقيمة ، اذا روي عنه ثقة و هو من اهل الصدق في الروايات ، و ان كان مذهبه مذهب الشيعة ، و هو في الرواية صالح لا باس به ـ قال ابن حجر: هذا قول منصف ، و اما الجوزجاني فلاعبرة بحطه على الكوفيين((752)) .
و ذكر النجاشي ان عطية العوفي ، روى عنه ابان بن تغلب ، و خالد بن طهمان السلولي ، و زياد بن المنذر (ابو الجارود. ((753)) (

قال المحدث القمي : عطية العوفي احد رجال العلم و الحديث يروي عنه الاعمش و غيره ، و روي عنه اخباركثيرة في فضائل امير المؤمنين (ع)، و هو الذي تشرف بزيارة الحسين (ع) مع جابر الانصاري يوم الاربعين ،الذي يعد من فضائله انه كان اول من زاره بعد شهادته قال : و يظهر من كتاب بلاغات النسا انه سمع عبد اللّه الحسن يذكر خطبة فاطمة الزهرا(س) في امر فدك ((754)).

و من مواقفه الحاسمة دون بني هاشم ، انه كان راس الفريق الذين انتدبهم ابو عبد الل ه الجدلي مبعوث المختاربن ابي عبيدة الثقفي في اربعة آلاف لانقاذ بني هاشم ـ و فيهم محمد ابن الحنفية و عبد اللّه بن عباس ـ من دورقد جمع عبد اللّه بن الزبير لهم حطبا ليحرقهم بالنار، ان لم يبايعوا ,فدخل عطية بن سعد بن جنادة العوفي مكة ،فكبروا تكبيرة سمعها ابن الزبير، فانطلق هاربا حتى دخل دار الندوة ، و يقال : تعلق باستار الكعبة ، و قال : اناعائذ اللّه فاقبل عطية فاخر الحطب عن الابواب ، و انقذهم في تفصيل ذكره محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات ((755)).

قال الدكتور شواخ : كان عطية شيعيا و عده الكلبي حجة في تفسير القرآن و هذا التفسير مروي , فقد نقل الطبري من هذا التفسير نقولا استخدمها في (١٥٦٠) موضعا من تفسيره بالسند التالي)) : حدثني محمد بن سعد،قال : حدثني ابي ، قال : حدثني عمي الحسين بن الحسن عن ابيه عن جده)عطية بن سعد العوفي) عن ابن عباس)) كما استخدم الطبري في تاريخة ايضا نقولا و شواهد من هذا التفسير و قد استخدم الثعلبي السند السابق في كتابه ((الكشف و البيان)) و هذا التفسير يدخل ضمن الكتب التي حصل الخطيب البغدادي على حق روايتهامن اساتذته في دمشق ، كما في مشيخته , و تاريخ التراث العربي (١/١٨٧ـ ١٨٨ (((756)) .

و ذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ في المنتخب من ذيل المذيل ـ فيمن توفي سنة (١١١ ,(قال : و منهم عطية بن سعد بن جنادة العوفي من جديلة قيس و يكنى ابا الحسن قال ابن سعد: اخبرنا سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية ، قال : جا سعد بن جنادة الى على بن ابي طالب (ع) و هو بالكوفة فقال : يا امير المؤمنين ، انه ولد لي غلام فسمه ، فقال : هذا عطية اللّه ، فسمي عطية و كانت امة رومية و خرج عطية مع ابن الاشعث هرب عطية الى فارس ، و كتب الحجاج الى محمد بن القاسم الثقفي ان ادع عطية فان لعن على بن ابي طالب (ع) و الافاضربه اربعمائة سوط و احلق راسه و لحيته فدعاه و اقراه كتاب الحجاج ، و ابى عطية ان يفعل ، فضربه اربعمائة سوط و حلق راسه و لحيته فلما ولى قتيبة بن مسلم خراسان خرج اليه عطية ، فلم يزل بخراسان حتى ولى عمر بن هبيرة العراق ، فكتب اليه عطية يساله الاذن له في القدوم فاذن له ، فقدم الكوفة فلم يزل بها الى ان توفي سنة (١١١) و كان كثير الحديث ثقة ان شا اللّه((757)).

التاسع ـ و هو ايضا طريق صالح على الارجح ـ : طريق ابي النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي ،النسابة المفسر الشهير عن ابي صالح مولى ام هانئ ، عن ابن عباس.

و قد وصفه السيوطي بانه اوهى الطرق ، و اضاف : فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير،فهي سلسلة الكذب قال : و كثيرا ما يخرج منها الثعلبي((758)) و الواحدي((759)).

ثم استدرك ذلك بقوله : لكن قال ابن عدى في الكامل : للكلبي احاديث صالحة ، وخاصة عن ابي صالح ، و اخيرا قال : و هو ـ الكلبي ـ معروف بالتفسير، و ليس لاحد تفسير اطول و لا اشبع منه((760)).

قال ابن خلكان : صاحب التفسير و علم النسب ، كان اماما في هذين العلمين ((761)).

قال ابن سعد: كان محمد بن السائب عالما بالتفسير و انساب العرب و احاديثهم ، وتوفي بالكوفة سنة (146)في خلافة ابي جعفر المنصور((762)) .
و كان يتشيع عن ارث تليد، و ليس طارفا قال ابن سعد: و كان جده بشر بن عمرو و بنوه : السائب و عبيد و عبدالرحمان ، شهدوا الجمل مع على بن ابي طالب (ع (((763)) .
و للكلبني شهادة راقية بشان الكلبي ، يذكر قصة استبصاره ، ثم يعقبها بقوله :((فلم يزل الكلبي يدين اللّه بحب آل هذا البيت حتى مات. ((764)) ((
و من ثم رموه بالضعف تارة و بالابتداع اخرى ، و مع ذلك فلم يجدوا بدا من الانصياع لمقام علمه الرفيع ، و ان يلمسوا اعتابه بكل خضوع و بخوع فقد اعتمده الائمة و جهابذة التفسير و الحديث ((765)).
اما ما الصقوه به من الغلو في التشيع فلا اساس له ، و انما وضعوه عليه قصدا لتشويه سمعته ، بعد ان لم يكن رميه بمجرد التشيع قدحا فيه فعن المحاربي قال : قيل لزائدة بن قدامة : ثلاثة لا تروي عنهم ، ابن ابي ليلى ، و جابرالجعفي ، و الكلبي ؟ قال : اما ابن ابي ليلى فلست اذكره ، و اما جابر فكان يؤمن بالرجعة ((766)) , و اما الكلبي ـ وكنت اختلف اليه ـ فسمعته يقول : مرضت مرضة فنسيت ما كنت احفظ، فاتيت آل محمد، فتفلوا في في فحفظت ما كنت نسيت ((767)) و عن ابي عوانة : سمعت الكلبي بشي ، من تكلم به كفر قال الاصمعي :فراجعت الكلبي و سالته عن ذلك ، فجحده قال الساجي : كان ضعيفا جدا، لفرطه في التشيع((768)) .
هذا، و لكن ابن عدى قال بشانه : له غير ذلك (الذي رموه بالغلو) احاديث صالحة ، وخاصة عن ابي صالح ، و هو معروف بالتفسير، و ليس لاحد اطول من تفسيره قال : و حدث عنه ثقات من الناس و رضوه في التفسير((769)) .
و لابي حاتم ـ هنا ـ كلام غريب ، ننقله بلفظه:
قال : يروي الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس التفسير، و ابوصالح لم ير ابن عباس ولا سمع منه شيئا، و لا سمع الكلبي من ابي صالح الا الحرف بعد الحرف ، فجعل لما احتيج له ، تخرج له الارض افلاذ كبدها قال : لا يحل ذكره في الكتب ، فكيف الاحتجاج به كلامه((770)) و محال ان يامر اللّه نبيه ان يبين لخلقه مراده و يفسره لهم ، ثم لا يفعل ، بل ابان عن مراد اللّه و فسر لامته ما يهم الحاجة اليه ، و هو سننه (ص) فمن تت بع السنن ، حفظها و احكمها ,فقد عرف تفسير كلام اللّه ، و اغناه عن الكلبي وذويه.
قال : و ما لم يبينه من معاني الاي ، و جاز له ذلك ، كان لمن بعده من امته اجوز و ترك التفسير لما تركه رسول اللّه (ص) احرى و من اعظم الدليل على ان اللّه لم يرد تفسير القرآن كله ، ان النبى (ص) ترك من الكتاب متشابها من الاي ، و آيات ليس فيها احكام ، فلم يبين كيفيتها لامته ، فدل ذلك على ان المراد من قوله : (لتبين للناس ما نزل اليهم) كان بعض القرآن لا كله((771)) .
قلت : هذا كلام ناشئ عن عصبية عميا كيف يجرا مسلم متعهد ان ينسب الى رسول اللّه (ص) انه لم يفسرلامته جميع ما ابهم في القرآن ابهاما، و قد امره تعالى بذلك : و قد اثبتنا فيما قبل ان النبى (ص (بين الجميع اما في ايجاز او تفصيل ، و لم يترك شيئا تحتاج اليه امته ـ و منها فهم معاني القرآن كله ـ لم يبينه لهم ، انما عليه البيان كما كان عليه البلاغ.
اما توسع الكلبي في التفسير فامر معقول ، بعد كونه ناجما عن توسعه في العلم ، و تربيته في مهد العلم كوفة العلما الاعلام من صحابة الرسول الاخيار و هذا لا يعد عيبا في الرجل.
و لا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب.
و تفسير الكلبي هذا لا يزال موجودا منعما بالحياة ، و قد استقصى الدكتور

شواخ نسخه المخطوطة في المكتبات اليوم ، منذ نسخته التي كتبت سنة (١٤٤) ه حتى القرن (١٢. ((772)) (
و اما ابوصالح ـ و يقال له : باذام او باذان ، مولى ام هانئ بنت ابي طالب ـ فقد روى عن علي (ع) و ابن عباس و مولاته ام هانئ ، و روى عنه الاجلا كالاعمش و السدي الكبير و الكلبي و الثوري و غيرهم.
قال على بن المديني عن يحيى القطان : لم ار احدا من اصحابنا تركه ، و ما سمعت احدا من الناس يقول فيه شيئا.
قال ابن حجر: و ثقه العجلي وحده قال : و لما قال عبد الحق ـ في الاحكام ـ : ان ابا صالح ضعيف جدا، انكرعليه ابو الحسن ابن القطان في كتابه((773)) و قال ابن معين : ليس به باس و قال ابن عدى : عامة ما يرويه تفسير((774)) .
قلت : ما وجه تضعيفه الا ما ضعف به نظراؤه ممن حام حول هذا البيت الرفيع ، اذ من الطبيعي ان مولى ام هانئ اخت الامام امير المؤمنين ، و قد كانت كاخيها الامام موضع عناية النبى (ص) من اول يومها((775)) , و كانت ذات علاقة باخيها امير المؤمنين (ع) تخلص له الولا، فلايكون مولاها ـ و هو تحت تربيتها ـ بالذي يختار غيرسبيلها المستقيم ، فلا غرو اذن ممن لا يعرف ولا لهذا البيت ان يتهم الموالين لهم ، و اقله الرمي بالضعف هذا الجوزجاني يقول : كان يقال له : ذو راي غير محمود((776)) نعم غير محمود عندهم ،و لا كان مرضيا لديهم ، مادام لم ينخرط في زمرتهم من ذوي الراي العام.
و بعد، فقد تفرد ابن حبان بان اباصالح باذان لم يسمع عن ابن عباس كيف لم يسمع منه و هو معه في زمرة على مع سائر اوليائه الكرام قال ابن سعد :ابوصالح ، و اسمه باذام ، و يقال : باذان ، مولى ام هانئ بنت ابي طالب ،و هو صاحب التفسير الذي رواه عن ابن عباس ، و رواه عنه الكلبي محمد ابن السائب ، و ايضا سماك بن حرب و اسماعيل بن ابي خالد((777)) .
و اما محمد بن مروان بن عبد اللّه الكوفي ، السدي الصغير، فقد روى عن جماعة من اهل العلم كالاعمش ويحيى بن سعيد الانصاري و محمد بن السائب الكلبي و اضرابهم و روى عنه الكثير من الاعلام كالاصمعي وهشام بن عبيد اللّه الرازي و يوسف بن عدى و امثالهم مما ينبؤك عن موضع الرجل ، و انه موضع الثقة من ائمة الحديث.
و قد ضعفه كثير من اصحاب التراجم((778)) على ديدنهم في التحامل على الكوفيين ، على ما اسلفنا، سوى ان محمد بن اسماعيل البخاري لم يضعفه صريحا، اذ لم يجد الى ذلك سبيلا، و اكتفى بان لا يكتب حديثه قال :محمد بن مروان الكوفي ، صاحب الكلبي ، سكتوا عنه ، لا يكتب حديثه البتة((779)) و قال النسائي : متروك الحديث ((780)).
و قد عده ابن شهر آشوب من اصحاب الامام محمد بن علي الباقر(ع)، قال : و محمد بن مروان الكوفي ، من ولدابي الاسود((781)) , و لعله من جهة البنت و كذا عده الشيخ من رجال الباقر(ع , ((782)) (لكن وصفه بالكلبي نسبة الى شيخه محمد بن السائب و في الكشي ـ في ترجمة معروف بن خربوذ ـ رواية عن محمد بن مروان ـ ولعله السدي ـ تدل على ملازمته للامام الصادق (ع) عند ما كان يقدم عليه المدينة ، او عند ما كان الامام مبعدا الى الحيرة في العراق ((783)).
و اما التفسير الذي يحمل عنوان ((تفسير ابن عباس)) باسم ((تنوير المقباس ((, ((784))فقد ذكروا انه من جمع الفيروزآبادي صاحب القاموس ، لكنه بنفس الاسناد الذي وصفه السيوطي بانه سلسلة الكذب حسب تعبيره.
و اليك بعض الكلام عنه:

تفسير ابن عباس

هناك تفاسير منسوبة الى ابن عباس ، منها: ما رواه مجاهد بن جبر ذكره ابن النديم في الفهرست بروايتين :احداهما عن طريق حميد بن قيس ، و الاخرى عن طريق ابي نجيح يسار الثقفي الكوفي ، توفي سنة (١٣١)يرويه عنه ابنه ابويسار عبد اللّه بن ابي نجيح ، و عنه ورقا بن عمر اليشكري((785)) .
و هذا الطريق صححته الائمة و اعتمده ارباب الحديث و قد طبع اخيرا باهتمام مجمع البحوث الاسلامية بباكستان سنة (١٣٦٧)ه ق((786)) , و قد مر شرحه في ترجمة مجاهد.
الثاني : تفسير ابن عباس عن الصحابة ، لابي احمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفى سنة (332)و هذا ذكره ابو العباس النجاشي ، قال : الجلودي الازدي البصري ابو احمد شيخ البصرة واخباريها، و كان من اصحاب ابي جعفر الباقر(ع) و جلود: قرية في البحر، و قيل : بطن من الازد قال : و له كتب ذكرها الناس ـ وعدها اكثر من سبعين كتابا ـ و ذكر منها الكتب المتعلقة بابن عباس مسندة عنه ، منها: كتاب التنزيل عنه ، و كتاب التفسير عنه ، و كتاب تفسيره عن الصحابة((787)) .
الثالث : تفسير ابن عباس الموسوم ب ((تنوير المقباس)) من تفسير عبد اللّه بن عباس ، في اربعة اجزا، من تاليف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب القاموس (٧٢٩ ـ ٨١٧ ((788)) (و قد طبع مكررا، و في هامش الدرالمنثور ايضا.
والسند في اوله هكذا: اخبرنا عبد اللّه ـ الثقة ـ ابن المامون الهروي ، قال : اخبرنا ابي ، قال : اخبرنا ابو عبد اللّه ،قال : اخبرنا ابوعبيد اللّه محمود بن محمد الرازي ، قال : اخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي ، قال : اخبرنا على بن اسحاق السمرقندي ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن ابي صالح , عن ابن عباس ((789)).
غير ان على بن اسحاق بن ابراهيم الحنظلي السمرقندي ، قال ابن حجر: مات في شوال سنة (٢٣٧ ((790)) (و امامحمد بن مروان السدي الصغير، فقد توفي سنة (١٨٦) و عليه فيكون تحمله عنه في حال الصغرجدا((791)) .
و سائر رجال السند مجهولون ، كما لم يات تصريح باسم الجامع الذي يقول : ((اخبرناعبد اللّه الثقة))، هل هو الفيروزآبادي صاحب القاموس ام غيره ؟ و انما ذكره الحلبي في كشف الظنون((792)) وسار خلفه (سائر اصحاب التراجم.(
و على اى تقدير فان هذا التفسير الموجود يعتبر مجهول السند و مجهول النسبة الى مؤلف خاص , فضلا عن مثل ابن عباس.
هذا و لا سيما بعد ملاحظة متن التفسير، حيث لا يعدو ترجمة الفاظ القرآن ترجمة غيرمستندة و مختصرة الى حد بعيد، مما يبعد كونه من تفسير حبر الامة و ترجمان القرآن.
على ان للكلبي ، و كذا للسدي الصغير، تفسير جامع و موضع اعتبار لدى الائمة على ما اسلفنا، فلو كانا هماالراويين لهذا التفسير لكان فيه شي من آثارهما، و على تلك المرتبة من الجلالة و الشان.
كما ان الماثور من ابن عباس ، على ما جمعه الطبري و غيره ، لا يشبه شيئا من محتوى هذا التفسير الساذج جدا،مثلا يقول : عن ابن عباس في قوله تعالى : (يا ايها الناس) عام و قديكون خاصا (اتقوا ربكم) اطيعواربكم (الذي خلقكم) بالتناسل((793)) و هلم جرا.
و الذي يبدو لنا من مراجعة هذا التفسير ان جامعه عمد الى تفسير القرآن تفسيرا ساذجا في حد ترجمة بسيطة ،تسهيلا على عموم المراجعين ، و هذا امر مطلوب و مرغوب فيه شرعا و لكنه صدر كل سورة برواية عن ابن عباس ، تيمنا و تبركا باسم ترجمان القرآن و لم يقصد ان كل ما ورد في تفسير السورة من تفسيره بالذات ، الامرالذي اشتبه على الاكثر، فزعموه تفسيرا مستندا الى ابن عباس في الجميع و هذا وهم اوهمه ظاهر التعبير،فليتنبه.

قيمة تفسير الصحابي

مما يجدر التنبه له ان الدور الاول على عهد الرسالة ، كان دور تربية و تعليم ، و لا سيما بعد الهجرة الى المدينة ،كان النبى (ص) قد ركز جل حياته على تربية اصحابه الاجلا و تعليمهم الاداب و المعارف ، و السنن و الاحكام و ليجعل منهم امة وسطا ليكونوا شهدا على الناس ((794)) , فقد جا(ص) ل (يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان

كانوا من قبل لفي ضلال مبين. ((795)) (
و لا شك انه (ص) فعل ما كان من شانه ان يفعل و ربى من اصحابه ثلة من علما ورثوا علمه و حملوا حكمته الى الملا من الناس.
و اذا كان القرآن (تبيانا لكل شى و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين , ((796)) (و قد بلغه النبى (ص) الى الناس ، فقد بين معالمه و ارشدهم الى معاني حكمه و معاني آياته ، اذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((797)) (
و هل كان دور النبى (ص) في امته ، و في اصحابه الخلص بالخصوص ، سوى دور معلم و مرشد حكيم ؟ فلقدكان (ص) حريصا على تربيتهم و تعليمهم في جميع ابعاد الشريعة ، و بيان مفاهيم الاسلام.
هذا من جهة ، و من جهة اخرى ، فان من صحابته الاخيار ـ ممن رضي اللّه عنهم و رضوا عنه ـ من كان على وفرة من الذكا، طالبا مجدا في طلب العلم و الحكمة و الرشاد، مولعا بالسؤال و الازدياد من معارف الاسلام ، و كانواكثرة من ذوي النباهة و الفطنة و الاستعداد (رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه , ((798)) (و استقاموا على الطريقة ، فسقاهم ربهم (ما غدقا. ((799)) (
و قد عرفت كلام ابن مسعود: ((كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات ، لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن و العمل بهن. ((800)) ((
و هو اقدم نص تاريخي يدلنا على مبلغ اهتمام الصحابة بمعرفة معاني القرآن و اجتهادهم في العمل باحكامه.
و هذا الامام امير المؤمنين (ع) يقول ـ بشان ماكان يصدر منه من عجائب احكام و غرائب اخبار ـ)) : و انما هوتعلم من ذي علم ، علم علمه اللّه نبيه فعلمنيه ، و دعا لي بان يعيه صدري ، و تضطم عليه جوانحي. ((801)) ((
و هذا ابن عباس ـ تلميذه الموفق ـ كان من احرص الناس على تعلم العلم و معرفة الاحكام و الحلال و الحرام من شريعة الاسلام و كان قد تدارك ـ لشدة حرصه في طلب العلم ـ ما فاته ايام حياة النبى (ص) لصغره((802)) بمراجعة العلما من صحابته الكبار بعد وفاته (ص)، و قد كان النبي قد دعا له : ((اللهم علمه التاويل وفقهه في الدين ، و اجعله من اهل الايمان ((((803)) .
روى الحاكم في المستدرك بشان حرصه على طلب العلم : انه بعد وفاة الرسول (ص) قال لرجل من الانصار: هلم ، فلنطلب العلم ، فان اصحاب رسول اللّه (ص) احيا فقال : عجبا لك ياابن عباس ، ترى الناس يحتاجون اليك ، و في الناس من اصحاب رسول اللّه من فيهم فاقبل ابن عباس يطلب العلم ، قال : ان كان الحديث ليبلغني عن الرجل من اصحاب رسول اللّه (ص) قد سمعه منه ، فتيه فاجلس ببابه ،فتسفي الريح على وجهي ، فيخرج الى فيقول : يا ابن عم رسول اللّه ، ما جا بك ، ما حاجتك ؟ فاقول : حديث بلغني عنك ترويه عن رسول اللّه ، فيقول : الا ارسلت الي ؟ آتيك ((804)).
و من ثم كان يسمى ((البحر)) لكثرة علمه و عن مجاهد: هو حبر الامة و عن ابن الحنفية : رباني هذه الامة((805)) , الى غيرها من تعابير تنم عن مدى رفعته في درجات العلم.
و قد كان يجلس للتفسير فيقع موضع اعجاب قال ابو وائل : حججت انا و صاحب لي ، و ابن عباس على الحج ،فجعل يقرا سورة النور و يفسرها فقال صاحبي : يا سبحان اللّه ، ماذا يخرج من راس هذا الرجل ، لو سمعت هذاالترك لاسلمت و في رواية عن شقيق : ما رايت و لا سمعت كلام رجل مثله , لو سمعته فارس و الروم لاسلمت وقال عبد اللّه بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس ((806)).
و اسلفنا حديث مسروق بن الاجدع : وجدت اصحاب محمد(ص) كالاخاذ، فالاخاذة تكفي الراكب , و الاخاذة تكفي الراكبين ، و الاخاذة تكفي الفئام من الناس و في لفظ آخر: لو نزل به اهل الارض لاصدرهم((807)) .
كناية عن انهم كانوا على درجات من العلم ، كانوا يصدرون الناس عن روى كان مستقاه و مادته الاولى ، هو النبي الاكرم (ص) هو رباهم و ادبهم فاحسن تاديبهم ، و ان كانوا هم

على تفاوت في استعداد الاخذ و التلقي (انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها. ((808)) (و بعد، فاذ كانت تلك حالة العلما من اصحاب رسول اللّه (ص) لا يصدرون الناس الا عن مصدر الوحي الامين ،و لا ينطقون الا عن لسانه الناطق بالحق المبين ، فكيف ياترى مبلغ اعتبار ما يصدر عن ثلة ، هم حملة علم الرسول ، و الحفظة على شريعته الامنا؟ نعم كان الشرط في الحجية و الاعتبار اولا: صحة الاسناد اليهم ، و ثانيا: كونهم من الطراز الاعلى و اذ قد ثبت الشرطان , فلا محيص عن جواز الاخذ و صحة الاعتماد، و هذا لا شك فيه بعد الذي نوهنا.
انما الكلام في اعتبار ذلك حديثا مسندا و مرفوعا الى النبى (ص)، بالنظر الى كونه الاصل في تربيتهم و تعليمهم ،او انه استنباط منهم ، لمكان علمهم و سعة اطلاعهم فربما اخطاوا في الاجتهاد ,و ان كانت اصابتهم في الراي ارجح في النظر الصحيح.
الامر الذي فصل القوم فيه ، بين ما اذا كان للراي و النظر مدخل فيه ، فهذا موقوف على الصحابي ، لا يصح اسناده الى النبى (ص) و ما اذا لم يكن كذلك ، مما لا سبيل الى العلم به الا عن طريق الوحي , فهو حديث مرفوع الى النبى (ص) لا محالة ، و ذلك لموضع عدالة الصحابي و وثاقته في الدين فلا يخبر عما لا طريق للحس اليه ، الااذا كان قد اخبره ذو علم عليم صادق امين.
و اليك بعض ما ذكره القوم بهذا الشان:
قال العلامة الطباطبائي ـ عند تفسير قوله تعالى : (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ((809)) (ـ:
و في الاية دلالة على حجية قول النبى (ص) في بيان الايات القرآنية ، و يلحق به بيان اهل بيته , لحديث الثقلين المتواتر و غيره و اما سائر الامة من الصحابة او التابعين او العلما، فلا حجية لبيانهم ، لعدم شمول الاية و عدم نص معتمد عليه ، يعطي حجية بيانهم على الاطلاق .
قال : هذا كله في نفس بيانهم المتلقى بالمشافهة و اما الخبر الحاكي له ، فما كان منه بيانا متواترا او محفوفا بقرينة قطعية و ما يلحق به ، فهو حجة لكونه بيانهم و اما ما لم يكن متواترا و لا محفوفا بالقرينة ، فلا حجية فيه ، لعدم احراز كونه بيانا لهم.
قال : و اما قوله تعالى : (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ((810)) (فانه ارشاد الى حكم العقلابرجوع الجاهل الى العالم ، من غير اختصاص بطائفة دون اخرى((811)) .

هل الماثور من الصحابي حديث مسند؟

قال الحاكم النيسابوري : ليعلم طالب هذا العلم ان تفسير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل ، عند الشيخين ، حديث مسند، اي اذا انتهت سلسلة الرواية الى صحابي جليل ، فان ذلك يكفي في اسناد الحديث الى رسول اللّه (ص (و ان كان الصحابي لم يسنده اليه.
ذكر ذلك في موضعين من مستدركه((812)) , و هو عام سوا اكان ذلك مما لا طريق الى معرفته سوى الوحي ام لم يكن كذلك ، و كان مما يمكن ان يراه الصحابي او شاهده بنفسه و من ثم كان هذا الكلام على عمومه و اطلاقه محل اشكال ، لذلك رجع عنه في كتابه الذي وصفه لمعرفة علوم الحديث.
قال هناك : ان من الحديث ما يكون موقوفا على الصحابي ، غير مرفوع الى النبى (ص)، كما اذا قال الصحابي : رايت رسول اللّه (ص) يفعل كذا او يامر بكذا، او ان اصحابه كانوا يصنعون كذا، مثل ما روي عن المغيرة بن شعبة ، قال : كان اصحاب رسول اللّه (ص) يقرعون بابه بالاظافير قال الحاكم :هذا حديث يتوهمه من ليس من اهل الصنعة مسندا، لذكر رسول اللّه (ص)، و ليس بمسند فانه موقوف على صحابي ، حكى عن اقرانه من الصحابة فعلا و هكذا اذا قال الصحابي : انه (ص (كان يقول كذا، و كان يفعل كذا، وكان يامر بكذا و كذا.
قال : و من الموقوف ما رويناه عن ابي هريرة ، في قول اللّه ـ عز و جل ـ (لواحة للبشر ((813)) (قال : تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة ، فلا تترك لحما على عظم الا وضعت على العراقيب.
قال : و اشباه هذا من الموقوفات ، تعد في تفسير الصحابة((814)) .
قال : فاما ما نقول في تفسير الصحابي ، مسند، فانما نقوله في غير هذا النوع ، كما في

حديث جابر ,قال : كانت اليهود تقول : من اتى امراته من دبرها في قبلها جا الولداحول ، فانزل اللّه عز و جل)نساوكم حرث لكم ((815)) (قال : هذا الحديث و اشباهه مسندة عن آخرها، وليست بموقوفة , فان الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل ، فاخبر عن آية من القرآن انها نزلت في كذا و كذا،فانه حديث مسند((816)) .

و هكذا قيد ابن الصلاح و النووي و غيرهما ذاك الاطلاق بما لا يرجع الى معرفة اسباب النزول المشاهدة ، ونحو ذلك مما يمكن معرفته للصحابة بالمشاهدة و العيان نعم اذا كان مما لا مجال للراي فيه ، مما يعود الى ماورا الحس من قبيل امر الاخرة و نحو ذلك ، فان مثل ذلك حديث مسند، مرفوع الى النبى (ص) نظرا لموضع عدالة الصحابة ، و تنزيهه عن القول على اللّه بغير علم ، و لا مستند الى ركن وثيق.

قال النووي ـ في التقريب ـ : و اما قول من قال : تفسير الصحابي مرفوع ، فذاك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية او نحوه ، و غير موقوف.

قال السيوطي ـ في شرحه ـ : كقول جابر: كانت اليهود تقول : من اتى امراته من دبرهافي قبلها، جا الولد احول ، فانزل اللّه تعالى : (نساؤكم حرث لكم) رواه مسلم ، او نحوه مما لا يمكن ان يؤخذ الا عن النبى (ص)، و لا مدخل للراي فيه.

قال : و كذا يقال في التابعي ، الا ان المرفوع من جهته مرسل.

قال : ما خصص به المصنف كابن الصلاح و من تبعهما قول الحاكم ، قد صرح به الحاكم في ((علوم الحديث))، ثم ذكر حديث ابي هريرة في قوله تعالى : (لواحة للبشر) فالحاكم اطلق في المستدرك و خصص في علوم الحديث ، فاعتمد الناس تخصيصه و اظن ان ما حمله في المستدرك على التعميم الحرص على جمع الصحيح ،حتى اورد ما ليس من شروط المرفوع ، و الا ففيه من الضرب الاول الجم الغفير على اني اقول : ليس ما ذكره عن ابي هريرة من الموقوف ، لما تقدم من ان ما يتعلق بذكر الاخرة و ما لا مدخل للراي فيه ، من قبيل المرفوع ((817)) .

و علـى اية حـال ، فان التفسير الماثور عن صحابي جليل ـ اذا صح الطريق اليه ـ فان له اعتباره الـخاص فـاما ان يـكون قد اخذه من رسول اللّه (ص)، و هو الاكثر فيما لا يرجع الى مشاهدات حـاضرة او فهم الاوضاع اللغوية الاولى او ما يرجع الى آداب و رسوم جاهلية بائدة , كان الصحابة يعـرفونها، و اشباه ذلك فان كان لا يرجع الى شي من ذلك ، فان من المعلوم بالضرورة انه مستند الى علم تعلمه من ذي علم هذا ما يقتضيه مقام ايمانه الذي يحجزه عن القول الجزاف.

و الا فـهو موقوف عليه و مستند الى فهمه الخاص ، و لا ريب انه اقرب فهما الى معاني القرآن ، من الـذي ابتعد عن لمس اعتاب الوحي و الرسالة ، و حتى عن امكان معرفة لغة الاوائل ، و عادات كانت جارية حينذاك.

و هـكذا صرح العلامة الناقد السيد رضي الدين بن طاووس المتوفى سنة (٦٦٤) بشان العلما من صحابة الرسول (ص) قال : ((انهم اقرب علما بنزول القرآن)) . ((818))

قال الامام بدر الدين الزركشي : لطالب التفسير مخذ كثيرة ، امهاتها اربعة:

الاول : الـنـقـل عن رسول اللّه (ص)، و هذا هو الطراز الاول ، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه و الموضوع ، فانه كثير.

الـثاني : الاخذ بقول الصحابي ، فان تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع الى النبى (ص)كما قاله الحاكم في تفسيره وقال ابو الخطاب ـ من الحنابلة ـ : يحتمل ان لا يرجع اليه اذا قلنا: ان قوله ليس بحجة و الصواب الاول ، لانه من باب الرواية لا الراي.

و قد اخرج ابن جرير عن مسروق بن الاجدع قال : قال عبد اللّه بن مسعود: و الذي لا اله الا هو ,مـا نـزلت آية في كتاب اللّه الا و انا اعلم فيمن نزلت و اين نزلت ، و لو اعلم مكان احد اعلم بكتاب اللّه مـني تناله المطايا لاتيته وقال ايضا: كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن ، و العمل بهن.

قـال : و صـدور المفسرين من الصحابة ، علي ثم ابن عباس ـ و هو تجرد لهذا الشان ـ و المحفوظ عنه اكثر من المحفوظ عن علي ، الا ان ابن عباس كان اخذ عن علي (ع)، و يتلوه عبد اللّه بن عمرو بن العاص و كل ما وردعن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم((819)) .

و اخيرا قال : و اعلم ان القرآن قسمان : احدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره ، و قسم لم يـرد و الاول ثـلاثـة انـواع : امـا ان يرد التفسير عن النبى (ص) او عن الصحابة ، او عن رؤوس التابعين فالاول : يبحث فيه عن صحة السند و الثاني : ينظر في تفسير الصحابي ، فان فسره من حيث اللغة ، فهم اهل اللسان ، فلا شك في اعتمادهم ، و ان فسره بما شاهده من الاسباب و القرائن فلا شك فـيـه و حـيـنـئذ ان تعارضت اقوال جماعة من الصحابة ، فان امكن الجمع فذاك ، و ان تعذر قدم ابن عباس ((820)).

و سياتي نقل كلامه في الرجوع الى التابعي.

هـذا ما يقتضيه ظاهر البحث في هذا المجال و اما الذي جرى عليه مذهب علمائنا الاعلام ، فهو: ان الـتـفـسيرالماثور من الصحابي ـ مهما كان على جلالة من القدر و المنزلة ـ فانه موقوف عليه ، لا يـصح اسناده الى النبى (ص) ما لم يسنده هو بالذات و هذا منهم مطلق ، سوا اكان للراي فيه مدخل ام لا، لانـه انـما نطق عن علمه ،حتى و لو كان مصدره التعليم من النبي ، ما لم يصرح به ، اذ من الجائز انـه من استنباطه الخاص ، استخرجه من مبان و اصول تلقاها من حضرة الرسول (ص) اما التنصيص على هذا الفرع المستنبط بالذات فلم يكن من النبي ،و انما هو من اجتهاد الصحابي الجليل ، و مرتب ط مـع مـبـلغ فطنته و سعة دائرة علمه ، و المجتهد قد يخطا، و ليس الصواب حليفه دائما، ما لم يكن معصوما.

و مـن ثم فان الذي يصدر من ائمتنا المعصومين (ع) نسنده اليهم ، و ان كنا على

علم و يقين انه تعلم من ذي علم عليم ، ذلك انه حجة لدينا، لانه صادر من منبع معصوم.

ميزات تفسير الصحابي

يمتاز تفسير الصحابي بامور خمسة لم تتوفر جميعا في سائر التفاسير المتاخرة : اولا : بساطته ، بما لم يتجاوز بضع كلمات في حل معضل او رفع ابهام ، في بيان واف شاف و مع كمال الايجاز والايفا فاذ قد سئل احدهم عن معنى (غير متجانف لاثم , ((821)) (اجاب على الفور)) :غير متعرض لمعصية))، من غير ان يتعرض لاشتقاق الكلمة ، او يحتاج الى بيان شاهد و دليل ، و ما شاكل ذلك ، مما اعتاده المفسرون و اذا سئل عن سبب نزول آية ، او عن فحواها العام ، اجاب بشكل قاطع من غير ترديد، و على بساطة من غير تعقيد، كان قد الفه المتاخرون.

ثانيا: سلامته عن جدل الاختلاف ، بعد وحدة المبنى و الاتجاه و الاستناد، ذلك العهد، اذ لم يكن بين الصحابة في العهد الاول اختلاف في مباني الاختيار، و لا تباين في الاتجاه ، و لا تضارب في الاستناد، و انما هي وحدة في النظر و الاتجاه و الهدف ، جمعت طوائف الصحابة على خط مستو مستقيم فلم تكن ثمة داعية لنشؤ الاختلاف و التضارب في الارا، و لا سيما و الرسول (ص)ادبهم على التزام سبيل الرشاد.

على ان التفسير ذلك العهد لم يكن ليتعد ـ في شكله و هندامه ـ حدود الحديث و شكله ، بل كان جز منه وفرعا من فروعه ، كما داب عليه جامعو الاحاديث.

ثالثا: صيانته عن التفسير بالراي ، بمعنى الاستبداد بالراي غير المستند الى ركن وثيق ، ذلك تعصب اعمى او تلبيس في الامر، كان يتحاشاه الاجلا من الصحابة الاخيار و سنشرح من معنى التفسير بالراي الممنوع شرعا، و المذموم عقلا، بما يرفع الابهام عن المراد به ان شا اللّه.

رابعا: خلوصه عن اساطير بائدة ، و منها الاقاصيص الاسرائيلية ، لم تكن لتجد مجالاللتسرب في الاوساط الاسلامية العريقة ، ذلك العهد المناوئ لدسائس اسرائيل ،الامر الذي انقلب ظهرا لبطن بعد حين ، و جعلت الدسائس السياسية تلعب دورهافي ترويج اساطير بني اسرائيل.

خامسا: قاطعيته عن احتمال الشك و تحمل الظنون ، بعد وضوح المستند و صراحته ، و وفرة وسائل الايضاح و دلائل التفسير المعروضة ذلك العهد، لسذاجتها و سلامتها عن التعقيد الذي طرا عليها في عهد متاخر.

لا سيما و الدلائل العلمية و الفلسفية التي استند اليها المتاخرون في تفسير معاني القرآن ، لم تكن معهودة حينذاك ، او لم تكن مشروعة ، و لا صالحة للاستناد في العهد الاول و انما كان استنادهم الى العرف و اللغة ، والعلم باسباب النزول ، الى جنب النصوص الشرعية الصادرة في مختلف شؤون الدين و القرآن ، هذا لا غير.

المرحلة الثالثة التفسير في دور التابعين

مدارس التفسير. اعلام التابعين.

قيمة تفسير التابعي.

ميزات تفسير التابعي.

منابع التفسير في هذا العهد.

مدارس التفسير:

مدرسة مكة اقامها ابن عباس . مدرسة المدينة اقامها ابى بن كعب.

مدرسة الكوفة اقامها ابن مسعود.

مدرسة البصرة اقامها ابو موسى.

مدرسة الشام اقامها ابو الدردا.

مدارس التفسير.

نعم الخلف لخير سلف

لم يكد ينصرم عهد الصحابة الا و قد نبغ رجال اكفا، ليخلفوهم في حمل امانة اللّه و ادا رسالته في الارض ، وهم التابعون الذين اتبعوهم باحسان ، رضي اللّه عنهم و رضوا عنه ، و ذلك هو الفوز العظيم.

انهم رجال لم تمكنهم الاستضاة من انوار ذلك العهد (عهد الرسالة) الفائض بالخير و البركات ,فاستعاضوا عنهابالمثول بين يدي اكابر الصحابة الاعلام ، و العكوف على اعتابهم المقدسة , يستفيدون من علومهم و يهتدون بهداهم.

و قد كان اعيان الصحابة كثرة منتشرين في البلاد كنجوم السما، مصابيح الدجى واعلام الهدى , اينما حلوا او ارتحلوا من بقاع الارض ، و بذلك انتشرت تعاليم الاسلام ، و شاع و ذاع مفاهيم الكتاب و السنة النبوية بين العباد، في مختلف البلاد.

مدارس التفسير.

و حيثما ارتحل صحابي جليل و حل به من بلد اسلامي كبير، كان قد شيد فيه مدرسة واسعة الرحب ، بعيدة الارجا، يبث بها معالم الكتاب و السنة ، و يقصدها الرواد من كل صوب و كان اشهر هذه المدارس ـ حسب شهرة مؤسسيها ـ خمسة:

1ـ مدرسة مكة : اقامها عبد اللّه بن عباس ، يوم ارتحل اليها عام الاربعين من الهجرة ، حيث غادر البصرة وقدم الحجاز، بعد استشهاد الامام امير المؤمنين (ع)، و كان واليا من قبل الامام ، فلم يتصد ولاية بعده ، عاكفا على اعتاب حرم اللّه ، يؤدي رسالته هناك في بث العلوم و نشر المعارف التي تعلمها و اخذها عن الامام (ع) و قدامت المدرسة مدة حياته حتى عام ثمانية و ستين ، حيث وفاته بالطائف ، رضوان اللّه عليه.

و قد تخرج من هذه المدرسة اكبر رجالات العلم في العالم الاسلامي حينذاك ، و كان لهذه المدرسة و لمن تخرج منها صدى محمود في ارجا البلاد، و بقيت آثارها الحسنة سنة متبعة بين العباد، و لا تزال و لعل اعلم التابعين بمعاني القرآن هم المتخرجون من مدرسة ابن عباس و المتعلمون على يديه .

قال ابن تيمية : و اما التفسير فان اعلم الناس به اهل مكة ، لانهم اصحاب ابن عباس ، كمجاهد و عطا و عكرمة وغيرهم من اصحاب ابن عباس كطاووس و ابي الشعثا و سعيد بن جبير و امثالهم و كذلك اهل الكوفة من اصحاب ابن مسعود و من ذلك تميزوا به على غيرهم ((822)).

2ـ مدرسة المدينة : قيامها على الصحابة الموجودين بها، و لا سيما ابى بن كعب الانصاري سيد القرا كان من اصحاب العقبة الثانية ، و شهد بدرا و المشاهد كلها قال له النبى (ص): ليهنك العلم ، ابا المنذر.

و كان اول من كتب لرسول اللّه مقدمه المدينة ، فاذا لم يحضر ابي كتب زيد ابن ثابت كان اقرا اصحاب رسول اللّه (ص)، و كان ممن جمع القرآن حفظا على عهد رسول اللّه ، و تاليفا بعد وفاته و كان قد تفرغ للاقرا بالمدينة ما لم يتفرغ له سائر الصحابة الباقين فيها.

و من ثم تصدى الاملا على لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان ، و كانوا يرجعون اليه عند الاختلاف توفي سنة (٣٠) في خلافة عثمان ، حسبما قدمنا.

3ـ مدرسة الكوفة : اقام دعائمها الصحابي الكبير عبد اللّه بن مسعود، كان خصيصا برسول اللّه (ص)يخدمه و يتربى على يديه قال حذيفة : اقرب الناس برسول اللّه (ص) هديا و دلا و سمتا ,ابن مسعود و لقد علم المحفوظون من اصحاب محمد(ص) ان ابن ام عبد من اقربهم الى اللّه زلفى كان اول من جهر بالقرآن على ملامن قريش ، فاوذي في اللّه و اصطبر على البلا كان قد هاجر الهجرتين و شهد المشاهد كلها.

قدم الكوفة ـ على عهد ابن الخطاب ـ معلما و مؤدبا، حتى احضره عثمان سنة (٣١) و كانت فيها وفاته و لما بلغ ابا الدردا نعيه قال : ما ترك بعده مثله.

تربى على يديه خلق كثير، فمن التابعين : علقمة بن قيس النخعي ، و ابو وائل شقيق بن سلمة الاسدي الكوفي ، و الاسود بن يزيد النخعي ، و مسروق بن الاجدع ، وعبيدة بن عمرو السلماني ، و قيس بن ابي حازم ، و غيرهم.

و قد عرفت ان مدرسة الكوفة كانت اهم المدارس بعد مدرسة مكة ، توسعا و شمولا لمعاني القرآن و الفقه والحديث.
4ـ مدرسة البصرة : اقامها ابو موسى الاشعري : عبد اللّه بن قيس (٤٤) قدم البصرة سنة (١٧ (واليا عليهامن قبل عمر، بعد ان عزل المغيرة ، ثم اقره عثمان ، و بعد فترة عزله ، فسار الى الكوفة و لما ان عزل سعيداستعمله عليها، و عزله الامام امير المؤمنين (ع)، فكان يراود معاوية في سر ,و لاخوة قديمة كانت بينهما، كمايبدو من وصية معاوية لابنه يزيد بشان ابي بردة ابن ابي موسى الاشعري((823)) كان منحرفا عن علي (ع) وافتضح امره يوم الحكمين.
و هو الذي فقه اهل البصرة و اقراهم قال ابن حجر: و تخرج على يديه جماعة من التابعين و من بعدهم ((824)) واخرج الحاكم عن ابي رجا، قال : تعلمنا القرآن عن ابي موسى الاشعري في هذا المسجد ـ يعني مسجد البصرة ـ و كنا حلقا حلقا، و كانما انظر اليه بين ثوبين ابيضين ((825)).
و كانت مدرسته ذات انحراف شديد، و من ثم كانت البصرة من بعده ارضا خصبة لنشؤ كثير من البدع و الانحرافات الفكرية و العقائدية ، و لا سيما في مسائل الاصول و الامامة و العدل.
قال عبد الكريم الشهرستاني : و سمعت من عجيب الاتفاقات ان ابا موسى الاشعري (المتوفى سنة ٣٢٤) (المتوفى سنة (44كان يقرر عين ما يقرر حفيده ابو الحسن الاشعري في مذهبه ، و ذلك قد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص و بينه ، فقال عمرو: اين اجد احدا احاكم اليه ربي ؟ فقال ابو موسى : اناذلك المتحاكم اليه فقال عمرو: او يقدر علي شيئا ثم يعذبني عليه ؟ قال ابو موسى : نعم ، قال عمرو: و لم ؟ قال :لانه لا يظلمك ((826)).
و ذكر ابن ابي الحديد ابا بردة ابن ابي موسى الاشعري فيمن ابغض عليا، و كان من القالين له ، ثم قال : ورث البغضة له ، لا عن كلالة((827)) , اي كان هذا الحقد للامام امير المؤمنين ـ صلوات اللّه عليه ـ قد اتاه مستقيما من قبل والده ، فكانت البغضة منه تليدا، و لم تاته من عرض عارض ، لا تلد الحية الا الحية.
5ـ مدرسة الشام : قام بها ابو الدردا عويمر بن عامر الخزرجي الانصاري كان من افاضل الصحابة وفقهائهم و حكمائهم اسلم يوم بدر، و شهد احدا و ابلى فيها بلا حسنا روي ان رسول اللّه (ص (قال بشانه حينذاك : نعم الفارس عويمر، و قال : هو حكيم امتي.
تولى قضا دمشق ايام خلافة عمر، و توفي في خلافة عثمان سنة (٣٢) و لم ينزل دمشق من اكابر الصحابة سوى ابي الدردا، و بلال بن رباح المؤذن الذي مات في طاعون عمواس سنة (٢٠) و دفن بحلب و كذا واثلة بن الاسقع ، و كان آخر من مات بدمشق من اصحاب رسول اللّه (ص) مات سنة (85)في خلافة عبد الملك بن مروان.
تخرج على يدي ابي الدردا جماعة من اكابر التابعين ، منهم : سعيد بن المسيب ، و علقمة بن قيس ، و سويد بن غفلة ، و جبير بن نفير، و زيد بن وهب ، و ابو ادريس الخولاني ، و آخرون .
كان ابو الدردا من الثابتين على ولا آل الرسول (ص) لم تزعزعه العواصف.
روى الصدوق ـ في اماليه ـ باسناده الى هشام بن عروة بن الزبير عن ابيه عروة ، قال :كنا جلوسا في حلقة في مسجد رسول اللّه (ص) نتذاكر اهل بدر و بيعة الرضوان ، فقال ابو الدردا: يا قوم , الااخبركم باقل القوم مالا و اكثرهم ورعا و اشدهم اجتهادا في العبادة ؟ قالوا: من ؟ قال : ذاك امير المؤمنين على بن ابي طالب (ع.(
قال عروة : فو اللّه ، ما نطق ابو الدردا بذلك الا و اعرض عنه بوجهه من في المجلس ثم انتدب له رجل من الانصار، فقال له : يا عويمر، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها احد منذ اتيت بها فقال ابو الدردا: يا قوم ، اني قائل ما رايت ، و ليقل كل قوم منكم ما راوا ثم اخذ في بيان مواضع علي (ع) من العبادة و البكا، عند ما كان يختلي بربه في ظلمة الليل و الناس نيام ((828)).

اعلام التابعين المفسرين:

1ـ سعيد بن جبير. ٢ـ سعيد بن المسيب.
3ـ مجاهد بن جبر.

4ـ طاووس بن كيسان.
5ـ عكرمة مولى ابن عباس.
6ـ عطا بن ابي رباح.
7ـ عطا بن السائب.
8ـ ابان بن تغلب.
9ـ الحسن البصري.
10ـ علقمة بن قيس.
11ـ محمد بن كعب القرظي.
12ـ ابو عبد الرحمان السلمي.
13ـ مسروق بن الاجدع.
14ـ الاسود بن يزيد النخعي.
15ـ مرة الهمداني.
16ـ عامر الشعبي.
17ـ عمرو بن شرحبيل.
18ـ زيد بن وهب.
19ـ ابو الشعثا الكوفي.
20ـ ابوالشعثا الازدي.
21ـ الاصبغ بن نباتة.
22ـ زر بن حبيش.
23ـ ابن ابي ليلى.
24ـ عبيدة بن قيس.
25ـ الربيع بن انس.
26ـ الحارث بن قيس.
27ـ قتادة بن دعامة.
28ـ زيد بن اسلم.
29ـ ابو العالية.
30ـ جابر الجعفي.

اعلام التابعين

قلنا: ان كثيرا من رواد العلم ، كانوا قد نهضوا نهضتهم الكبرى ، في سبيل كسب المعرفة و الحصول على معالم الدين الحنيف و حيث كان قد اعوزتهم الاستضاة المباشرة من انوار عهد الرسالة ، استعاضوا عنها باللجؤ الى اعتاب الصحابة الاعلام ، فاخذوا منهم العلوم و نشروها بين العباد فكانوا هم الواسطة و الحلقة الواصلة بين منابع العلم الاولية و بين الامة على الاطلاق ، ليس لذلك الدور فحسب ، بل لجميع الادوار و الاعصار فاصبحوا هم حاملي لوا هداية الاسلام الى كافة الانام.

و هم جماعات ، لا يحصون عددا، كنجوم السما المتالقة في دياجي الظلام ، و مبثوثون في الارض منتشرون في الاقطار و الاكناف.

غير انا نقتصر على الاعلام ، و المعروفين بتعليم القرآن ، و نشر علومه و بيان معارفه بين الناس و هم المتخرجون من المدارس التفسيرية المعهودة ، و لا سيما مدرسة ابن عباس بمكة المكرمة ،حسبما عرفت ، و اليك منهم:

1سعيد بن جبير

ابو عبد اللّه ، او ابو محمد الاسدي بالولا، الكوفي ، من اصل حبشي ، اسود اللون ابيض الخصال كان من كبارالتابعين و متقدميهم في الفقه و الحديث و التفسير اخذ القراة من ابن عباس ، و سمع منه التفسير، و اكثر روايته عنه كان قد تفرغ للعلم و القرآن حتى صار علما و اماما للناس قال ابو القاسم الطبري : هو ثقة ، حجة ,امام على المسلمين ، و كان مجمعا

عليه بين ارباب الحديث و التفسير.
له مناظرة مع الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي ، حينما اراد قتله ، تدل على قوة ايمانه و صلابته في الولا لال البيت (ع)، قتله صبرا سنة (٩٥) و هو ابن (٤٩).(
روى ابو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي باسناده الى الامام ابي عبد اللّه الصادق (ع (قال : ان سعيد بن جبير كان ياتم بعلى بن الحسين (ع)، و كان على (ع) يثني عليه و ما كان سبب قتل الحجاج له الا على هذا الامر،و كان مستقيما((829)) .
و في مصنفات اصحابنا الامامية عنه وصف جميل((830)) , و كذا في سائر المصنفات الرجالية و غيرها((831)) .
روى ابو نعيم الاصبهاني باسناده الى خلف بن خليفة عن ابيه قال : شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان راسه ، قال : لا اله الا اللّه ، لا اله الا اللّه ، ثم قالها الثالثة فلم يتمها((832)) .
و ذكر ابن قتيبة : انه امر الحجاج فضربت عنقه ، فسقط راسه الى الارض يتدحرج ، وهو يقول : لا اله الا اللّه ، فلم يزل كذلك ، حتى امر الحجاج من يضع رجله على فيه ، فسكت.
و لم يدم الحجاج بعده غير سنة ، و لم يستطع اراقة دم بعد دمه الطاهرو كان الحجاج عند ما حضره الموت يقول :ما لي و لسعيد بن جبير، كان يقول ذلك و هو يغوص ثم يفيق و كان يراه في المنام ، و قد اخذ بمجامع ثوبه يقول له : يا عدو اللّه ، فيم قتلتني ؟ فيستيقظ مذعورا، و يقول : ما لي و لسعيد ذكر ذلك ابن خلكان في الوفيات.
مكانته العلمية : اخذ العلم عن عبد اللّه بن عباس ، و كان قد لازمه في طلب العلم ، فاجازه ابن عباس في التحديث قال له : حدث ، فقال ـ متحاشيا ـ : احدث و انت هاهنا؟ فقال ابن عباس : اليس من نعم اللّه عليك ان تحدث و انا شاهد؟.
قال احمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير، و ما على وجه الارض احد الا و هو مفتقر الى علمه ((833)) ورواه ابو نعيم عن عمرو بن ميمون عن ابيه.
و كان ابن عباس اذا اتاه اهل الكوفة يستفتونه يقول : اليس فيكم ابن ام الدهما، يعني سعيد بن جبير.
قال يحيى بن سعيد: مرسلات ابن جبير احب الي من مرسلات عطا و مجاهد و كان سفيان يقدم سعيدا على ابراهيم النخعي في العلم ، و كان اعلم من مجاهد و طاووس ((834)).
و كان سعيد يعظم من شيخه تعظيما بالغا، قال : كنت اسمع الحديث من ابن عباس ، فلو اذن لي لقبلت راسه((835)) .
و قد جمع ابو نعيم من التفسير الماثور عن سعيد بن جبير نخبا، و عقد له فصلا، وعنونه بثاره في التفسير((836)) فقد روى عنه في قوله تعالى ـ حكاية عن نبي اللّه موسى (ع) ـ : (رب انى لماانزلت الى من خير فقير ((837)) (قال : انه يومئذ لفقير الى شق تمرة و في قوله تعالى) : امثلهم طريقة ((838)) (قال : اوفاهم عقلا((839)) .

2ـ سعيد بن

المسيب . قال ابو نعيم الاصبهاني : فاما ابو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي ، فكان من الممتحنين ، امتحن فلم تاخذه في اللّه لومة لائم صاحب عبادة و جماعة و عفة و قناعة و كان كاسمه بالطاعات سعيدا، و من المعاصي و الجهالات بعيدا((840)) .
قال ابن المديني : لا اعلم في التابعين اوسع علما من سعيد بن المسيب قال : و اذا قال سعيد: مضت السنة ،فحسبك به قال : هو عندي اجل التابعين.
و قال ابوحاتم : ليس في التابعين انبل منه.
و قال سليمان بن موسى : كان افقه التابعين.
و قال ابو زرعة : مدني قرشي ثقة امام.
و قال قتادة : ما رايت احدا قط اعلم بالحلال و الحرام منه.
و قال ابن شهاب : قال لي عبد اللّه بن ثعلبة : ان كنت تريد هذا ـ يعني الفقه ـ فعليك بهذا الشيخ ، سعيد بن المسيب.
و عن عمرو بن ميمون بن مهران عن ابيه ، قال : قدمت المدينة فسالت عن اعلم اهلها،فدفعت الى سعيد بن المسيب.

قال مكحول : طفت الارض كلها في طلب العلم فما لقيت اعلم منه.
قال احمد بن حنبل : مرسلات سعيد صحاح ، لا نرى اصح من مرسلاته.
و قال الشافعي : ارسال ابن المسيب عندنا حسن((841)) .
قال ابن خلكان : كان سعيد بن المسيب سيد التابعين من الطراز الاول ، جمع بين الحديث و الفقه و الزهد والعبادة و الورع ، و هو احد الفقها السبعة بالمدينة((842)) ولد سنة (١٥) و توفي سنة .(95)
و اسند ابن سعد ـ كاتب الواقدي ـ الى الامام ابي جعفر الباقر(ع) قال : سمعت ابي ، على بن الحسين (ع)يقول :((سعيد بن المسيب اعلم الناس بما تقدمه من الاثار، و افقههم في رايه.((
و له ترجمة مسهبة في الطبقات ، و فيها من احواله و قضاياه العجيبة الشي الكثير((843)) .
اضف الى ذلك ما ورد بشانه من الثنا عليه عند اصحابنا الامامية:
و اول شي ، انه تربية الامام امير المؤمنين (ع)، رباه في حجره بوصية من جده ((حزن)) فقد نشا و ترعرع في اهل بيت العلم و الورع و الطهارة ، كما و اصبح من خلص اصحاب الامام على بن الحسين زين العابدين ، و احدالاوتاد الخمسة الذين ثبتوا على الاستقامة في الدين على ما وصفهم الفضل بن شاذان قال : و لم يكن في زمان على بن الحسين في اول امره الا خمسة انفس : سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب ، محمد بن جبير بن مطعم ،يحيى بن ام الطويل ، ابوخالد الكابلي.
و كان يرى من الامام السجاد(ع) النفس الزكية ، لم يعرف له نظيرا و لا راى مثله كما كان يرى في مثاله القدوسي مثال داود القديس (ع) تسبح معه الجبال بالعشي و الاشراق و الطير محشورة كل له اواب.
روى الكشي باسناده الى الزهري عن ابن المسيب ، قال : كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج على بن الحسين سيد العابدين فخرج و خرجت معه ، فنزل في بعض المنازل ، فصلى ركعتين فسبح في سجوده ، فلم يبق شجر و لا مدر الا سبحوا معه ، ففزعنا فقلت : نعم ، يا ابن رسول اللّه (ص)فقال : هذا التسبيح الاعظم ، حدثني ابي عن جدي رسول اللّه ، انه لا يبقي الذنوب مع هذا التسبيح فقلت : علمنا.
و روى عن محمد بن قولويه باسناده الى اسباط بن سالم عن الامام موسى بن جعفر(ع) في حديث حواريي((844)) النبي و الائمة (ع)، و عد من حواريي الامام زين العابدين : جبير بن مطعم ، و يحيى بن ام الطويل ، واباخالد، و سعيد بن المسيب.
كما روى عنه باسناده الى ابي مروان عن ابي جعفر قال : سمعت على بن الحسين يقول : ((سعيد بن المسيب اعلم الناس بما تقدمه من الاثار و افهمهم ـ او افقههم ـ في زمانه ((845))و قد تقدم الحديث ، برواية ابن خلكان عن ابي مروان ايضا، مع اختلاف في العبارة الاخيرة : ((افقههم في رايه.((
و روى الشيخ المفيد باسناده الى ابي يونس محمد بن احمد قال : حدثني ابي و غيرواحد من اصحابنا، ان فتى من قريش جلس الى سعيد بن المسيب ، فطلع على بن الحسين ، فقال القرشي لابن المسيب : من هذا يا ابا محمد؟ قال : هذا سيد العابدين على بن الحسين بن على بن ابي طالب (ع. ((846)) (
و روى الحميري باسناده الى البزنطي قال : و ذكر عند الرضا(ع) القاسم بن محمد بن ابي بكر خال ابيه ، و سعيدبن المسيب ، فقال : ((كانا على هذا الامر. ((847)) ((
و روى ثقة الاسلام الكليني ـ في باب مولد الصادق (ع) ـ باسناده الى اسحاق ابن جرير، قال : قال ابو عبد اللّه (ع): ((كان سعيد بن المسيب ، و القاسم بن محمد ابن ابي بكر، و ابوخالد الكابلي ، من ثقات على بن الحسين (ع. ((848)) (
و في مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب بشان كرامات الامام زين العابدين (ع)، روايات عن سعيد بن المسيب ، تدل على مبلغ ولائه لال البيت و مدى صلته بسيد الساجدين ، فراجع ((849)).
و للمحقق البحراني ـ في حاشية البلغة ـ استظهار تشيعه من كلام الشيخ في اوائل

التبيان((850)) .
و هو الذي روى قضية بجدل الجمال و قطعه لاصبع السبط الشهيد، و تعلقه باستار الكعبة ، آيسا من رحمة اللّه((851)) .
و قد عده الشيخ من اصحاب الامام زين العابدين و من السابقين الاولين قال : سعيد بن المسيب بن حزن ابومحمد المخزومي سمع من الامام على بن الحسين ، و روى عنه (ع) و هو من الصدر الاول((852)) .
و قد استوفى السيد الامين الكلام بشانه و شان ولائه لال البيت ، و ذكر انه صحب عليا امير المؤمنين (ع) و لم يفارقه حتى في حروبه و نقل عن ابن ابي الحديد و غيره بعض الطعن عليه ، و فنده على اسلوب حكيم((853)) .

نموذج من تفسيره

اخرج ابو نعيم ـ في الحلية ـ باسناده الى يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ، في قوله تعالى) :ربكم اعلم بما في نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا (, ((854))قال)) : الذي يذنب الذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ، و لا يعود في شي قصدا ((((855)) .
و هذا ادق تفسير للاية الكريمة فان الاية قد فسرت على وجوه:
1ـ فقيل : هم المسبحون عن ابن عباس و عمرو بن شرحبيل.
2ـ و قيل : المطيعون المحسنون عن ابن عباس ايضا.
3ـ هم المطيعون و اهل الصلاة عن قتادة.
4ـ الذين يصلون بين المغرب و العشا عن ابن المنكدر يرفعه ، و كذلك عن الامام الصادق (ع.(
5ـ يصلون صلاة الضحى عن عون العقيلي.
6ـ الراجع من ذنبه التائب الى اللّه.
و هذا المعنى الاخير هو الراجح ، و اختلفوا في شرائطه و كيفيته:
فمن سعيد بن جبير: الراجعون الى الخير.
و عن مجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر اللّه منها.
و عن عطا بن يسار: يذنب العبد ثم يتوب ، فيتوب اللّه عليه ، ثم يذنب فيتوب اللّه عليه ، ثم يذنب الثالثة فان تاب تاب اللّه عليه توبة لاتمحى.
و عن عبيد بن عمير: الاواب : الحفيظ ان يقول : اللهم اغفر لي ما اصبت في مجلسي هذا.
لكن سعيد بن المسيب فسرها بالذي يذنب و يتوب ثم يذنب و يتوب ، و لكن ليس يعود في شي من ذنوبه قصدا، و انما هو شي فرط منه و هذه النكتة الظريفة هي بيت القصيد، نظرا لان))الاواب)) مبالغة في الاوب والرجوع و المراد: الكثرة و التكرار فيه ، لكنه هل هو مطلق ، ام الذي يصدر منه الذنب لا تمردا و عصيانا، و انماهو شي قد يفرط منه او تغلبه نفسه ثم يتذكر عن قريب ؟.
قال تعالى : (انما التوبة على اللّه للذين يعملون السؤ بجهالة ثم يتوبون من قريب. ((856)) (
و قال : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون. ((857)) (
و هذا هو معنى اللمم المغفور في الاية الكريمة : (و يجزى الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الا ثم و الفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذانشاكم من الا رض. ((858)) (
قال الامام الصادق (ع): ((اللمم : الرجل يلم بالذنب فيستغفر اللّه منه قال : ما من ذنب الا و قد طبع عليه عبدمؤمن يهجره الزمان ثم يلم به قال : اللمام : العبد الذي يلم بالذنب ليس من سليقته)) اي من طبيعته و في رواية قال : ((الهنة بعد الهنة)) اي الذنب بعد الذنب يلم به العبد و في اخرى : ((هو الذنب يلم به الرجل ، فيمكث ما شااللّه ثم يلم به بعد. ((859)) ((
فالعبد قد تغلبه نفسه فيرتكب اثما ليس من دابه ، و من ثم يتذكر فيتوب الى اللّه مما اغترف ، و هكذا فلو عادليس من عادته ، و تاب تاب اللّه عليه ، ان اللّه هو التواب الرحيم.
و هذه هي النكتة الدقيقة التي جات الاشارة اليها في تفسير ابن المسيب ((ولايعود في شي قصدا))، و هذاالمعنى هو الذي يفيده صدر الاية (ربكم اعلم بما في نفوسكم ، ان تكونوا

صالحين فانه كان للاوابين غفورا. ((860)) (
و الـى هذا المعنى يشير التفسير الوارد عن الامام ابي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق (ع)، قال)) : و الاواب :النواح المتعبد الراجع عن ذنبه)) و هكذا روي عن مجاهد بن جبر ايضا((861)) .
الـنـواح : مبالغة في النوح ، و هو الذي ينوح على نفسه و ندبها ندما على ما فرط منه ، منيبا مستغفرا اوابا و تدل اداة الاعراض ((عن)) على ندم بالغ ، و عزم صارم على الترك ابدا.
و امـا مـا روي من التفسير ب ((الصلاة)) بين المغرب و العشا، فهذا من الوسيلة التي يجب ابتغاؤها الـى اللّه عـز شـانه (يا ايها الذين امنوا اتقوا اللّه و ابتغوا اليه الوسيلة ((862)) (و من ثم سميت صلاة الاوابين.
روى هشام بن سالم عن الامام ابي عبد اللّه الصادق (ع)، قال : صلاة اربع ركعات ، يقرا في كل ركعة خـمـسـين مرة ((قل هو اللّه احد)) هي صلاة الاوابين((863)) و قد ورد الترغيب في التنفل باربع ركعات بعد المغرب ، لايدعهن العبد في حضر و لا سفر((864)) .

من نوادر حكمته:

و لـما ان جرد ليضرب على امتناعه من البيعة للوليد و سليمان ابني عبد الملك ، قالت امراة : ان هذا لمقام الخزي فقال سعيد: ((من مقام الخزي فررنا. ((865)) ((
و قـال : ((يد اللّه فوق عباده ، فمن رفع نفسه وضعه اللّه ، و من وضعها رفعه اللّه الناس تحت كنفه يـعـمـلـون اعـمـالـهـم ،فـاذا اراد اللّه فـضـيـحـة عـبـد، اخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته. ((866)) ((
و قـال : ((لا خـيـر فـيمن لا يحب هذا المال ، يصل به رحمه ، و يؤدي به امانته ، و يستغني به عن خلق ربه. ((867)) ((
و روي عن الامام امير المؤمنين (ع) انه سال فاطمة (س): ما خير للنسا؟ قالت : ان لا يرين الرجال ولايرونهن فذكره للنبي (ص) فقال : ((انما فاطمة بضعة مني.((
و ايضا عن الامام امير المؤمنين (ع) ((من اتقى اللّه عاش قويا و سار في بلاده آمنا ((868)) ((
.
و قـال : ((لا تـمـلـؤا اعـيـنـكـم مـن اعوان الظلمة الا بانكار من قلوبكم ، لكي لا تحبط اعمالكم الصالحة. ((869)) ((
و كان معبرا للرؤيا، معروفا بذلك فوجه اليه عبد الملك بن مروان من يساله عن منامه ، كان قد راى كـانـه قد بال في المحراب اربع مرات قال ، فانه ولي الوليد وسليمان و يزيد و هشام ، و هم اولاد عبد الملك لصلبه((870)) .

3ـ مجاهد بن جبر

هـو ابـو الـحـجـاج الـمـخزومي المكي ، المقرئ المفسر ولد سنة (٢١)، و توفي بمكة ساجدا سنة (104)كان اوثق اصحاب ابن عباس ، و من ثم اعتمده الائمة و اصحاب الحديث و التفسير.
و روي عنه انه قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات ، اقف عند كل آية ،اساله فيم نزلت , و كيف نزلت.
قـال ابن ابي مليكة((871)) : رايت مجاهدا يسال ابن عباس عن تفسير القرآن و معه الواحه ، فيقول له ابن عباس : اكتب ، حتى ساله عن التفسير كله و من ثم قيل : اعلمهم بالتفسير مجاهد.
و قال سفيان الثوري : اذا جاك التفسير عن مجاهد فحسبك به.
قـال الـذهبي : اجمعت الامة على امامة مجاهد و الاحتجاج به كان ثقة مامونا، و فقيها ورعا، و عالما كثيرالحديث ، جيد الحفظ متقنا.
قـال الاعـمـش : اذا رايـت مـجـاهـدا كانه جمال او خربندج((872)) , فاذا نطق خرج من فيه الؤلؤ((873)) .
مـكانته في التفسير: استفاضت شهادة العلما بعلو مكانته في التفسير و ثقته و امانته و سعة علمه و قداحتج بتفسيره الائمة النقاد والعلما و اصحاب الحديث.

اتهم بالاخذ من اهل الكتاب ، و لكن شدة نكير شيخه ابن عباس على الاخذين من اهل الكتاب ، يتنافى و هذه التهمة و الارجح ان رجوعه اليهم كان في امور لا تدخل في دائرة النهي الوارد عن رسول اللّه (ص)، و ربما كان لغرض التحقيق لا التقليد.
و كذلك اتهم بانه يفسر القرآن برايه ـ كان قد اعطى نفسه حرية واسعة في التفسير العقلي ـ فقد روى ابنه عبدالوهاب ان رجلا قال لابيه : انت الذي تفسر القرآن برايك ؟ فبكى ابي ثم قال : اني اذن لجري ، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلا من اصحاب النبى (ص. ((874)) (قلت : و هذه التهمة يرجع سببها الى الجو الحاكم آنذاك من التحاشي عن الخوض في معاني القرآن , و لا سيماالمتشابهات ، غير ان شريعة العقل ترفض كل مناشئ الجمود و سنبحث عن مسالة التفسير بالراي الممنوع.
حريته في التفسير العقلي : كان مجاهد حر الراي ، يفسر القرآن حسبما يبدو له من ظاهر اللفظ ,ويرشده اليه عقله الرشيد و فطرته السليمة ، بعد احاطته بمفاهيم الكلمات و الاوضاع اللغوية و العرفية (حسب متفاهم العرف العام آنذاك) و ما كان قد عهده من مباني الشريعة و اسس الدين القويمة و بعد مراجعة كلمات اعلام الامة و خيار الصحابة الاولين ، الامر الذي يجب توفره في كل مفسر حر الراي و مضطلع خبير.
قال ـ في تفسير قوله تعالى : (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ((875)) (ـ : لم يمسخوا قردة ، و انما هو مثل ضربه اللّه ، كما قال : (كمثل الحمار يحمل اسفارا ((876)) (قال : انه مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظا و لا تتقي زجرا قال الطبرسي : و هذا يخالف الظاهر الذي عليه اكثر المفسرين من غير ضرورة تدعو اليه((877)) .
و للزمخشري هنا كلام يشبه تفسير مجاهد، في دقة ادبية لطيفة قال : قوله تعالى : (كونوا قردة خاسئين)خبران ، اي كونوا جامعين بين القردية و الخسؤ، و هو الصغار و الطرد((878)) .
و من ثم قال المولى جمال الدين ابو الفتوح الرازي ـ من اعلام القرن السادس ـ : مجاهد گفت : معنى آن است ((اذلا صاغرين)) ذليل و مهين و در اين عظمتى و عبرتى است آنانرا((879)) .
قال الامام الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦): ان ما ذكره مجاهد ـ رحمه اللّه ـ غير مستبعد جدا، لان الانسان اذا اصر على جهالته بعد ظهور الايات و جلا البينات ، فقد يقال ـ في العرف الظاهر ـ : انه حمار و قرد و اذا كان هذا المجازمن المجازات الظاهرة المشهورة ، لم يكن في المصير اليه محذور البتة((880)) .
قلت : و يشهد لهذا التاويل قوله تعالى ـ في سورة المائدة ـ : (من لعنه اللّه و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت ، اولئك شر مكانا و اضل عن سواالسبيل ((881)) (.
بدليل عطف ((و عبد الطاغوت))، و كذا عطف ((الخنازير)) و هذان لم يات ذكرهما في سائر القرآن ، فيكون المعنى : ان من شديد العقوبة ان يتحول الانسان من شموخ كرامته و اعتلا شرفه ، الى سافل مبتذل يحمل سمات القردة و الخنازير، مهانا لئيما، يرضخ للطواغيت رضوخ الذليل الحقير.
و عند تفسير قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة , ((882)) (روى وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد، قال : تنتظر الثواب من رب ها و عن الاعمش عنه : ((تنتظر رزقه و فضله)) و في حديث :((تنتظر من ربها ما امر لها)) قال منصور: قلت لمجاهد: ان اناسا يقولون : انه تعالى يرى ، فيرون ربهم ؟ شي((883)) .
و انت ترى ان القول بامتناع الرؤية يخالف عقيدة السلفيين من اصحاب الظواهر، و من ثم رموه بالحياد عن طريقة السلف ، و انه يفسر برايه ، او انه يرى مذهب الاعتزال ، كما رموا تلاميذه حسبما ياتي في ابن ابي نجيح راوي تفسيره.
و من ثم قال الطبري ـ تعقيبا على ذلك ـ : و اولى القولين في ذلك عندنا بالصواب ،القول الذي ذكرناه عن الحسن و عكرمة ، من ان معنى ذلك : تنظر الى خالقها.
قال الاستاذ الذهبي : و هذا التفسير عن مجاهد كان فيما بعد متكا قويا للمعتزلة فيما ذهبوا اليه في مسالة الرؤية((884)) .

قلت : و العجيب ان الارا المستقيمة المتوافقة مع الفطرة و العقل الرشيد، حيث صدرت قديما و حديثا، فانها تعزى الى فريق المعتزلة ، او هي منشا لمذاهبهم في العقيدة الاسلامية ، الامر الذي يجعل من العقل و الفطرة ـ في نظر اهل الجمود ـ في قبضة اهل الاعتزال ، و في منحصر آرائهم و مذاهبهم .

قال الزمخشري : ينظرون الى اشيا لا يحيط بها الحصر، فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم ، لانهم الامنون الذين لاخوف عليهم و لا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه ، محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص و الذي يصح منه ان يكون من قول الناس : انا الى فلان ناظر ما يصنع بي ، تريد معنى التوقع والرجا، و منه قول القائل:
و اذا نظرت اليك من ملك و البحر دونك زدتني نعما.
و سمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر، حين يغلق الناس ابوابهم و ياوون الى مقائلهم ، تقول : عيينتي نويظرة الى اللّه و اليكم.
و المعنى : انهم لا يتوقعون النعمة و الكرامة الا من ربهم ، كما كانوا في الدنيا لا يخشون و لا يرجعون الاياه((885) .
و علق عليه ابن المنير ـ في الهامش ـ بان عدم كونه تعالى منظورا اليه , مبني على مذهب المعتزلة ، و هو عدم جواز رؤيته تعالى و مذهب اهل السنة جوازها و قال الفخر: اعلم ان جمهور اهل السنة يتمسكون بهذه الاية في اثبات ان المؤمنين يرون اللّه تعالى يوم القيامة اما المعتزلة فانكروا دلالة الاية على ذلك اولا، و امكان تاويلها على الفرض ثانيا، حيث الرؤية تمتنع عليه تعالى عقلا و نقلا قطعيا، الامر الذي لا يختلف في هذه الحياة ام في الاخرة((886) .
اما المفسرون من علمائنا الامامية فانهم مطبقون على امتناع الرؤية مطلقا، و ليس في الاية دلالة صريحة على ذلك ، مع شيوع استعمال النظر في التوقع و الانتظار.
قال الشيخ ابوجعفر الطوسي (رض): معناه ، منتظرة نعمة ربها و ثوابه ان يصل اليهم و يكون النظر بمعنى الانتظار،كما قال تعالى : (و انى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون , ((887) (اي منتظرة و قال الشاعر:
وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمان ياتي بالفلاح.
و قوله تعالى : (و لا ينظر اليهم يوم القيامة ((888) (معناه ، لاينيلهم رحمته.
قال (ره): و ليس النظر بمعنى الرؤية اصلا، بدلالة انهم يقولون : نظرت الى الهلال فلم اره فلو كان بمعنى الرؤية لتناقض ، و لانهم يجعلون الرؤية غاية للنظر،يقولون : ما زلت انظر اليه حتى رايته ، و لا يجعل الشي غاية لنفسه ، فلا يقال : مازلت اراه حتى رايته قال : و النظر ـ في الاصل ـ تقليب حدقة العين نحو المرئي طلبا للرؤية ،فاستعمل في مطلق التاميل و التوقع و الانتظار.
قال : و ليس لاحد ان يقول : ان ذا يخالف اجماع المفسرين القدامى ، لانا لا نسلم ذلك ، بل قد قال مجاهد و ابوصالح (و الحسن ((٨٨٩))) و سعيد بن جبير و الضحاك : ان المراد نظر الثواب.
و روى مثله عن على (ع) ثم اخذ في التعمق و الاستدلال ، جزاه اللّه عن الاسلام خيرا((890) .

تفسير مجاهد برواية ابن ابي نجيح

هناك تفسير متقطع و مرتب على السور، يبتدئ من سورة البقرة حتى نهاية القرآن ، منسوب الى مجاهد، يرويه عنه ابو يسار عبد اللّه بن ابي نجيح يسار، الثقفي الكوفي (توفي

سنة١٣١)، بطريق عبد الرحمان بن الحسن بن احمد الهمذاني ، عن ابراهيم الحسين الهمذاني ، عن آدم بن اياس ، عن ورقا بن عمر اليشكري عن ابن ابي نجيح و قد صححه الائمة و اعتمده ارباب الحديث.
قال وكيع بن الجراح((891)) : كان سفيان يصحح تفسير ابن ابي نجيح قال احمد ابن حنبل : ابن ابي نجيح ثقة ، وكان ابوه من خيار عباد اللّه((892)) قال الذهبي : هو من الائمة الثقات ((893)) و قد اعتمده البخاري فيما يرويه في التفسير عن مجاهد((894)) قال ابن تيمية : تفسير ابن ابي نجيح عن مجاهد من اصح التفاسير، بل ليس بايدي اهل التفسير كتاب في التفسير اصح من تفسير ابن ابي نجيح عن مجاهد((895)) .
و قد طبع هذا التفسير باهتمام مجمع البحوث الاسلامية في باكستان سنة (١٣٦٧ ه ق.(
و هذا التفسير ينقص كثيرا عما جا في الطبري من تفسير مجاهد، لكنه عن غيرطريق ابن ابي نجيح.
قال شواخ : و قد نقل الطبري من هذا التفسير حوالي (٧٠٠) مرة في مواضع مختلفة و قد دخلت بعض اجزا هذاالتفسير في تفسير الطبري عن طريق تفاسير اخرى ، مثل تفسير ابن جريج و الثوري و غيرهما((896)) .

4ـ طاووس بن كيسان

ابو عبد الرحمان طاووس بن كيسان الخولاني الهمدانى اليماني ، من ابنا الفرس ،احد الاعلام التابعين كان فقيها جليل القدر، نبيه الذكر قال ابن عيينة : قلت لعبيد اللّه بن ابي يزيد: مع من تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطا و اصحابه قلت : و طاووس ؟ قال : ايهات ، كان ذلك يدخل مع الخواص و قال عمرو بن دينار: ما رايت احدا قط مثل طاووس ((897)).
و قد شهد بشانه الكثير من العلما، فعن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس ، قال : اني لاظن طاووسا من اهل الجنة و قال ابن حبان : كان من عباد اهل اليمن ، و من سادات التابعين ، و كان قدحج اربعين حج ة , و كان مستجاب الدعوة و قال ابن عيينة : متجنبو السلطان ثلاثة : ابوذر في زمانه ، و طاووس في زمانه ، و الثوري في زمانه و كان ابن معين يعدله بسعيد بن جبير((898)) .
قال ابو نعيم : هو اول الطبقة من اهل اليمن ، الذين قال فيهم النبى (ص): الايمان يمان و قد ادرك خمسين رجلامن الصحابة و علمائهم و اعلامهم ، و اكثر روايته عن ابن عباس و روى عنه الصفوة من الائمة التابعين((899)) .
و عده ابن شهر آشوب من اصحاب الامام زين العابدين (ع) و وصفه بالفقيه((900)) و له مع الامام مواقف مشهودة ،منها:
عند ما خر الامام ساجدا عند بيت اللّه الحرام ، فدنا منه و شال براسه و وضعه على ركبته ، و بكى حتى جرت دموعه على خد الامام ، و عند ذلك استوى الامام جالسا، و قال : من الذي اشغلني عن ذكر ربي ؟((901)) و ايضا موقفه الاخر مع الامام في الحجر((902)) , مما يدل على اختصاصه به و شدة قربه منه (ع) و اليمانيون ـ و لا سيما همدان ـ معروفون بالولا، و ان كانت النسبة بالولا.
و هكذا كان يوم موته سنة (١٠٦) ايضا يوما مشهودا، و قد وضع عبد اللّه بن الحسن المثنى سريره على كاهله ، وقد سقطت قلنسوته و مزق رداؤه ، من كثرة الزحام((903)) .
كما ان له مع طواغيت زمانه مواقف حاسمة ، انما تدل على صلابته في جنب اللّه:
قال ابن خلكان : قدم هشام بن عبد الملك حاجا الى بيت اللّه الحرام ، فلما دخل الحرم قال : آتوني برجل من الصحابة ، فقيل له : قد تفانوا قال : فمن التابعين ، فاتي بطاووس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ، و لم يسلم بامرة المؤمنين ، و لم يكنه ، و جلس الى جانبه بغير اذنه ، و قال : كيف انت يا هشام ؟.
فغضب هشام من ذلك غضبا شديدا و هم بقتله ، فقيل له : انت في الحرم ، لا يمكن ذلك.
فقال : يا طاووس ، ما حملك على ما صنعت ؟ قال : و ما صنعت ؟ فاشتد غضبه و غيظه ، و قال : خلعت نعليك بحاشية بساطي ، و لم تسلم بامرة المؤمنين ، و لم تكنني ، و جلست بازائي بغير اذني ، و قلت : يا هشام ، كيف انت ؟ قال : اما خلع نعلي بحاشية بساطك ،

فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ، فلا يعاتبني و لايغضب علي و اما ما قلت : لم تسلم على بامرة المؤمنين ، فليس كل المؤمنين راضين بامرتك ، فخفت ان اكون كاذبا و اما ما قلت : لم تكنني ، فان اللّه عز و جل سمى انبياه ، قال : يا داود، يا يحيى ، يا عيسى و كنى اعداه فقال : (تبت يدا ابي لهب) و اما قولك : جلست بازائي ، فاني سمعت امير المؤمنين على بن ابي طالب (ع)يقول : ((اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار، فانظر الى رجل جالس و حوله قوم قيام.((

فقال له هشام : عظني عقارب كالبغال ،تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته))، ثم قام و خرج ((904)).

انظر كيف يكرر لفظ ((امير المؤمنين)) يعني به على بن ابي طالب (ع (في حين امتناعه من التسليم عليه بذلك ،بحجة ان في المؤمنين ـ و يعني امثال نفسه ـ من لايرضى بامرته تربية اهل الولا لال بيت الرسول (ص) دون غيرهم اطلاقا.

و روى ابن خلكان بشان ابنه عبد اللّه ما يشبه صلابة ابيه في الدين ، قال : و روي ان امير المؤمنين ابا جعفرالمنصور، استدعى عبد اللّه بن طاووس و مالك ابن انس ، فاحضرهما فلما دخلا عليه اطرق المنصور ساعة ، ثم التفت الى ابن طاووس ، و قال له : حدثني عن ابيك فقال : حدثني ابي ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه اللّه تعالى في سلطانه ، فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر ساعة ، قال مالك : فضممت ثيابي خوفا ان يصيبني دمه ثم قال له المنصور: ناولني تلك الدواة ـ ثلاث مرات ـ فلم يفعل ، فقال له : لم لا تناولني ؟فقال : اخاف ان تكتب بها معصية ، فاكون قد شاركتك فيها طاووس فضله من ذلك اليوم ((905)).

قلت : و هذا يتنافى مع تاريخ وفاته بسنة (١٣٢) حسبما ذكره ابن حجر((906)) , لان اباجعفر انما تصدى للخلافة بعد موت السفاح سنة (١٣٦ ((907)))و قد ذكر ابن خلكان تلك الحكاية عن المنصوربعنوان انه امير المؤمنين.

كما يتنافى هذا الموقف من ابن طاووس مع ما ذكروا عنه انه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك ، و كان كثير الحمل على اهل البيت ((908)).

و لعل عبد اللّه هذا هو ابن عطا، الذي صحب الامامين الباقر و الصادق (ع)، و كان من خلص شيعتهما كابيه عطا بن ابي رباح((909)) قال الكشي : ولد عطا بن ابي رباح تلميذ ابن عباس : عبد الملك ، و عبد اللّه ، و عريف ،نجبا، من اصحاب ابي جعفر و ابي عبد اللّه (ع) ثم روى حديثا يدل على اختصاص عبد اللّه بالصادق ، و قربه منه حسبما ياتي((910)) .

و لطاووس مواقف و آرا تخصه لا تخلو من طرافة و ظرافة ، منها: انه كان يكره ان يقول : حجة الوداع ، و يقول :حجة الاسلام ((911)).

و كان ابنه يقول : ان العالم لا يخرف ، يريد اباه فقد اخرج ابو نعيم باسناده الى وكيع ، قال : حدثنا ابو عبد اللّه الشامي ، قال : اتيت طاووسا فخرج الي ابنه شيخ كبير، فقلت : انت طاووس ؟ فقال : انا ابنه قلت : فان كنت ابنه فان الشيخ قد خرف ، يعني اباه طاووسا فقال : ان العالم لا يخرف ((912)).

و اخرج ابو نعيم باسناده عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس عن بريدة عن النبى (ص (قال : ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) قال ابو نعيم : غريب من حديث طاووس ، لم نكتبه الا من هذاالوجه((913)) .

و له ذيل قوله تعالى : (الا خلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) حديث طريف جرى بين رسول اللّه و علي (ع) و قد تفرد بنقله عنه وهب بن منبه الذي وصفه ابو نعيم بالحكيم الحليم ((914)).

و جا ابن سليمان بن عبد الملك فجلس الى جنب طاووس ، فلم يلتفت اليه ، فقيل له : جلس اليك ابن امير المؤمنين ، فلم تلتفت اليه ؟ الخليفة((915)) .

كما ان له مع سليمان بن عبد الملك موقفا حكيما يدل على صلابته في الدين و صدقه في جنب اللّه((916)) .

و فسر قوله تعالى : (و خلق الانسان ضعيفا) قال : في امور النسا، ليس يكون الانسان في

شي اضعف منه في امور النسا((917)) .
و فسر قوله تعالى : (اولئك ينادون من مكان بعيد) قال : بعيد من قلوبهم((918)) .
و كان يقول : لم يجهد البلا من لم يتول اليتامى او يكون قاضيا بين الناس في اموالهم ، او اميرا على رقابهم((919)) .

5ـ عكرمة مولى ابن عباس

ابو عبد اللّه عكرمة بن عبد اللّه اصله من البربر من اهل المغرب ، كان لحصين بن الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس ، حين ولي البصرة لعلي بن ابي طالب (ع ,(و اجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن و السنن ، و سماه باسماالعرب ((920)).
قال ابن سعد: كان يقيده فيعلمه القرآن و يعلمه السنن((921)) فرباه فاحسن تربيته ، و علمه فاحسن تعليمه ، واصبح فقيها و اعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن قال ابن خلكان : اصبح عكرمة احد فقها مكة و تابعيها، وكان ينتقل من بلد الى بلد قال : و روي ان ابن عباس قال له : انطلق فافت للناس و قيل لسعيد بن جبير: هل تعلم احدا اعلم منك ؟ قال : عكرمة.
و اخرج الذهبي عن عكرمة قال : طلبت العلم اربعين سنة ، و كنت افتي بالباب و ابن عباس في الدار((922)) .
و اخرج ابن سعد عن سلام بن مسكين ، قال : كان عكرمة من اعلم الناس بالتفسير و عن عمرو بن دينار، قال :دفع الي جابر بن زيد مسائل اسال عنها عكرمة ، و جعل يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا البحر فسلوه واخرج عنه ابو نعيم ، قال : هذا عكرمة مولى ابن عباس ,هذا اعلم الناس.
و كان ابن عباس لا يدع فرصة لتعليمه ، قال عكرمة : قال لي ابن عباس و نحن ذاهبون من منى الى عرفات : هذا يوم من ايامك (اي هذه فرصة لك فاغتنمها) فجعلت ارجن به و يفتح علي ابن عباس ((923)).
و اخرج ابن سعد ايضا عن خالد بن القاسم البياضي قال : مات عكرمة و كثير عزة الشاعر في يوم واحد سنة (١٠٥) فرايتهما جميعا صلي عليهما في موضع واحد بعد الظهر في موضع الجنائز،فقال الناس : مات اليوم افقه الناس و اشعر الناس ((924)).
و اخرج ابو نعيم عن اسماعيل بن ابي خالد، قال : سمعت الشعبي يقول : ما بقي احداعلم بكتاب اللّه تعالى من عكرمة و عن سلام بن مسكين ، قال : سمعت قتادة يقول : اعلمهم بالتفسير عكرمة.
و اخرج عن يزيد النحوي عن عكرمة ، قال ابن عباس لي : انطلق فافت للناس ، فمن سالك عما يعنيه فافته ، و من سالك عما لا يعنيه فلا تفته ، فانك تطرح عني ثلثي مؤونة الناس.
و عن عمرو بن دينار، قال : كنت اذا سمعت من عكرمة يحدث عن المغازي ، كانه مشرف عليهم ينظر كيف كانوايصنعون و يقتتلون و كان سفيان الثوري يقول بالكوفة : خذوا التفسير عن اربعة : سعيد بن جبير، و مجاهد، وعطا، و عكرمة و في رواية : تبديل عطا بالضحاك ((925)).
و اخرج ابن حجر عن يزيد النحوي عن عكرمة ، قال : قال لي ابن عباس : انطلق فافت بالناس و انا لك عون قال : فقلت له : لو ان هذا الناس مثلهم مرتين لافتيتهم قال : فانطلق فافتهم ، فمن جاك يسالك عما يعنيه فافته ، و من سالك عما لايعنيه فلاتفته ، فانك تطرح عنك ثلثي مؤونة الناس.
و قال ابن جواس : كنا مع شهر بن حوشب بجرجان ، فقدم علينا عكرمة ، فقلنا لشهر: الا ناتيه ؟ فقال : ائتوه ، فانه لم يكن امة الا كان لها حبر، و ان مولى ابن عباس حبر هذه الامة ((926)) فقد حمل هذا اللقب الرفيع من مؤدبه ابن عباس و ورثه منه.
و قال المروزي : كان عكرمة اعلم شاكردي ابن عباس بالتفسير، و كان يدور البلدان يتعرض ((927)).
وقال قتادة : كان اعلم التابعين عطا و سعيد بن جبير و عكرمة ، قال : و اعلمهم بالتفسير عكرمة.
و قال ابن عيينة : سمعت ايوب يقول : لو قلت لك : ان الحسن ترك كثيرا من التفسير، حين دخل علينا عكرمة البصرة حتى خرج منها، لصدقت ((928)).

و قال ابن المديني : كان عكرمة من اهل العلم ، و لم يكن في موالي ابن عباس اغزرعلما منه .
و قال ابن مندة : قال ابوحاتم : اصحاب ابن عباس عيال على عكرمة.
و قال ابن خيثمة : كان عكرمة من اثبت الناس فيما يروي((929)) .
تـلـك شـهادات ضافية و مستفيضة بشان الرجل ، تجعله في قمة الفضيلة و العلم ، و الثقة و الاعتماد عـلـيـه لـدى الائمة ، مما يوهن ما حيك حول الرجل من اوهام و اكاذيب مفضوحة ، ليست تتناسب مع شخصية كانت تربية مثل ابن عباس ، و موضع عنايته الخاصة.
قـال ابو جعفر الطبري : و لم يكن احد يدفع عكرمة عن التقدم في العلم بالفقه و القرآن و تاويله ، و كـثرة الرواية للاثار، و انه كان عالما بمولاه و في تقريظ جلة اصحاب ابن عباس اياه و وصفهم له بـالتقدم في العلم و امرهم الناس بالاخذ عنه ، ما بشـهادة بعضهم تثبت عدالة الانسـان ، و يستحق جواز الـشـهـادة و من ثبتت عدالته لم يقبل فيه الجرح ، و ما تسـقط العدالة بالظن ، و يقول فلان لمولاه : لا تكذب علي ، و ما اشبهه من القول الذي له وجوه وتصاريف و معان غير الذي وجهه اليه اهل الغباوة , و من لا علم له بتصاريف كلام العرب ((930)).
و قـال ابـو نعيم : و منهم مفسر الايات المحكمة ، و منور الروايات المبهمة ، ابو عبد اللّه مولى ابن عباس عكرمة كان في البلاد جوالا، و من علمه للعباد بذالا((931)) .
و امـا الـذين طعنوا فيه ، فقد قصرت انظارهم و لم يعرفوا وجه المخرج من ذلك ، مع وضوح براة الرجل مما قيل فيه و يتلخص في رميه بالكذب ، و ميله الى راي الخوارج اما الاول فلرواية رووها عن ابن عمر انه قال لمولاه نافع : لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس و اما الثاني فلوهم توهموه من سفرته الى المغرب عندتجواله البلاد، و ان الخوارج هناك اخذوا عنه احاديث .
و مـن الـواضح ان هكذا تشبثات غريبة انما تنم عن حسد كان يحمله مناوئوه تجاه منزلة الرجل و شموخه في الفقه و العلم ، بمعاني القرآن الكريم.
قال ابن حجر ـ بشان الرواية عن ابن عمر ـ : انها ضعيفة الاسناد، فضلا عن اختلاف المتن و تباين النقل فيها قال : انها لم تثبت ، لانها من رواية ابي خلف الجزار عن يحيى البكا، و البكا متروك الحديث.
و من ثم قال ابن حبان : و من المحال ان يجرح العدل بكلام المجروح يقصد به البكا.
و اضـاف ابن حجر: ان اسحاق بن عيسى سال مالكا: ابلغك ان ابن عمر قال لنافع كذا؟ قال : لا و لكن بلغني ان سعيد بن المسيب قال ذلك لمولاه برد((932)) .
قـلـت : و لقد كان رميه بالكذب شائعا على عهده ، و ربما على عهد سيده ابن عباس ايضا، حيث ورد الذب عن نفسه صريحا، و انكار ابن عباس ذلك.
قـال ابـن حكيم : كنت جالسا مع ابي امامة بن سهل بن حنيف ، اذ جا عكرمة ، فقال : ياابا امامة ، اذك رك اللّه ، هـل سـمـعت ابن عباس يقول : ((ما حدثكم عكرمة عني فصدقوه ، فانه لم يكذب على))؟فقال ابوامامة : نعم((933)) .
و قـال ايـوب : قال عكرمة : ارايت هؤلا الذين يكذبوني من خلفي ، افلا يكذبوني في وجهي حـجـر: يعني انهم اذا واجهوه بذلك امكنه الجواب عنه و المخرج منه و ذلك ان عكرمة كان يسمع الـحـديـث مـن شـيخ و مثله من شيخ آخر، فربما حدث و اسنده الى الاول ، ثم يحدث و يسنده الى الاخر، فمن ذلك رموه بالكذب ، كما قال ابو الاسود: كان عكرمة ربما سمع الحديث من رجلين , فكان اذا سـئل حدث به عن رجل ، ثم يسال عنه بعدحين فيحدث به عن الاخر , فيقولون : ما اكذبه صادق((934)) .
قال ابن حجر: احتج بحديث عكرمة البخاري و اصحاب السنن و تركه مسلم ـ الا حديثا واحدا ـ و انما تركه لكلام مالك فيه (كان مالك لا يراه ثقة و يامر ان لا يؤخذ عنه ((935)) (قال : و قد تعقب جماعة من الائمة ذلك ، وصنفوا في الذب عن عكرمة ، منهم : ابو جعفر ابن جرير الطبري ، و محمد بـن نـصر المروزي ، و ابو عبد اللّه ابن مندة ، و ابو حاتم ابن حبان ، و ابو عمرو ابن عبد البر، و غيرهم.

و قد لخص ابن حجر ما قيل فيه ، ثم عقبه بالاجابة عليه ، قائلا: فاما اقوال من اوهاه ، فمدارها على ثلاثة اشيا:على رميه بالكذب ، و على الطعن فيه بانه كان يرى راي الخوارج ، و على القدح فيه بانه كـان يقبل جوائزالامرا قال : اما قبول الجوائز فجمهور اهل العلم على الجواز، و قد صنف في ذلك ابـن عـبد البر((936)) قال : على ان ذلك ليس بمانع من قبول روايته ، و هذا الزهري قد كان في ذلك اشهر من عكرمة ، و مع ذلك فلم يترك احدالرواية عنه بسبب ذلك ((937)).

و امـا تهمة البدعة فانها لم تثبت ، و قد نفاها عنه جماعة من الائمة النقاد قال ابن ابي حاتم : سالت ابي عـن عـكرمة ، فقال : ثقة قلت : يحتج بحديثه ؟ قال : نعم ، اذا روى عنه الثقات و الذي انكر عليه مالك , انـمـا هـو بسبب راي ، على انه لم يثبت عنه من وجه قاطع انه كان يرى ذلك ، و انما كان يوافق في بعض المسائل((938)) فنسبوه اليهم و قد براه احمد و العجلي من ذلك ، فقال ـ في كتاب الثقات له ـ : عكرمة مولى ابن عباس ، مكي تابعي ثقة ،بري مما يرميه الناس به من الحرورية.

و قـال ابـن جـرير: لو كان كل من ادعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة ، ثبت عليه ما ادعي به ، و سـقطت عدالته ،و بطلت شهادته بذلك ، للزم ترك اكثر محدثي الامصار، لانه ما منهم الا و قد نسبه قوم الى ما يرغب به عنه((939)).

قـال الـذهـبـي : عـكرمة مولى ابن عباس ، احد اوعية العلم تكلم فيه ، لرايه لا لحفظه ، فاتهم براي الخوارج و قدوثقه جماعة ، و اعتمده البخاري((940)).

و امـا الـكـذب فـلا منشا لرميه به سوى حديث ابن عمر الانف ، و في طريقه ضعف الامر الذي لا يـصطدم مع وفرة توثيقه : اخرج ابن حجر عن البخاري قال : ليس احد من اصحابنا الا احتج بعكرمة و قال ابن معين : اذا رايت انسانا يقع في عكرمة فاتهمه على الاسلام و قال المروزي : قلت لاحمد بن حـنبل : يحتج بحديث عكرمة ؟ قال :نعم قال المروزي : اجمع عامة اهل العلم على الاحتجاج بحديث عـكرمة ، و اتفق على ذلك رؤسا اهل العلم بالحديث من اهل عصرنا، منهم : احمد بن حنبل ، و اسحاق بـن راهـويـة ، و ابـو ثـور، و يحيى بن معين قال : و لقدسالت اسحاق عن الاحتجاج بحديثه ، فقال : عـكرمة عندنا امام اهل الدنيا، و تعجب من سؤالي اياه قال : و حدثناغير واحد انهم شهدوا يحيى بن مـعـين ، و ساله بعض الناس عن الاحتجاج بعكرمة ، فاظهر التعجب و قال البزار:روى عن عكرمة مائة و ثلاثون رجلا من وجوه البلدان ، كلهم رضوا به ، الى غيرها من توثيقات قيمة((941)).

و يـبـدو مـن روايات اصحابنا الامامية كونه من المنقطعين الى ابواب آل بيت العصمة ، وفقا لتعاليم تـلـقـاهـا من مولاه ابن عباس ـ رضي اللّه عنه ـ فقد روى محمد بن يعقوب الكليني باسناده الى ابي بصير، قال : كنا عندالامام ابي جعفر الباقر(ع) و عنده حمران ، اذ دخل عليه مولى له ، فقال : جعلت فداك ، هذا عكرمة في الموت ، وكان يرى راي الخوارج ، و كان منقطعا الى ابي جعفر(ع.(

فـقال لنا ابو جعفر: انظروني حتى ارجع اليكم ، فقلنا: نعم فما لبث ان رجع ، فقال : اما اني لو ادركت عـكرمة ، قبل ان تقع النفس موقعها لعلمته كلمات ينتفع بها، و لكني ادركته و قد وقعت النفس موقعها قلت : جعلت فداك ، و ماذاك الكلام ؟ قال : هو ـ واللّه ـ ما انتم عليه ، فلقنوا موتاكم عند الموت شـهادة ان لااله الا اللّه و الاقراربالولاية((942)).

في هذه الرواية مواضع للنظر و الامعان : اولا دخول مولى ابي جعفر بذلك الخبرالمفاجئ ، لدليل على ان لـعـكـرمـة كانت منزلة عند الامام (ع)، و كان الامام يهتم بشانه ثانيا قوله : و كان منقطعا الى ابي جعفر، يؤيد كون الرجل من خاصة اصحابه ، و لم يكن يدخل على غيره دخوله على الامام (ع.(

و امـا قـولـه : و كـان يـرى راي الخوارج ، فهو من كلام الراوي ، حدسا بشانه ، حسبمااملت عليه الحياكات الشائعة عنه((943)) , و الا فهو متناقض مع انقطاعه الى الامام كيف يختص بالحضور لدى امام معصوم من اهل بيت النبوة ، من كان يرى راي خارجى مبغض لال ابي طالب بالخصوص ؟ هذا الاتناقض ، يرفضه العقل السليم ، فهذا قول ساقط لا وزن له مع سائر تعابير الحديث المتقنة.

و اخـيـرا فان قوله (ع) : لقنوا موتاكم الخ مع اهتمامه البالغ بشان ادراكه قبل الموت ليلقنه ، لدليل واضـح عـلـى كـونه ممن يرى رايهم لا راي غيرهم ، و الا فلا يتناسب قوله اخيرا مع فعله اولا ,فتدبر.
و هذه الرواية رويت مع اختلاف في بعض الفاظها، رواها البرقي في كتاب ((الصفوة))باسناده الى ابي بكر الحضرمي ((944)) , و الكشي عن طريق محمد بن مسعود العياشي باسناده الى زرارة بن اعين عن الامام ابي جعفر الباقر(ع. ((945)) (
غـير ان الكشي استنتج من قول الامام : ((لو ادركته لنفعته)) انه مثل ما يروى ((لو اتخذت خليلا لاتخذت فلاناخليلا)) لا يوجب لعكرمة مدحا بل اوجب ضده((946)) .
لكنه استنتاج غريب ناشئ عن ذهنيته الخاصة بشان الرجل قال المحقق التستري ـ ردا عليه ـ : ان الرواية المقيس عليها غير ثابتة ، و على فرض الثبوت فهو مدح لا قدح((947)) قلت : معنى ((لو ادركـته لنفعته : ((948)) ((انه لم يدركه فلم ينتفع بما كان من شانه ان ينتفع به و كذا معنى ((ان ادركته علمته كلاما لم تطعمه النار : ((949)) ((ان كنت لقنته لم تذقه النار اصلا فلازم ذلك انه بسبب عدم هذا الانتفاع يكون بمعرض لاذاقة النار ـ على بعض ذنوبه احيانا ـ او فوته بعض المنافع لذلك.
و عـلـى جميع هذه الفروض ، لا تدل الرواية على انه كان من المخالفين او الفاسقين ،حاشاه من عبد صـالـح كـان تـربـيـة مثل ابن عباس من خاصة الامام امير المؤمنين (ع)، و هذا كما يقال : لو عمل كذالنفعه او لم يكن ليتضرر شيئا، و لازمه انه لم ينتفع بذلك ، او تضرر شيئا.
و للمولى المجلسي العظيم كلام بشان عكرمة ، عند ما نقل عنه في تفسير قوله تعالى : (و من الناس مـن يـشـرى نـفسه ابتغا مرضاة اللّه ((950)) (انها نزلت بشان ابي ذر و صهيب ((951)) , على خلاف سائرالمفسرين قالوا: نزلت بشان علي (ع) ليلة المبيت قال ـ بصدد القدح في الرواية ـ : ان راويها عكرمة ، و هو من الخوارج((952)) .
و لـعـل هـذا مـنـه كان جدلا، و الا فالرواية في نفسها ضعيفة لضعف الراوي لا المروي عنه فقد اخـرجـها الطبري عن طريق الحجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريج عن عكرمة و المصيصي ضـعيف واه ، قد خلط في كبره ، و من ثم تركه يحيى بن سعيد و اوصى ابنه بتركه((953)) و قد سـمعت ابا حاتم قوله بشان عكرمة : ثقة يحتج بقوله اذاروى عنه الثقات ((954)).
و بـعد، فلم نجد مغمزا في عكرمة مولى ابن عباس الثقة الامين ، الامر الذي استنتجه ابن حجر في الـتـقـريـب قـال : عـكـرمـة ، ثـقـة ثبت ، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، و لا يثبت عنه بدعة((955)) .

منهجه في التفسير

كان ينتهج منهج مولاه و شيخه و مؤدبه ابن عباس ، في حرية الراي و ثبات العقيدة من غير ان يهاب احـدا، اويـثـنـيـه عـن اختياره شي و من ثم عرض نفسه للقذف و الرمي ، و ربما التحمل لما كان المناوئون يهابون موضع سيده ابن عباس ، فوجدوا من تلميذه مندوحة ليقدحوا فيه و يجرحوه.
و اليك نموذج من تفسيره:
كان يرى من آية الوضؤ((956)) نزولها بمسح الارجل دون غسلها، و لم يزل عمله على ذلك ، و ان اسـتـدعـي مـخالفة عامة الفقها في عصره قال يونس : حدثني من صحب عكرمة الى واسط، قال : فـمـارايته غسل رجليه ، انما كان يمسح عليهما((957)) و اخرج الطبري باسناده الى عبد اللّه العتكي عن عكرمة ، قال :((ليس على الرجلين غسل ، انما نزل فيهما المسح)) و هكذا اخرج باسناده الى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ((الوضؤ غسلتان و مسحتان)) و كذا عن جمع كـثـيـر مـن الـتابعين ، و لا سيما المتاثرين بمدرسة ابن عباس ، امثال قتادة و الضحاك و الشعبي و الاعمش و غيرهم و جماعة من الصحابة امثال انس بن مالك وجابر بن عبد اللّه و غيرهما، ذهبوا الى ان القرآن نزل بمسح الارجل لاغسلها((958)) .
قـال امين الاسلام الطبرسي : اختلف في ذلك ، فقال جمهور الفقها: ان فرضهماالغسل و قالت الامامية : فـرضـهـمـا الـمسح لا غير، و به قال عكرمة و قد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة و الـتـابـعـين كابن عباس و انس و ابي العالية و الشعبي و قال الحسن البصري :

بالتخيير بين الغسل والمسح.
قال : و اما ما روي عن سادة اهل البيت (ع) في ذلك فاكثر من ان تحصى((959)) و للطبرسي هنا بشان المسالة تحقيق لطيف ، ينبغي لرواد الحقيقة مراجعته.
و اخرج البيهقي باسناده عن رفاعة بن رافع : ان رسول اللّه (ص) قال : ((انها لا تتم صلاة احدكم حتى يسبغ الوضؤ كما امره اللّه به : يغسل وجهه و يديه الى المرفقين ، و يمسح راسه و رجليه الى الكعبين. ((960)) ((
و هكذا في المسح على الخفين ـ الذي يقول به جمهور الفقها ـ كان عكرمة ينكره اشد الانكار، و يقول : ((سبق الكتاب المسح على الخفين , ((961)) ((يعني : ان القرآن نزل بالمسح على الارجل , اما المسح على الخفين ـ على ماوردت به بعض الروايات ـ فامر متاخر عن نزول الاية ، و لا دليل على نسخ الاية ، رواية لم تثبت ((962)).
و هذا الذي ذكره عكرمة هو الذي نقلته الائمة عن الامام امير المؤمنين (ع) فقد روى ابو جعفر الطوسي باسناده الى ابي الورد، قال : قلت لابي جعفر الباقر(ع): ان ابا ظبيان حدثني انه راى عليا(ع) اراق الما ثم مسح على الخفين ((963)) اما بلغك قول على (ع (فيكم : ((سبق الكتاب الخفين))؟ فقلت : فهل فيهمارخصة ؟ فقال : لا، الا من عدو تتقيه ، او ثلج تخاف على رجليك ((964)).
و لا شك ان ابن عباس كان يرى راي الامام الذي هو شاخص اهل البيت (ع) فلا وقع لتكذيب عكرمة بانه خالف شيخه ، فقد افتري عليه كما افتري على الامام (ع.(
و عقد ابو نعيم الاصبهاني فصلا من حليته((965)) , اورد فيه من تفاسير ماثورة عن عكرمة , دررا و غررا هي من جلائل الاثار و كرائم الافكار، و يتبين منها مدى سعة علم الرجل و شموخ فكره الصائب ، ينبغي مراجعتها فانهاممتعة جدا.

6ـ عطا بن ابي رباح

ابو محمد عطا بن ابي رباح اسلم ـ و قيل : سالم ـ بن صفوان من اصل نوبي (١٧ ـ ١١٥) كان من اجلة فقهامكة و زهادها، و من خواص ابن عباس والمتربين في مدرسته((966)) و هو الذي حضر وصيته بالطائف في جماعة من الشيوخ ، و روي عنه حديث الامامة و الولاية ـ على ما سبق في ترجمة ابن عباس ((967)) ـ ممايدل على مبلغ ولائه لاهل البيت و تمس كه باذيالهم الطاهرة , شان سائر المتربين بتربية ابن عباس الصحابي الملهم الجليل.
و ذكره ابو نعيم في التابعين ممن رووا عن الامام ابي جعفر الباقر(ع ((968)) (كما ذكر ثنا الامام عليه ، فيما اخرجه باسناده عن اسلم المنقري ، قال : كنت جالسا مع ابي جعفر فمر عليه عطا ,فقال : ما بقي على ظهر الارض احداعلم بمناسك الحج من عطا بن ابي رباح و عن احمد بن محمد الشافعي ، قال : كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس ، و بعد ابن عباس لعطا بن ابي رباح((969)) .
قال ابن سعد: و قد انتهت فتوى اهل مكة اليه و الى مجاهد، في زمانهما، و اكثر ذلك الى عطا قال : كان يعلم الكتاب ، و كان ثقة فقيها كثير الحديث و عن قتادة : كان عطا من اعلم الناس بالمناسك ((970)).
قال ابن حجر: قال ابن معين : كان عطا معلم كتاب ((971)) و اخرج عن ابي نوف عن عطا، قال : ادركت مئتين من الصحابة و عن ابن عباس انه كان يقول : تجتمعون الي يا اهل مكة و عندكم عطا عن ربيعة قال : فاق عطااهل مكة في الفتوى و قال قتادة : قال لي سليمان بن هشام : هل بمكة احد؟ قلت : نعم ، اقدم رجل في جزيرة العرب علما شهادات ضافية بشانه و انه من سادات التابعين فقها و علما و ورعا و فضلا((972)) .
و لابن خلكان بشانه حكاية طريفة ، قال : حكي عن وكيع ، قال : قال لي ابوحنيفة النعمان بن الثابت : اخطات في خمسة ابواب من المناسك بمكة , فعلمنيها حجام لي : اعربى انت ؟ قلت : نعم ، و كنت قد قلت له : بكم تحلق راسي ؟ فقال : لا يشارط فيه ، اجلس ،فجلست منحرفا عن القبلة ,فاوما الي باستقبال القبلة و اردت ان احلق راسي من الجانب الايسر ,فقال : ادرشقك الايمن من راسك ، فادرته و جعل يحلق راسي و انا ساكت ، فقال لي : كبر، فجعلت اكبر، حتى قمت لاذهب ، فقال : اين تريد؟ قلت : رحلي فقال : صل

ركعتين ثم امض فقلت : ما ينبغي ان يكون هذا من مثل هذاالحجام الا و معه علم فقلت : من اين لك ما رايتك امرتني به ؟ فقال : رايت عطا ابن ابي رباح يفعل هذا((973)) .
قال : و كان اسود، اعور، افطس ، اشل ، اعرج ، ثم عمي بعد ذلك و كان مفلفل الشعر قال سليمان بن رفيع : دخلت المسجد الحرام و الناس مجتمعون على رجل ، فاطلعت ، فاذا عطا بن ابي رباح جالس كانه غراب اسود((974)) .
قال محمد بن عبد اللّه((975)) : ما رايت مفتيا خيرا من عطا بن ابي رباح ، انما كان في مجلسه ذكر اللّه لا يفتر وهم يخوضون فان تكلم او سئل عن شي احسن الجواب و كان يطيل الصمت , فاذا تكلم يخيل الى الناس انه يتايد كان اثرا قال : علم ، و ان كان راياقال : راي و عن سلمة بن كهيل : ما رايت احدا يريد بهذا العلم وجه اللّه الا ثلاثة : عطا، و مجاهد، و طاووس قال الاوزاعي : مات عطا يوم مات ، و هو ارضى اهل الارض عند الناس ((976)).
وقد وقع في اسناد القمي في تفسير قوله تعالى : (فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جااشراطها. ((977)) (
و للمولى المامقاني بشانه تخليط، قال : عده الشيخ من اصحاب امير المؤمنين (ع)، و قال : مخلط و نقل المولى الوحيد عن ابي نعيم انه ممن روى عن الامام الباقر(ع)، قال : الظاهر انه اشتباه منه او من ابي نعيم ، فان الراوي عن الباقر هو عطا بن السائب ، و هو من رؤسا العامة اما ابن ابي رباح فهو مولى عبد اللّه ابن عباس ، و لقاؤه للباقر غير معلوم نعم لقاؤه لعلي مما لا ريب فيه و هو مخلط و يروي عن الشيخين كثيرا، و يروي لهمااكثر((978)) .
قلت : كانت ولادة عطا بن ابي رباح في السنة الرابعة او الخامسة من خلافة ابن الخطاب ، فكيف يروي عن الشيخين ؟ وفاة الامام الباقر (٥٧ ـ ١١٤) بسنة (١١٥) و لم يذكر احد انه مولى لابن عباس ، بل مولى بني فهر، حسبما ذكروه((979)) كما ذكرواان الذي اختلط في اخريات حياته هو ابن السائل((980)) و سنذكر انه ايضا من الخواص.
قال الدكتور شواخ : و تفسير عطا بن ابي رباح كان من التفاسير التي رويت شفاها، و استخدمها الطبري بالروايه التالية : ((القاسم بن الحسن الهمذاني (ت ٢٧٢) الحسين المصيصي (ت ٢٢٦ (حجاج بن محمدالمصيصي (ت ٢٠٦) ابن جريج (ت ١٥٠) عن عطا بن ابي رباح)) و استخدمه الثعلبي ايضا في كتابه (الكشف و البيان. ((981)) (

7ـ عطا بن السائب .

ابو محمد الثقفي الكوفي احد الائمة((982)) روى عن سعيد بن جبير و مجاهد و عكرمة و ابي عبد الرحمان السلمي و جماعة و روى عنه الاعمش و ابن جريج كان ابو اسحاق يقول : عطا بن السائب من البقايا.
قال احمد بن حنبل : ثقة ثقة رجل صالح و لكن جماعة رموه بالتخليط في اخريات حياته ، و من ثم وثقوه في حديثه القديم قال يحيى بن سعيد: ما سمعت احدا من الناس يقول في حديثه القديم شيئا اما و لماذا هذا التحول بشانه ؟.
قال ابو قطن عن شعبة : ثلاثة في القلب منهم هاجس : عطا بن السائب ، و يزيد بن ابي زياد، و رجل آخر((983)) ما سبب هذا الهاجس ؟.
قال سيدنا الاستاذ الامام الخوئي ـ ادام اللّه ظله و البسه ثوب العافية ـ بعد ان ذكر روايته عن على بن الحسين (ع) بشان مسالة القضا ـ : هذه الرواية تدل على تشيعه ، فما يذكر عنه من التوثيق في حديثه القديم ثم اختلط و تغير، فلعله كان منخرطا في العامة ثم استبصر ((984)).
قلت : بل الظاهر كونه من الشيعة من اول امره ، لانه كوفي و تتلمذ على امثال ابن جبيرو مجاهد و عكرمة و السلمي و اضرابهم اما سبب اختلاطه في نظر القوم فلعله بدى منه شي من الارتفاع لم يكن يتحمله القوم ، و كم له من نظير.
اما الرواية المشار اليها فهي ما رواه ابو جعفر الصدوق باسناده الى عطا بن السائب عن الامام على بن الحسين (ع)، قال : ((اذا كنتم في ائمة جور فاقضوا في احكامهم ، و لا تشهروا انفسكم فتقتلوا و ان تعاملتم باحكامنا كان خيرا لكم ((985)) ((و قد عده الصدوق في المشيخة((986)) .

و قد كانت وفاة الامام السجاد عام (٩٥) سنة الفقها و قد عاش ابن السائب بعد ذلك ما يقرب (٤٠ (سنة ،حيث عام وفاته (١٣٦) و الرواية ان دلت على تشيعه ـ كما هو كذلك ـ فقد كان ذلك في اوليات حياته.
و له رواية اخرى عن زاذان ابي عمرة الفارسي الكوفي الضرير، مات سنة (٨٢) في قضية قضاها الامام امير المؤمنين (ع) ايام عمر بن الخطاب ، بشان الوديعة التي استودعها رجلان عندامراة رواها حريز بن عبد اللّه السجستاني عن عطا بن السائب من زاذان ((987)).

8ـ ابان بن تغلب بن رباح

ابو سعيد البكري الكوفي قال الشيخ : ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة ، لقي ابا محمد السجاد، و ابا جعفر الباقر، وابا عبد اللّه الصادق (ع) و روى عنهم و كانت له عندهم خطوة و قدم((988)) .
و كان اذا قدم المدينة تقوضت له الحلق و اخليت له سارية النبى (ص ((989)) (و كان ذلك بامر من الامام ابي جعفرالباقر(ع)، قال له : ((اجلس في مسجد المدينة و افت للناس ، فاني احب ان يرى في شيعتي مثلك ((990)) ((و هكذاروى الكشي عن الامام ابي عبد اللّه الصادق (ع) كان يقول له)) : جالس اهل المدينة ، فاني احب ان يروا في شيعتنا مثلك)) و قد استجاز الامام ان يفتيهم حسبما يرون ، قال : اني اقعد في المسجد، فيجيئني الناس فيسالوني ، فان لم اجبهم لم يقبلوا مني ، و اكره ان اجيبهم بقولكم و ما جا منكم فاجازه الامام ان يفتي للناس حسبما علم انه من قولهم قال : ((انظر ما علمت انه من قولهم فاخبرهم بذلك. ((991)) ((
قال الشيخ : و كان ابان بن تغلب قارئا فقيها لغويا نبيلا، و سمع العرب و حكى عنهم و صنف كتاب))الغريب في القرآن))، و ذكر شواهده من الشعر قال : فجا فيما بعد عبد الرحمان بن محمد الازدي الكوفي ، فجمع من كتاب ابان ، و محمد ابن السائب الكلبي ، و ابي روق ابن عطية بن الحرث , فجعله كتابا واحدا، فيما اختلفوا فيه و ماتفقوا عليه فتارة يجي كتاب ابان مفردا، و تارة يجي مشتركا، على ما عمله عبد الرحمان.
قال : و لابان ـ رحمة اللّه عليه ـ قراة مفردة و رفع اسناده الى محمد بن موسى بن ابي مريم صاحب اللؤلؤ، قال :سمعت ابان بن تغلب ، و ما احد اقرا منه ، يقرا القرآن من اوله الى آخره ، و ذكر القراة.
قال : و لابان كتاب الفضائل ـ ثم ذكر طريقه اليه ـ كما ان له اصلا قال : و مات ابان سنة (١٤١) في حياة الامام الصادق (ع) و لما بلغه نعيه ، قال : ((اما واللّه ، لقد اوجع قلبي موت ابان. ((992)) ((
و اخرج النجاشي باسناده الى الحسين بن سعيد بن ابي الجهم ، قال : حدثني ابي عن ابان بن تغلب ، في قوله تعالى : (مالك يوم الدين) و ذكر التفسير الى أخره قال : و لابان قراة مفردة مشهورة عند القرا و عن محمد بن موسى بن ابي مريم ، قال : سمعت ابان بن تغلب ، و ما رايت احدا اقرا منه قط، يقول)) : انما الهمزرياضة ((993)) ((و ذكر قراته الى آخرها قال : و له كتاب الفضائل ، و كتاب صفين ، و كتاب تفسير غريب القرآن.
قال ابراهيم النخعي : كان ابان (ره) مقدما في كل فن من العلم ، في القرآن ، والفقه ، و الحديث ، و الادب ، و اللغة ،و النحو.
و عن ابان بن محمد بن ابان بن تغلب ، قال : سمعت ابي يقول : دخلت مع ابي الى ابي عبد اللّه (ع) فلما بصر به امر بوسادة فالقيت له ، و صافحه و اعتنقه و

ساله و رحب به قال : و كان ابان اذاقدم المدينة تقوضت اليه الحلق و اخليت له سارية النبى (ص. ((994)) (
و عن عبد الرحمان بن الحجاج ، قال : كنا في مجلس ابان بن تغلب ، فجاه شاب فقال : يا ابا سعيد ,اخبرني كم شهد مع على بن ابي طالب (ع) من اصحاب النبى (ص)؟ فقال له ابان : كانك تريد ان تعرف فضل علي بمن تبعه من اصحاب رسول اللّه ؟ فقال الرجل : هو ذاك فقال : و اللّه ما عرفنا فضلهم الا باتباعهم اياه.
و قال ابان لابي البلاد: تدري من الشيعة ؟ الشيعة الذين اذا اختلف الناس عن رسول اللّه ، اخذوا بقول على و اذا اختلف الناس عن على ، اخذوا بقول جعفر بن محمد.
قال النجاشي : و جمع محمد بن عبد الرحمان بين كتاب التفسير لابان و بين كتاب ابي روق عطية بن الحرث و محمد بن السائب ، و جعلها كتابا واحدا.
وعن عبد اللّه بن خفقة ، قال : قال لي ابان بن تغلب : مررت بقوم يعيبون على روايتي عن جعفر كيف تلوموني في روايتي عن رجل ما سالته عن شي الا قال : قال رسول اللّه ((995)).
و عن سليم بن ابي حية ، قال : كنت عند ابي عبد اللّه ، فلما اردت ان افارقه ودعته ، و قلت : احب ان تزودني فقال : ائت ابان بن تغلب ، فانه قد سمع مني حديثا كثيرا، فما روى لك فاروه عني((996)) .
و قال ابن حجر: قال احمد، و يحيى ، و ابوحاتم ، و النسائي : ثقة و قال ابن عدي : له نسخ عامتها مستقيمة ، اذاروي عنه ثقة ، و هو من اهل الصدق في الروايات و ان كان مذهبه مذهب الشيعة ، و هو في الرواية صالح لاباس به قال ابن حجر: هذا قول منصف ، و قد تقدم ذكره.
وقال ابن عجلان : حدثنا ابان بن تغلب ، رجل من اهل العراق ، من النساك ، ثقة و مدحه ابن عيينة بالفصاحة والبيان قال ابو نعيم : و كان غاية من الغايات و قال العقيلي : سمعت ابا عبد اللّه يذكر عنه عقلا و ادبا و صحة حديث و قال ابن سعد: كان ثقة و ذكره ابن حبان في الثقات ((997)).
و قال الحافظ شمس الدين الداودي : صنف كتاب ((معاني القرآن)) لطيف ، ((القرات)) روى له مسلم والاربعة((998)) .

9ـ الحسن البصري

ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري كان ابوه مولى لزيد بن ثابت الانصاري ، من سبي ميسان (بليدة باسفل البصرة)، و امه خيرة مولاة ام سلمة زوج النبى (ص (و تربى في بيتها و يقال : ربما كانت تغذيه بلبنها باذن اللّه ـ عند ما تغيب امه و يقال : انه ولد على الرق ، ولد بالمدينة سنة (٢٢ (لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ونشا بوادي القرى (واد من اعمال المدينة على طريق الشام ، واقع بين تيما و خيبر) و توفي بالبصرة مستهل رجب سنة (١١٠. ((999)) (
كان الحسن جسيما وسيما((1000)) نابها فصيحا، و كان يشبه في الفصاحة و البيان برؤبة العجاج((1001)) و كان عالماجامعا، و فقيها مامونا((1002)) و عابدا ناسكا، حسب تعبير ابن سعد و غيره((1003)) .
كان اكثر ما يقوله عن علي (ع) من غير ان يصرح باسمه الشريف تقية ، او يكنى عنه بابي زينب ((1004)).
و قد اعتمد الائمة مراسيله ، لانه لا يرسل الا عن ثقة قال على بن المديني : مرسلات الحسن اذا روى عنه الثقات ، صحاح و قال ابو زرعة : كل شي يقول الحسن : قال رسول اللّه (ص)، وجدت له اصلا ثابتا.
قال يونس بن عبيد: سالت الحسن ، قلت : يا ابا سعيد، انك تقول : قال رسول اللّه (ص) و انك لم تدركه ؟ اني في زمان كما ترى ((1005)) ـ كل شي سمعتني اقول : قال رسول

اللّه (ص)فهو عن على بن ابي طالب (ع) غير اني في زمان لا استطيع ان اذكر عليا(ع (((1006)) .
قال الشريف المرتضى : و كان الحسن بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ، كثير العلم و جميع كلامه في المواعظ و ذم الدنيا، او جله ماخوذ ـ لفظا و معنى ، او معنى دون لفظ((1007)) ـ من كلام امير المؤمنين على بن ابي طالب (ع)، فهوالقدوة و الغاية ، فنقل عنه حكما و مواعظ جليلة.
ثم قال : و كان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية عن امير المؤمنين ، قال : قال ابو زينب ((1008)).
و قال الشيخ فريد الدين العطار النيسابوري : ((كان الحسن انما يوالي عليا امير المؤمنين ، و منه اخذ العلم ، و كان مرجعه في طريقة العرفان. ((1009)) ((
و لابان بن ابي عياش كلام بشان الحسن ، يدل على مغالاته في ولائه للامام اميرالمؤمنين (ع) قال : لما اودعه سليم بن قيس الهلالي كتابه و اوصاه ان لا يريح غير الخواص من الشيعة ـ : فكان اول من لقيت بعد قدومي البصرة الحسن بن ابي الحسن البصري ، و هو يومئذ متوار من الحجاج و الحسن يومئذمن شيعة على بن ابي طالب ـ صلوات اللّه عليه ـ و من مفرطيهم ، نادم متلهف على ما فاته من نصرة علي والقتال معه فخلوت به في شرقي دار ابي خليفة الحجاج بن ابي عتاب الديلمي ، فعرضته عليه ، فبكى ثم قال : مافي حديثه شي الا حق ، قد سمعته من الثقات من شيعة علي ـ صلوات اللّه عليه ـ و غيرهم((1010)) .
قلت : كان اخذه عن علي (ع) بواسطة الثقات من اصحابه ، و ليس مباشرة و بغير واسطة ، لانه لم يدرك عليا في المدينة بما يمكنه الاخذ عنه ، لحداثة سنه حينذاك ، و لم يلق عليا بعد ان خرج الامام الى العراق ، كما سنوضح.
و الذي انتقصوا به الحسن امران : انه كان يدلس ، و كان منحرفا عن علي (ع) في بد امره و ان كان قد تندم بعدذلك و شي ثالث : انه كان قدريا، و يقول : ((من كذب بالقدر فقد كفر)) و لننظر في كل هذه التهم و مبلغ اعتبار كل واحدة منها:
اما التدليس ، فقال ابن حجر: و كان يرسل كثيرا و يدلس قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم ،فيتجوز و يقول : حدثنا و خطبنا، يعني قومه الذين حدثوا و خطبوا بالبصرة ((1011)).
و سئل ابو زرعة : هل سمع الحسن احدا من البدريين ؟ قال : رآهم رؤية ، راى عثمان و عليا قيل : هل سمع منهماحديثا؟ قال : لا، راى عليا بالمدينة , و خرج على الى الكوفة و البصرة ، و لم يلقه الحسن بعد ذلك و قال على بن المديني : لم ير عليا الا ان كان بالمدينة و هو غلام ، و لم يسمع من جابر بن عبد اللّه ، و لا من ابي سعيد الخدري ،و لم يسمع من ابن عباس ، و ما رآه قط، كان الحسن بالمدينة ايام كان ابن عباس بالبصرة و اما قوله)) : خطبنا ابن عباس بالبصرة))، فانما اراد: خطب اهل البصرة كقول ثابت)) : قدم علينا فلان)) اي قدم بلدنا و اهلنا و قال ابن المديني : و لم يسمع من ابي موسى ، و قال ابو حاتم و ابو زرعة : لم يره قال ابن المديني : روي عن الحسن ان سراقة حدثهم قال : و هذا اسناد ينبو عنه القلب ان يكون الحسن سمع من سراقة ، الا ان يكون معنى حدثهم :حدث الناس ، قال : فهذا اشبه و هكذا قال الترمذي : لم يثبت له سماع من علي (ع. ((1012)) (
و قد تقدم الجواب عن ذلك ، و انه كان لا يرسل الا عن ثقة ، و لذلك قال ابن المديني و ابو زرعة و غيرهما:مرسلات الحسن صحاح ، و ان لها اصلا ثابتا وجده الاعلام((1013)) .
و كان الرجل في محذور عن تسمية الرجال ، و لا سيما اذا كان عن الامام امير المؤمنين علي (ع (او احداصحابه المعروفين.
قال الطبري : كان الحسن فقيها فاضلا، لا يشك في حديثه فيما روى ، و كان كثير المراسيل و كثير الرواية عن قوم مجاهيل ، و عن صحف قد وقعت اليه لقوم اخذها منهم و روي عن مساور، قال : قلت للحسن : عمن تحدث هذه الاحاديث ؟ قال : عن كتاب عندنا سمعته من رجل.

قال المحقق التستري ـ تعليقا على هذا الكلام ـ : و لعله اشارة الى كتاب سليم ابن قيس الهلالي الذي وقع بيده و سمعه من ابان بن ابي عياش ، على ما اسلفنا.
و قال ـ اخيرا ـ : و الرجل ـ كما رايت ـ مختلف فيه ، الا ان الاحسن حسنه و تقواه و تقيته((1014)) .
و اما تهمة الانحراف فمستندها حكايات هي اشبه بالاوهام:
من ذلك ما ارسله صاحب كتاب الاحتجاج : ان عليا(ع) مر ـ بعد واقعة الجمل ـ بالحسن البصري و هويتوضافقال : يا حسن اسبغ الوضؤ، فقال : يا امير المؤمنين ، لقد قتلت بالامس اناسا يشهدون الشهادتين ويصلون الخمس و يسبغون الوضؤ عدونا؟ فقال : لقد خرجت ، وانا لا اشك ان التخلف عن ام المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت الى موضع من الخريبة (موضع وقع قتال الجمل فيه) ناداني مناد: ارجع يا حسن ، فان القاتل و المقتول في النار فقال علي : صدقك ذاك اخوك ابليس ، ان القاتل و المقتول منهم في النار((1015)) .
و هكذا ارسل القطب الراوندي : ان عليا(ع) قال له : اسبغ طهورك يا لفتي((1016)) , فقال : لقد قتلت بالامس رجالاكانوا يسبغون الوضؤ حزنك قالوا: فما راينا الحسن قط الا حزينا، كانه يرجع عن دفن حميم ، او خربندج ضل حماره فقيل له في ذلك ، فقال : عمل في دعوة الرجل الصالح ((1017)).
و ذكر ابن ابي الحديد فيمن كان يبغض عليا(ع) الحسن البصري ، قال : روى عنه حماد انه قال : لو كان علي ياكل الحشف ((1018)) بالمدينة لكان خيرا له مما دخل فيه و رووا عنه انه كان من المخذلين عن نصرته و روي عنه ان عليا(ع) رآه و هو يتوضا ـ و كان ذا وسوسة ـ فصب على اعضائه ما كثيرا، فقال له : ارقت ما كثيرا ياحسن ، فقال : ما اراق امير المؤمنين من دما المسلمين اكثر ان مات ((1019)).
هذا كل ما قيل بشانه دليلا على انحرافه عن الامام امير المؤمنين (ع)، لكنها روايات لا اسناد لها ,فضلا عما بينهامن تهافت و تضارب ، و قد انكرها ابن ابي الحديد بشدة على ما سنذكر.
قلت : و لحسن الحظ ان واضع هذه الروايات قد ذهب عنه ان الحسن ـ و هو غلام يافع ـ لم يكن له شان ذلك اليوم ، و لم يكن حاضر البصرة يوم الجمل ، و لم يخرج الى العراق بعد، الا في ايام طعن في السن و كبر، ايام عبدالملك بن مروان و ما بعده كما يظهر من رواية الوراق : كان جابر بن زيد رجل اهل البصرة ، فلما ظهر الحسن جارجل كانما كان في الاخرة ((1020)) و جابر بن زيد توفي سنة (٩٣ او ١٠٣).
كان الحسن عند مقتل عثمان لم يبلغ الحلم قال ابن سعد: كان للحسن يومذاك اربع عشرة سنة قال ابو رجا:قلت للحسن : متى عهدك بالمدينة ؟ قال : ليالي صفين قلت : متى احتلمت ؟ قال : بعد صفين عاما((1021)) و قال ابن حبان : احتلم سنة (٣٧)، و ادرك بعد صفين((1022)) .
و عليه فكان يوم الجمل غلاما حوالي البلوغ ما بين (١٤ ـ ١٥) سنة ، فضلا عن كونه بالمدينة حينذاك و لم يخرج الى العراق و قد عرفت تصريح العلما بذلك ((1023)).
و اليك من كلام ابن ابي الحديد في ذلك:
قال : فاما اصحابنا فانهم يدفعون ذلك عنه و ينكرونه ، و يقولون : انه كان من محبي على بن ابي طالب (ع) والمعظمين له و روى ابو عمرو ابن عبد البر في كتابه ((الاستيعاب)) ان انسانا سال الحسن عن علي (ع)، فقال :كان و اللّه سهما صائبا من مرامي اللّه على عدوه ، و ربانى هذه الامة و ذا فضلها، و ذا سابقتها، و ذا قرابتها من رسول اللّه (ص) لم يكن بالنؤمة عن امر اللّه ، و لا بالملومة في دين اللّه ، و لا بالسروقة لمال اللّه اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ، ذلك على بن ابي طالب ، يا لكع ((1024)).
و روى الواقدي ، قال : سئل الحسن عن علي (ع)، و كان يظن به الانحراف عنه ، و لم يكن كما يظن , فقال : ماقول فيمن جمع الخصال الاربع : ائتمانه على براة ، و ما قال له الرسول في غزاة تبوك : فلو كان غير النبوة شي يفوته لاستثناه ، و قول النبى (ص): ((الثقلان كتاب

اللّه و عترتي))، و انه لم يؤمر عليه امير قط، و قد امرت الامراعلى غيره.
و روى ابان بن ابي عياش ، قال : سالت الحسن البصري عن علي (ع)، فقال : ما اقول فيه السابقة ، والفضل ، و العلم ، و الحكمة ، و الفقه ، و الراي , و الصحبة ، و النجدة ، و البلا، و الزهد، و القضا، و القرابة ان علياكان في امره عليا رحم اللّه عليا، و صلى عليه.
فقلت : يا ابا سعيد، اتقول : ((صلى عليه)) لغير النبى على النبى وآله ، و علي خير آله.
فقلت : اهو خير من حمزة و جعفر؟ قال : نعم قلت : و خير من فاطمة و ابنيها؟ قال : نعم و اللّه انه خير آل محمدكلهم و من يشك انه خير منهم ، و قد قال رسول اللّه (ص): ((و ابوهما خير منهما)) ((زوجتك خير امتي)) اصحابه ، فخى بين على و نفسه فرسول اللّه (ص) خير الناس نفسا، و خيرهم اخا.
فقلت : يا ابا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك ، انك قلته في على ؟ فقال : يا ابن اخي ،احقن دمي من هؤلا الجبابرة ، و لولا ذلك لشالت بي الخشب ((1025)).
و ذكر ابو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩) ان الحجاج بن يوسف كتب الى الحسن البصري و الى واصل بن عطا و عمرو بن عبيد و عامر الشعبي ، ان يخبروه بقولهم في القضا و القدر.
فكتب اليه الحسن : ((ما اعرف فيه الا ما قاله على بن ابي طالب (ع) فانه قال : يا ابن آدم ازعمت ان الذي نهاك دهاك ، و انما دهاك اسفلك و اعلاك و ربك بري من ذاك.((
و كتب اليه واصل : ((ما اعرف فيه الا ما قاله على بن ابي طالب (ع) فانه قال : ما تحمد اللّه عليه فهو منه و ماتستغفر اللّه عنه فهو منك.((
و كتب اليه عمرو: ((ما اعرف فيه الا ما قاله على بن ابي طالب (ع) فانه قال : ان كان الوزر في الاصل محتوما،لكان الموزور في القصاص مظلوما.((
و كتب اليه الشعبي : ((ما اعرف فيه الا ما قاله على بن ابي طالب (ع): من وسع عليك الطريق ، لم ياخذ عليك المضيق.((
فلما قرا الحجاج اجوبتهم ، قال : قاتلهم اللّه ، لقد اخذوها من عين صافية((1026)) .
و قال الشريف المرتضى : و احد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل ، الحسن بن ابي الحسن البصري كان يقول : من زعم ان المعاصي من اللّه ـ عز و جل ـ جا يوم القيامة مسودا وجهه ، ثم قرا) :و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على اللّه وجوههم مسودة ((1027)) (ـ و ذكر عنه كثيرا من اقواله في ذلك ـ ثم قال : و روى ابو بكر الهذلي((1028)) ان رجلا قال للحسن : ان الشيعة تزعم انك تبغض عليا(ع) مرامي ربنا ـ عز و جل ـ على عدوه ، رباني هذه الامة ، ذو شرفها وفضلها، و ذو قرابة من النبى (ص) قريبة ، لم يكن بالنؤمة عن امر اللّه ، و لا بالغافل عن حق اللّه ، و لا بالسروقة من مال اللّه ، اعطى القرآن عزائمه فيما له و عليه ، فاشرف منها على رياض مونقة ، و اعلام بينة ذلك ابن ابي طالب ، يا لكع قال : و اتى على بن الحسين (ع) يوما الحسن البصري ، و هو يقص عند الحجر، فقال : اترضي يا حسن نفسك للموت ؟ قال : لا، قال : فعملك للحساب ؟ قال : لا، قال : فثم دار للعمل غير هذه الدار؟ قال : لا، قال : فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت ؟ قال : لا، قال : فلم تشغل الناس عن التطواف ؟((1029)) .
و رواه ابن خلكان بتبديل لفظ ((يا حسن)) بـ ((يا شيخ))، و عقبه : فما قص الحسن بعدها((1030)) .
و ذكر ابو محمد الحسن بن علي ابن شعبة الحراني (من اعلام القرن الرابع) كتابا للحسن البصري ، بعث به الى الامام السبط الاكبر الحسن بن علي (ع) يساله عن رايه في القدر و الاستطاعة ، و في مفتتح الكتاب ما ينبئ عن ولا صميم و عقيدة ثابتة كان يحملها لال بيت الرسول (ص) جا فيه:
))اما بعد فانكم ـ معشر بني هاشم ـ الفلك الجارية في اللجج الغامرة ، و الاعلام النيرة الشاهرة ، او كسفينة نوح التي نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون.
كتبت اليك يا ابن رسول اللّه عند اختلافنا في القدر، و حيرتنا في الاستطاعة فاخبرنا بالذي عليه رايك و راي آبائك (ع) فان من علم اللّه علمكم ، و انتم شهدا على الناس ، و اللّه

الشاهد عليكم ، ذرية بعضها من بعض ، واللّه سميع عليم((1031)) .
و روى الصدوق باسناده في اماليه عن ابي مسلم ، قال : خرجت مع الحسن البصري و انس بن مالك حتى اتيناباب ام سلمة فقعد انس على الباب و دخلت مع الحسن ، فسمعت الحسن و هو يقول:
السلام عليك يا اماه و رحمة اللّه و بركاته فقالت : و عليك السلام ، من انت يا بنى ؟.
فقال الحسن : انا الحسن البصري.
فقالت : فيما جئت يا حسن فقال لها: جئت لتحدثيني بحديث سمعتيه من رسول اللّه (ص) في على بن ابي طالب (ع.(
فقالت ام سلمة : واللّه لاحدثنك بحديث سمعته اذناي من رسول اللّه (ص) و الا فصمتا، و راته عيناي والافعميتا، و وعاه قلبي و الا فطبع اللّه عليه ، و اخرس لساني ان لم يكن سمعت رسول اللّه (ص) يقول لعلى بن ابي طالب (ع:(
))يا علي ، ما من عبد لقي اللّه يوم يلقاه جاحدا لولايتك الا لقي اللّه بعبادة صنم او وثن.((
قال ابو مسلم : فسمعت الحسن البصري و هو يقول : اللّه اكبر، اشهد ان عليا مولاي و مولى المؤمنين .
فلما خرج قال له انس بن مالك : ما لي اراك تكبر؟ من رسول اللّه (ص) في على ، فقالت لي : كذا و كذا فقلت : اللّه اكبر اشهد ان عليا مولاي و مولى كل مؤمن.
قال ابومسلم : فسمعت عند ذاك انس بن مالك و هو يقول : اشهد على رسول اللّه (ص) انه قال هذه المقالة ثلاث مرات او اربع مرات ((1032)).
و اما القول بالقدر، ـ حسبما يفسره اهل العدل ـ ((1033)) فقد عرفت من السيد نسبته اليه ، قال)) : و احد من تظاهرمن المتقدمين بالقول بالعدل الحسن البصري ، قال : كل شي بقضا اللّه و قدره الا المعاصي. ((1034)) ((
و لكن الاشاعرة ـ و هم جمهور اهل السنة ـ لم يرقهم ذلك بشان مثل الحسن البصري الامام المعترف به لدى الجميع ، فجعلوا يتاولون كلامه في ذلك او يحملونه على رايه القديم ، و قد تاب منه و رجع الى راي الجماعة ،كما زعموا.
قال ابو عبد اللّه الذهبي : و اما مسالة ((القدر)) فصح عنه الرجوع عنها، و انها كانت زلقة لسان((1035)) .
و روى ابن سعد عن حماد بن زيد عن ايوب ، قال : نازلت الحسن في القدر غير مرة ، حتى خوفته السلطان ،فقال : لا اعود فيه بعد اليوم و عن ابي هلال ، قال : سمعت حميدا و ايوب يتكلمان ، فسمعت حميدا يقول لايوب :لوددت انه قسم علينا غرم ، و ان الحسن لم يتكلم بالذي تكلم به ، قال ايوب : يعني في القدر((1036)) .
قال عبد الكريم الشهرستاني : و رايت رسالة نسبت الى الحسن البصري كتبها الى عبدالملك بن مروان((1037)) و قد ساله عن القول بالقدر و الجبر، فاجابه فيها بما يوافق مذهب القدرية و استدل فيها بيات من الكتاب و دلائل من العقل قال : و لعلها لواصل بن عطا، فما كان الحسن ممن يخالف السلف في ان القدر خيره و شره من اللّه تعالى فان هذه الكلمات كالمجمع عليها عندهم قال : والعجب انه حمل هذا اللفظ (الخير و الشر كله من اللّه) الوارد في الخبر، على البلا و العافية ، و الشدة و الرخا،و المرض و الشفا، و الموت و الحياة ، الى غير ذلك من افعال اللّه تعالى ، دون الخير و الشر ,و الحسن و القبيح ،الصادرين من اكتساب العباد، و كذلك اورده جماعة من المعتزلة في المقالات عن اصحابهم((1038)) .
و للحسن البصري آرا معروفة في التفسير، و كانت روايته المشهورة عن طريق عمرو بن عبيد المعتزلي (توفي سنة ١٤٤)، و استخدمه الثعلبي في كتابه ((الكشف و البيان)) و توجد منه بقايا في تاريخ الطبري بهذه الرواية :((حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة عن ابن اسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن)) قال شواخ : و يبدو ان الطبري كان يستخدم نقول ابن اسحاق ، كما قال فؤاد سزكين و توجد بقايا كثيرة من هذا الكتاب في كتب التفسير((1039)) .
و له ايضا ((نزول القرآن)) و كتاب ((العدد في القرآن))، على ما ذكره الشيخ حسن

خالد((1040)) .

10ـ علقمة بن قيس

ابو شبل او ابو شبيل النخعي الكوفي ، كناه بذلك عبد اللّه بن مسعود، اذ كان علقمة عقيما لا يولد له ولد في حياة النبى (ص)، روى عن علي (ع) و ابن مسعود ـ و كان خصيصا به ـ و حذيفة و ابي الدردا و سلمان (رضي اللّه عنهم) و روى عنه ابن اخيه الاسود بن يزيد بن قيس ، و ابن اخته ابراهيم بن يزيد النخعي ، و ابراهيم بن سويدالنخعي ، و عامر الشعبي ، و ابو وائل شقيق بن سلمة.

و شهد صفين مع علي (ع)، و قاتل حتى خضب سيفه دما، و عرجت رجله ، و اصيب اخوه ابى بن قيس و كان يقال له : ابي الصلاة ، قيل له ذلك لكثرة صلاته.

قال نصر بن مزاحم : و قطعت رجل علقمة بن قيس الفقيه ، فكان يقول : ما احب ، ان رجلي اصح ما كانت ، لماارجو بها من حسن الثواب من ربي و لقد كنت احب ان ابصر في نومي اخي و بعض اخواني ، فرايت اخي في النوم ، فقلت له : يا اخي ، ماذا قدمتم عليه ؟ فقال : التقينا نحن و القوم فاحتججنا عنداللّه عز و جل فحججناهم فماسررت بشي مذ عقلت ، كسروري بتلك الرؤيا((1041)) .

قال الخطيب : و كان علقمة مقدما في الفقه و الحديث ، و ورد المدائن في صحبة علي (ع)، و شهد معه حرب الخوارج بالنهروان و عن الاعمش عن مسلم البطين ، قال : رؤي علقمة خاضبا سيفه يوم النهروان مع علي (ع)، كما شهد صفين ايضا مع علي (ع. ((1042)) (

و غزا خراسان و اقام بخوارزم سنتين ، و دخل مرو فاقام بها مدة قال ابن سعد: كانت سنتين ايضا.

كان علقمة اعلم الناس بعبد اللّه بن مسعود، و كان احد الستة من اصحاب عبد اللّه الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة ، و يصدر الناس عن رايهم((1043)) و كان اشبه الناس بابن مسعود، هديا و سمتا و دلا قال ابو المثنى رياح : اذا رايت علقمة فلا يضرك ان لا ترى عبد اللّه ، اشبه الناس به سمتا و هديا و اذا رايت ابراهيم فلا يضرك ان لا ترى علقمة و كان من الربانيين ، على حد تعبيرهم .

و كان ابن مسعود تعجبه قراة علقمة ، كان حسن الصوت فكان يقول له : زدنا فداك ابي و امي ، فاني سمعت رسول اللّه (ص) يقول : حسن الصوت زينة للقرآن و كان يقول : رتل فداك ابي و امي عبد اللّه يقول : ماقرا شيئا و لا اعلمه الا علقمة يقرؤه و يعلمه قال الشعبي : ان كان اهل بيت خلقوا للجنة فهم اهل هذا البيت علقمة و الاسود.

كان علقمة قوي الحافظة ، قال : ما حفظت و انا شاب فكانما اقراه في ورقة.

و كان يتحاشا فضول الامرا و السلاطين كان يقول : لا اصيب من دنياهم شيئا الااصابوا من ديني افضل منه.

اخرج ابن سعد باسناده الى ابراهيم النخعي : ان ابا بردة (ابن ابي موسى الاشعري)كتب علقمة في الوفد الى معاوية فكتب اليه علقمة : امحني ، امحني و لما جمعت لابن زياد البصرة و الكوفة ،سال ابا وائل ان يصحبه ، قال فاتيت علقمة ، فقال لي : اعلم انك لا تصيب منهم شيئا الا اصابوا منك افضل منه.

كان يقول : تذاكروا العلم ، فان حياته ذكره و كان ثقة كثير الحديث ، مجمعا على وثاقته.

و من حسن معاشرته مع اهله انه كان يقول لامراته : اطعمينا من ذلك الهني المري ،اشارة الى قوله تعالى : (فان طبن لكم عن شى منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا. ((1044)) (

توفي بالكوفة سنة (٦٢) في ولاية عبيد اللّه بن زياد في خلافة يزيد((1045)) .

و عده الشيخ في رجاله من اصحاب الامام امير المؤمنين (ع ((1046)) (قال الكشي : و كان علقمة فقيها في دينه ،قارئا لكتاب اللّه ، عالما بالفرائض شهد صفين و اصيبت احدى رجليه فعرج منها و كان الحارث اخوه ايضافقيها جليلا، و كان اعور و اما اخوه الاخر ابي بن قيس فقتل يوم صفين((1047)) .

كان علقمة بن قيس من الثقات العشرة الذين خصوا بالامام امير المؤمنين (ع)، فقد روى ثقة

الاسلام الكليني في كتاب الرسائل عن على بن ابراهيم القمي باسناده ، قال : كتب امير المؤمنين (ع) كتابا بعد منصرفه من النهروان ، اعرب فيه عن موضعه في امرة المؤمنين و اشهد عليه ثقاته من اصحابه المقربين ، و امر كاتبه عبيد اللّه بن ابي رافع ان يقراه على ملا من الناس.
قال : فدعا كاتبه عبيد اللّه بن ابي رافع ـ و كان ابو رافع كاتب رسول اللّه (ص) ـ فقال له : ادخل علي عشرة من ثقاتي ، فقال : سمهم لي يا امير المؤمنين ، فقال : ادخل : اصبغ بن نباتة ، و ابا الطفيل عامر بن واثلة الكناني ، و زر بن حبيش الاسدي ، و جويرية بن مسهر العبدي ، و خندف بن زهير الاسدي , و حارثة بن مضرب الهمداني ، والحارث بن عبد اللّه الاعور الهمداني ، (و مصباح النخعي ((١٠٤٨))) و علقمة بن قيس ، و كميل بن زياد، و عمير بن زرارة ، فدخلوا عليه الخ((1049)) .
و عد ه الفضل بن شاذان من التابعين الكبار و من رؤسائهم و زهادهم روى الكشي عنه قال : و من التابعين الكبار و رؤسائهم و زهادهم : جندب بن زهير، و عبد اللّه بن بديلة ، و حجر بن عدي ، و سليمان بن صرد، والمسيب بن نجية ، و علقمة ، و الاشتر، و سعيد بن قيس ، و اشباههم كثير افناهم الحرب ، ثم كثروا بعد ذلك حتى قتلوا مع الحسين (ع)، و بعده ((1050)).

11ـ محمد بن كعب القرظي .

محمد بن كعب القرظي((1051)) . ابو حمزة ، و قيل : ابو عبد اللّه ، المدني سكن الكوفة ثم المدينة و قال في الخلاصة : المدني ثم الكوفي احدالعلما قال ابن عون : ما رايت احدا اعلم بتاويل القرآن من القرظي((1052)) و قال ابن سعد ـ في ترجمة ابي بردة ـ: روى عن النبى (ص) قال : سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها احد بعده قال ربيعة :فكنا نقول : هو محمد بن كعب القرظي ، و الكاهنان قريظة و النضير((1053)) .
قال ابن حجر: روى عن على بن ابي طالب (ع)، و عبد اللّه بن مسعود، و ابي ذر، و ابي الدردا، و زيد بن ارقم ، وعبد اللّه بن عباس ، و عبد اللّه بن جعفر ابن ابي طالب ، و البرا بن عازب ، و جابر بن عبد اللّه ، و انس و غيرهم وعن ابن سعد: كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا و قال العجلي : مدني تابعي ثقة ، رجل صالح ، عالم بالقرآن و قال ابن حبان : كان من افاضل اهل المدينة ، علما و فقها.
توفي سنة (١٠٨) و هو ابن (٧٨) قيل : مات في حادث سقوط سقف المسجد، فمات هو و جماعة معه تحت الهدم((1054)) .
ملحوظة : قال الترمذي : سمعت قتيبة يقول : بلغني ان محمد بن كعب ولد في حياة النبى (ص) قال ابن حجر:و هذا لا حقيقة له ، انما الذي ولد في عهده هو ابوه اما هو فقد ولد في آخر خلافة علي (ع (سنة (٤٠. ((1055)) (
قلت : روايته عن علي و ابن مسعود و ابي ذر و امثالهم تدل على سبق ولادته سنة (٤٠) بكثير، و لا سيما مع التصريح بانه مات سنة (١٠٨) و هو ابن (٧٨) فيبدو ان ولادته كانت في خلافة عمرسنة (٢٠.(
و ايضا روى ابن شهر آشوب باسناده الى محمد بن منصور السرخسي عن محمد بن كعب القرظي , انه راى رسول اللّه (ص) في المنام ، و اعطاه (١٨) تمرة ، فتاول انه يعيش (١٨) سنة فنسي ذلك ،حتى راى يوما ازدحام الناس على الامام على بن موسى الرضا(ع) و هو في طريقه الى خراسان ، و بين يديه طبق تمر، فناوله الامام (١٨) تمرة فساله الزيادة ، فقال : لو زادك جدي رسول اللّه (ص) لزدناك انتهى ملخصا((1056)) .
قلت : و لعل هذه القصة منسوبة الى ابنه حمزة او عبد اللّه او احد احفاده ، لان سفرة الامام الى خراسان كانت في سنة (٢٠٠. ((1057)) (
نعم روى الصدوق (ره) هذه الرواية ناسبا لها الى ابي حبيب النباجي((1058)) .

12ـ ابو عبد الرحمان السلمي

هو عبد اللّه بن حبيب الكوفي كان من اصحاب ابن مسعود، و شهد مع على (ع)صفين كان

ثقة كثير الحديث قال ابن عبد البر: هو عند جميعهم ثقة ، و كان قارئا و معلما للقرآن ((1059)) و كان عاصم قد اخذ عنه القراة عن علي (ع).
و اخرج ابن عساكر باسناده الى ابي بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود عن ابي عبد الرحمان السلمي قال : ((ما رايت احدا اقرا لكتاب اللّه من على بن ابي طالب (ع ((1060)) (.
و قد ذكرنا حديثه عن تعلم الصحابة لتفسير القرآن عن النبى (ص ((1061)) (توفي سنة (٧٢).

13ـ مسروق بن الاجدع

ابوعائشة الهمداني الوادعي الكوفي ، الفقيه العابد اخذ العلم عن على بن ابي طالب (ع (و لم يتخلف عن حروبه وهكذا روى عن ابن مسعود، و كان خصيصا بالتلمذة لديه و روى عن معاذ بن جبل ، و الخباب بن الارت ، و ابى بن كعب كان ابوه الاجدع بن مالك افرس فارس باليمن ، و كان عمرو بن معديكرب خاله.
قال الشعبي : ما رايت اطلب للعلم منه و كان اعلم بالفتوى من شريح ، و من ثم كان شريح يستشيره اذا اعوزه الراي.
قال على بن المديني : ما اقدم على مسروق من اصحاب عبد اللّه بن مسعود احدا و كان من اصحابه الذين يعلمون الناس السنة كان مقرئا و مفتيا معا قال ابن حجر: مناقبه كثيرة, ((1062))مات سنة .(63)
و كان على غزارة من العلم ، حريصا على الاخذ من كبار العلما من صحابة الرسول (ص) و قد تقدم حديث اجتماعه مع اصحاب محمد(ص) فوجدهم كالاخاذ، يروي الواحد الرجل ، ويروي الرجلين ، و العشرة ، و المائة و الاخاذ لو نزل به اهل الارض لاصدرهم((1063) , يعني عليا(ع).
و اتهم بالانحراف عن الامام امير المؤمنين (ع)، و لابن ابي الحديد بشانه و شان الاسود بن يزيد الاتي ، و كذامرة الهمداني و الشعبي كلام ننقله بتفصيله:
قال : ذكر شيخنا ابوجعفر الاسكافي (ره) و وجدته ايضا في كتاب ((الغارات)) لابراهيم بن هلال الثقفي : و قد كان بالكوفة من فقهائها من يعادي عليا(ع) و يبغضه ، مع غلبة التشيع على الكوفة.
فمنهم مرة الهمداني روى ابو نعيم الفضل بن دكين عن فطر بن خليفة ، قال : سمعت مرة يقول : لان يكون علي جملا يستقي عليه اهله خير له مما كان عليه و عن عمرو بن مرة ، قال : قيل لمرة : كيف تخلفت عن علي ؟ قال : سبقنا بحسناته ، و ابتلينا بسيئاته.
و روى ابن دكين عن الحسن بن صالح ، قال : لم يصل ابو صادق((1064) على مرة الهمداني و قال ـ في ايام حياته ـ: و اللّه لا يظلني و اياه سقف بيت ابدا قال : و لما مات لم يحضره عمرو بن شرحبيل((1065) , قال : لا احضره لشي كان في قلبه على على بن ابي طالب قال ابراهيم بن هلال : فحدثنا المسعودي عن عبد اللّه بن نمير بهذاالحديث قال : ثم كان عبد اللّه بن نمير((1066) يقول : و كذلك انا، و اللّه لو مات رجل في نفسه شي على علي (ع)لم احضره ، و لم اصل عليه.
قال : و منهم الاسود بن يزيد، و مسروق بن الاجدع روى سلمة بن كهيل : انهما كانا يمشيان الى بعض ازواج النبى (ص) فيقعان في علي (ع) فاما الاسود فمات على ذلك و اما مسروق فلم يمت حتى كان لا يصلي للّه تعالى صلاة الا صلى بعدها على على بن ابي طالب (ع)، لحديث سمعه من عائشة في فضله((1067) .
عن ليث بن ابي سليم ، قال : كان مسروق يقول : كان على كحاطب ليل قال : فلم يمت مسروق حتى رجع عن رايه هذا.
و روى سلمة بن كهيل ، قال : دخلت انا و زبيد اليمامي على امراة مسروق بعد موته ،فحدثتنا، قالت : كان مسروق و الاسود بن يزيد يفرطان في سب على بن ابي طالب ، ثم ما مات مسروق حتى سمعته يصلي عليه و اما الاسود فمضى لشانه قال : فسالناها: لم

ذلك ؟ قالت : شي سمعه من عائشة ، ترويه عن النبى (ص) فيمن اصاب الخوارج.
و عن ابي اسحاق ، قال : ثلاثة لا يؤمنون على على بن ابي طالب (ع): مسروق ، و مرة ، و شريح ، و روى ان الشعبي رابعهم.
و عن الشعبي : ان مسروقا ندم على ابطائه عن على بن ابي طالب (ع. ((1068)) (
و روى الكشي عن ابي الحسن على بن محمد بن قتيبة صاحب الفضل بن شاذان ، و تلميذه و راوية كتبه ، قال :سئل ابو محمد الفضل بن شاذان عن الزهاد الثمانية ، فعد منهم اربعة كانوا مع علي (ع (زهادا اتقيا، و هم : الربيع بن خثيم ، و هرم بن حيان ، و اويس القرني ، و عامر بن عبد قيس و الاربعة الباقون لم يكونوا على تلك الصفة ،احدهم مسروق بن الاجدع ، قال : و كان عشارا لمعاوية و مات في عمله ذلك ، بموضع اسفل من واسط على دجلة ، يقال له : الرصافة ، و قبره هناك ((1069)).
و روى الطبري الامامي ـ في المسترشد ـ : ان مسروقا و مرة الهمداني رغبا عن الخروج مع علي (ع) و اخذااعطياتهما منه ، و خرجا الى قزوين و كان مسروق يلي الخيل لعبيد اللّه بن زياد و مات عاشرا، و اوصى ان يدفن مع مقابر اليهود و كان يعلل ذلك بانه سوف يخرج من قبره و ليس من يؤمن باللّه و رسوله سواه قال : وكان من المحرضين لنصرة عثمان ، و يقول لاهل الكوفة : انهضوا الى خليفتكم و عصمة امركم((1070)) .
و روى الثعلبي ـ في تفسيره ـ انه وقف ـ في صفين ـ بين الصفين ، و تلا قوله تعالى : (و لا تقتلوا انفسكم ان اللّه كان بكم رحيما. ((1071)) (
هذا كل ما ذكر بشان الرجل و القدح فيه ، و لننظر مدى صحته:
اما مسالة ابطائه عن علي ـ على ما روي عن الشعبي((1072)) ـ او تخلفه عن صفين ((1073)) ـ على ما ذكره الطبري الامامي ـ فتتنافى مع نص اصحاب التراجم و غيرهم ، على انه شهد مشاهده كلها، قال ابن حجر العسقلاني : قال وكيع((1074)) وغيره : ((لم يتخلف مسروق عن حروب علي (ع . ((1075)) (((

و اخرج ابن سعد باسناده عن محمد بن المنتشر عن مسروق بن الاجدع ، قال : كان فسطاطي ايام الحكمين الى جنب فسطاط ابي موسى الاشعري ، فاصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من الليل فلما اصبح ابو موسى رفع رفرف فسطاطه ، فقال : يا مسروق ، ان الامرة ما اؤتمرفيها، و ان الملك ما غلب عليه بالسيف ((1076)).
قال الخطيب : و كان مسروق ممن حضر مع علي (ع) حرب الخوارج بالنهروان و اخرج باسناده عن ابن ابي ليلى ، قال : شهد مسروق النهر مع علي ، فلما قتلهم قام علي و في يده قدوم فضرب بابا، و قال : صدق اللّه ورسوله((1077)) .
قلت : هذا الذي روى عن الشعبي ، لعله كسائر ما روي عنه انه لم يشهد الجمل من الصحابة سوى علي و عمارو طلحة و الزبير قالوا ـ ان صحت الرواية ـ : فهذا من افحش كذبه((1078)) , و الظاهر انه مكذوب عليه ، لانه هوالقائل عن تثاقل اهل المدينة للخروج مع علي (ع) في واقعة الجمل : ما نهض في تلك الفتنة الا ستة بدريون ،منهم : ابو الهيثم ابن التيهان ، و خزيمة بن الثابت ذوالشهادتين و غيرهما ((1079)).
و اما ما ذكروه من انه وقف بين الصفين في صفين ، و جعل يثبط الناس عن امير المؤمنين (ع) و تلا قوله تعالى :(يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان اللّه كان بكم رحيما (
, ((1080))ففيه مواضع من الخلط و الاشتباه:
اولا: ان هذا متناف مع قولهم : انه تخلف عن حرب صفين ، في نفر من اهل الكوفة ، و خرج الى قزوين يرافقه مرة الهمداني((1081)) و الارجح ـ ان صح الخبر ـ انه مسروق العكي ، كانت له رؤية ، و كان مع معاوية يحرضه على عدم

الطاعة لعلي (ع. ((1082)) (
و ثانيا: هذا من كلام ابي موسى الاشعري لاهل الكوفة ، كان يثبطهم عن النهوض مع الامام امير المؤمنين (ع)عند ما اتاهم رسل الامام لينهضوا بهم الى حرب الجمل و قد ذكره الطبري في حوادث سنة (٣٦)فكان فيما قال :ايها الناس ، انها فتنة صما، النائم فيها خير من اليقظان ، و القاعد فيها خير من القائم فاغمدوا السيوف ، و انصلواالاسنة و قد جعلنا اللّه اخوانا، و حرم علينا دمانا و اموالنا، و قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تاكلواموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا انفسكم ان اللّه كان بكم رحيما) و قال : (و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاه جهنم (((1083)) .
و ثالثا: ان هذا الموضوع عن لسانه ، قد حصل فيه خلط غريب ، بموجب ان الكذوب تخونه ذاكرته .
فقد اخرج ابن سعد عن الشعبي ـ و كان يزعم انه لم يخرج في شي من حروب علي (ع) ـ قال : كان مسروق اذا قيل له : ابطات عن علي و عن مشاهده ؟ و لم يكن شهد معه شيئا من مشاهده ،فاراد ان يناصهم الحديث ، قال : اذكركم باللّه ، ارايتم لو انه حين صف بعضكم لبعض ، و اخذ بعضكم على بعض السلاح ، يقتل بعضكم بعضا، فتح باب من السما، و انتم تنظرون ، ثم نزل منه ملاك حتى اذا كان بين الصفين ،قال : (يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم و لا تقتلوا انفسكم ان اللّه كان بكم رحيما) ا كان ذلك حاجزا بعضكم عن بعض ؟قالوا: نعم , قال : فو اللّه لقد فتح لها بابا من السما، و لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم (ص) و انها لمحكمة في المصاحف ، ما نسخها شي.
هكذا روى ابن سعد روايتين بهذا اللفظ، اسندهما الى الشعبي.
ثم اخرج عن عاصم رواية مرسلة ، قال : و ذكر ان مسروقا بنفسه اتى صفين فوقف بين الصفين ثم قال : يا ايهاالناس ، ارايتم لو ان الخ ثم انساب بين الناس فذهب و لعل ذاكر الخبر ـ و هو مجهول الهوية ـ اشتبه عليه لفظة))حتى اذا كان بين الصفين)) في الخبر المزعوم ، فزعم ان الضمير يعود الى مسروق ، في حين انه عائد الى الملك ، حسب المزعومة ((1084)).
و يحتمل ان مسروقا هذا هو العكي صاحب معاوية كان من وجوه اهل الشام و كانت له صحبة كان يحرض معاوية على الخروج من الطاعة و القيام بطلب دم عثمان ، فكان شديدا على الامام امير المؤمنين (ع) في تلك المواقف ذكره ابن حجر في الاصابة((1085)) .
و اما القول بانه كان عش ارا لمعاوية((1086)) , و ان زيادا استعمله على السلسلة ، و مات بها سنة 62)او ٦٣ , ((1087)) (و كان مسروق متذمرا من عمله ذلك ، و كان يقول : لم يدعني ثلاثة : زياد، و شريح ، و الشيطان ، اكتنفوني و لم يزالوا يزينونه لي حتى اوقعوني فيه و كان يقول : ما عملت عملا قط اخوف علي من ان يدخلني النار من عملي هذا و كان بها حتى مات قال ابن سعد: و مات بالسلسلة بواسط، و قبره هناك يزار((1088)) و اخرج عن ام قيس ،قالت : مررت على مسروق بالسلسلة ، و معي ستون ثورا تحمل الجبن و الجوز، فسالها مسروق ، قال : ما انت ؟قالت : مكاتبة قال : خلوا سبيلها فليس في مال المكاتب زكاة((1089)) .
و روى الكشي عن الفضل بن شاذان : ان مسروقا كان عشارا لمعاوية ، و مات في عمله ذلك بموضع اسفل من واسط على دجلة يقال له : الرصافة ، و قبره هناك ((1090)).
فهذا كله مما لانستطيع الموافقة عليه ، حيث مخالفته مع واقع التاريخ:
اولا: اذا كانت السنتان اللتان استعمله زياد فيهما على السلسلة ، هما الاخيرتان

من حياة مسروق ، اذ قد توفي في عمله ذلك ، فهذا يعني بعد عام الستين ، الامر الذي لاينسجم مع كون هلاك زيادفي سنة (53)المتفق عليه عند ارباب التاريخ ((1091)).

فلعل مسروقا هذا غير ابن الاجدع المتوفى سنة (٦٣) اما ابن وائل الحضرمي ((1092)) , او العكي((1093)) , اوغيرهما.

ثانيا: ان سلسل ، طسوج((1094)) من ثمانية طساسيج كورة شاذقباذ، و تسمى كورة دجلة قال ياقوت : كورة بشرقي بغداد، و تشتمل على ثمانية طساسيج : رستقباذ، و مهروذ، و سلسل ، و جلولا، و البنديجين ، و برازالروز، و الدسكرة ، و الرستاقين قال : و يضاف الى كل واحدة من هذه لفظة ((طسوج)) اي ناحية كذا((1095)) .

و عليه فمن البعيد جدا ان يستعمل مثل مسروق بن الاجدع ـ العالم الكبير و الراوي القدير ـ لمثل تلك المنطقة الصغيرة البعيدة عن مراكز العلم و الثقافة ، و لا سيما اذا كان العمل مثل عمل العشارين الامر الذي لا نكاد نصدقه بشان مثل ابن الاجدع الامام القدوة الذي هو احد الاعلام و من ثم رجحنان يكون العامل غير هذا.

و ثالثا: ذكر الخطيب البغدادي : ان مسروق بن الاجدع بن مالك الهمداني ثم الوادعي ، و يكنى ابا عائشة ، توفي سنة (٦٣) بالكوفة ، و كان له (٦٣) سنة ((1096)).

غير ان ابن الاثير قال : و توفي بمصر مسروق بن الاجدع سنة (٦٢ او ٦٣ (((1097))كما ذكر ابن حجر انه توفي بسلسل((1098)) فهناك ثلاثة اقوال في موضع قبره ، و الصحيح هو القول الاول ، بدليل الاعتبار اما الذي توفي بمصرفلعله العكي صاحب معاوية اما العامل بسلسلة العشار فيحتمل كونه ابن وائل ، والله العالم.

و اما انه كان على الخيل لعبيد الل ه بن زياد ـ على ما جا في المسترشد ((1099)) ـ فلعله من الوهن بمكان ، لان ذاك هو مسروق بن وائل الحضرمي من اجناد الكوفة ، الذين خرجوا لقتال الحسين بن علي (ع) في واقعة الطف بكربلا قال ابو مخنف عن عطا بن السائب عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن اخيه مسروق بن وائل ، قال : كنت في اوائل الخيل ممن سار الى الحسين ، فقلت : اكون في اوائلها لعلي اصيب راس الحسين ،فاصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد((1100)) و كان قد ادرك حياة النبى (ص)، و قدم عليه في وفدحضرموت ((1101)).

اما دفاعه عن عثمان فلعله كان لمحض الحفاظ على الوحدة دون تفرقة الكلمة ، و ليس عن عقيدة بشانه في نفسه ، و من ثم ذكروا انه روى عن ابي بكر و عمر و علي و ابن مسعود و ابي بن كعب , و لم يرو عن عثمان شيئا((1102)) .

و كذا احترامه لعائشة كان لموضع حرمتها من النبى (ص) محضا، و قد كان من المعترضين عليها في اضطراب موقفها بشان عثمان اخرج ابن سعد عن الاعمش عن خيثمة عن مسروق عن عائشة , قالت حين قتل عثمان :تركتموه كالثوب النقى من الدنس ، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش ، هلا كان هذا قبل هذا؟ فقال لهامسروق : هذا عملك ، انت كتبت الى الناس تامرينهم بالخروج اليه , فانكرت ((1103)).

و من غريب الامر ان المامقاني ذكر مسروق بن الاجدع تارة بعنوان انه احد الزهاد الثمانية ، و عده من المذمومين و اخرى وصفه بالهمداني الكوفي ، و عده من الاعلام و الفقها، و رجح حسن حاله((1104)) .

و اعترض عليه التستري بانهما واحد، و لا وجه للافتراق في الشخصية و الوصف ((1105)).

14ـ الاسود بن يزيد

ابـو عبد الرحمان النخعي الكوفي ، من كبار التابعين المخضرمين ، من اصحاب عبداللّه بن مسعود و روى عـن حـذيـفة و بلال و على (ع)، كان على جانب عظيم من الفهم لكتاب اللّه ، ثقة صالح ،ورع نـاسـك ذكـره ابـن حبان في الثقات ، و قال : كان فقيها زاهدا روى عنه ابنه عبد الرحمان ، و اخوه عـبـدالـرحـمـان ,و ابـن اخته ابراهيم بن يزيد النخعي و غيرهم و ذكره جماعة ممن صنف في الصحابة ، لادراكه توفي سنة (٧٥).

قال ابن سعد: روى عن عمر و على و ابن مسعود و سلمان ، و لم يرو عن عثمان شيئا ((1106)).

و لـم يسلم الاسود مما رمى به زميله ابن الاجدع ، و الكلام فيه قدحا و مدحا ما مر في مسروق و سـنـذكـر ان عـامـة الـكوفيين ، و لا سيما اصحاب عبد اللّه بن مسعود، كان الغالب عليهم الميل مع علي (ع)، حسب تربية شيخهم وكبيرهم الصحابي الجليل((1107)) .

15ـ مرة الهمدانى

ابـو اسـماعيل ابن شراحيل الهمداني السكسكي الكوفي ، المعروف بمرة الطيب و مرة الخير، لقب بذلك لعبادته روى عن ابي ذر و حذيفة و ابن مسعود و على (ع) و عنه اسماعيل السدي و الشعبي و عطا بن السائب و عمرو بن مرة و طائفة.

قـال العجلي : تابعي ثقة ، كان عابدا ناسكا كثير السجود و الركوع قيل : ادرك النبي (ص) و لم يره مات سنة (٧٦. ((1108)) (

و قـد استوفينا الكلام في مسروق ما يتضح به حال مرة ايضا، كشان سائر الكوفيين من اصحاب ابن مسعود،كانوا مع علي (ع)، و من ثم اصبحوا عرضة السهام.

16ـ عامر الشعبى

ابـو عمرو عامر بن شراحيل الحميري الكوفي ، من شعب همدان روى عن مسروق بن الاجدع و ابـن عباس وعلي (ع)، و كثير من الصحابة و التابعين كان فقيها بارعا، قوى الحافظة قال : ما كتبت سـودا عـلى بيضا، و لاحدثني رجل بحديث الا حفظته ، و لا حدثني رجل بحديث فاحببت ان يعيده علي قال العجلي : سمع من (٤٨)صحابيا، و لا يكاد يرسل الا صحيحا.

قال ابن ابي حاتم عن ابيه : و سئل عن الفرائض التي رواها الشعبي عن على (ع)، فقال : هذا عندي ما قاسه على قول على ، و ما ارى عليا كان يتفرغ لهذا قال ابن حبان في ثقات التابعين : كان فقيها شاعرا ,مولده سنة (٢٠) ومات سنة (١٠٩)، و كان فيه دعابة و قال ابو جعفر الطبري : كان ذا ادب و فقه و علم و قال ابو اسحاق : كان واحد زمانه في فنون العلم ((1109)).

هذا، و لم يكن حظ الشعبي من التهم باحسن من سابقيه ، كسائر الكوفيين كانوامعرض التهم.

17ـ عمرو بن شرحبيل

ابو ميسرة الهمداني الوادعي الكوفي روى عن على (ع) و عبد اللّه بن مسعود، و كان من اصحابه ، و من النفرالستة الذين كانوا يقرئون الناس و يعلمونهم السنة ، و يصدر الناس عن رايهم((1110)) و هكذا روى عن حذيفة و سلمان و قيس بن سعد بن عبادة و اشباههم من خلص الاصحاب قال عاصم بـن بـهدلة عن ابي وائل : مااشتملت همدانية على مثل ابي ميسرة كان صواما قواما، ناسكا زاهدا، من افاضل اصحاب ابن مسعود و كان امام مسجد بني وادعة بالكوفة.

كـان مـوضـع ثـقـة ابـن مـسـعـود، سـالـه يوما قال : ما تقول يا ابا ميسرة في (الخنس ، الجواري الـكـنس ((1111)) (؟قال عمرو: قلت : لا اعلمها الا بقر الوحش قال : و انا لا اعلم فيها الا ما قلت توفي سنة (٦٣) في ولاية عبيد اللّه بن زياد((1112)) .

قال الشهيد الثاني ـ في درايته ـ : تابعي فاضل من اصحاب ابن مسعود((1113)) .
و كانت له صحبة او رؤية ، كان ممن روى حديث الغدير، حسبما ذكره الخوارزمي((1114)) .
و ذكر ابن حجر في الاصابة عن الطبراني انه اخرج من رواية عبد العزيز بن عبد اللّه القرشي عن سعيد بن ابي عروبة عن القاسم بن عبد الغفار عن عمرو بن شرحبيل ، قال : سمعت النبي (ص (يقول : ((اللهم انصر من نصرعليا، اللهم اكرم من اكرم عليا، اللهم اخذل من خذل عليا. ((1115)) ((
و في نسخة الاصابة : شراحيل ، بدل شرحبيل و هو خطا في النسخة ، اذ لم يرد لشراحيل والد عمرو، ذكر في كتب التراجم اطلاقا مع انه ذكره ابن عبد البر((1116)) ,
و كذا ابن الاثير ((1117)) ,بهذا العنوان : عمرو بن شرحبيل فيبدوان نسخة الاصابة قد اصابها تصحيف.
نعم ذكر ابن عبد البر انه غير عمرو بن شرحبيل الهمداني ، ابي ميسرة صاحب ابن مسعود، و ذكر انه لم يقف على نسبه ، لكن رجح ابن الاثير كونهما واحدا قلت : و هو الصحيح ، لان ولادته كانت في اوائل الهجرة او قبلها، فهو و ان كان تابعيا، لكنه ادرك النبي (ص) و ان لم تكن له صحبة لصغر سنه ، غير انه يجوز سماعه منه و هوصبي مراهق.

18ـ زيد بن وهب

ابو سليمان الجهني الكوفي رحل الى النبي (ص) و هاجر اليه فلم يدركه ، قبض (ص) و هو في الطريق و هومعدود في كبار التابعين ، روى عن علي (ع) و ابن مسعود و حذيفة و ابي الدردا و ابي ذر، و روى عنه خلق كثير، منهم الاعمش ، قال : اذا حدثك زيد بن وهب عن احد، فكانك سمعته من الذي حدثك عنه و قد وثقه اصحاب التراجم اخرج ابن حجر عن ابن خراش قال : كوفي ثقة و روايته عن ابي ذر صحيحة((1118)) .
سكن الكوفة ، و كان في الجيش الذي مع علي (ع) في حربه الخوارج و هو اول من جمع خطب علي (ع) في الجمع و الاعياد و غيرها توفي سنة (٩٦) و قد عمر طويلا.

19ـ ابو الشعثا الكوفي

هو سليم بن اسود المحاربي الكوفي روى عن ابي ذر و حذيفة و سلمان وابن عباس و ابن مسعود، و كان خصيصا به قال ابو حاتم : لا يسال عن مثله و ذكره ابن حبان في الثقات.
قال الواقدي : شهد مع علي (ع) مشاهده توفي سنة (٨٢. ((1119)) (

20ـ ابو الشعثا الازدي .

هو جابر بن زيد الازدي اليحمدي الجوفي((1120)) البصري روى عن ابن عباس و عكرمة و غيرهما قال ابن عباس : لو ان اهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لاوسعهم علما من كتاب اللّه قال العجلي : تابعي ثقة قال ابن سعد: مات سنة (١٠٣) قال قتادة ـ لما مات جابر بن زيد ـ : اليوم مات اعلم اهل العراق و كان يخلف الحسن في الفتوى((1121)) .

21ـ الاصبغ بن نباتة

التميمي ثم الحنظلي ، ابو القاسم الكوفي من اصحاب على و الحسن بن علي (ع). قال العجلي : كوفي تابعي ثقة قال ابن سعد: كان شيعيا، و كان على شرطة علي (ع.(
قال ابن حبان : فتن بحب علي ، فاتى بالطامات ((1122)) فاستحق الترك قال ابن عدى : و اذا حدث عنه ثقة فهوعندي لا باس بروايته ، و انما اتى الانكار من جهة من روى عنه ((1123)).
قال سيدنا الخوئي ـ دام ظله ـ : هو من المتقدمين من سلفنا الصالحين ، ذكره النجاشي و قال الاصبغ بن نباتة المجاشعي : كان من خاصة امير المؤمنين (ع)و عمر بعده ، روى عنه عهد الاشتر،و وصيته الى محمد ابنه.
و هو من العشرة الذين دعاهم الامام امير المؤمنين للحضور لديه فقد روى ابن طاووس من كتاب الرسائل للكليني انه (ع) دعا كاتبه عبد اللّه بن ابي رافع ، فقال : ادخل على عشرة

من ثقاتي فقال : سمهم لي يا اميرالمؤمنين فقال : ادخل : اصبغ بن نباتة ، و ابا الطفيل عامر بن واثلة الكناني ، و زر بن حبيش ، و جويرية بن مسهرحسبما اوردناه في ترجمة علقمة بن قيس ((1124)).

22ـ زر بن حبيش

الاسدي ابو مريم الكوفي مخضرم ادرك الجاهلية كان من اصحاب ابن مسعود، و من ثقات الامام اميرالمؤمنين (ع) على ما ذكرنا من حديث العشرة في ترجمة علقمة قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث قال عاصم :كان زر من اعرب الناس و كان ابن مسعود يساله عن العربية قال : كان ابو وائل((1125)) عثمانيا و كان زر علويا، وكان مصلا هما في مسجد واحد، و كان ابو وائل معظما لزر قال ابن عبد البر في الاستيعاب : كان قارئا فاضلا قال ابو جعفر البغدادي : قلت لاحمد :فزر و علقمة و الاسود؟ قال : هؤلا اصحاب ابن مسعود، و هم الثبت فيه مات سنة (٨٣)، و كان ابن (١٢٧. ((1126)) (

23ـ ابن ابي ليلى

هو محمد بن عبد الرحمان بن ابي ليلى الانصاري ، ابو عبد الرحمان الكوفي الفقيه ،قاضي الكوفة قال ابو حاتم ، عن احمد بن يونس ، ذكره زائدة ، فقال : كان افقه اهل الدنيا و قال العجلي كان فقيهاصاحب سنة ، صدوقا جائز الحديث ، و كان عالما بالقرآن ، و كان من احسب الناس ، و كان جميلا نبيلا و اول من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي قيل : كان سيئ الحفظ و لا سيما عند ما اشتغل بالقضا فساحفظه قالوا: لا يتهم بشي من الكذب ، و انما ينكر عليه كثرة الخطا قال الساجي : كان سيئ الحفظ لا يتعمدالكذب ، فكان يمدح في قضائه ، فاما في الحديث فلم يكن حجة قال : و كان الثوري يقول : فقهاؤنا ابن ابي ليلى و ابن شبرمة و قال ابن خزيمة ليس بالحافظ، و ان كان فقيها عالما توفي سنة (١٤٨ (
((1127)) .

24ـ عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني

كان من اصحاب على (ع) و ابن مسعود اسلم قبل وفاة النبي (ص) بسنتين ، و لم يلقه كان ابن سيرين من اروى الناس عنه : و كان يقول : ادركت الكوفة و بها اربعة ممن يعد في الفقه ، و عده ابن المديني في الفقها من اصحاب ابن مسعود قال ابن نمير: و كان شريح اذا اشكل عليه الامر كتب الى عبيدة توفي سنة (٧٢. ((1128)) (

25ـ الربيع بن انس البكري

و يقال :الحنفي البصري ثم الخراساني روى عن انس بن مالك و ابي العالية و الحسن البصري ، و ارسل عن ام سلمة و عنه ابو جعفر الرازي و الاعمش و مقاتل بن حيان و غيرهم قال العجلي و ابو حاتم : صدوق و قال ابن معين : كان يتشيع فيفرط و ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة (١٣٩ او ١٤٠. ((1129)) (

26ـ الحارث بن قيس الجعفي الكوفي

من اصحاب ابن مسعود، و كانوا معجبين به قال على بن المديني : قتل مع على (ع)و عده ابن حبان في الثقات ((1130)).

27ـ قتادة بن دعامة .

قتادة بن دعامة ، ابو الخطاب السدوسي البصري ، ولد اكمه((1131)) كان تابعيا و عالما كبيرا ,كان فقيه اهل البصرة عالما بالانساب و اشعار العرب قال ابو عبيدة : كان اجمع الناس و كان ينيخ على باب داره كل يوم من ياتيه فيساله عن خبر او نسب او شعر((1132)) و كان احفظ الناس ، لا ينسى ما حفظه او قرئ عليه و لو مرة واحدة قال على بن المديني : انتهى علم البصرة الى يحيى بن ابي كثير، و قتادة كما انتهى علم الكوفة الى ابي اسحاق ، والاعمش و انتهى علم الحجاز الى ابن شهاب ، و عمرو بن دينار((1133)) .

قال مطر بن الوراق : ما زال قتادة متعلما حتى مات ((1134)) قال قتادة : ما قلت لمحدث قط: اعد علي و ما سمعت اذناي شيئا قط، الا وعاه قلبي و قال : ما في القرآن آية الا قد سمعت فيها بشي.
قال ابو حاتم : سمعت احمد بن حنبل و ذكر قتادة ، فاطنب في ذكره ، فجعل ينشر من علمه و فقهه و معرفته بالاختلاف و التفسير، و وصفه بالحفظ و الفقه وقال : قلما تجد من يتقدمه ، اما المثل فلعل و قال الاثرم : سمعت احمد يقول : كان قتادة احفظ اهل البصرة ، لم يسمع شيئا الا حفظه و قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها و كان يقول : الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر و قال له سعيد بن المسيب لما راى منه العجيب من حفظه ـ : ما كنت اظن ان اللّه خلق مثلك.
و قال ابن حبان ـ في الثقات : كان من علما الناس بالقرآن و الفقه و من حفاظ اهل زمانه ((1135)).
كانت ولادته سنة (٦١) قال ابو اسحاق ابراهيم بن علي الذهلي : ولد عمر بن عبد العزيز، و هشام بن عروة ، والزهري ، و قتادة ، و الاعمش ، ليالي قتل الحسين ابن على بن ابي طالب (ع) و كانت شهادته (ع) يوم عاشوراسنة (٦١) للهجرة((1136)) و توفي بواسط في الطاعون سنة (١١٨).(
و غمز فيه بانه كان يقول بالقدر قال ابن سعد: كان ثقة ، مامونا، حجة في الحديث ، و كان يقول بشي من القدرواخرج ابن خلكان عن ابي عمرو بن العلا، قال : حسبك قتادة ، فلولا كلامه في القدر ((1137)).
و لكن مع ذلك فقد اعتمده القوم و اعتبروه حجة في الحديث ، كما قال ابن سعد قال على بن المديني : قلت ليحيى بن سعيد: ان عبد الرحمان يقول : اترك كل من كان راسا في بدعة يدعو اليها قال : كيف تصنع بقتادة ، وابن ابي رواد، و عمر ابن ذر تركت ناسا كثيرا((1138)) .
قلت : رميه بالقدر، او شي من القدر، انما جا من قبل قوله بالعدل ، حسبما كان يقوله شيخه الحسن البصري ،على ما تقدم في ترجمته و كانت العامة ممن تاثروا بمذهب ابي موسى الاشعري و حفيده ابي الحسن الاشعري ،كانوا يرون خلاف ذلك ، و ان الافعال كلها مخلوقة للّه و عن ارادته ، و ليس للعبد اختيار في عمله عقيدة جاهلية اولى ، كانت تمكنت من نفوس العرب ، و لم تكد تنخلع بعد، ما دامت العامة و على راسهم الاشعريان ، منحرفين عن تعاليم آل بيت الرسول ـ صلوات اللّه عليهم اجمعين.
هذا و قد عرف قتادة السدوسي بالولا لاهل البيت و على راسهم الامام امير المؤمنين (ع) ، و في التاريخ منه مواقف مشرفة سجلها اهل السير و الحديث:
اخرج ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني باسناده عن ابان بن عثمان البجلي ،قال : حدثني الفضيل البرجمي ، قال : كنت بمكة ، و خالد بن عبد اللّه القسري((1139)) امير، و كان في المسجد عندزمزم ، فقال : ادعوا لي قتادة ، فجا شيخ احمر الراس و اللحية ، فدنوت لاسمع.
فقال خالد: يا قتادة ، اخبرني باكرم وقعة كانت في العرب ، و اعز وقعة كانت في العرب ، و اذل وقعة كانت فى العرب فقال قتادة : اصلح اللّه الامير، اخبرك باكرم وقعة و اعز وقعة كانت في العرب واحدة فقال خالد: ويحك ,واحدة ؟ قال قتادة : بدر اهله فلما قتلت قريش يومئذ، ذلت العرب فكانت اذل وقعة في العرب.
فقال له خالد: كذبت لعمر اللّه ، ان كان في العرب يومئذ من هو اعز منهم((1140)) .
ثم قال خالد: ويلك يا قتادة ، اخبرني ببعض اشعارهم ؟.
قال : خرج ابو جهل يومئذ، و قد اعلم ليرى مكانه ، و عليه عمامة حمرا، و بيده ترس مذهب ، و هو يقول:
ما تنقم الحرب الشموس مني بازل عامين حديث السن.
لمثل هذا ولدتني امي.
فقال خالد: كذب عدو اللّه ، ان كان ابن اخي لافرس منه ، يعني خالد بن الوليد و كانت امه

من بني قسر ويلك ياقتادة ، من الذي كان يقول : اوفي بميعادي و احمي عن حسب ؟.
فقال : اصلح اللّه الامير، ليس هذا يومئذ، هذا يوم احد خرج طلحة بن ابي طلحة فخرج اليه على بن ابي طالب (ع) و هو يقول:
انا ابن ذي الحوضين عبد المطلب ـــ و هاشم المطعم في العام السغب اوفي بميعادي و احمي عن حسب.
و هنا لم يتحمل خالد سماع منقبة لامير المؤمنين (ع) فقال ـ مغضبا ـ : كذب لعمري ابو تراب ، ما كان كذلك.
فعند ذلك قام قتادة ، و قال : ايها الامير، ائذن لي في الانصراف ، فجعل يفرج بيده ويخرج و هو يقول : زنديق و رب الكعبة ، زنديق و رب الكعبة((1141)) .
قال المحدث القمي : هذا ينبؤك عن ولا قتادة للامام امير المؤمنين (ع. ((1142)) (
و له ايضا مع الامام ابي جعفر الباقر(ع) مواقف نذكرمنها:
اخرج الكليني ايضا باسناده الى ابي حمزة الثمالي ، قال : كنت جالسا في مسجدرسول اللّه (ص) اذ اقبل رجل فقال لي : اتعرف ابا جعفر؟ قلت : نعم ، فما حاجتك ؟ قال : هيات له اربعين مسالة اساله عنها ,فما كان من حق اخذته ، و ما كان من باطل تركته فما انقطع كلامه حتى اقبل ابو جعفر و حوله اهل خراسان و غيرهم يسالونه عن مناسك الحج فمضى حتى جلس مجلسه ، و جلس الرجل قريبا منه فلما انصرف الناس التفت ابو جعفر اليه ، فقال له : من انت ؟ قال : انا قتادة بن دعامة البصري.
فقال له ابو جعفر: انت فقيه اهل البصرة ؟ قال : نعم ، فقال : ويحك يا قتادة ، ان اللّه تعالى خلق خلقا من خلقه ،فجعلهم حججا على خلقه ، و هم اوتاد في ارضه ، قوام بامره ، نجبا في علمه ، اصطفاهم قبل خلقه اظلة عن يمين عرشه.
فسكت قتادة طويلا،ثم قال : اصلحك اللّه ، و اللّه لقد جلست بين يدي الفقها، و قدام ابن عباس ، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ، ما اضطرب قدامك فقال ابو جعفر: اتدري اين انت ؟ بين يدي بيوت اذن اللّه ان ترفع و يذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والاصال ، رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر اللّه و اقام الصلاة و ايتا الزكاة ، فانت ثم و نحن اولئك فقال قتادة : صدقت و اللّه ، جعلني اللّه فداك ، و اللّه ما هي بيوت حجارة و لا طين((1143)) .
و اخرج ـ ايضا ـ عن زيد الشحام ، قال : دخل قتادة على ابي جعفر(ع) وجرى بينهما كلام حتى انتهى الى تاويل قوله تعالى : (و قدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي و اياما آمنين ((1144))فقال له الامام : ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة و كرا حلال ، يروم هذا البيت ، عارفا بحقنا،يهوانا قلبه , كما قال عز و جل :(فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ((1145)) (
و لم يعن البيت فيقول : اليه فنحن و اللّه دعوة ابراهيم (ع) من هوانا قلبه قبلت حجته يا قتادة ، فاذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة.
قال قتادة : لا جرم ، و اللّه لا فسرتها الا هكذا فقال له ابو جعفر: يا قتادة ، انما يعرف القرآن من خوطب به((1146)) .
قلت :هذا النمط من الكلام يعد من اسرار الولاية ، لا يبوحون به الا لاصحاب السر و لا سيما مع اذعان قتادة لهذا الخطاب و تحمله هذا العتاب و استسلامه للامر و لعل انقداحة حصلت في نفسه بعد هذا التقريع ، و هكذاتفعل الموعظة باهلها ان صادقت نفوسا مستعدة.
له كتاب في التفسير و يرى فؤاد سزكين انه ربما كان تفسيرا كبيرا ضخما فقد استخدمه الخطيب البغدادي ، كمافي مشيخته قال شواخ : و استخدمه الطبري اكثرمن (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف مرة و ربما نقل كل مادته نقلا، بالرواية التالية : ((حدثنا بشر بن معاذ، قال : حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة)) و قد عرف الثعلبي عدا ذلك روايتين اخريين لهذا الكتاب ، كما يظهر من كتابه ((الكشف و البيان. ((1147)) ((

28ـ زيد بن اسلم .

ابو اسامة العدوي المدني ، الفقيه المفسر، احد الاعلام كان مولى عمر بن الخطاب ، و برع

حتى اصبح من كبارالتابعين المرموقين ، كانت له حلقة في مسجد المدينة ، يحضرها جل الفقها، و ربما بلغوا اربعين فقيها قال الذهبي : و لزيد تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمان ، و كان من العلما الابرار قال ابن عجلان : ما هبت احداهيبتي زيد بن اسلم((1148)) .
قال ابن حجر: اخذ العلم من جماعة ، منهم على بن الحسين (ع)، قال : و قال يعقوب بن شيبه : ثقة من اهل الفقه والعلم و كان عالما بتفسير القرآن((1149)) و قد عده الشيخ ابو جعفر الطوسي من اصحاب الامام السجاد(ع) و قال :كان يجالسه كثيرا((1150)) و له رواية عن الامامين الباقر و الصادق (ع.(
فقد روى ابنه عبد الرحمان عنه عن عطا بن يسار عن ابي جعفر الباقر(ع)، قال : قال رسول اللّه)ص) : ((كل مسكر حرام ، و كل مسكر خمر. ((1151)) ((
و روى عبد الرحمان (و في نسخة عبد اللّه) عن ابيه زيد بن اسلم عن ابي عبد اللّه الصادق (ع (قال : قال رسول اللّه (ص) : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ، الا ان اللّه يحب بغاة العلم ((1152)) ((و من ثم عده الشيخ في رجال الصادق ايضا((1153)) .
واستغرب سيدنا الاستاذ الامام الخوئي ـ دام ظله ـ ان يكون زيد مولى عمر، و يدرك الصادق (ع. ((1154)) (
لكن زيدا توفي سنة (١٣٦ ((1155)) (و كانت امامة مولانا الصادق (ع) بعد وفاة ابيه الباقر(ع (من سنة (١١٤) حتى نهاية عام (١٤٨.(
هذا و قد اخذ على زيد انه كان يكثر من التفسير برايه قال الذهبي : تناكد((1156)) ابن عدى بذكره في الكامل ، فانه ثقة حجة ، فروى عن حماد بن زيد، قال : قدمت المدينة و هم يتكلمون في زيد بن اسلم ، فقال لي عبيد اللّه بن عمر: ما نعلم به باسا الا انه يفسر القرآن برايه((1157)) .
وقال مالك : كان زيد يحد ث من تلقا نفسه ، فاذا قام فلا يجترئ عليه احد((1158)) .
قلت : و هذا نظير ما كان يؤخذ على الحسن البصري كثرة ارساله ، و المحذور نفس المحذور ,فتنبه.

29ـ ابو العالية

رفيع بن مهران الرياحي البصري ، ادرك الجاهلية ، و اسلم بعد وفاة النبي (ص)بسنتين قال العجلي : تابعي ثقة من كبار التابعين المشهورين بالتفسير روى عن على (ع (و عبد اللّه بن مسعود، و ابى بن كعب ، و عبد اللّه بن عباس ،و حذيفة ، و ابي ذر، و ابي ايوب ، و غيرهم من اكابر الاصحاب و هو مجمع على وثاقته.
قال ابن ابي داود: ليس احد بعد الصحابة اعلم بالقراة من ابي العالية ، و بعده سعيدبن جبير، و بعده السدي ، و بعده الثوري مات سنة (٩٣) و هو اول من اذن بماورا النهر((1159)) .
و قال الحافظ شمس الدين الداودي : قرا القرآن على ابى بن كعب و غيره ، و سمع من ابن مسعود و على و طائفة و عنه قتادة و خالد الحذا و الربيع بن انس و ابو عمرو بن العلا و طائفة .
و عن ابي خلدة عنه قال : كان ابن عباس يرفعني على سريره ، و قريش اسفل منه و يقول : هكذا العلم ، يزيدالشريف شرفا، و يجلس المملوك على الاسرة.
قال : ثقة كثير الارسال و له تفسير رواه عنه الربيع بن انس البكري خرج حديثه الجماعة((1160)) .
وقال السيوطي : و تروى عن ابي بن كعب نسخة كبيرة في التفسير، يرويها ابو جعفرالرازي ، عن الربيع بن انس ، عن ابي العالية ، عن ابى قال : و هذا اسناد صحيح و قد اخرج ابن جرير و ابن ابي حاتم منها كثيرا و كذا الحاكم في مستدركه ، و احمد في مسنده((1161)) .
قال الدكتور شواخ ـ عند الكلام عن تفسير الربيع بن انس البكري البصري الخراساني المتوفى سنة (١٣٩): وقد اخذ منه الثعلبي في كتابه ((الكشف و البيان)) على انه تفسير ابي العالية((1162)) .

30ـ جابر الجعفي

هـو جـابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي ابو عبد اللّه ، و يقال ابو يزيد الكوفي عربي صميم ، روى عن عكرمة و عطا و طاووس و خيثمة و المغيرة ابن شبيل و جماعة و عنه شعبة و الثوري و مسعر و غيرهم توفي سنة (١٢٨).

ذكـر ابـن حجر عن ابي نعيم عن الثوري : اذا قال جابر حدثنا و اخبرنا فذاك و قال ابن مهدي عن سفيان : ما رايت اورع في الحديث منه و قال ابن علية عن شعبة : جابر صدوق في الحديث و قال يحيى بـن ابـي بـكـيـر عن شعبة :كان جابر اذا قال : حدثنا و سمعت ، فهو من اوثق الناس و عن زهير بن معـاويـة : كان اذا قال : سمعت او سالت ،فهو من اصدق الناس و قال وكيع : مهما شككتم في شي فلا تشكوا في جابر ثقة((1163)) .

قال عادل نويهض : تابعي ، فقيه امامي ، من اهل الكوفة كان واسع الرواية غزير العلم بالدين اثنى عليه بـعـض رجـال الـحـديـث ، و اتـهـمـه آخـرون بـالـقـول بـالـرجـعة مات بالكوفة له ((تفسير القرآن ((1164)) ((و هكذا قال الزركلي في الاعلام((1165)) .

و عده الطوسي في رجال الامامين محمد بن على الباقر و جعفر بن محمد الصادق (ع (((1166)) .

و قال السيد الصدر بشانه : جابر بن يزيد الجعفي ، امام في الحديث و التفسير،اخذهما عن الامام ابي جعفر الباقر(ع. ((1167)) (

و قال النجاشي : جابر بن يزيد، ابو عبد اللّه و قيل : ابو محمد الجعفي ، عربي قديم لقي ابا جعفر و ابا عبد اللّه ومات في ايامه سنة (١٢٨) له كتب منها: التفسير ثم ذكر سنده اليه.

و عـده الـمـفيد في رسالته ((العددية)) ممن لا مطعن فيهم و لا طريق لذم واحد منهم و عده ابن شـهر آشوب من خواص اصحاب الصادق (ع) و روى العلامة باسناده الى الحسين بن ابي العلا: ان الصادق (ع) ترحم عليه ، وقال : انه كان يصدق علينا.

و روى الـكشي باسناده الى المفضل بن عمر الجعفي ، قال : سالت الامام الصادق (ع)عن تفسير جابر فـقال : لاتحدث به السفلة فيذيعونه((1168)) و هذا يدل على ان تفسيره كان فيه شي من الارتفاع و هـنـاك روايـات تـدل على انه كان يحمل اسرارا من آل بيت الرسول (ص)، و من ثم رفضه القوم بالغلو و الرفض ، ولكن مع صدق الحديث و الورع في الايمان و كفى به مدحا و اخلاصا في الدين.

قـال الـنـجاشي : و كان في نفسه مختلطا و هذا يعني الاعتلا في عقيدته بشان ائمة اهل البيت (ع (فـحسبوه غلواروى ابو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي باسناده الى ابن ابي عمير عن عـبـد الـحميد بن ابي العلا، قال : دخلت المسجد حين قتل الوليد، فاذا الناس مجتمعون ، فاتيتهم فاذا جـابـر الـجعفي عليه عمامة خزحمرا، و اذا هو يقول : حدثني وصى الاوصيا و وارث علم الانبيا محمد بن على (ع) قال : فقال الناس : جن جابر، جن جابر ((1169)).

و من ثم ، قال جرير: لا استحل ان اروي عن جابر، كان يؤمن بالرجعة و قال ابو الاحوص : كنت اذا مررت بجابرالجعفي سالت ربي العافية الى امثال ذلك مما لم يتحمله عقول العامة ((1170)).

و مـن ثـم كـان ابو جعفر الباقر(ع) يوصيه بان لا يذيع من اسرارهم شيئا و لايحدث الناس بما لا تطيقه عقولهم قال له : يا جابر، حديثنا صعب مستصعب ، لا يتحمله الا مؤمن ممتحن ((1171)).

و الا فلا غمز في الرجل كما قال شعبة : جابر صدوق في الحديث ((1172)).

و لـسـيـدنا الاستاذ الخوئي ـ دام ظله ـ كلام يشيد به من شان جابر، لشهادة الاجلا بجلالة قدره وعلومرتبته((1173)) و كفى.

قيمة تفسير التابعي

لقد اهتم ارباب التفسير بالماثور من تفاسير الاوائل ، و لا سيما الصحابة والتابعين لهم باحسان و لم يكن ذلك منهم الا عناية بالغة بشانهم و بمواضعهم الرفيعة من التفسير.

ان ذلك الحجم المتضخم من التفسير المنقول عن السلف الصالح ، و اكثرها الساحق من التابعين بعد ان كان الماثور عن ابن عباس منقولا عن طريق متخرجي مدرسته التابعين ايضا ان ذلك ، ان دل فانما يدل على مبلغ الاهتمام بتفاسيرهم و الاجلال بمقامهم الرفيع و ليس الا لانهم اقرب عهدا بنزول الوحي , و اطول باعا في الاحاطة باسباب النزول ، و اسهل تناولا لفهم معاني القرآن الكريم فان كان القرآن قد نزل بلغة العرب و على اساليب كلامهم ، فان الاوائل اصفى ذهنا و اقرب تناوشا لتصاريف اللغة و مجاري الفاظها و تعابيرها انهم اعرف بمواضع اللغة في عهد خلوصها، و اطول يدا في البلوغ الى مجانيها من ثمرات و اعواد.
كما انهم امس جانبا باحاديث الرسول (ص) ، و العلما من صحابته الاخيار فهم اقرب فهما لابعاد الشريعة في اصولها و الفروع ، و الاحاطة بجوانب الكتاب و السنة و السيرة الكريمة.
فكان الاهتمام بشانهم ، و الرجوع الى آرائهم و نظراتهم ، و معرفة اقوالهم في التفسير انما هو لمكان تقدمهم وسبقهم في الحيازة على قصب السبق في هذا المضمار شان كل متاخر في التفسير يرجع الى آرا سلفه لاليتقلدها او يتعبد بها بل ليستعين بها و يستفيد في سبيل الوصول الى اقصاها، و الصعود على اعلاها فكان تمحيصا و تحقيقا في الاختيار، لا تقليدا، او تعبدا براي.
و لا شك ان الاحاطة برا العلما سلفا و خلفا، لهي من اكبر وسائل التوسعة في الفكر و الاجالة في النظر، وبالتالي اكثر توسعا في العلوم و المعارف و الصعود على مدارج الفضيلة و الكمال هكذا تقدم العلم و ازدهرت معارف الانسان.
فلارا السلف قيمتها و وزنها في سبيل الرقي على مدارج الكمال و لولاه لتوقف العلم على نقطته الاولى ، و لم يخط خطواته تلك الواسعة ، في مسيرته هذه الحثيثة ، نحو التكامل و الازدهار.
قال الامام بدر الدين الزركشي : و في الرجوع الى قول التابعي روايتان عن احمد و اختار ابن عقيل((1174)) المنع وحكوه عن شعبة((1175)) .

لكن عمل المفسرين على خلافه ، و قد حكوا في كتبهم اقوالهم ، كالضحاك ابن مزاحم (١٠٥) و سعيد بن جبير(٩٥) و مجاهد بن جبر (103)و قتادة بن دعامة (١١٧) و ابي العالية الرياحي (٩٠) و الحسن البصري (١١٠)و الربيع بن انس (١٣٩) و مقاتل بن سليمان (١٥٠) و عطا بن ابي سلمة الخراساني (١٣٥) ومرة بن شراحيل الهمدانى (٧٦) و علي بن ابي طلحة الوالبي (١٤٣) و محمد بن كعب القرظي (١١٩) و ابي بكر الاصم عبدالرحمان بن كيسان ، و اسماعيل بن عبد الرحمان السدي الكبير(١٢٧) و عكرمة مولى ابن عباس (١٠٥) وعطية بن سعد بن جنادة العوفي (١١١) و عطا بن ابي رباح (١١٤) و عبد اللّه بن زيد بن اسلم (١٦٤).(و من المبرزين في التابعين ، الحسن ، و مجاهد، و سعيد بن جبير ثم يتلوهم عكرمة و الضحاك.
قال : و هذه تفاسير القدما المشهورين ، و غالب اقوالهم تلق وها من الصحابة و لعل اختلاف الرواية عن احمدانما هو فيما كان من اقوالهم و آرائهم((1176)) .
قلت : ان اريد التعبد باقوالهم ، فلا و لعل المانعين يريدون ذلك و لكنا ذكرنا ان اعتبار آرائهم و نظراتهم انما كان لاجل تقدمهم و كونهم اقرب عهدا الى نزول الوحي و اصفى ذهنا لفهم معانيه و كان الرجوع اليهم لاجل التمحيص و النقد لا التعبد المحض.
و من ثم اهتم القدما بضبط تفاسيرهم و جمعها و تهذيبها و سار على منهاجهم المتاخرون و لا يزال.
قال الحافظ ابو احمد ابن عدى : للكلبي((1177)) احاديث صالحة ، و خاصة عن ابي صالح((1178)) , و هو معروف :بالتفسير، و ليس لاحد تفسير اطول منه و لا اشيع فيه و بعده مقاتل بن سليمان (١٥٠) الا ان الكلبي يفضل عليه.

ثم بعد هذه الطبقة الفت تفاسير تجمع اقوال الصحابة و التابعين ، كتفسير سفيان بن عيينة (١٩٨) و وكيع بن الجراح (١٩٦) و شعبة بن الحجاج (١٦٠) و يزيد بن هارون (٢٠٦) و المفضل بن صالح (181)وعبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١) و اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه (238)و روح بن عبادة (٢٠٥) و يحيى بن قريش ، و مالك بن سليمان الهروي ، و عبد بن حميد بن نصر الكشي (٢٤٩) و عبد اللّه بن الجراح (٢٣٧) وهشيم بن بشير (٢٨٣) و صالح ابن محمد اليزيدي ، و علي بن حجر بن اياس السعدي (٢٤٤) و يحيى بن محمد ابن عبد اللّه الهروي , و علي بن ابي طلحة (١٤٣) و ابن مردويه احمد بن موسى الاصبهاني (٤٠١) وسنيد بن داود (220)و النسائي ، و غيرهم و وقع في مسند احمد بن حنبل و البزار و معجم الطبراني و غيرهم ،كثيرمن ذلك ثم ان محمد بن جرير الطبري ((1179)) جمع على الناس اشتات التفاسير ,و قرب البعيد، و كذلك عبدالرحمان بن ابي حاتم الرازي ، و اضرابهم((1180)) .

قال جلال الدين السيوطي : و كتاب ابن جرير الطبري اجل التفاسير واعظمها، ثم ابن ابي حاتم ، و ابن ماجة ، والحاكم ، و ابن مردويه ، و ابو الشيخ بن حيان ، و ابن المنذر، في آخرين و كلها مسندة الى الصحابة و التابعين واتباعهم ، وليس فيها غير ذلك ، الا ابن جرير، فانه يتعرض لتوجيه الاقوال و ترجيح بعضها على بعض ، والاعراب و الاستنباط، فهو يفوقها بذلك.

ثم قال : فان قلت : فاى التفاسير ترشد اليه ، و تامر الناظر ان يعول عليه ؟.

قلت : تفسير الامام ابي جعفر ابن جرير الطبري ، الذي اجمع العلما المعتبرون على انه لم يؤلف في التفسير مثله قال النوري ـ في تهذيبه ـ : كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف احد مثله.

قال : و قد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج اليه ، من التفاسير المنقولة ، والاقوال المقولة ، و الاستنباطات ، و الاشارات ، و الاعاريب ، و اللغات ، و نكت البلاغة ، و محاسن البدائع و غيره ، ذلك بحيث لا يحتاج معه الى غيره اصلا، وسميته بمجمع البحرين و مطلع البدرين و هو الذي جعلت هذا الكتاب (الاتقان) مقدمة له واللّه اسال ان يعين على اكماله ، بمحمد و آله((1181)) .

و هكذا ذكر في مقدمة الاتقان : انه جعله مقدمة للتفسير الكبير الذي شرع فيه ، و سماه بمجمع البحرين و مطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية و تقرير الدراية ((1182)).

لكنه لم يذكر انه اتمه و اخرجه للنشر ام لا((1183)) و الظاهر انه لم يتمه ، اذ لا اثر له اطلاقا نعم اخرج كتابه ((الدرالمنثور في التفسير بالماثور)) حافلا باقوال الصحابة و التابعين و اتباعهم ، مستوعبا و مستقصيا كل ما ورد بذلك من نقول و روايات و بذلك كان اجمع كتاب في هذا الباب (التفسير النقلي) و ليس فيه شي من تقرير الدراية اصلا و قد اصبح بذلك مخزنا كبيرا يجمع في طيه من كل رطب و يابس ، و الاعتبار فيها انما هو بذكر السند، وهو المعيار لتمييز الصحيح عن السقيم عند العلما.

و قال احمد بن عبد الحليم : اذا لم تجد التفسير في القرآن و لا في السنة ،و لا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الائمة في ذلك الى اقوال التابعين: كمجاهد بن جبر، فانه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن اسحاق : حدثنا ابان بن صالح عن مجاهد قال :عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته ، اوقفه عند كل آية منه و اساله عنها وقال : ما في القرآن أية الا و قد سمعت فيها شيئا و عن ابن ابي مليكة قال : رايت مجاهدا يسال ابن عباس عن تفسير القرآن و معه الواحه ، فيقول له ابن عباس : اكتب حتى ساله عن التفسير كله و لهذا كان سفيان الثوري يقول : اذا جاك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

و كسعيد بن جبير، و عكرمة ، و عطا بن ابي رباح ، و الحسن البصري ، و مسروق بن الاجدع ، و سعيد بن المسيب ، و ابي العالية ، و الربيع بن انس (١٣٩) البصري الخراساني و قتادة ، و الضحاك بن مزاحم ، و غيرهم ، من التابعين و تابعيهم و من بعدهم((1184)) .

و قال : اعلم الناس بالتفسير اهل مكة ، لانهم اصحاب ابن عباس ، كمجاهد، و عطابن ابي رباح ، و عكرمة ، و غيرهم من اصحاب ابن عباس كطاووس ، و ابي الشعثا، وسعيد بن جبير و امثالهم و كذلك اهل الكوفة من اصحاب ابن مسعود، و من ذلك ما تميزوا به على غيرهم وعلما اهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن اسلم (١٣٦) الذي اخذ عنه التفسير مالك ، و كذا ابنه عبدالرحمان ((1185)).

و عد السيوطي من مبرزي التابعين مجاهدا، قال خصيف : كان اعلمهم بالتفسير، و لهذا على تفسيره الشافعي والبخاري و غيرهما من اهل العلم ـ كما قال ابن تيمية ـ و كان غالب ما اورده الفريابي في تفسيره عنه.

و منهم سعيد بن جبير قال الثوري : خذوا التفسير من اربعة : عن سعيد بن جبير، و مجاهد، و عكرمة ، و الضحاك وقال قتادة : كان اعلم التابعين اربعة : كان عطا بن ابي رباح اعلمهم بالمناسك ، و كان عكرمة اعلمهم بالسير، وكان الحسن اعلمهم بالحلال و الحرام ، و كان اعلمهم بالتفسير سعيد بن جبير.

و منهم عكرمة مولى ابن عباس قال الشعبي : ما بقي اخد اعلم بكتاب اللّه من عكرمة و كان ابن عباس يجعل في رجليه الكبل ، يعلمه القرآن و السنن.

و منهم الحسن البصري ، و عطا بن ابي رباح ، و عطا بن ابي سلمة الخراساني ، ومحمد بن كعب القرظي ، و ابو العالية ، و الضحاك ، و عطية ، و قتادة ، و زيد بن اسلم ، و مرة الهمداني ، و ابو مالك.

و يليهم الربيع بن انس ، و عبد الرحمان بن زيد بن اسلم ((1186)) , في آخرين فهؤلا قدما المفسرين ، و غالب اقوالهم تلقوها عن الصحابة.

ثم بعد هذه الطبقة الفت تفاسير تجمع اقوال الصحابة و التابعين ، كتفسير سفيان بن عيينة ، و وكيع بن الجراح ، و شعبة بن الحجاج ، و يزيد بن هارون ، و عبد الرزاق ، و آدم بن ابي اياس ، و اسحاق بن راهويه ، و روح بن عبادة ، و عبد بن حميد، و سنيد، و ابي بكر ابن ابي شيبة و آخرين((1187)) .

هذا و قد تعلل بعضهم في اعتبار ما ورد من تفاسير التابعين ، اذ ليس لهم سماع من رسول اللّه (ص (فهي من آرائهم ، و يجوز عليهم الخطا كما لم ينص على عدالتهم كما نص على عدالة الصحابة فقد نقل عن ابي حنيفة انه قال : ما جا عن رسول اللّه ، فعلى الراس و العين ، و ما جا عن الصحابة تخيرنا ,و ما جا عن التابعين فهم رجال و نحن رجال.

وقال شعبة بن الحجاج : اقوال التابعين ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير؟ و قد عرفت عن احمد روايتين ، احداهما بالقبول ، و الاخرى بالرفض.

قال الاستاذ الذهبي : و الذي تميل اليه النفس ، هو ان قول التابعي في التفسير لا يجب الاخذ به ، الا اذا كان مما لامجال للراي فيه ، فانه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة فان ارتبنا فيه ، بان كان ياخذ من اهل الكتاب ، فلنا ان نترك قوله و لا نعتمد عليه اما اذا اجمع التابعون على راي فانه يجب علينا ان ناخذ به و لا نتعداه الى غيره((1188)) .

قلت : ان كان اريد التعبد باقوال التابعين و التسليم لارائهم فهذا لا وجه له ، و لا مبرر لذلك ، فانهم ـ كما قال ابوحنيفة ـ رجال و نحن رجال.

لكن مقصود البحث غير ذلك ، و انما هو الاعتبار العقلاني ، بالنظر الى اسبقيتهم و اقربيتهم الى منابع الوحي ومهبط التنزيل ، و امس بجوانب الشريعة ، و اقرب تناولا الى اعتاب اعلام الصحابة و الائمة الهداة ، كما نبهنافضلاعن انهم اعرف

بمواضع اللغة و اساليب العرب الفصحى ممن نزل القرآن بلغتهم و على اساليب كلامهم المعروف.
فكانت آراؤهم و نظراتهم المستنبطة من اصول متينة ، المستقاة من مناهل صافية و ضافية ، من خير الـوسائل السليمة لفهم معاني القرآن الكريم فهي بالاستعانة بها و الاستفادة منها اقرب منها الى التعبد و التقليد.
و قـد عـرفـت ان جل التابعين من متخرجي مدارس الصحابة الاولين كعبد اللّه ابن مسعود، و ابن عـباس ، الذي كان هذا بدوره متخرجا من مدرسة الامام امير المؤمنين (ع) فجملة علومهم و اصول معارفهم مستندة الى منابع اصيلة منتهية الى مصدر الوحي الامين الامر الذي يجعل الفرق واضحا بين من كان شانهم هذا، و بين من كان مستقى علمه بعيد المنال ، ينتهي اليه بوسائط كثيرة ، و في جهد بليغ كـمـا هـي حالتنا الحاضرة بالنسبة الى حالة التابعين ، و هم على مشارف المنابع الاولى يستقون منها بالمباشرة ، و عن متناول قريب.
وعلى اى حال ، فان اجتهاد من كانت المنابع في متناوله القريب ، اصوب واسد وابين طريقا، ممن كان على مراحل من منابع الاجتهاد و لا اقل من كون اجتهاد السابقين دلائل تنير الدرب لاجتهاد اللاحقين الامر الذي لا ينبغي انكاره.

ميزات تفسير التابعي

يمتاز التفسير في عهد التابعين بمميزات ، تفصلها عن تفاسير الصحابة من وجوه : اولا:
الـتـوسع فيه فقد تعرض التابعون لمختلف ابعاد التفسير، و خاضوا معاني القرآن ، من مختلف الجهات والمناحي بينما كان تفسير الصحابة مقتصرا على جوانب محدودة من اللغة ، و شان النزول ، و بـعض المفاهيم الشرعية , لرفع ما ابهم على الناس من هذه الجهات فحسب فقد خطا تفسير التابعي خطوات اوسع و في جوانب اكثر.
و مـن ثـم فان التفسير في هذا العهد، يشمل جوانب الادب و اللغة في ابعاد مترامية و هكذا التاريخ لامم سالفة ، وامم معاصرة مجاورة لجزيرة العرب ، تاريخ حياتهم و بلادهم ، على ما وصلت اليهم من اخـبـارهـم و حتى بعض لغاتهم و ثقافاتهم ، مما يمس جانب القرآن و هكذا دخل في التفسير بحوث كـلامـية نشات ذلك العهد، و ارتبطت مع كثير من آي القرآن بعض الربط كيات الصفات والمبدا و المعاد و ما شابه.
و قـد اخـذ هذا التوسع بازدياد مطرد، و في ابعاد مستجدة كلما توسعت العلوم والمعارف ، و ازداد الـتعرف الى آداب و ثقافات كان يملكها امم يدخلون في دين اللّه افواجا، و معهم علومهم و معارفهم , يحملونها و يجعلونهافي خدمة الاسلام والمسلمين ، و كانت لم تزل تتسع مع اتساع رقعة الاسلام.
و لا يـزال حـجـم الـتفسير يتضخم ، حيث و فرة العلوم و المعارف المساعدة لحل قسط وافر من مـشـاكـل غـامـضة مما تحتضنه كثير من آيات كونية او لافتة الى خبايا اسرار الوجود و للعلم و الفلسفة في جميع مناحيهما حظهماالاوفر في هذا المجال.
ثانيا: تشكله و ثبته ثم تدوينه.
كـان الـتـفسير على عهد الصحابة كحاله في عهد الرسالة ، منتثرا على افواه الرجال ، ومبثوثا بين اظـهـرهـم ، مـحـفـوظا في الصدور لقصر خطاه و قرب مداه و مقتصرا على بضع كلمات لبضع آيات ،كانت خافية المفاد، او مبهمة المراد حينذاك.
امـا و كـونه منتظما رتيبا، و مثبتا ذا تشكيل و تدوين فهذا قد حصل او اخذ في الحصول على عهد التابعين وتابعي التابعين كان احدهم يعرض القرآن من بدئه الى الختم ، على شيخه يقرؤه عليه ، يقف لدى كل آية آية يساله عنها و يستفهمه معانيها، او يستعلم منه مقاصدها و مراميها، و لا يجوزها حتى يـدونها في سجل ، او يثبتهافي دفتر او لوح ، كان يحمله معه و هكذا اخذ التفسير، يتشكل و يتدون ذلك العهد.
قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات ، اقف عند كل آية ، اساله فيم انزلت ، و كيف نزلت قال ابن ابي مليكة : رايت مجاهدا يسال ابن عباس عن تفسير القرآن ، و معه

الواحه فيقول له ابن عباس : اكتب حتى ساله عن التفسير كله و من ثم قيل : اعلمهم بالتفسير مجاهد((1189)) .
و كان ابن عباس يجتهد في تربية عكرمة مولاه ، فرباه فاحسن تربيته ، و علمه فاحسن تعليمه , حتى اصبح فقيها، و اعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن((1190)) .
ولقتادة كتاب في التفسير، و ربما كان كبير الحجم ضخما فقد استخدمه الخطيب البغدادي ، كما استخدمه الطبري في اكثر من ثلاثة آلاف موضع من تفسيره((1191)) .
و هكذا لجابر بن يزيد الجعفي((1192)) و الحسن البصري ((1193)) و ابان بن تغلب ((1194)) و زيدبن اسلم((1195)) و غيرهم كتب معروفة في التفسير و علوم القرآن.
قال عادل نويهض : ابان بن تغلب ، مقرئ جليل ، مفسر، نحوى ، لغوي ، محدث ، من اهل الكوفة وثقه احمد و ابن معين و ابو حاتم خرج له مسلم و الاربعة من آثاره ((معاني القرآن)) و ((غريب القرآن)) و لعله اول من صنف في هذا الموضوع توفي سنة (١٤١. ((1196)) (
و سنذكر في فصل قادم ، بد التدوين في التفسير، الامر الذي تحقق منذ عهد التابعين.
و ثالثا: النظر و الاجتهاد كانت هي ميزة كبرى حظي بها عهد التابعين ، ان قام عديد من كبار العلما ذاك العهد،فاعملوا النظر في كثير من مسائل الدين ، و منها مسائل قرآنية ، كانت تعود الى : معاني الصفات ، و اسرار الخليقة ،و احوال الانبيا والرسل ، و ما شاكل فكانوا يعرضونها على شريعة العقل ، و يحاكونها وفق حكمه الرشيد، وربما يؤولونها الى ما يتوافق مع الفطرة السليمة.
و اول مدرسة اخذت في الاجتهاد و اعمال النظر لاستنباط معاني القرآن ، مدرسة مكة ، التي اشادها الصحابي الجليل تلميذ الامام امير المؤمنين (ع) الموفق ، عبد اللّه بن عباس و كان متخرجوا هذه المدرسة هم الذين اسسوا بنيان الاجتهاد في التفسير و على يدهم شاعت و ذاعت طريقة الاجتهاد في مناحي الشريعة المقدسة ،على الاطلاق.
ثم مدرسة الكوفة ، تاسست على يد عبد اللّه بن مسعود، و تخرجت منها علما افذاذ، اصحاب نظر و اجتهاد واصبحت مدرسة الكوفة بعدئذ معهد الدراسات الاسلامية ، يقصدها رواد العلم من جميع اطراف البلاد، حيث محط جل الصحابة ، و لا سيما بعد مهجر الامام امير المؤمنين (ع) فقد ارتحل اليها العلم برمته ، و اخذت مجامع الكوفة تحتضن الكبار من علما الاسلام يومذاك و عليهم دارت رحى العلم و فاضت ينابيع المعارف الى ارجاالبلاد.
و لم تدم مدرسة مكة طويلا، و اخذت بالافول بعد وفاة صاحبها و مؤسسهاعام (٦٨) و تفرق متخرجيها و انتشارهم في اكناف الارض فقد ارتحلوا الى خراسان و مصر و الشام و سائرالديار.
غير ان مدرسة الكوفة اخذت تزدهر و تزداد صيتا و نشاطا مع تقادم الايام.
و هاتان المدرستان هما الاساس لنشر العلم و بث المعارف بين العباد، و ان كانت احداهما اخذت في الاندثار،بينما الاخرى استمرت في الازدهار و التوسع و الانتشار.
و اكثر العلما التابعين بل الغالبية الساحقة ، هم المتخرجون من هاتين المدرستين.
فكان لهما الفضل الكبير على الامة ، في تثقيفهم و التنشيط في السعي ورا العلم والمعرفة و يعود الفضل في ذلك الى الصحابيين الجليلين : ابن عباس و ابن مسعود، و على راسهما الامام اميرالمؤمنين (ع.(
هذا مجاهد بن جبر، متخرج مدرسة ابن عباس ، و قد اجمعت الامة على امامته و الاحتجاج بكلامه((1197)) .
رمي بحرية الراي في التفسير، و ان شئت فقل : حظي بقوة الفهم و حدة النظر و وفور العقل و الذكا.
نعم حيث كانت عقلية الجمود، هي الساطية على غوغا الناس حينذاك ، كان توجيه هكذا تهم الى امثال هؤلاالافذاذ، يبدو طبيعيا في ظاهر الحال.
قيل له : انت الذي تفسر القرآن برايك ؟ مبانيه وطرائق استنباط معانيه) عن بضعة عشر رجلا من اصحاب النبي (ص.(
نعم كان مجاهد يحمل ذهنية متحررة عن قيود الاوهام ، و عقلية واعية تمكنه من ادراك

الحقائق و لمسها في واقع امرها، دون الاقتصار على الظاهر و الاقتناع بالقشور.
انه كان يعرض الاي القرانية ـ لغرض فهم معانيها ـ على المتفاهم العام من الالفاظ والكلمات ، ثم على مباني الشريعة و شواهد التاريخ و نحوها مما كان متعارفا لفهم المعاني لدى العرف العام لكن من غير ان يقتنع بذلك ، حتى يعرضها على فهم العقل و توافق الفطرة ، من غير ان يختفي عنه شي من الشواهدو دقائق الكلام.
قال ـ في تفسير قوله تعالى : (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ((1198)) : (لم يمسخوا قردة ، و انما هو مثل ضربه اللّه ، كما قال : (كمثل الحمار يحمل اسفارا ((1199)) (قال : انه مسخت قلوبهم , فجعلت كقلوب القردة ، لا تقبل وعظا و لا تتقي زجرا((1200)) .
و قد تكلمنا عن تفسيره هذا لهذه الاية ، في ترجمته السالفة ، و ذكر اوجه ترجيحه وكلام السلف و علما المفسرين بشانه.
و قال ـ في تفسير قوله تعالى : (ربنا انزل علينا مائدة من السما تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا و آية منك) ـ ((1201)) قال : مثل ضرب لم ينزل عليهم شي قال ابو جعفر الطبري : قال قوم : لم ينزل على بني اسرائيل مائدة ، فقال بعضهم : انما هذا مثل ضربه اللّه تعالى لخلقه نهاهم به عن مسالة نبى اللّه الايات ثم اسند ذلك الى مجاهد ((1202)).
و عند تفسير قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة , ((1203)) (قال : تنتظر الثواب من ربهاقيل له : ان اناسا يقولون : انه تعالى يرى ، فيرون ربهم : فقال : لا يراه من خلقه شي((1204)) .
قال الاستاذ الذهبي : ان مثل هذا التفسير عن مجاهد، اصبح متكئا قويا للمعتزلة فيما بعد، فيما ذهبوا اليه من مذاهب عقلية.
قلت : ليس مجاهد وحده ممن فتح باب الاجتهاد و النظر في مفاهيم القرآن ، بل كان يرافقه ـ ذلك العهد ـ كثير من ارباب العقول الراجحة ، ممن سماهم اللّه تعالى (اولي الا لباب)، و هم وفرة في اصحاب النبي (ص) و التابعين لهم باحسان و في هذا التاليف تنويه بجلة من اعلامهم.
كما ان المعتزلة ليسوا هم وحدهم ـ ممن تبعوا طريقة العقل الرشيد، و نبذوا الجمودفي الراي ورا الظهور ففيما عدى السلفيين الحفاة الجفاة و اذنابهم الاشاعرة العراة ، خلق كثير و زرافات من الامة المرحومة ، واكبوا اهل الاعتزال او سبقوهم في هذا المضار، و لا يزال.
و من الموصوفين بحرية الراي و الاجتهاد في التفسير، عكرمة مولى ابن عباس ، الذي رباه فاحسن تربيته وعلمه فاحسن تعليمه ، حتى اصبح من الفقها و اعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن((1205)) .
كان يرى مسح الارجل في الوضؤ مستفادا من الكتاب ، كما فهمه شيخه ابن عباس و يرفض ما استظهره سائرالفقها و يخطؤهم في استظهار الخلاف ((1206)).
و هكذا في المسح على الخفين كان ينكره اشد الانكار كان يقول : ((سبق الكتاب المسح على الخفين ((1207)) ((يعني : ان الكتاب جا بالمسح على الارجل اما المسح على الخفين فامر حادث ، لا يجوز ترك القرآن بذلك.
اما القوم فكانوا يرون المسح على الخفين ناسخا للمسح على الارجل ذكر الجصاص ان ابا يوسف كان يرى ان سن ة المسح على الخفين نسخت آية المسح على الارجل((1208)) .
و زيد بن اسلم مولى عمر، الفقيه المفسر،برع حتى اصبح من كبار التابعين المرموقين كانت له حلقة في مسجدالمدينة يحضرها جل الفقها و ربما بلغوا اربعين فقيها له تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمان قال ابن حجر:اخذ العلم من جماعة ، منهم علي بن الحسين زين العابدين (ع) ، و عده ابو جعفر الطوسي من اصحاب الامام السجاد قال : كان يجالسه كثيرا له رواية عن الامامين الباقر والصادق (ع.(
و قد اخذ عليه حريته في الراي و الاجتهاد، على خلاف مذهب الاحتياط والوقوف لدى الماثور قال حماد:قدمت المدينة و هم يتكلمون في زيد بن اسلم فقال لي عبيد اللّه بن عمر: ما نعلم به باسا الا انه يفسر القرآن برايه والمعروف عن اهل المدينة انهم اصحاب وقف و احتياط ((1209)).

هـذا و قد راج التفسير العقلي فيما بعد، و لا سيما عند المعتزلة و من حذا حذوهم في تقديم العقل على ظاهرالنقل.
هـذا ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني (٢٥٥ ـ ٣٤٤) قد وضع تفسيره على اساس من التفكير الـصـحـيح وفق ما يرتضيه الدين الاسلامي الحنيف ، من نبذ التقليد و التمسك بعرى التحقيق (افلا يـتـدبـرون الـقـرآن ام عـلـى قـلـوب اقـفالها) (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((1210)) (
هو عند ما يفسر قوله تعالى : (قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا و اذكـر ربك كثيرا و سبح بالعشي و الا بكار ((1211)) (بان زكريا لما طلب من اللّه تعالى آية تدله عـلى حصول العلوق (انعقاد النطفة في رحم زوجه) قال : آيتك ان لا تكلم ، اي تصير مامورا بان لا تـتـكـلم ثلاثة ايام بلياليها مع الخلق (اي اذا جاك الامر بذلك ، فاعلم ان الحمل بيحيى قد تحقق عند ذلك) اي تكون مشتغلا بالذكر و التسبيح و التهليل ، معرضا عن الخلق و الدنيا، شاكرا للّه تعالى على اعـطـا مـثل هذه الموهبة فان كانت لك حاجة ، دل عليها بالرمز فاذا امرت بهذه الطاعة فاعلم انه قد حصل المطلوب.
يقول الامام الرازي بشانه ـ و هو اشعري يخالفه في المذهب ـ : ((و هذا القول عندي حسن معقول و ابو مسلم حسن الكلام في التفسير، كثيرالغوص على الدقائق و اللطائف ((((1212)) .
هـذه شـهادة راقية من اكبر علم من اعلام التحقيق في الفلسفة و الكلام ، بشان المع شخصية بارزة , مارس عقله و شاور لبه عند تفهم القرآن ، ممن نبذ التقليد و اخذ في التدقيق.
و انت اذا قارنت هذا التفسير لهذا الموضع بالذات ، مع سائر التفاسير التي عرضهاالقوم ، تجد الفرق بائنا و البون شاسعا.
ذكـر ابو جعفر الطبري : ان عدم التكلم هناكان عن عجز، سلبه اللّه القدرة على الكلام ، فيما سوى الـتـسبيح والتحميد و ذلك تمحيصا له من هفوته و خطا قيله في سؤاله الاية قيل : انه لما سمع ندا الملائكة يبشرونه بيحيى جاه الشيطان من فوره و قال له : يا زكريا، ان الصوت الذي سمعت ليس من عـنـد اللّه ، انـمـا هـو الـشـيـطـان يسخر بك قالوا: فشك زكريا في مكانه ، و قال : (انى يكون لى غـلام ((1213)) (و مـن ثم طلب من اللّه ان يجعل له آية ، يرتفع بها شكه ، فعاتبه اللّه على مسالته تلك و انه لا ينبغي لنبى ان يشك.
قـال الطبري ـ فيما رواه ـ : انما عوقب بذلك ، لان الملائكة شافهته مشافهة بذلك ،فبشرته بيحيى , فـلـمـا سـال الايـة بـعـد كـلام الـمـلائكـة مـشافهة ، اخذ اللّه عليه بلسانه ، فكان لا يقدر على الكلام الاايما((1214)) .
وقـال الـقـرطبي : لما بشر بالولد و لم يبعد عنده هذا في قدرة اللّه ، طلب آية يعرف بها صحة هذا الامر، و كونه من عند اللّه ، فعاقبه اللّه بان اصابه السكوت عن كلام الناس ، لسؤاله الاية بعد مشافهة الـمـلائكـة اياه((1215)) و هـكذااكثر المفسرين من اصحاب النقل في التفسير كابن كثير و اضرابه((1216)) .
غـير ان ارباب التحقيق رفضوا تلك النقول المنافية لاصول العقيدة الاسلامية ، و لاسيما فيما يمس جانب عصمة الانبيا و صيانتهم عن امكان غلبة الشيطان على مشاعرهم.
قـال الـشيخ محمد عبده : و من سخافات بعض المفسرين ، و التي لا تليق بمقام الانبيا(ع) زعمهم ان زكـريا(ع) اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم ، بوحي الشياطين ، و لذلك سال سؤال التعجب ، ثم طلب آية للتثبت روى ابن جرير فيما روى : ان الشيطان هو الذي شككه في ندا الملائكة ، و قال له : انه من الشيطان.
قـال : و لـولا الجنون((1217)) بالروايات مهما هزلت و سمجت ، لما كان لمؤمن ان يكتب مثل هذا الـهـز و الـسخف الذي ينبذه العقل ، و ليس في الكتاب ما يشير اليه و لو لم يكن لمن يروي مثل هذا الاهـذا، لـكفى في جرحه ، و ان يضرب بروايته على وجهه فعفا اللّه عن ابن جرير، اذ جعل هذه الرواية مما ينشر.
ثـم فـسـر الايـة وفق ما فسرها ابو مسلم : (قال رب اجعل لي آية) اي علامة تتقدم هذه

العناية و تؤذن بها(قال آيتك ان لا تكلم الناس) اي تترك ذلك مختارا لتفرغ لعبادة اللّه ((1218)).
و هكذا في قصة ابراهيم الخليل و الطيور الاربعة : (قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل جز ثم ادعهن ياتينك سعيا. ((1219)) (
قال الرازي : اجمع اهل التفسير على ان المراد: قطعهن غير ابي مسلم فانه انكر ذلك ، و قال : ان ابراهيم (ع) لمناطلب احيا الميت من اللّه تعالى اراه اللّه مثالا قرب اليه الامر، و المراد ب))فصرهن اليك)) : الامالة و التمرين على الاجابة ، اي فعود الطيور الاربعة ان تصير بحيث اذا دعوتها اجابتك و اتتك ، فاذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحدا حال حياته ثم ادعهن ياتينك سعيا و الغرض منه ذكر مثال محسوس في عود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة و انكر القول بان المراد منه : فقطعهن.
قال : و احتج على مذهبه بوجوه:
الاول : ان المشهور في اللغة في قوله ((فصرهن)): املهن اما التقطيع و الذبح فليس في الاية ما يدل عليه فكان ادراجه في الاية الحاقا لزيادة بالاية لم يدل الدليل عليها، و انه لا يجوز.
الثاني : انه لو كان المراد ب ((صرهن)) : قطعهن ، لم يقل : ((اليك))، فان ذلك لا يتعدى بالى ، و انما يتعدى بهذا الحرف اذا كان بمعنى الامالة فان قيل : لم لا يجوز ان يقال في الكلام تقديم و تاخير، و التقدير: فخذ اليك اربعة من الطير فصرهن ؟ قلنا: التزام التقديم و التاخيرمن غير دليل ملجئ الى التزامه خلاف الظاهر.
و ايضا الضمير في ((ياتينك)) عائد اليها لا الى اجزائها، و على قولكم : اذا سعى بعض الاجزا الى بعض كان الضمير في ((ياتينك)) عائدا الى اجزائها لا الى الطيورانفسها((1220)) .
ثم ان الامام الرازي يذكر حجج المشهور رادا على ابي مسلم و قد نقلها صاحب تفسير المنار و ضعفها، و ايدمذهب ابي مسلم في تفسير الاية في شرح و تفصيل ، ثم قال:
و جملة القول : ان تفسير ابي مسلم لهذه الاية هوالمتبادر الذي يدل عليه النظم ، و هو الذي يجلي الحقيقة في المسالة و اخذ في تقريب ذلك و اخيرا قال : و للّه در ابي مسلم ، ما ادق فهمه و اشد استقلاله فيه((1221)) .
و هذه ايضا شهادة بشان ابي مسلم من اكبر علما التفسير في العصر الاخير.
هذا و لامثال ابي مسلم مواقف مشرفة تجاه سائر المفسرين الظاهريين كانت نوافذ قلوب امثاله متفتحة ،يسيرون في ضؤ العقل و على مناهج التفكير المتين ((1222)).
و هذا ان دل فانما يدل على مدى قوة الاجتهاد و دوره المجيد في تفسير القرآن الكريم ، و الذي فتح بابه بمصراعين ، نبها السلف الصالح ايام الصحابة والتابعين ، و استمرت طريقتهم الحميدة ، سنة حسنة متبعة حتى اليوم.
قال الرازي في تفسير قوله تعالى : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجهاليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ، فلما اثقلت دعوا اللّه ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركافيما آتاهما، فتعالى اللّه عما يشركون. ((1223)) (
قال ـ بعد ايراد اشكال و اعتراضات على ظاهر الاية ـ : اذا عرفت هذا فنقول : في تاويل الاية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد:
الاول : فما ذكره القفال((1224)) , انه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل ، و بيان ان هذه الحالة هي صورة حالة هؤلا المشركين في جهلهم و قولهم بالشرك.
قال : و تقرير هذا الكلام ، كانه تعالى يقول : هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ، و جعل من جنسهازوجها انسانا يساويه في الانسانية فلما تغشى الزوج زوجته و ظهر الحمل ، دعا الزوج و الزوجة ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا سويا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما اللّه ولدا صالحا سويا ,جعل الزوج والزوجة للّه شركا فيما آتاهما، لانهما تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبائع كما هو قول الطبائعيين ، و تارة الى الكواكب كماهو داب المنجمين ، و تارة الى الاصنام والاوثان كما هو قول عبدة الاصنام.
ثم قال الرازي : و هذا جواب في غاية الصحة و السدادثم ذكر بقية الوجوه فراجع((1225)) .

و قد حمل العلامة جار اللّه الزمخشري آية عرض الامانة على السماوات والارض (الاحزاب : 72)على ضرب من التمثيل ثم قال : و نحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب ، و ما جا القرآن الا على طرقهم و اساليبهم من ذلك قولهم : لوقيل للشحم : اين تذهب ؟ لقال : اسوي العوج و كم و كم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات ((1226)).

و يروي ابن كثير في تفسير قوله تعالى : (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم و هم الوف حذر الموت فقال لهم اللّه موتوا ثم احياهم ((1227)) (باسناده الى ابن جريج عن عطا ـ قال : هذامثل يعني انها ضرب مثل لا قصة وقعت ((1228)).

رابعا: رواج الاسرائيليات في هذا العهد.

ففي هذا الدور دخل كثير من الاسرائيليات في التفسير، و ذلك لكثرة من دخل من اهل الكتاب ، في الاسلام في هذا العهد بالذات ، و كان لا يزال عالقا باذهانهم من الاقاصيص و اساطير اسلافهم ، ما يعود الى بد الخليقة و اسرار الوجود و بدالكائنات و اخبار الامم الخالية و احاديث الانبيا، و كثيرمن القصص الاسطورية التي جات في التوارة ، و سائر الكتب السالفة.

و كانت النفوس ميالة لسماع تفاصيل ما جا اجمالها في القرآن الكريم ، و لا سيما فيما يعود الى احداث يهودية او نصرانية ، مما جا في العهدين فكان المسلمون يستمعون الى اقاصيص هؤلا، و يصغون مسامعهم الى تلكم الاساطير.

و قد تساهل التابعون ـ رغم مناهي النبي (ص) و اصحابه الكرام ـ فزجوا في التفسير بكثير من هذه الاسرائيليات ، بدون تحر و تمحيص و اكثر من روى عنه ذلك من مسلمي اهل الكتاب : عبد اللّه بن سلام ، وكعب الاحبار، و وهب بن منبه ، وعبد الملك بن جريج و اضرابهم .

الامر الذي يؤخذ على التابعين مساهلتهم هذه ، كما هو ماخوذ على من جا بعدهم ،و سارعلى نفس المنوال من غير روية و تحقيق((1229)) .

و سوف نستعرض هذه الناحية عرضا موسعا، عند الكلام عن اسباب الوهن في التفسير بالماثور، و ان الروايات التفسيرية غير نقية ، هي بحاجة الى تنقيح.

منابع التفسير في عهد التابعين

كان التلقي في التفسير هوالعنصر الاولى ، و الاداة المفضلة لفهم كتاب اللّه تعالى ، ذلك العهد، اذ كان التابعون يسيرون في اثر الصحابة و كانوا تربيتهم بالذات ، فانتهجوا منهجهم بطبيعة الحال غير انهم اخذوا بالتوسع والتفتح الى آفاق واسعة الارجا، حسب توسع رقعة الاسلام و دخول الاقوام في دين اللّه افواجا، و معهم علومهم و آدابهم و ثقافاتهم ، كما نبهنا فازداد التبصر و التفتح الى آفاق اوسع ، و التطلع الى ارجا ابعد.

و لا شك ، انه كلما ازداد علم الرجل و تنوعت ثقافاته و ترامت معارفه ، فانه يزداد تبصره و يتوسع تفكيره وتفهمه للامور، مهما كان نمطها،و ايا كان نسجها.

و بعد فيمكننا تنويع المصادر التي كان التابعون يعتمدونها لفهم معاني كلام اللّه تعالى و تبيين مقاصده و مراميه ،الى الامور التالية:

اولا: مراجعة الكتاب نفسه ، حيث القرائن و الدلائل في كلام اى متكلم ، خير شهود على كشف مراده والوقوف على مرامه و هكذا القرآن ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض ، كما قال الامام امير المؤمنين (ع)ثانيا: ملاحظة ما تلقوه من اقوال الصحابة و احاديث رسول اللّه (ص) بشان تبيين معاني الكتاب.

حيث الاسئلة حول لفيف من معاني القرآن كانت كثيرة على عهده (ص.(

و كان عليه البيان ، كما كان عليه البلاغ و من تلك الاسئلة و اجوبتها كانت وفرة وفيرة مدخرة على ايدي الصحابة يؤدونها الى الذين اتبعوهم باحسان.

و قد تقدم حديث مسروق بن الاجدع ، و وصفه لعلوم الاصحاب المتلقاة من النبي الكريم.

ثالثا: مراعاة اسباب النزول و المناسبات المستدعية لنزول آية او آيات او سورة ونحوها، حيث كانت في متناولهم القريب ، و هم الذين نقلوها الينا فيما نقلوه من الاثارو الاخبار.

وحيث كانت الايات النازلة بشانها، ناظرة الى جوانب و خصوصيات تحتضنها تلك الحوادث و المناسبات ، فانها بدورها تصبح خير دلائل على رفع كثير من الابهام الوارد في الفاظ تلكم الايات بالذات و كان اصحاب ذلك العهد (عهد التابعين) اما حضروا تلك المشاهدبانفسهم ، او بامكانهم الملاقاة مع شهود القضايا، و الاخذ منهم مشافهة.
و هذا من اكبر المصادر لرفع الابهام عن وجه كثير من الايات ، و كان في متناولهم القريب.
رابعا: مراجعة اللغة في صميمها، و لا سيما اشعار العرب و هي ديوآنها.
و دائرة معارفها، للوقوف على مزايا اللغة و اساليب كلام العرب و القرآن نزل على نمطها و على نفس نسجها في التعبير و البيان و ان كان في اسلوب ارقى و على نسج اقوى.
و كان ابن عباس يوصي اصحابه بل يحضهم على مراجعة اشعار العرب للتعرف على غريب القرآن و لقدعدزعيم هذه الناحية من التفسير بالخصوص ، حتى لقد قيل بشانه : انه هو الذي ابدع الطريقة اللغوية لتفسيرالقرآن((1230)) .
كان يقول : الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى علينا حرف من القرآن الذي انزله الل ه بلغة العرب , رجعنا الى ديوانها، فالتمسنا ذلك منه.
و ايضا قوله : اذا سالتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فان الشعر ديوان العرب ((1231)).
خامسا: انحا العلوم و المعارف التي تعرف اليها المسلمون ، بفضل التوسع في رقعة الاسلام و ازدحام وفودالاداب و الثقافات المستوردة عليهم ، يحملها امم ذووا حضارات عريقة ، كانوا يدخلون في دين اللّه افواجا.
و قد اسلفنا ان التوسع في الاطلاع على العلوم و المعارف ، مهما كان نمطها، فانه يزيد في قوة الفهم و امكان لمس حقائق الامور، و يرتفع مستوى قدرة الاستنباط بدرجات ، لا يبلغها من اعوزه النيل منها بنسبة اعوازه.
و هكذا استفاد التابعون ـ و من بعدهم ـ بالعلوم و المعارف المستجدة.
و المستزادة مع تقادم الايام استفادوا بها في فهم معاني كلام اللّه تعالى و قد (انزله الذي يعلم السر في السماوات و الا رض. ((1232)) (
سادسا: اعتمادهم على ما فتح اللّه عليهم من طريق الاجتهاد و النظر في كتاب اللّه تعالى ، و قد روت لنا كتب التفسير كثيرا من اقوال هؤلا التابعين في التفسير، قالوها بطريق الراي و النظر و الاجتهاد، مما لم يصل الى علمهم شي فيها عن رسول اللّه (ص) او عن احد الصحابة فكانوا يعملون النظر فيها، بامعان النظر في دلائل وقرائن كانت تساعدهم على فهم الاية ، مما مرت الاشارة الى بعضها.,
و غير ذلك من ادوات الفهم و وسائل البحث و التنقيب.
الامر الذي ساعد على فتح باب الاجتهاد بشان التفسير، و في سائر شؤون الشريعة ،و استمرت الطريقة المرضية عبر التاريخ و قد نوهنا عنها.
سابعا: استنادهم الى نصوص من كتب العهدين ، مما جا اجماله في القرآن ، و تعرضت لتفاصيلها كتب السالفين ، مما لم يحتمل فيه التحريف كجوانب من تاريخ انبيا بني اسرائيل و سيرة ملوكهم و ما شابه من قصصهم و اخبارهم .

و ذلك ككثير من قصص ابراهيم الخليل و لوط و يوسف ، ففي التوراة ما في القرآن من تفاصيل اخبارهم ، سوى ان القرآن جا بالصحيح المعقول منها، مختزلا، بينما في التوراة صور محرفة ومرفوضة لدى العقل السليم سوى بعض لقطات و خطفات جات سليمة ، يمكن الاستفادة منها احيانا الامرالذي كان نبها الصحابة و التابعين يعنونه بالذات ((1233)) دون الاستناد المطلق من غير تحر او تحقيق (فبشرعباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك هداهم اللّه و اولئك هم اولواالالباب. ((1234)) (
اما الاخذ من اهل الكتاب ، و الانصياع لهم في كل ما يسطرون ، فهذا كان مما

يتحاشاه الصحابة و التابعون ، نعم سوى شراذم من غوغا العوام ، او اهل الدغل من الساسة الحاكمة على البلاد على ما نسرد قصتهم في فصله القادم ان شا الله.
فالذي ذكر الذهبي ، من اعتماد التابعين ، في فهم معاني كتاب اللّه تعالى ، على ما اخذوه من اهل الكتاب مما جافي كتبهم((1235)) فانه ـ على اطلاقه ـ مرفوض و قد فندنا مزاعم الرجوع الى اهل الكتاب ، فيما حسبوه بشان الصحابي الجليل عبد اللّه بن عباس.

المرحلة الرابعة دور اهل البيت في التفسير

العترة الى جنب القرآن . دورهم في التفسير دور تربية و تعليم.
خلط التفسير بالتاويل عن بعض.
الوضع عن لسان الائمة.
نماذ ج من تفاسير اهل البيت.
دور اهل البيت في التفسير.

العترة الى جنب القرآن

)هم ورثة الكتاب و حملته و خزنة علومه و معارفه). (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. ((1236)) (
اوصى رسول اللّه (ص) بشان العترة الطاهرة ، الى جنب كتاب اللّه العزيز الحميد، و جعلهما خلفه الباقي في امته و عبر عنهما بالثقلين ـ محركة : كل شي نفيس مصون((1237)) و لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض كناية عن تواصل مسيرهما حتى انقضا العالم يتداومان علمين للامة ما ان تمسكوا بهما لن يضلوا ابدا.
حديث مستفيض ، بلفظ ((كتاب اللّه و عترتي)) او ((كتاب اللّه و اهل بيتي)) او بالجمع بين التعبيرين ((عترتي اهل بيتي)) ليكون احدهما تبيينا للاخرو توضيحا له و على التعابير، فهو متفق على صحته و احكام طرقه و اسانيده.
قال العلامة الاميني : هذا الحديث مما اتفقت الامة و الحفاظ على صحته ((1238)).
و قال الحافظ ابن حجر الهيثمي : و لهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع و عشرين صحابيا((1239)) .

والمستفاد من حديث الثقلين امور:

اولا: لزوم مودتهم قال ابن حجر الهيثمى : و في هذه الاحاديث ، لا سيما قوله ـ ص ـ : انظروا كيف تخلفوني فيهما، و اوصيكم بعترتي خيرا، و اذكركم اللّه في اهل بيتي)) الحث الاكيد على مودتهم و مزيد الاحسان اليهم واحترامهم و اكرامهم و تادية حقوقهم الواجبة و المندوبة ، كيف و هم اشرف بيت وجد على وجه الارض فخرا وحسبا و نسبا.
قال : و في قوله ـ ص ـ : ((لا تقدموهما فتهلكوا، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا، و لاتعلموهم فانهم اعلم منكم)) دليل على ان من تاهل منهم للمراتب العلية و الوظائف الدينية كان مقدما على غيره و يدل عليه التصريح بذلك بشان قريش ، فاهل البيت النبوي الذين هم غرة فضلهم و محتد فخرهم والسبب في تميزهم على غيرهم ، بذلك احرى و احق و اولى و اخيرا قال : و صح عن ابي بكر انه قال : ارقبوامحمدا في اهل بيته ، اي احفظوا عهده و وده في اهل بيته((1240)) .
و عند ذكره لتاويل الاية : (و قفوهم انهم مسؤولون ((1241)) (اسند الى ابي سعيد الخدري ، ان النبي (ص)قال : ((وقفوهم انهم مسؤولون عن ولاية على)) قال : و كان هذا هو مراد الواحدي بقوله : روى ـ في الاية ـ انهم مسؤولون عن ولاية على و اهل البيت لان اللّه امر نبيه ان يعرف الخلق انه لا يسالهم على تبليغ الرسالة اجراالا المودة في القربى و المعنى : انهم يسالون هل والوهم حق الموالاة كما اوصاهم النبي ص ـ ام اضاعوها واهملوها، فتكون عليهم المطالبة و التبعة((1242)) .

قال الهيثمي : و اشار الواحدي بقوله : ((كما اوصاهم)) الى الاحاديث الواردة في ذلك ، و هي كثيرة ثم ذكر طرفامنها، و من جملتها حديث الثقلين و ذكر متنو ع متونه ، و في رواية ((كتاب اللّه و سنتي)) و قال : و هي المراد من الاحاديث المقتصرة على الكتاب ، لان السنة مبينة له فاغنى ذكره عن ذكرها قال : و الحاصل ان الحث وقع على التمسك بالكتاب و بالسنة ، و بالعلما بهما من اهل البيت و اخيرا قال : و يستفاد من مجموع ذلك بقاالامورالثلاثة الى قيام الساعة.

ملحوظه : قال الهيثمي : ان للحديث طرقا كثيرة وردت عن نيف و عشرين صحابيا و في بعض تلك الطرق انه ـ ص ـ قال ذلك بحجة الوداع بعرفة ، و في اخرى انه قاله بالمدينة في مرضه و قد امتلات الهجرة باصحابه ، وفي ثالثة انه قال ذلك غديرخم ، و في رابعة انه قال لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف.

قال : و لا تنافي ، اذ لا مانع من انه ـ ص ـ كرر عليهم ذلك في تلك المواطن و غيرها اهتماما بشان الكتاب العزيزو العترة الطاهرة((1243)) .

ثانيا: تداوم امامتهم ما تداومت ايام هذه الامة عبر الازمان ، و كونهم مراجع الخلق بعد رسول اللّه (ص) في فهم الشريعة و معاني القرآن ، مرجعية عاصمة ، نظيرعصمة القرآن ، و مرجعيته عبر الخلود.

قال السيد الامين العاملي ـ بعد ذكر احاديث الثقلين التي رواها اجلا علما السنة و اكابر محدثيهم , في صحاحهم باسانيدهم المتعددة ، و اتفق على روايتها الفريقان.

))دلت هذه الاحاديث على عصمة اهل البيت من الذنوب و الخطا، لمساواتهم فيهابالقرآن الثابت عصمته ، في انهم احد الثقلين المخلفين في الناس ، و في الامربالتمسك بهم كالتمسك بالقرآن و لو كان الخطا يقع منهم لما صح الامر بالتمسك بهم الذي هو عبارة عن : جعل اقوالهم و افعالهم حجة و في ان المتمسك بهم لا يضل كما لا يضل المتمسك بالقرآن و لو وقع منهم الذنب اوالخطا لكان المتمسك بهم يضل و ان في اتباعهم الهدى و النور كما في القرآن ، و لو لم يكونوا معصومين لكان في اتباعهم الضلال و في انهم حبل ممدود من السما الى الارض كالقرآن ، و هو كناية عن انهم واسطة بين اللّه تعالى و بين خلقه ، و ان اقوالهم عن اللّه تعالى ، و لو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك.

و في انهم لن يفارقوا القرآن و لا يفارقهم مدة عمر الدنيا و لو انهم اخطاوا او اذنبوا لفارقوا القرآن و فارقهم.

و في عدم جواز مفارقتهم بتقدم عليهم بجعل نفسه اماما لهم ، او تقصير عنهم و ائتمام بغيرهم ، كما لا يجوزالتقدم على القرآن بالافتا بغير ما فيه او التقصير عنه باتباع اقوال مخالفيه .

و في عدم جواز تعليمهم و رد اقوالهم ، و لو كانوا يجهلون شيئا لوجب تعليمهم ، و لم ينه عن رد قولهم.

قال : و دلت هذه الاحاديث ايضا على ان منهم من هذه صفته في كل عصر و زمان بدليل قوله ـ ص ـ : انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، و ان اللطيف الخبير اخبره بذلك و ورود الحوض كناية عن انقضا عمرالدنيافلو خلا زمان من احدهما لم يصدق انهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ((1244)).

ثالثا: انهم الراسخون في العلم و المصداق الاوفى لوصف اهل الذكر، الذين يعلمون تفسير القرآن و تاويله ،فهم وحدهم مراجع الامة ، في فهم معاني الكتاب ودرس آياته عبر العصور انهم ابواب الهدى و مصابيح الدجى و سفن النجاة.

قال الهيثمي ـ في مقارنة لطيفة بين الكتاب و العترة ـ : سمى رسول اللّه ـ ص ـ القرآن و عترته ثقلين ، لان الثقل كل نفيس خطيرمصون و هذان كذلك ، اذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية و الاسرار و الحكم العلية و الاحكام الشرعية و لذا حث رسول اللّه ـ ص ـ على الاقتدا و التمسك بهم و التعلم منهم ، و قال : ((الحمد للّه الذي جعل فينا الحكمة اهل البيت)) و قيل : سميا ثقلين ، لثقل وجوب رعاية حقوقهما.

ثم الذين وقع الحث عليهم منهم انما هم العارفون بكتاب اللّه و سنة رسوله ، اذ هم الذين لا

يفارقون الكتاب الى الحوض ، و يؤيده الخبر السابق ((و لا تعلموهم فانهم اعلم منكم)) و تميزوا بذلك عن بـقية العلما، لان اللّه اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا و شرفهم بالكرامات الباهرة و المزايا المتكاثرة.
و فـي احـاديث الحث على التمسك باهل البيت اشارة الى عدم انقطاع متاهل منهم للتمسك به الى يوم القيامة ،كما ان الكتاب العزيز كذلك و لهذا كانوا امانا لاهل الارض ـ حسبما ياتى.
ويشهد لذلك قوله ـ ص ـ : ((في كل خلف من ام تي عدول من اهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وامتحال المبطلين و تاويل الجاهلين ، الا ان ائمتكم وفدكم الى اللّه عز و جل فانظروا من توفدون.((
ثـم احـق من يتمسك به منهم امامهم و عالمهم علي بن ابي طالب ـ كرم اللّه وجهه ـ لمزيد علمه و دقائق مستنبطاته ، و من ثم قال ابو بكر: على عترة رسول اللّه (ص. ((1245)) (
وقـال في قوله تعالى : (و ما كان اللّه ليعذبهم و انت فيهم: ((1246)) (اشار(ص) الى وجود هذا الـمعنى في اهل بيته و انهم امان لاهل الارض كما كان هو امانا لهم و في ذلك احاديث كثيرة منها ما رواه الحاكم و صححه على شرطالشيخين : ((النجوم امان لاهل الارض من الغرق و اهل بيتي امان لامتي من الاختلاف ، فاذا خالفتهاقبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس.((
وقال : و جا من طرق عديدة يقوي بعضها بعضا: ((انما مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نـجـا)) و فـي روايـة مـسـلـم : ((و مـن تـخـلف عنها غرق)) و في رواية : ((هلك و انما مثل اهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل ، من دخله غفر له((1247)) .
روى ثقة الاسلام الكليني باسناده الى الامام امير المؤمنين (ع) قال : ((ان اللّه تبارك و تعالى طهرنا و عـصـمـنا وجعلنا شهدا على خلقه و حجته في ارضه و جعلنا مع القرآن ، و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا يفارقنا.((
و روى ـ ايضاـ عن الامام ابي عبد اللّه الصادق (ع) قال ـ في قول اللّه عز و جل : (فكيف اذا جئنا مـن كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلا شهيدا ((1248)) (ـ :نزلت في امة محمد(ص) خاصة في كل قرن منهم امام منا شاهد عليهم ، و محمد(ص) شاهد علينا. ((1249)) ((
و في كلامه (ع) اشارة الى قوله (ص) ـ : ((يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ، ينفون عنه تاويل المبطلين وتحريف الغالين و انتحال الجاهلين ، كما ينفي الكير خبث الحديد ((1250)) .
و سـال عبيدة السلماني و علقمة بن قيس و الاسود بن يزيد النخعي ، الامام اميرالمؤمنين (ع) من ذا يـسـالـونـه عـمـا اذا اشـكـل عـلـيـهم فهم معاني القرآن ؟ فاجابهم الامام (ع): ((سلوا عن ذلك آل محمد. ((1251)) ((
وقال الامام ابو جعفر الباقر(ع) لعمرو بن عبيد((1252))) : فانما على الناس ان يقراوا القرآن كما انزل ، فاذا احتاجواالى تفسيره ، فالاهتدا بنا و الينا يا عمرو. ((1253)) ((
وقـال (ع):((ان الـعـلـم الذي نزل مع آدم ـ كناية عن العلم الذي كان يحمله الانبيا منذ البداية ـ لم يرفع و العلم يتوارث و كان علي (ع) عالم هذه الامة قال : و انه لم يمت منا عالم قط الا خلفه من اهله من علم مثل علمه ، اوما شا اللّه. ((1254)) ((
قـال الامـام الـصـادق (ع): ((انـا اهـل بـيت لم يزل اللّه يبعث منا من يعلم كتابه من اوله الى آخره . ((1255)) ((
نعم كان ذلك هو مقتضى تلازم الكتاب و العترة ، فلا يمكن الاهتدا باحدهما بعيداعن الاخر، اذ كما ان لـلـكـتاب موضع التشريع و التاسيس ، كان للعترة موضع التفصيل و التبيين ، كما كان ذلك لرسول اللّه (ص.(
هكذا عرفت الصحابة و الذين اتبعوهم باحسان ، هذا الموضع الرفيع لال البيت ، و لاسيما راسهم و رئيـسـهـم الامـام عـلـى بن ابي طالب (ع) فكانوا يراجعونهم فيما اشكل عليهم من مسائل الشريعة ومفاهيم القرآن مذعنين لهم هذا المقام السامي.
هـذا الـصحابي الجليل عبد اللّه بن مسعود، و من اكابر الصحابة قدرا و اجلائهم شانا، تراه

يذعن برفعة مقام شاخص هذا البيت الامام امير المؤمنين و انه قد تتلمذ على يده حتى في حياة صادق الرسالة الامين ـ صلوات اللّه عليه.
اخرج ابو جعفرالطوسي ـ في اماليه ـ باسناده الى ابن مسعود، قال : قرات على النبي (ص) سبعين سورة من القرآن اخذتها من فيه و قرات سائر القرآن على خير هذه الام ة و اقضاهم ، بعد نبيهم , على بن ابي طالب صلوات اللّه عليه((1256)) .
اخرج ابن عساكر في ترجمة الامام باسناده الى عبيدة السلماني قال : سمعت عبداللّه بن مسعود يقول : لو اعلم احدا اعرف بكتاب اللّه مني تبلغه المطايا فقال له رجل : فاين انت من على ؟ قال :به بدات اني قرات عليه ((1257)).
و اخرج عن زاذان عنه ، قال : قرات على رسول اللّه (ص) تسعين سورة ، و ختمت القرآن على خير الناس بعده قيل له : من هو؟ قال : علي بن ابي طالب ((1258)).
و هوالقائل : القرآن انزل على سبعة احرف ، ما منها حرف الا له ظهر و بطن و ان علي بن ابي طالب عنده منه علم الظاهر و الباطن((1259)) .
واخرج الحاكم الحسكاني باسناده عن علقمة ، قال : كنت عند رسول اللّه (ص)فسئل عن علي فقال)) : قسمت الحكمة عشرة اجزا، فاعطي علي تسعة اجزا و اعطي الناس جز واحدا((1260)) .
و لابن عباس الصحابي العظيم ايضا شهادات راقية بشان الامام و كذا غيره من اجلا الاصحاب ، قد مرت الاشارة اليها في ترجمة الامام و هكذا تصريحات من اعلام التابعين لا نعيد ذكرها.
الامر الذي دعا بنبها الامة في جميع الادوار، ان يجعلوا من ائمة اهل البيت ،قدوتهم في كل ابعاد الشريعة ، و لا سيما طريقة فهم القرآن و استنباط معانيه و الوقوف على دقائق تعابيره وظرائف نكاته و كان قولهم هو فصل الخطاب و القول الفصل في جميع الابواب.
هذا ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب الملل والنحل (٤٦٧ـ٥٤٨) يحاول ـ عند دراسته لتفسير القرآن ـ ان يجعل رائده علما من اعلام هذا البيت الرفيع ، معتقدا ان الصحيح من القول ، لا يوجد الا عندهم لا عند غيرهم.
واليك بعض كلامه بهذاالشان :ـ
))وخص الكتاب بحملة من عترته الطاهرة و نقلة من اصحابه الزاكية الزاهرة ، يتلونه حق تلاوته ، و يدرسونه حق دراسته ، فالقرآن تركته ، و هم ورثته ، و هم احد الثقلين ، و بهم مجمع البحرين ، و لهم قاب قوسين ، و عندهم علم الكونين والعالمون.
))و كما كانت الملائكة (ع) معقبات له من بين يديه و من خلفه تنزيلا، كذلك كانت الائمة الهادية , و العلماالصادقة معقبات له من بين يديه و من خلفه تفسيرا وتاويلا، (انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون ((1261)) (فتنزيل الذكر بالملائكة المعقبات ، و حفظ الذكر بالعلما الذين يعرفون تنزيله و تاويله ، ومحكمه و متشابهه ، و ناسخه و منسوخه ، و عامه و خاصه ، و مجمله و مفصله , و مطلقه و مقيده ، و نصه و ظاهره ،و ظاهره و باطنه و يحكمون فيه بحكم اللّه ، من مفروغه و مستانفه ، و تقديره و تكليفه ، و اوامره و زواجره ، وواجباته و محظوراته ، و حلاله و حرامه ، و حدوده و احكامه بالحق و اليقين ، لا بالظن و التخمين اولئك الذين هداهم اللّه و اولئك هم اولو الالباب.
))و لقد كانت الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ متفقين على ان علم القرآن مخصوص باهل البيت (ع) اذ كانوا يسالون علي بن ابي طالب (رض) هل خصصتم اهل البيت دوننا بشي سوى القرآن ؟ و كان يقول : لا و الذي فلق الحبة و برا النسمة الا بما في قراب سيفي هذا فاستثنا القرآن بالتخصيص دليل على اجماعهم بان القرآن و علمه تنزيله و تاويله مخصوص بهم.
))و لقد كان حبر الامة عبد اللّه بن عباس (رض) مصدر تفسير جميع المفسرين ، و قد دعا له رسول اللّه (ص)بان قال : اللهم فقهه في الدين و علمه التاويل تتلمذ لعلى (رض) حتى فقهه في الدين و علمه التاويل.
قال : ((و لقد كنت على حداثة سني اسمع تفسير القرآن من مشايخي سماعا مجردا، حتى وفقت فعلقته على استادي ناصر السنة ابي القاسم سلمان بن ناصر الانصاري

(رض) تلقفا ثم اطلعني مطالعات كلمات شريفة عن اهل البيت و اوليائهم ـ رضي اللّه عنهم ـ على اسرار دفينة و اصول متينة في علم القرآن ، و ناداني من هو في شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة الطيبة : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا اللّه و كونوامع الصادقين ((1262)) (فطلبت الصادقين طلب العاشقين ، فوجدت عبدا من عباد اللّه الصالحين ، كما طلب موسى (ع) مع فتاه ، (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدناعلما ((1263)) (فتعلمت منه مناهج الخلق و الامر ,و مدارج التضاد و الترتيب ، و وجهي العموم و الخصوص ، وحكمي المفروغ و المستانف فشبعت من هذا المعا الواحد دون الامعا التي هي مكل الضلال و مداخل الجهال ، و ارتويت من شرب التسليم بكاس كان مزاجه من تسنيم ، فاهتديت الى لسان القران : نظمه و ترتيبه وبلاغته و جزالته و فصاحته و براعته. ((1264)) ((

و من طريف ما يذكرهنا، ما شهد به مثل الحجاج بن يوسف الثقفي بشان هذا البيت الرفيع ، حسبما رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره : ان اباه حدثه عن سليمان بن داود المنقري عن ابي حمزة الثمالي عن شهر بن حوشب قال :قال لي الحجاج بن يوسف : بان آية في كتاب اللّه قد اعيتني ايهاالامير ,اية آية هي ؟ فقال : قوله : (و ان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ((1265)) (و اللّه لامربالیهودي و النصراني فيضرب عنقه ، ثم ارمقه بعيني ، فما اراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت : اصلح اللّه الامير،ليس على ما تاولت القيامة الى الدنيا، فلايبقى اهل ملة يهودي و لا نصراني الا آمن به قبل موته ، و يصلي خلف المهدي قال : ويحك ، انى لك هذا، و من اين جئت به ؟ ابي طالب (ع) فقال : جئت بها، و اللّه من عين صافية((1266)) .

كان الحجاج قد حسب ان الضمير في قوله تعالى ((قبل موته)) يعود الى ((من اهل الكتاب)) فجا تفسير الامام بارجاع الضميرالى المسيح ، و بذلك زالت علته.

و اورد الامام الرازي الحديث بلفظ آخر، ناسبا له الى محمد ابن الحنفية ، قال : فاخذ ينكث في الارض بقضيب ،ثم قال : لقد اخذتها من عين صافية((1267)) .

دور اهل البيت في التفسير

كان الدور الذي قام به ائمة اهل البيت (ع) في تفسير القرآن الكريم ، هو دور تربية و تعليم ، و ارشاد الى معالم التفسير، و انه كيف ينبغي ان يفهم معاني كلامه تعالى ، و كيف الوقوف على دقائق و رموز هذا الوحي الالهي الخالد فقد كانت تفاسيرهم للقرآن ، الماثورة عنهم (ع) تفاسير نموذجية ، كانوا قد عرضوها على الامة و على العلما، لكي يتعرفوا الى اساليب التفسير، تلك الاساليب المعتمدة على اصول متينة و قواعد رصينة و ان في الجم الغفير من التفسير الوارد عنهم (ع) ما ينبؤك عن حرصهم الشديد على تعليم هذه الامة كيف يفسرون القرآن الكريم و ايقافهم على نكت و ظرف من هذا الكلام البارع نعم كانوا(ع) ورثة القرآن العظيم ، و حملته الى الناس ، في امانة صادقة و ادا و ايفا كريم.

و سوف نذكر نماذج من تفاسيرماثورة عن ائمة اهل البيت (ع) هي شواهد على كونها مناهج تعليمية لكيفية التفسير و طريقة استنباط معانيه الحكيمة.

الخلط في التفاسير الماثورة

هناك في التفسير الماثور عن ائمة اهل البيت (ع) بعض الخلط بين تفسير الظاهر و تفسير الباطن ، كما حصل خلط بين بعض التطبيقات و التفسير، حيث كان المنصوص عليه مصداقا او من ابرز مصاديق الاية ، فحسبهاالبعض تفاسير فكان من الضروري التمييز بين الامرين ، و فصل احدهما عن الاخر، ليعرف وجه الصواب.

من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى : (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) بانهم آل محمد(ص)فقد وردت هذه الاية في سورة النحل : (ما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر. ((1268)) (

و في سورة الانبيا (و ما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون. ((1269)) (

وظاهر الايتين يقضي بكون الخطاب موجها الى المشركين ، الذين استغربوا نزول الوحي على بشر او على رجل منهم حيث قالوا: (ما انزل اللّه على بشر من شى ((1270)) (و قال تعالى : (اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم. ((1271)) (
فرفعا لاستغرابهم افسح لهم المجال كي يتسالوا بذلك اهل الكتاب ممن يلونهم وكانوا يعتمدونهم و من ثم جات في الاية الاولى : (ان كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر) اي لاتعلمون الكتاب و لا تاريخ الانبيا و الامم السالفة فعليكم بمراجعة من يعلم ذلك من اهل الكتاب.
كما جا تعقيب الاية الثانية بقوله : (و ما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام و ما كانواخالدين) حيث استغرابهم ان يكون النبي انسانا ياكل الطعام و يمشي في الاسواق.
هذا هو ظاهر معنى الايتين : تفسير ((اهل الذكر)) ب ((اهل الكتاب.((
لكن ورد في تاويلهما، ما يقضي بالعموم ، بان تشمل الاية كل ذوي العلم من اهل الثقافة و المعرفة و على راسهم ائمة اهل البيت (ع.(
و ذلك بالقا الخصوصيات المكتنفة بالكلام ، و الاخذ بعموم اللفظ و عموم الملاك (اي عموم مناط الحكم) و هو ما يقتضيه العقل من رجوع الجاهل الى العالم اطلاقا،و في جميع مجالات العلم و المعرفة ، بما يعم جميع الثقافات.
فهذا من التاويل الذي هو مفاد باطن الاية ، و ليس من التفسير الذي هو مفاد ظاهرها.
هذا المولى محسن الفيض الكاشاني ، حسب من هذه الروايات الواردة بتفسير الاية باهل البيت , تفسيرا حقيقيا حسب ظاهر اللفظ قال : في الكافي والقمي و العياشي عنهم (ع) في اخبار كثيرة :رسول اللّه ((الذكر)) و اهل بيته المسؤلون و هم ((اهل الذكر)) و اضاف : ان المستفاد من هذه الاخبار ان المخاطبين بالسؤال هم المؤمنون دون المشركين ، و ان المسؤول عنه هو كل ما اشكل عليهم دون كون الرسل رجالا قال : و هذا انما يستقيم اذا لم يكن ((وما ارسلنا)) ردا للمشركين او كان ((فاسالوا)) كلاما مستانفا او كانت الاية مما غير نظمه و لا سيما اذا علق قوله))بالبينات و الزبر)) بقوله ((ارسلنا)) فان هذا الكلام ، بينهما و اما امرالمشركين بسؤال اهل البيت عن كون الرسل رجالا لا ملائكة ، مع عدم ايمانهم باللّه و رسوله ، فمما لا وجه له((1272)) .
انظر الى هذا التكلف الذي وقع فيه لتوجيه ما حسبه تفسيرا للاية فلو انه اخذه تاويلا لها مستخلصا عموم المراد من ظاهر اللفظ، و ذلك لعموم مناط الحكم في المراجعة و السؤال لكان قد استراح بنفسه.
نعم ، وردت الاية بشان المشركين ، و هم جهال ، ليسالوا اهل الكتاب ، لانهم علما و هذا الدستور العقلاني عام في ملاكه و مناطه ، فليكن عاما في خطابه و شموله هكذا يستفاد العموم من اللفظ و يستخلص الشمول من الملاك و يسمى ذلك تاويلا اي مل الكلام في نهاية المراد.
و هكذا قوله تعالى : (قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بما معين ((1273)) (فقدفسرها قوم حسبما ورد من روايات في تاويلها، فحسبوها مفسرات قال علي بن ابراهيم ـ بصدد تفسير الاية ـ :ارايتم ان اصبح امامكم غائبا فمن ياتيكم بامام مثله و اكتفى بذلك و استشهد بحديث الرضا(ع) سئل عن هذه الاية ، فقال : ماؤكم : ابوابكم ، اي الائمة (ع) و الائمة ابواب اللّه بينه و بين خلقه ، (فمن ياتيكم بمامعين)، يعنى بعلم الامام ((1274)).
و((كناية ((الما المعين)) عن العلم الصافي عن اكدار الشبهات ، امر معروف قال تعالى : (و ان لو استقاموا على الطريقة لا سقيناهم ما غدقا ((1275)) (و هكذا جا في تفسير الصافي للمولى محسن الفيض ((1276)).
غير ان ذلك تاويل للاية و ليس تفسيرا لها، حيث اخذ ((الما)) في مفهومه الاعم من الحقيقي و الكنائي ، اي فيما يورث الحياة و يوجب تداومها و بقاها، ان ماديا او معنويا، ليشمل الما الزلال والعلم الصافي جميعا و بهذا المعنى العام يشمل كلا الامرين فاستخلاص مثل هذا العموم من لفظ الاية , يعتبرتاويلا لها.
و في رواية الصدوق ـ في الاكمال ـ تصريح بذلك حيث سئل الامام ابو جعفر محمد بن

علي الباقر(ع) عن تاويل هذه الاية بالذات ، فقال : اذا فقدتم امامكم فلم تروه فماذا تصنعون ليمتاز التاويل عن التفسير.
و قوله تعالى : (و نريد ان نمن على الذين استضعفوا في الا رض و نجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين و نمكن لهم في الا رض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون (((1277)) .
فالاية ـ حسب ظاهرها ـ وردت بشان قوم موسى و استضعاف فرعون لهم ، فاراد اللّه ان يرفع بهم ويستذل فرعون و قومه.
لكن الاية في مفادها العام وعد بنصر المستضعفين في الارض و رفعهم على المستكبرين ، في اي عصر و في اي دور سنة اللّه التي جرت في الخلق لكن على شرائط يجب توفرها كماتوفرت حينذاك على عهد موسى و فرعون فان عادت الشرائط و تهيات الظروف ، فان السنة تجري كما جرت اول الامر.
و بذلك جا تاويل الاية بشان مهدى هذه الامة ، و استخلاص المستضعفين في الارض على يده من نير المستكبرين.
قال الامام امير المؤمنين (ع) ـ :((لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها ثم تلا هذه الاية. ((1278)) ((
و في كتاب الغيبة قال اميرالمؤمنين (ع) :((هم آل محمد ـ صلوات اللّه عليه ـ يبعث اللّه مهديهم بعد جهدهم ،فيعزهم و يذل اعدائهم)) و الروايات بهذا المعنى كثيرة جدا((1279)) .
فقد جا ذكر موسى و قومه و فرعون و قومه ، و المقصود ـ في باطن الاية ـ كل مستضعف في الارض و مستكبر فيها.
قال الامام السجاد: و الذي بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا، ان الابرار منا اهل البيت و شيعتهم بمنزلة موسى وشيعته ، و ان عدونا و اشياعهم بمنزلة فرعون و اشياعه((1280)) .
و عبثا حاول بعضهم جعل ذلك تفسيرا مباشرا للاية ، و اخذ فرعون و هامان لفظاكنائيا بحتا عن مطلق العتاة في الارض ((1281)).
و نظير هذه الاية في شمولها العام ، و تاويلها بشان المهدي المنتظر عجل اللّه تعالى فرجه الشريف ـ قوله تعالى : (وعد اللّه الذين امنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الا رض كمااستخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعدخوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بى شيئا. ((1282)) (
فان مصداقها الحقيقي المنطبق على بسيط الارض كله ، انما يتحقق بظهور المهدي و اظلال الاسلام على كافة وجه الارض عند ذلك تكون العبادة للّه في الارض خالصة من الشرك ، لا يشرك به احد من خلقه.
قال الامام الصادق (ع) : نزلت في القائم و اصحابه((1283)) , اي بشانهم في تاويل الاية.
و هكذا قوله تعالى : (و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الا رض يرثها عبادي الصالحون. ((1284)) (
قال الامام الباقر(ع): هم اصحاب المهدي في آخر الزمان.
و قد فصل الكلام في ذلك ، الطبرسي في مجمع البيان ، فراجع((1285)) .
و قوله تعالى : (فلينظر الا نسان الى طعامه انا صببنا الما صبا ثم شققنا الا رض شقافانبتنا فيها حبا ـ الى قوله ـ متاعا لكم. ((1286)) (
قال الامام ابو جعفر الباقر(ع): الى علمه الذي ياخذه عمن ياخذه ((1287)).
لا شك ان العلم غذا الروح كما ان الطعام غذا الجسد فكما يجب على الانسان ان يعرف ان الطعام الصالح والغذا النافع الكافل لسلامة الجسد و صحة البدن ، هو الذي ياتيه من جانب اللّه ، و انه تعالى هوالذي هياه له ترفيها لمعيشته كذلك يجب عليه ان يعلم ان العلم النافع و الغذا الصالح لتنمية روحه و تزكية نفسه هو الذي ياتيه من جانب اللّه ، و على يد اوليائه المخلصين الذين هم ائمة الهدى و مصابيح الدجى ، فلا يستطرق ابواب البعدا الاجانب عن مهابط وحي اللّه ، و مجاري فيضه المستدام.
قال الحكيم الرباني الفيض الكاشاني : لان الطعام يشمل طعام البدن و طعام الروح جميعا

كما ان الانسان يشمل البدن و الروح فكما انه مامور بان ينظر الى غذائه الجسماني ليعلم انه نزل من عند اللّه فكذلك غذاؤه الروحاني الذي هو العلم ، ليعلم انه نزل من عنده تعالى بان صب امطار الوحي الى ارض النبوة و شجرة الرسالة و ينبوع الحكمة ، فاخرج منها حبوب الحقائق و فواكه المعارف , ليغتذي بها ارواح القابلين للتربية فقوله (ع): ((علمه الذي ياخذه عمن ياخذه)) اي ينبغي له ان ياخذ علمه من مهابط الوحي و منابع الحكمة اهل بيت رسول اللّه (ص) الذين اخذوا علومهم من مصدر الوحي الامين ، خالصة صافية ضافية.
قال : و هذا تاويل الاية الذي هو باطن الاية ، مرادا الى جنب ظاهرها حسبما عرفت ((1288)) .

الوضع عن لسان الائمة

من المؤسف جدا ان نجد كثرة الوضع في التفاسير المنسوبة الى السلف الصالح و لاسيما ائمة اهل البيت (ع) حيث وجد الكذابون ـ من رفيع جاه آل الرسول (ص) بين الامة ، و مواضع قبولهم من الخاصة و العامة ـ ارضا خصبة استثمروها لترويج اباطيلهم و تنفيق بضائعهم المزجاة فصاروا يضعون الحديث و يختلقون لها اسانيد يرتفعون بها الى السلف و الائمة المرضيين كي تحظى بالقبول و التسليم.
و في اكثر هذه المفتريات ما يتنافى و قدسية الاسلام و تتعارض مع مبانيه الحكيمة ، فضلا عن منافرتها لدى الطبع السليم و العقل الرشيد.
ولحسن الحظ، ان غالبية اسانيد هذه الروايات المفتعلة ، اصبحت مقطوعة او موهونة برجال ضعاف اومشهورين بالوضع و الاختلاق.
و من ثم فان الجوامع الحديثية التي حوت على امثال هكذا تفاسير ماثورة نقلا عن الائمة (ع) لم تكد تصح منها الا القليل النادر: على ما ننبه عليه.
ففي مثل تفسير ابي النضر محمد بن مسعود العياشي (توفي سنة ٣٢٠) الذي كان من اجمع التفاسير الماثورة ، قداصبح مقطوع الاسناد، حذف اسانيده بعض الناسخين لعذر غير وجيه ، و بذلك اسق ط مثل هذا التفسير الثمين عن الحجية والاعتبار و الذي وصل الينا من هذا التفسير هو قسم من اوله , مع حذف الاسناد و يا للاسف.
و هكذا تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي (توفي حدود ٣٠٠) و قد اسقط اسانيده ايضا و مثلهما تفسير محمد بن العباس ماهيار المعروف بابن الحجام (توفي حدود ٣٣٠) لم يوجد منه سوى روايات مقطوعة الاسناد.
هذه تفاسير كانت بروايات مسندة الى ائمة اهل البيت ، و قد اصبحت مقطوعة الاسناد فاقدة الاعتبار لا يجوز الاستناد اليها في معرفة آرا الائمة (ع) في التفسير.
و اما مثل تفسير ابي الجارود، زياد بن المنذر الهمداني الخارفي الملقب بسرحوب ((1289)) توفي سنة ١٥٠) الذي يرويه عن الامام ابي جعفر محمد بن علي الباقر(ع) فضعيف كما لا اعتبار به ، لانه من زعما الزيدية المنحرفين عن طريقة الائمة ، و اليه تنسب الفرقة الجارودية او السرحوبية فقد ورد لعنه عن لسان الصادق (ع)قال : لعنه اللّه ، انه اعمى القلب اعمى البصر و قال فيه محمد بن سنان : ابو الجارود لم يمت حتى شرب المسكر وتولى الكافرين((1290)) .
وعن ابي بصير قال : ذكر ابو عبد اللّه الامام الصادق (ع) ثلاثة نفر: كثير النوا، و سالم بن ابي حفصة ، و اباالجارودفقال : كذابون مكذبون كفار، عليهم لعنة اللّه((1291)) .
والتفسير المنسوب الى الامام العسكري (ع) فيه تفسير فاتحة الكتاب و آيات متقطعة من سورة البقرة حتى الاية رقم (٢٨٢) الى قوله تعالى : ((و لا ياب الشهدا اذا ما دعوا)) و هذا آخر الموجود من هذا التفسير زعموا انه من املا الامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري ، املاه على ابي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، و ابي الحسن علي بن محمد بن سيار كانا من اهل استرآباد، و حضرا سامرآ في طلب العلم لدى الامام (ع) و الراوي عنهما ابو الحسن محمد ابن القاسم الخطيب , المعروف بالمفسر الاسترآبادي.
غير ان النفرين الاولين مجهولان ، و الراوي عنهما ايضا مجهول ، فهنا ثلاثة مجاهيل حفوا

بهذا التفسيرالمبتور((1292)) .
و هـنـاك لاحـمد بن محمد السياري (توفي سنة ٢٦٨) تفسير متقطع مختصر اعتمد الماثور عن الائمة غير انه ضعيف الحديث ، فاسد المذهب ، مجفو الرواية ، كثير المراسيل حسبما وصفه ارباب الـتـراجـم و كـان القميون ـالمحتاطون في نقل الحديث ـ يحذفون من كتب الحديث ما كان برواية السياري((1293)) .
وتـفـسـيـر الـنعماني المنسوب الى ابي عبد اللّه محمد بن ابراهيم النعماني من اعلام القرن الرابع)تـوفـي سنة٣٦٠)تفسير مجهول ، لم يعرف واضعه ، و انما نسب الى النعماني عفوا و لم يثبت فقد عـزي هـذا الـتفسيرالمشتمل على توجيه الايات المتعارضة ـ فيما زعمه واضعه ـ الى ثلاثه من شـخـصيات لامعة في تاريخ الاسلام ،هم : السيد المرتضى علم الهدى و سعد بن عبد اللّه الاشعري القمي و النعماني هذا والجميع مكذوب عليهم ،يتحاشاه قلم علم من اعلام الدين القويم((1294)) .
واما الـتـفسير المنسوب الى علي بن ابراهيم القمي (توفي سنة ٣٢٩) فهو من صنع احد تلاميذه الـمـجـهـولـيـن هو: ابوالفضل العباس بن محمد العلوي اخذ شيئا من التفسير باملا شيخه علي بن ابـراهـيـم ، و مزجه بتفسير ابي الجارود، الانف ، و اضافه اليه شيئا مما رواه هو عن غير طريق شـيـخه بسائر الطرق فهو تفسير مزيج ثلاثي الاسانيد و لم يعرف لحد الان من هذا العباس العلوى واضع هذا التفسير.
كـمـا ان الراوي عن ابي الفضل هذا ايضا مجهول فلم يصح الطريق الى هذا التفسير كما لم يعتمده ارباب الجوامع الحديثية ، فلم يرووا عن الكتاب ، و انما كانت رواياتهم عن علي بن ابراهيم باسنادهم اليه لا الى كتابه فهوتفسير مجهول الانتساب ((1295)).
و في القرن الحادي عشر، قام مؤلفان كبيران ، هما: السيد هاشم بن سليمان البحراني المتوفى سنة 1107)او١١٠٩) و عبد علي بن جمعة الحويزي المتوفى (١٠٩١) فجمعا الماثور من احاديث اهل الـبيت الواردة في التفسير من الكتب الانفة ، و ما جا عرضا في سائر الكتب الحديثية امثال الكافي و كتب الصدوق و كتب الشيخ ، و نحوها.
فـجـا ما جمعه السيد البحراني باسم ((البرهان)) و الشيخ الحويزي باسم ((نور الثقلين)) و قد اشـتـملا على تفسيركثير من الايات القرآنية ، بصورة متقطعة ، و لكن حسب ترتيب السور، من كل سورة آيات و من غير وفابتفسير كامل الاية ، سوى الموضع الذي تعرض له الحديث الماثور.
غـيـر ان غـالـبية هذه الروايات مما لا يوزن بالاعتبار، حيث ضعف اسنادها او ارسالها او مخالفة مـضـامـيـنها مع اصول العقيدة او مباني الشريعة فضلا عن مخالفة العلم او العقل الرشيد الامر الذي يـوهـن صـدور مـثلها عن ائمة اهل البيت (ع) اذ يجب تنزيه ساحتهم عن صدور مثل هذه الاخبار الضعاف.
و لـناخذ لذلك مثلا التفسير المنسوب الى علي بن ابراهيم القمي ، فانه من احسن التفاسير المعتمدة عـلى النقل الماثور، سوى اشتماله على بعض المعايب ـ و من حسن الحظ انها قليلة الى جنب محاسنه الكثيرة ـ و من ثم فانها معدودة في جنب محاسنه غير المعدودة كفى المر نبلا ان تعد معايبه و لنشر الى بعضها كنماذج:
فقد جا فيه ، تفسيرا لقوله تعالى : (الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كـثـيـرا و نـسـا : ((1296)) (ان حـوا براها اللّه من اسفل اضلاع آدم تجد ذلك في مواضع من هذاالتفسير((1297)) .
فـي حـيـن ان الـمـراد هـنـا: الـجـنـس اي مـن جنسه كما في قوله تعالى : (و اللّه جعل لكم من انفسكم ازواجا، و جعل لكم من ازواجكم بنين و حفدة. ((1298)) (
و قـولـه تـعـالـى : (ومـن ايـاته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها و جعل بينكم مودة و رحمة. ((1299)) (
وقصة خلقة حوا من ضلع آدم ذات منشا اسرائيلي تسرب في التفسير.
و هـكـذا قـصـة الـملكين ببابل هاروت و ماروت كفرا ـ و العياذ باللّه ـ و زنيا و عبدا للصنم ، و مـسخت المراة نجمة في السما((1300)) و غيرذلك مما ينافي عصمة الملائكة المنصوص

عليها في القرآن الكريم((1301)) .
وقصة الجن و النسناس ، خلقوا قبل الانسان ، فكانوا موضع عبرة الملائكة((1302)) .
و كذا تسمية آدم و حوا وليدهما بعبد الحارث ، فجعلا للّه شريكا((1303)) .
و قصة : ان الارض على الحوت ، و الحوت على الما، و الما على الصخرة ، والصخرة على قرن ثور املس ، والثور على الثرى ثم لا يعلم بعدها شي((1304)) .
كلها اساطير بائدة ، جات في هذا التفسير عفوا، و من غيرما سبب معقول.
و جا فيه ما ينافي عصمة الانبيا كما ينافي مقام قداستهم بين الناس .

فتلك قصة داود و اوريا ـ على ما جات في الاساطير الاسرائيلية ـ جات في هذاالتفسير مع الاسف ((1305)).
و هكذا قصة زينب بنت جحش على ما ذكرته القصص العامية((1306)) .
وقصة شك زكريا و عقوبته بصوم ثلاثة ايام و قلق لسانه((1307)) .
وقصة حجر موسى((1308)) و ابتلا ايوب و نتن جسده((1309)) , و فوات سليمان صلاة العصر((1310)) , و هم يوسف بارتكاب الفاحشة((1311)) , و انه الذي نسي ذكر ربه((1312)) , و ان موسى دفن بلا غسل و لا كفن ((1313)) , و قوله للرب : ان لم تغضب لي فلست لك بنبي((1314)) .
وما الى ذلك من اساطير الصقت بانبيا اللّه العظام ، و حاش الائمة (ع) ان يتكلموا بمثلها.
و جا فيه ما ينافي العلم ، فقد ورد بشان الخسوف و الكسوف غرائب و عجائب:
جا في تفسير قوله تعالى : (و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا اية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة. ((1315)))
ان من الاوقات التي قدرها اللّه البحر الذي بين السما و الارض ، و ان اللّه قدر فيها مجاري الشمس و القمر والنجوم و الكواكب ثم قدر ذلك كله على الفلك ثم وكل بالفلك ملكا معه سبعون الف ملك , يديرون الفلك ، فاذادارت الشمس و القمر والنجوم و الكواكب معه ، نزلت في منازلها.
و اذا كثرت ذنوب العباد و اراد اللّه ان يستعتبهم بية ، امر الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك الذي عليه مجرى الشمس و القمر و النجوم و الكواكب فيامر الملك اولئك السبعين الف ملك ان يزيلوا الفلك عن مجاريه فيزيلونه فتصير الشمس في البحر فيطمس حرها و يغير لونها و كذلك يفعل بالقمرفاذاراد اللّه ان يخرجهما و يردهما امر الملك ان يردالفلك الى مجاريه ، فتخرج الشمس من الما و هي كدرة والقمر مثل ذلك.
و جا في مساحة الارض و الشمس و القمر: ان الارض مسيرة خمسمئة عام ، مسيرة اربعمئة عام خراب ، ومسيرة مائة عام عمران و الشمس ستون فرسخا في ستين و القمر اربعون فرسخا في اربعين.
و عل ل احرية الشمس من القمر بما يلي:
ان اللّه خلق الشمس من نور النار و صفو الما، طبقا من هذا و طبقا من هذا، حتى اذا صارت سبعة اطباق ، البسهااللّه لباسا من نار، فمن هنالك صارت الشمس احر من القمر.
قلت : فالقمر؟ قال : ان اللّه خلق القمر من ضؤ النار و صفو الما طبقا من هذا و طبقا من هذا، حتى اذا صارت سبعة اطباق البسها اللّه لباسا من ما، فمن هناك صار القمر ابرد من الشمس ((1316)).
و جا فيه من قصص اساطيرية ما ينافي العقل و العادة.
كقصة الرجل الذي عقلت رجله بالهند او من ورا الهند، و قد عاش ما عاشت الدنيا ((1317)).

و قصة ملك الروم و حضور الامام الحسن و يزيد لديه ، و محاكمته لهما في اسئلة غريبة ، طرحها عليهما((1318)) .
و قصة عناق كانت لها عشرون اصبعا في كل اصبع ظفران كالمنجلين((1319)) .
و قصة اسرافيل كان يخطو كل سما خطوة ، و انه حاجب الرب تعالى((1320)) .
و كان الوزغ ينفخ في نار ابراهيم و الضفدع يطفئها((1321)) .
و ان ياجوج و ماجوج ياكلون الناس ((1322)).
كما فسرت كلمات باشيا او باشخاص لا مناسبة بينهما.
فقد فسرت البعوضة بامير المؤمنين (ع ((1323)) (و كذا دابة الارض به((1324)) ,و هكذا الساعة في قوله تعالى : (بل كذبوا بالساعة) اي بعلي (ع ((1325)) (و الورقة بالسقط، والحبة بالولد((1326)) و المشرقين برسول اللّه و على (ع)والمغربين بالحسن والحسين (ع) و كذا البحرين بعلي و فاطمة (ع) و البرزخ برسول اللّه (ص ((1327)) (و كذا الثقلان في قوله تعالى) : سنفرغ لكم ايهاالثقلان) بالعترة و الكتاب ((1328)) و فسر الفاحشة بالخروج بالسيف ((1329)).

نماذج مختارة من صحاح التفاسير الماثورة عن ائمة اهل البيت (ع(

و بعد فاليكم نماذج من تفاسير ماثورة عن اهل البيت (ع) هي مناهج تعليمية لكيفية دراسة القرآن الكريم وطريقة استنباط معانيه الحكيمة اخذنا الاهم منها ماخوذة من كتب ذوات اعتبار، و في اسانيد صحيحة لا غبارعليها.
فمنها: ما ورد في تفسير آية الوضؤ و آية التقصير في الصلاة و آية خمس الغنائم و قطع يد السارق و تحريم الخمر و جزا قتل المؤمن و الطلاق الثلاث ومتعة النسا و الحج و الرجعة قبل الحشر الاكبر و مساله البدا في التكوين.
و اليك:

الاول ـ آية الوضؤ

قوله تعالى : (و امسحوا برؤوسكم و ارجلكم الى الكعبين . ((1330)) (ا ـ مسح الراس:
روى ثقة الاسلام ابو جعفر الكليني باسناده عن طريق علي بن ابراهيم الى زرارة ،سال ابا جعفر الباقر(ع) قال : الا تخبرني من اين علمت و قلت : ان المسح ببعض الراس ؟.
فضحك الامام (ع) ثم قال : يا زرارة ، قال رسول اللّه (ص) و نزل به الكتاب ثم فصل الكلام فيه و قال : لان اللّه عز و جل يقول : (فاغسلوا وجوهكم) فعرفنا ان الوجه كله ينبغي ان يغسل ، ثم قال) : و ايديكم الى المرافق) ثم فصل بين الكلامين فقال : (و امسحوا برؤوسكم) فعرفنا حين قال)) : برؤوسكم)) ان المسح ببعض الراس ، لمكان البا((1331)) .
يعني انه غير الاسلوب و زاد حرف الربط ((البا)) بين الفعل و متعلقه ، مع عدم حاجة اليه في ظاهر الكلام ، حيث كلا الفعلين (الغسل و المسح) متعديان بانفسهما، يقال : مسحه مسحا، كما يقال : غسله غسلا((1332)) فلا بد هناك من نكتة معنوية في هذه الزيادة غير اللازمة حسب الظاهر ,اذ زيادة المباني تدل عل زيادة المعاني.
و قد اشار(ع) الى هذا السر الخفي بافادة معنى التبعيض في المحل الممسوح ، استنباطا من موضع البا هنا ذلك انه لو قال : و امسحوا رؤوسكم ، لاقتضى الاستيعاب كما في غسل الوجه.
فقوله : (و امسحوا برؤوسكم) يستدعي التكليف بالمسح مرتبطا بالراس ، اي ان التكليف هو حصول ربط المسح بالراس ، الذي يتحقق باول امرار اليد المبتلة باول جز من اجزا الراس اذ حين وضع اليد على مقدم الراس ـ مثلا ـ و امرارها، يحصل ربط المسح بالراس ، و عنده يسقط التكليف , لان المكلف به قد حصل بذلك و لا تعدد في الامتثال ، كما قرر في الاصول.
فكانت زيادة ((البا)) هي التي دلتنا على هذه الدقيقة في شريعة المسح ، بعد و رود القول به من رسول اللّه (ص)فيا له من استنباط رائع مستند الى دقائق الكلام.

هـذا و غـيـر خفي ان هذه الاستفادة الكلامية لا تعني استعمال البا في معنى التبعيض ـ كما وهمه الـبـعـض ـ بل ان بنية الكلام و تركيبه الخاص (بزيادة ما لا لزوم فيه ظاهرا) هو الذي افاد هذا الـمعنى ، اي كفاية مسح بعض الراس فالتبعيض في الممسوح مستفاد من جملة الكلام لا من خصوص البا اذ ليس التبعيض من معاني البااالبتة ، فلا موضع لما نازع بعضهم في كون البا تفيد التبعيض.

قـال الشيخ محمد عبده : و نازع بعضهم في كون البا تفيد التبعيض ، قيل : مطلقا، وقيل : استقلالا، و انما تفيده مع معنى الالصاق و لا يظهر معنى كونها زائدة.

قـال : و التحقيق ان معنى البا الالصاق لا التبعيض او الالة ، و انما العبرة بما يفهمه العربي من : مسح بـكـذا او مـسـح كذا فهو يفهم من : مسح راس اليتيم او على راسه ، و مسح بعنق الفرس او ساقه او بـالركن او الحجر، انه امر يده عليه ، لا يتقيد ذلك بمجموع الكف الماسح و لا بكل اجزا الراس او العنق او الساق او الركن او الحجرالممسوح فهذا ما يفهمه كل من له حظ من هذه اللغة ، مما ذكر، و من قوله تعالى : (فطفق مسحا بالسوق والاعناق)((1333)) ـ على القول الراجح المختار ان المسح باليد لا بالسيف ـ و من مثل قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة ـــ و مسح بالاركان من هو ماسح.

واخـيـرا ينتهي الى القول بان ظاهر الاية الكريمة ان مسح بعض الراس يكفي في الامتثال ، و هو ما يـسـمى مسحافي اللغة ، و لا يتحقق الا بحركة العضو الماسح ملصقا بالممسوح فلفظ الاية ليس من المجمل((1334)) .

و هكذا استدل الامام (ع) لعدم وجوب استيعاب الوجه و اليدين في مسحات التيمم بدخول ((البا ((فـي قـوله تعالى : (فامسحوا بوجوهكم و ايديكم منه ((1335)) (اذ لم يقل : امسحوا وجوهكم و ايديكم ، لئلا يفيدالاستيعاب فيهما.

و لـم يحتمل محمد بن ادريس الشافعي في آية الوضؤ ((وامسحوا برؤوسكم)) غير هذا المعنى , اي المسح لبعض الراس قال : ((وكان معقولا في الاية ان من مسح من راسه شيئا فقد مسح براسه ، و لـم تحتمل الاية الاهذا، و هو اظهر معانيها او مسح الراس كله قال : و دلت السنة على ان ليس على الـمر مـسـح راسـه كـلـه و اذا دلـت الـسـنة على ذلك ، فمعنى الاية : ان من مسح شيئا من راسه اجزاه. ((1336)) ((

و زاد ـ في الام ـ ((اذا مسح الرجل باي راسه شا ان كان لا شعر عليه ، و باي شعر راسه ، باصبع واحـدة او بـعـض اصـبـع او بطن كفه ، او امر من يمسح به اجزاه ذلك فكذلك ان مسح نزعتيه او احداهما او بعضهما اجزاه ، لانه من راسه. ((1337)) ((

و قـد بـين وجه المعقولية في الاية بقوله : ((لانه معلوم ان هذه الادوات موضوعة لافادة المعاني , فـمتى امكنناستعمالها على فوائد مضمنة بها وجب استعمالها على ذلك ، و ان كان قد يجوز و قوعها صـلـة للكلام و تكون ملغاة لكن متى امكننا استعمالها على وجه الفائدة ، لم يجز لنا الغاؤها، و من اجل ذلـك قـلـنـا: ان الـبا في ((الاية))للتبعيض و يدل على ذلك انك اذا قلت : مسحت يدي بالحائط كان معقولا مسحها ببعضه دون جميعه ، و لو قلت :مسحت الحائط كان المعقول مسحه جميعه دون بعضه , فـقـد وضـح الـفـرق بـيـن ادخـال الـبا و بين اسـقاطها، في العرف و اللغة ثم ايد ذلك بما رواه عن ابـراهـيم((1338)) قال : اذا مسح ببعض الراس اجزاه ، قال : و لو كانت ((امسحوارؤوسكم ((كـان مـسـح الـراس كله قال : فاخبر ابراهيم ان ((البا)) للتبعيض ، و قد كان عند اهل اللغة مقبول القول فيها((1339)) .

قال الرازي : حجة الشافعي انه لو قال : مسحت المنديل ، فهذا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية ، اما لو قال :مسحت يدي بالمنديل ، فهذا يكفي في صدقه مسح اليدين بجز من اجزا ذلك المنديل((1340)) .

و هذا الذي ذكره الشافعى ، و ان كان يتوافق ـ في ظاهره ـ مع نظرة الامام الصادق (ع)و لعله ناظر اليه ، لكنه يتخالف معه في مواضع:

احدها: زعمه ان ((البا)) استعملت ـ هنا ـ بمعنى التبعيض نظير ((من)) التبعيضية في حين انه لم تـات ((الـبـا))فـي اللغة للتبعيض و لا شاهد عليه البتة و استناده الى كلام ابراهيم النخعي غير وجـيـه ، لانه لم يصرح بذلك ، بل ان كلامه ككلام الامام الصادق يهدف الى ـ ان

موضع ((البا)) هنا افاد اجزا مسح بعض الراس ـ بالبيان الذي تقدم ـ و هذا يعني ان ((البا)) ـ في موضعها الخاص هنا ـ تفيد التبعيض في مسح الراس ـ و هذا غير كونهامستعملة ـ في معنى التبعيض ، كما عرفت.
الثاني : ان التمثيل بالمنديل غير صحيح ، لان المنديل مما يمسح به و ليس ممسوحا، اذ لا يقال ـ في العرف واللغة ـ : مسحت المنديل فقولنا: مسحت يدي بالمنديل ، يفيد كون اليد هي الممسوحة لا المنديل.
الثالث : ان الشافعي لم يشترط ان يكون المسح باليد، قال : فاذا رش الما على جز من راسه ((1341))و لعله اخذ بالملاك قياسا و لاندري كيف يكون الرش مسحا؟((1342)) , خروجا عن مدلول لفظ الشرع ؟.
والحنفى ة قالوا بكفاية مسح ربع الراس من اى الاطراف ، و يشترط ان يكون بثلاث اصابع اما المالكية والحنابلة فقد اوجبوا مسح الراس كله ، و اغفلوا موضع ((البا. ((1343)) ((كما ان المذاهب الاربعة جميعا اغفلوا جانب ((البا)) في آية التيمم فاوجبوا مسح الوجه كله ، و كذا مسح اليدين مع المرفقين((1344)) .
يقول القرطبي ـ و هو مالكي المذهب ـ : و اما الراس فهو عبارة عن الجملة التي منهاالوجه ، فلما عين اللّه الوجه للغسل بقي باقيه للمسح ، و لو لم يذكر الغسل للزم مسح جميعه ، ما عليه شعر من الراس و ما فيه العينان و الانف و الفم قال : و قد اشار مالك في وجوب مسح الراس الى ما ذكرناه , فانه سئل عن الذي يترك بعض راسه في الوضؤ، فقال : ارايت ان ترك غسل بعض وجهه اكان يجزئه ؟ قال : و وضح بهذا الذي ذكرناه ان الاذنين من الراس ، و ان حكمهما حكم الراس و اما))البا)) فجعلها مؤكدة زائدة ليست لافادة معنى في الكلام قال : و المعنى : و امسحوا رؤوسكم((1345)) .
ب ـ مسح الرجلين.
من المسائل المستعصية التي اشغلت فراغا كبيرا في التفسير و الادب الرفيع ، هي مسالة مسح الارجل في الوضؤ مستفادا من كتاب اللّه تعالى.
فقد زعم بعضهم ان القراة بالخفض تتوافق مع مذهب الشيعة الامامية في وجوب المسح ، و القراة بالنصب تتوافق مع سائر المذاهب و لكل من الفريقين دلائل و شواهد من السنة او الادب و لغة العرب ، يجدها الطالب في مظانها.
غير ان الوارد عن ائمة اهل البيت (ع) في تفسير الاية الكريمة هو التصريح بان القرآن نزل بالمسح على الارجل ، و هكذا نزل به جبرائيل ، و عمل به رسول اللّه (ص) و امير المؤمنين و اولاده الاطهار و هكذا خيارالصحابة و جل التابعين لهم باحسان.
فقد روى الشيخ باسناده الصحيح الى سالم و غالب ابني هذيل عن ابي جعفر(ع)سالاه عن المسح على الرجلين ؟ فقال : هوالذي نزل به جبرئيل (ع. ((1346)) (
يعني : ان الذي يبدو من ظاهر الكتاب هو وجوب مسح الرجلين ، عطفا على الرؤوس و لايجوز كونه عطفا على الوجوه و الايدي ، لاستلزامه الفصل بالاجنبي و هو لا يجوز في مثل القرآن و هذا سوا قرئ بخفض الارجل ام بنصبها اما على قراة الخفض فظاهر، و قد قرا بها ابن كثير و ابو عمرو وحمزة من السبعة ، و شعبة احد راويي عاصم لكن مقتضاها المسح لبعض الارجل كما في الراس.
ام قرئ بالنصب عطفا على المحل ، لان محل ((برؤوسكم)) نصب مفعولا به لامسحوا و هو فعل متعد يقتضي النصب و قد اقحمت ((البا)) اقحاما لحكمة افادة التبعيض حسبما عرفت.
و قد قرا النصب ايضا ثلاثة من السبعة : نافع و ابن عامر و الكسائي و حفص الراوي الاخر لعاصم و هي القراة المسندة الى ابي عبد الرحمان السلمي عن امير المؤمنين (ع) و قد مضى شرحها في فصل القرات من التمهيد((1347)) .
غير ان القراة بالنصب تستدعي الاستيعاب ((1348)) , لتعلق الفعل ((امسحوا)) بالممسوح بلا واسطة ، و حيث حددت الارجل بالكعبين كالايدي بالمرفقين ، كان ظاهره ارادة استيعاب ما بين الحدين (من رؤوس الاصابع الى الكعبين)، الامر الذي يؤكد صحة قراة النصب و هي القراة التي جرى عليها المسلمون ، و هي المختارة حسب الضوابط التي قدمناها و على

اى تقدير، سوا اقرئ بـالخفض ام بالنصب ، فهو عطف على الرؤوس ، وليس عطفا على الايدي ، فلا موجب لارادة الغسل في الارجل.
و من ثم فظاهر الكتاب هو المسح كما نص عليه ائمة اهل البيت و عن مولانا امير المؤمنين (ع): ما نـزل الـقـرآن الا بـالمسح((1349)) و عن ابن عباس : ان في كتاب اللّه المسح ، و يابى الناس الا الغسل((1350)) .
و هذا استنكار على العامة في مخالفتهم لظاهر القرآن المتوافق مع قواعد الفن في الادب و الاصول .
قال الشيخ محمد عبده : و الظاهر انه عطف على الراس ، اي وامسحوا بارجلكم الى الكعبين .
قال : اختلف المسلمون في غسل الرجلين و مسحهما، فالجماهير على ان الواجب هو الغسل ، و الشيعة الامـامـيـة انـه المسح و ذكر الرازي عن القفال ان هذا قول ابن عباس و انس بن مالك وعكرمة و الشعبي و ابي جعفر محمد بن علي الباقر قال : و عمدة الجمهور في هذا الباب عمل الصدر الاول و مـايـؤيده من الاحاديث القولية و قد اسهب المقال و نقل عن الطبري اختياره الجمع بين الامرين ثم اردفـه بكلام الالوسي و تحامله على الشيعة بما يوجد مثله في كتب اهل السنة في كلام يطول و ان شئت فراجع((1351)) .

الثاني ـ آية قصر الصلاة

مـن الايـات الـتـي وقعت موضع بحث و جدل من حيث دلالتها على المراد، هل المقصود بيان صلاة الخوف فقط ام يعم صلاة المسافر ايضا فما وجه دلالتها؟.
ذهب المفسرون الى تعميم دلالتها استنادا الى فعل النبي (ع) و الائمة و سائر المسلمين ، منذ العهد الاول كـانـوايـقصرون من الصلاة استنادا الى هذه الاية الكريمة ، الواردة ـ بظاهرها ـ في صلاة الخوف فقط.
قـال تعالى : (و اذا ضربتم في الا رض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ، ان خفتم ان يفتنكم الـذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا و اذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك و لياخذوا اسلحتهم ، فاذا سجدوافليكونوا من ورائكم ، و لتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا مـعـك و لـيـاخـذواحـذرهـم و اسـلـحـتـهـم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم و امتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة. ((1352)) (
ظـاهـر الـعـبارة ،ان جملة الشرط ((ان خفتم)) قيد في الموضوع ، يعني القصر في الصلاة ـ عند الضرب في الارض ـمشروط بوجود الخوف و من ثم جا شرح صلاة الخوف في الاية التالية لها.
والـفـتـنة ـ هنا ـ : الشدة و المحنة و البلا، اي خوف ان يفجعوكم بالقتل و النهب والاسر، كما في قـولـه تـعالى :(على خوف من فرعون و ملئهم ان يفتنهم)، و قوله : (واحذرهم ان يفتنوك)، و (و ان كادوا ليفتنونك ((1353)) (اي يفجعوك ببلية و شدة و مصيبة.
قـال الطبرسي : ظاهر الاية يقتضى ان القصر لا يجوز الا عند الخوف لكنا قد علمنا جواز القصر عـند الامن ببيان النبي (ص) و يحتمل ان يكون ذكر الخوف في الاية قد خرج مخرج الاعم الاغلب عليهم في اسفارهم ، فانهم كانوا يخافون الاعدا في عامتها و مثلها في القرآن كثير ((1354)).
قـال الـمـحـقق الفيض : قيل : كانهم الفوا الاتمام و كان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في التقصير، فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر و يطمئنوا اليه((1355)) .
و روى ابو جعفر الصدوق باسناده الصحيح عن زرارة و محمد بن مسلم ، انهما قالا: قلنا للامام ابي جعفرالباقر(ع): ما تقول في الصلاة في السفر، كيف هي ، و كم هي ؟.
فـقـال : ان اللّه عـز و جـل يـقـول : (و اذا ضـربـتـم في الا رض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ((1356)) (فصار التقصير في السفر واجبا كوجوب التمام في الحضر.
قـالا: قـلـنا: انما قال اللّه ـ عز و جل ـ : (فليس عليكم جناح) و لم يقل : افعلوا، فكيف اوجب ذلك كمااوجب التمام في الحضر؟.

فقال (ع): او ليس قد قال اللّه ـ عز و جل ـ : (ان الصفا و المروة من شعائر اللّه فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ((1357)) (الا ترون ان الطواف بهما واجب مفروض ، لان اللّه ـعز و جل ـ ذكره في كتابه و صنعه نبيه (ع)، و كذلك التقصير في السفر شي صنعه رسول اللّه (ص) و ذكره اللّه تعالى ذكره في كتابه.
قالا: قلنا له : فمن صلى في السفر اربعا ايعيد ام لا؟.
قال : ان كان قد قرئت عليه آية التقصير و فسرت له ، فصلى اربعا اعاد، و ان لم يكن قرئت عليه و لم يعلمها فلااعادة عليه و الصلاة كلها في السفر، الفريضة ركعتان ، كل صلاة ، الا صلاة المغرب , فانها ثلاث ليس فيها تقصير،تركها رسول اللّه (ص) في السفر و الحضر ثلاث ركعات و قد سافر رسول اللّه (ص) الى ذي خشب ((1358)) و هي مسيرة يوم من المدينة ، يكون اليها بريدان : اربعة و عشرون ميلا، فقصر و افطر، فصارت سنة ، و قد سمى رسول اللّه (ص) قوما صاموا حين افطر العصاة.
قال : فهم العصاة الى يوم القيامة ، و انا لنعرف ابناهم و ابنا ابنائهم الى يومنا هذا((1359)) .
و هذا الحديث ـ على طوله ـ مشتمل على فوائد جمة:
اولا: عدم منافاة بين وجوب التقصير في السفر، و بين قوله تعالى في الاية الكريمة : ((فليس عليكم جناح))،نظير نفي الجناح الوارد في السعي بين الصفا و المروة ، فانه واجب بلا شك.
وانما جا هذا التعبير لدفع توهم الحظر، حيث شعر المسلمون بان التكليف هو التمام ، كما في سائر العبادات ، لاتختلف سفرا و حضرا، سوى الصوم و الصلاة فدفعا لهذا الوهم نزلت الاية الكريمة.
ثانيا: ان الاية دلت على مشروعية القصر في السفر، و قد فعله رسول اللّه (ص) و فعله المسلمون , و كذلك الائمة بعده ، و لم يتم احد منهم الصلاة في السفر فمقتضى قواعد علم الاصول ، عدم جواز الاتمام ، لان الصلاة عبادة ، و هي توقيفية ، و لم يعلم مشروعية التمام في السفر، لا من الايه و لا من فعل الرسول و صحابته الاخيارفمقتضى القاعدة عدم الجواز.
لان الشك دائر بين التعيين و التخيير، و الشك في التكليف في مقام الامتثال ، يقتضي الاخذ بالاحتياط، الذي هو القصر في الصلاة اذ يشك في مشروعية ما زاد على الركعتين ، و لا تصح عبادة مع الشك في مشروعيتها.
ثالثا: ان الامام (ع) لم يتعرض للخوف الذي جا شرطا في الاية ، فكانه (ع) فهم انه موضوع آخر مستقل موضوع السفر و ليس قيدا فيه فالخوف بذاته سبب مجوز للتقصير، كما ان السفر ايضا سبب , و لا ربطلاحدهما بالاخر.
فالاية و ان كانت ظاهرة في القيد، و ان احدهما قيد للاخر، لكن فعل الرسول (ص)و اصحابه و سائر الائمة ،دلنا على هذا التفصيل ، و ان كلا منهما موضوع مستقل لجواز القصر، و هكذا فهم الامام (ع) و فهمه حجة علينابالاضافة الى عمل الرسول (ص).

الثالث ـ آية الخمس

قال تعالى : (و اعلموا ان ما غنمتم من شي فان للّه خمسه و لرسول و لذى القربى) ((1360))نزلت هذه الاية بعد واقعة بدر، حيث لم يخمس رسول اللّه (ص) غنائم بدر قال عبادة بن الصامت : فاستقبل رسول اللّه (ص) بالمسلمين الخمس فيما كان من كل غنيمة بعد بدر((1361)) و هي عامة تشمل كل الغنائم الحربية عن ابن عباس ، قال : كان رسول اللّه (ص)، اذا بعث سرية فغنموا، خمس الغنمية ((1362)).
ولكن جا في تفسير اهل البيت : شمول الاية لكل ما يغنمه الانسان في حياته من تجارة او صناعة او زراعة فكل ما ربحه الانسان في مكاسبه ، مما هو فاضل مؤونته ـ مؤونة نفسه و عياله ـ طول السنة ، ففيه الخمس ((1363)).
هكذا ورد عن ائمة اهل البيت (ع) حيث اخذوا من لفظ ((الغنيمة)) عمومها اللغوي الشامل لكل ربح و فائدة لان الغنم ، مطلق الفوز بالشي ،كما قاله الخليل في العين فقوله : ((ما غنمتم)) كان الموصول عاما يشمل كل ما فاز به الانسان من غنيمة او ربح او فائدة.

قال الامام ابو جعفر محمد بن علي الجواد(ع) :((فاما الغنائم و الفوائد، فهي واجبة عليهم في كل عام قال اللّه تعالى : (واعلموا ان ما غنمتم من شي فان للّه خمسه و للرسول و لذى القربى) و الغنائم و الفوائد ـ يرحمك اللّه ـ فهي الغنيمة يغنمها المر، و الفائدة يفيدها، و الجائزة من الانسان للانسان التي لهاخطر، و الميراث الذي لا يحتسب. ((1364)) ((
وعن الامام ابي الحسن موسى (ع) ساله سماعة عن الخمس ، فقال : في كل ما افاد الناس من قليل اوكثير((1365)) .
قال الطبرسي : قال اصحابنا: ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب و ارباح التجارات و في الكنوز و المعادن و الغوص و غير ذلك قال : و يمكن ان يستدل على ذلك بهذه الاية , فان في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم ((الغنم)) و ((الغنيمة. ((1366)) ((
و اما مستحق هذا الخمس ، فهم آل الرسول و ذريته الاطيبون ان شاؤوا اخذوه و ان شاؤوا تركوه للمعوزين من فقرا المسلمين ، او في وجوه البر و في سبيل اللّه.
و قد سال نجدة الحروري عبد اللّه بن عباس عن ذوي القربى الذين يستحقون الخمس ، فقال : انا كنا نرى اناهم ، فابى ذلك علينا قومنا فقال : لمن تراه ؟ فقال ابن عباس ، هو لقربى رسول اللّه (ص) قسمه لهم رسول اللّه (ص) و قد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضا رايناه دون حقنا فرددناه عليه و ابينا ان نقبله و كان عرض عليهم ان يعين ناكحهم ، و ان يقضي عن غارمهم ، و ان يعطي فقيرهم ، و ابى ان يزيدهم على ذلك.
واخرج ابن المنذر عن عبد الرحمان بن ابي ليلى ، قال : سالت عليا(ع) عن الخمس ، فقلت : يا امير المؤمنين ،اخبرني كيف كان صنع ابي بكر و عمر في الخمس نصيبكم ؟ فقال : اما ابو بكر فلم تكن في ولايته اخماس و اماعمر، فلم يزل يدفعه الى في كل خمس حتى كان خمس السوس و جنديسابور، فقال ـ و انا عنده ـ : هذانصيبكم اهل البيت من الخمس ، و قد احل ببعض المسلمين و اشتدت حاجتهم فقلت : نعم فوثب العباس بن عبدالمطلب ، فقال : لا تعرض في الذي لنا ثم قال : فو اللّه ما قبضناه و لا قدرت عليه في ولاية عثمان.
وعن زيد بن ارقم ، قال : آل محمد(ص) الذين اعطوا الخمس ، آل علي و آل عباس و آل جعفر و آل عقيل((1367)) .
و في الصحيح عن الامام ابي جعفر محمد بن علي الباقر(ع) قال : ذو القربى هم قرابة الرسول و الخمس للّه وللرسول و لنا و في حديث الرضا(ع) :فما كان للّه فلرسوله ، و ما كان لرسول اللّه فهو للامام((1368)) .
والصحيح عندنا: ان الخمس كله للامام ـ الذي هو ولى امر المسلمين ـ يضعه حيث يشا، نعم عليه ان يعول منه فقرا بني هاشم من نصف الخمس ، فان احتاجوا زادهم من عند نفسه و المسالة محررة في الفقه ، على اختلاف في الاقوال.

الرابع ـ آية القطع

روى ابو النضر محمد بن مسعود العياشي باسناده الى زرقان صاحب ابن ابي داودقاضي القضاة , قال : اتي بسارق الى محضر المعتصم و قد اقر على نفسه بالسرقة و سال الخليفة تطهيره باقامة الحد عليه فجمع الخليفة لذلك الفقها و قد احضر محمد بن علي الجواد(ع) فسالهم عن موضع القطع.
فقال ابن ابي داود: من الكرسوع (طرف الزند) و استدل بية التيمم و وافقه قوم و قال آخرون : من المرفق ، نظراالى آية الوضؤ.
فالتفت الخليفة الى الامام الجواد مستفهما رايه في ذلك ، فاستعفاه الامام لكنه اصرعلى معرفة رايه ، و اقسم عليه باللّ ه ان يخبره برايه.
فقال الامام : اما اذا اقسمت على باللّه ، اني اقول : انهم اخطاوا فيه السنة ، فان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الاصابع ، فيترك الكف.
قال الخليفة : و ما الحجة في ذلك ؟.

قال الامام : قول رسول اللّه (ص) :((السجود على سبعة اعضا، الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين)) فاذاقطعت يده من الكرسوع او المرفق ، لم يبق له يد يسجد عليها و قد قال اللّه تعالى)و ان المساجد للّه)يعني به هذه الاعضا السبعة التي يسجد عليها (فلا تدعوا مع اللّه احدا ((1369)) (و ما كان للّه لم يقطع.
فاعجب المعتصم ذلك و امر بقطع يد السارق من مفصل الاصابع دون الكف ((1370)).
انظر الى هذه الالتفاتة الرقيقة التي تنبه لها الامام و لم يلتفت اليها سائر الفقها، ذلك ان اليد في آية القطع وقعت مجملة قد ابهم المراد منها، فلا بد من تبيينها اما من السنة او الكتاب ذاته و قد التفت الامام (ع) لوجه التبيين الى السنة مدعمة بنص الكتاب فبين ان راحة الكف هي احدى المواضع السبعة التي يجب على المصلي ان يسجد عليها و ذلك بنص الحديث الوارد عن الرسول (ص) و هذا كبيان الصغرى ثم اردفه ببيان الكبرى المستفادة من الاية الكريمة الشاملة بعمومها لكل مسجد، سوا الموضع الذي يسجد فيه ،او العضو الذي يسجد عليه ، كل ذلك للّه و ما كان للّه لا تشمله عقوبة الحد لان العقوبة انما ترجع الى ما للعبدالمذنب ، و لا تعود على ما كان للّه تعالى و هو استنباط ظريف جدا.
و مما يستغرب في المقام ما ذكره الجزيري تعليلا بوجوب القطع من مفصل الكف ، اي الزند، قال : لان السرقة تقع بالكف مباشرة ، و الساعد و العضد يحملان الكف ، و العقاب انما يقع على العضو المباشر للجريمة و لذلك تقطع اليمنى اولا، لان التناول يكون بها في غالب الاحيان((1371)) .
قلت : هذا التعليل يقتضي وجوب القطع من مفصل الاصابع ، كما عليه فقها الامامية و به رواياتهم ، لان الاصابع هي التي تناوش المتاع المسروق ، و الكف تحمل الاصابع.
و قد ذكر ابن حزم الاندلسي ان عليا(ع) كان يقطع الاصابع من اليد و نصف القدم من الرجل و كان عمر يقطع كل ذلك من المفصل و اما الخوارج فراوا القطع من المرفق او المنكب ((1372)) .

الخامس ـ تحريم الخمر

لم ترد آية في المنع عن شرب الخمر، بلفظ التحريم صريحا، و انما هو امر بالاجتناب عنه او مما ينبغي الانتها منه ، مما هو ظاهر في الارشاد الى حكم العقل محضا الامر الذي قد يوهم انها غيرمحرمة في شريعة الاسلام ومن ثم سال المهدى العباسى الامام موسى بن جعفر(ع) عن ذلك ، قال : هل هي محرمة في كتاب اللّه عز وجل ؟ فان الناس انما يعرفون النهي عنها و لا يعرفون التحريم لها.
فقال له الامام : بل هي محرمة في كتاب اللّه ، يا امير المؤمنين.
قال : في اى موضع هي محرمة في كتاب اللّه ، يا ابا الحسن ؟.
فقال : في قول اللّه عز و جل : (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الا ثم والبغي بغير الحق. ((1373)) (
قال (ع) : اما ما ظهر فهو الزنى المعلن و نصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية و اما مابطن فيعني ما نكح من الابا، كان الناس قبل البعثة اذا كان للرجل زوجة و مات عنها ,تزوجها ابنه من بعده اذا لم تكن امه.
قال : و اما الاثم فانها الخمرة بعينها و قد قال تعالى في موضع آخر: (يسالونك عن الخمر و الميسرقل فيهما اثم كبير و منافع للناس ، و اثمهما اكبر من نفعهما. ((1374)) (
فالتفت المهدى الى علي بن يقطين ـ و كان حاضر المجلس و من وزرائه ـ و قال : ياعلى ، هذه و اللّه فتوى هاشمية منكم اهل البيت فما صبر المهدى ان قال : صدقت يا رافضي و كان يعرف منه الولا لال البيت ((1375)).
وبهذه المقارنة الدقيقة بين آيتين قرآنيتين يعرف التحريم صريحا في كتاب اللّه الامر الذي اعجب المهدى العباسي و استعظم هذا التنبه الرقيق و الذ كا المرهف الذي حظي به البيت الهاشمي الرفيع.
وهكذا روي عن الحسن تفسير ((الاثم)) في الاية ((بالخمر. ((1376)) ((

قال العلامة المجلسي : المراد بالاثم ما يوجبه ، و حاصل الاستدلال انه تعالى حكم في تلك الاية بكون ما يوجب الاثم محرما، و حكم في الاية الاخرى بكون الخمر والميسر مما يوجب الاثم ، فثبت بمقتضاهما تحريمهما((1377)) .
والكناية بالاثم عن الخمر، لانها ام الخبائث و راس كل اثم((1378)) , كان قد شاع ذلك الوقت و قبله و تعارف استعماله انشد الاخفش:
شربت الاثم حتى ضل عقلي ـــ كذاك الاثم تذهب بالعقول.
وقال آخر:
نهانا رسول اللّه ان نقرب الخنا ـــ و ان نشرب الاثم الذي يوجب الوزرا((1379)) .
و ايضا قال قائلهم في مجلس ابي العباس:
نشرب الاثم بالصواع جهارا ـــ و ترى المسك بيننا مستعارا((1380)) .
و قد صرح الجوهري بوروده في اللغة ، قال : و قد تسمى الخمر اثما ثم انشد البيت الاول كذلك عدهاالفيروزآبادي احد معانيه.
و اما انكار جماعة ان يكون الاثم اسما للخمر، فهو انما يعني الاطلاق الحقيقي دون المجاز و الاستعارة ، فكل معصية اثم ، غير ان الخمر لشدة تاثيمها سميت اثما، لانها راس المثم و اصلها و اساسها، كما نبهنا و الى هذايرجع كلام ابن سيده ، قال : وعندي انه انما سماها اثما، لان شربها اثم فهو من الاطلاق الشائع الدائر على الالسن ، وضعا ثانويا عرفيا بكثرة الاستعمال نعم ليس من الوضع اللغوي الاصل.
و الى هذا المعنى ايضا يرجع انكار ابن الانباري ابي بكر النحوي ان يكون الاثم من اسما الخمر((1381)) لا انكار استعماله فيها مجازا شائعا قال الزبيدي : و قد انكر ابن الانباري تسمية الخمر اثما، وجعله من المجاز، و اطال في رد كونه حقيقة((1382)) قلت : وهو كذلك بالنظر الى اصل اللغة.
وانكره ابن العربي راسا قال : ((لا حجة فيما انشده الاخفش ، لانه لو قال : شربت الذنب او شربت الوزر لكان كذلك ، و لم يوجب ان يكون الذنب او الورز اسما من اسما الخمر، كذلك الاثم قال : و الذي اوجب التكلم بمثل هذا الجهل باللغة و بطريق الادلة في المعاني.((
لكن الفارق ان العرب استعملت ((الاثم)) في الخمر و تعارف استعماله في عرفهم ،حتى خص به على اثر الشياع اما ((الذنب)) و ((الوزر)) فلم يتعارف استعمالهما في ذلك و لو تعارف لكان كذلك .
قال القرطبي ـ في رده ـ : انه مروى عن الحسن ، و ذكره الجوهري مستشهدا بما انشده الاخفش , و هكذا انشده الهروي في غريبيه ، على ان الخمر: الاثم قال : فلا يبعد ان يكون الاثم يقع على جميع المعاصي و على الخمرايضا لغة ، فلا تناقض ((1383)).

السادس ـ قتل المؤمن متعمدا

قال تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها و غضب اللّه عليه ولعنه و اعد له عذابا عظيما. ((1384)) (
هذه الاية دلت على ان قاتل المؤمن مخلد في النار، و لا يخلد في النار الا الكافر الذي يموت على كفره ، لان الايمان مهما كان فانه يستوجب المثوبة ، و لا بد ان تكون في نهاية المطاف ، على ما اسلفنا((1385)) .
كما انها صرحت بان اللّه قد غضب عليه و لعنه و لا يلعن اللّه المؤمن اطلاقا، كما في الحديث عن الامام ابي جعفر(ع. ((1386)) (
ومن ثم وقعت اسئلة كثيرة من اصحاب الائمة بشان الاية الكريمة:
روى الكليني باسناده الى سماعة بن مهران ، سال ابا عبد اللّه (ع) عن الاية فقال : ((من قتل مؤمنا على دينه فذلك المتعمد الذي قال اللّه عز و جل : و اعد له عذابا عظيما)) قال : فالرجل يقع بينه و بين الرجل شي فيضربه بسيفه فيقتله ؟ قال : ((ليس ذلك المتعمد الذي قال اللّه عز و جل.((
و هكذا اسئلة اخرى من عبد اللّه بن بكير و عبد اللّه بن سنان و غيرهما بهذا الشان

((1387)).
فـقـد بين الامام (ع) ان من يقتل مؤمنا لايمانه ، انما عمد الى محاربة اللّه و رسوله وابتغا الفساد في الارض ، ولـيـس عـمـلـه لغرض شخصي يرتبط بذاته ، انما هو ارادة محق الايمان من على وجه الارض و لا شـك انـه كافرمحارب للّه و رسوله ، و مخلد في النارـ ان مات على عقيدة الكفرـ و غضب اللّه عليه و لعنه و اعد له عذاباعظيما.
وهكذا سار مفسرو الشيعة على هدى الائمة في تفسير الاية((1388)) .
امـا سـائر الـمفسرين ففسروه بقتل العمد الموجب للدية((1389)) و لم يبينوا وجه الخلود في النار و الغضب و اللعنة من اللّه.

السابع ـ الطلاق الثلاث

مـمـا وقـع الخلاف بين الفقها قديما و لا يزال هي مسالة الطلاق الثلاث بلفظ واحد، فقد ذهب فقها الامامية الى انها طلاق واحد لعدم فصل الرجوع بينهن اما باقي الفقها فاقروها ثلاثا و كانت بائنة.
و قد عد ائمة اهل البيت (ع) ذلك مخالفا للكتاب و السنة ، قال تعالى : (فطلقوهن لعدتهن (((1390))وقال :(الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ـ الى قوله ـ فان طلقها فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره. ((1391)) (
فـقد روى عبد اللّه بن جعفر باسناده الى صفوان الجمال عن ابي عبد اللّه الصادق (ع) ان رجلا قال لـه : اني طلقت امراتي ثلاثا في مجلس ؟ قال : ليس بشـي ثم قال : اما تقرا كتاب اللّه : (يا ايها النبي اذا طـلـقـتـم الـنـسـافـطـلـقـوهن لعدتهن) كلما خالف كتاب اللّه و السنة فهو يرد الى كتاب اللّه و السنة((1392)) .
و باسناده الى اسماعيل بن عبد الخالق ، قال : سمعت الصادق (ع) يقول : طلق عبد اللّه بن عمر امراته ثلاثا،فجعلها رسول اللّه (ص) واحدة ، و رده الى الكتاب والسنة((1393)) .
قـال الشيخ : معنى قوله تعالى : (فطلقوهن لعدتهن): ان يطلقها و هي طاهر من غير جماع و يستوفى باقي الشروط((1394)) اي يكون الطلاق في حالة تمكنها ان تعتد عدتها.
فمعنى ((لعدتهن)): لقبل عدتهن و هكذا قرئ ايضا قال الشيخ : و لاخلاف انه اراد ذلك اي تفسيرا و توضيحاللاية ـ و ان لم تصح القراة به((1395)) .
و فـي سـنـن الـبـيهقي عن ابن عمر: قرا النبي ـ ص ـ ((في قبل عدتهن)) و في رواية : ((لقبل عدتهن. ((1396)) ((
و في شواذ ابن خالويه : (فطلقوهن في قبل عدتهن) عن النبي و ابن عباس ومجاهد ((1397)).
قـال الـطبرسي : انه تفسير للقراة المشهورة : ((فطلقوهن لعدتهن)) اي عند عدتهن ، و مثله قوله)) : لا يجليها لوقتها))اي عند وقتها((1398)) .
فقال الزمخشري : فطلقوهن مستقبلات لعدتهن ، كقولك : اتيته ليلة بقيت من الشهر، اي مستقبلا لها و في قراة رسول اللّه (ص) : ((في قبل عدتهن . ((1399)) ((

قـال الـرازي : اللام ـ هنا ـ بمنزلة ((في))، نظير قوله تعالى : (هو الذي اخرج الذين كفروا من اهـل الـكـتاب من ديارهم لاول الحشر ((1400)) (و الاية بهذا المعنى ، لان المعنى ، فطلقوهن في عدتهن ، اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن ((1401)).
قـال الـزمـخـشـري : الـلام فـي ((لاول الـحـشـر)) هي اللام في قوله تعالى : (يا ليتنى قدمت لـحـيـاتي ((1402)) (وقولك : جئته لوقت كذا و المعنى : اخرج الذين كفروا عند اول الحشر و مـعنى ((اول الحشر)): ان هذا اول حشرهم الى الشام ،

و كانوا من سبط لم يصبهم جلا قط، و هم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم((1403)).
قال ابن المنير- في الهامش - : كانه يريد انها اللام التي تصحب التاريخ ، كقولك : كتبت لعام كذا و شهركذا.
اذن فمعنى الاية الكريمة : فطلقوهن لمبدا عدتهن ، اي في زمان يمكن بد العدة منه.
والطلاق ينقسم - في الشريعة - الى طلاق سنة و طلاق بدعة و الاول ما كان مجتمعا للشرائط ,ففي المدخول بها: ان تكون في طهر غير مواقع فيه ، فتطلق تطليقة ثم تترك حتى تنقضي عدتها، ثم يعقد عليها و تطلق ثانية على نفس الشرائط، و هكذا في الثالثة و هذا من احسن طلاق السنة.
ويجوز ان يراجعها زوجها في عدتها و يطاها ثم يطلقها، او يطلقها بعد الرجوع من غير وط و هذا من الطلاق العدي كل هذا من الطلاق السني الجائز بالاتفاق و يقابله الطلاق البدعي ، و هو الطلاق غير المستجمع للشرائط.
قال الشيخ : الطلاق المحرم (البدعي) هو ان يطلق مدخولا بها، غير غائب عنها غيبة مخصوصة ، في حال الحيض ، او في طهر جامعها فيه فانه لا يقع عندنا (الامامية) و العقد ثابت بحاله و قال جميع الفقها: انه يقع و ان كان محظورا، ذهب اليه ابو حنيفة و اصحابه ، و مالك ، و الاوزاعي ، و الثوري ، و الشافعي.
وقال - ايضا- : اذا طلقها ثلاثا بلفظ واحد كان مبدعا، وقعت واحدة عند تكامل الشروط عند اكثر اصحابنا، وفيهم من قال : لا يقع شي اصلا و قال الشافعي : المستحب ان يطلقها طلقة ، فان طلقها ثنتين او ثلاثا في طهر لم يجامعها فيه ، دفعة او متفرقة ، كان ذلك مباحا غير محظور، و وقع و به قال احمد و اسحاق و ابو ثور.
و قال قوم : اذا طلقها في طهر واحد ثنتين او ثلاثا، دفعة واحدة او متفرقة ، فعل محرما و عصى و اثم و في الفقهامن قال بالحرمة الا انه يقع ، و هم ابو حنيفة و اصحابه و مالك ((1404)).
والخلاصة ان الشافعي و احمد لا يريان ذلك طلاق بدعة ، فيجيزان الطلاق الثلاث بلفظ واحد و ان كان الثاني و الثالث لغير عدة فانه جائز و نافذ ايضا.
اما ابو حنيفة و مالك فيريانه بدعة و اثما، لكنه يقع نافذا((1405)).
وعلى اي تقدير، فالمذاهب الاربعة متفقة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد قال الجزيري : فاذا طلق الرجل زوجته ثلاثا دفعة واحدة ، بان قال لها: انت طالق ثلاثا، لزمه ما نطق به من العدد، في المذاهب الاربعة ، و هو راي الجمهور((1406)).
و هذا من جملة الموارد التي خالف الفقها صريح الكتاب ، لزعم انه وردت السنة به ، اما تاويلا لنص الاية اونسخا لها فيما زعموا حاشا فقها الامامية ، لم يخالفوا الكتاب في شي ، كما هم عملوا بالسنة الصحيحة الواردة عن طرق اهل البيت (ع).
و قد اصر ائمة اهل البيت على ان مثل هذا الطلاق (ثلاثا بلفظ واحد) مخالف لصريح الكتاب ، و ما كان مخالفاللكتاب فهو باطل يجب ضربه عرض الجدار.
اذ قوله تعالى : (فطلقوهن لعدتهن) يشمل الطلاق الثاني و الطلاق الثالث ، لم يقعا للعدة ، حيث كانت العدة عدة للطلقة الاولى فحسب.
قال الامام الصادق (ع) لابن اشيم : ((اذا طلق الرجل امراته على غير طهر و لغير عدة كما قال اللّه عز و جل ، ثلاثاو واحدة فليس طلاقه بطلاق و اذا طلق الرجل امراته ثلاثا و هي على طهر من غير جماع بشاهدين عدلين فقدوقعت واحدة و بطلت الثنتان و اذا طلق الرجل امراته ثلاثا على العدة كما امر اللّه عز و جل فقد بانت منه و لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره. ((1407)) ((
اذن فالطلقة الثانية وكذا الثالثة ، لم تقع للعدة حسبما ذكره اللّه تعالى في كتابه ،

و من ثم وقع الطلاق الثلاث بلفظواحد، موضع انكار رسول اللّه (ص) في الجراة على مخالفة صريح الكتاب:
اخرج النسائي من طريق مخرمة عن ابيه بكير بن الاشج ، قال : سمعت محمود بن لبيد قال : اخبر رسول اللّه (ص) عن رجل طلق امراته ثلاث تطليقات جميعا، فقام غضبان ، ثم قال : ايلعب بكتاب اللّه و انا بين اظهركم : حتى قام رجل و قال : يا رسول اللّه ، الا اقتله ؟((1408)) .
و ذكر الشارح المراد به قوله تعالى : (الطلاق مرتان ـ الى قوله ـ و لا تتخذوا أيات اللّه هزوا ((1409)) (فان معناه : التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع , والارسال مرة واحدة و لم يردبالمرتين التثنية و مثله قوله تعالى : (ثم ارجع البصر كرتين ((1410)) (اي كرة بعد كرة ، لا كرتين اثنتين و معنى قوله : (فامساك بمعروف ((1411)) (تخيير لهم ـ بعد ان علمهم كيف يطلقون ـ بين ان يمسكوا النسا بحسن العشرة ـ وهو الرجوع اليها ـ و بين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم و الحكمة في التفريق ما يشيراليه قوله تعالى : (لعل اللّه يحدث بعد ذلك امرا) اي قد يقلب اللّه تعالى قلب الزوج بعد الطلاق ،من بغضها الى محبتها((1412)) .
وهكذا روى اصحاب السنن : ان ركانة طلق امراته ثلاثا في مجلس واحد، فحزن عليها و ندم ، فاتى رسول اللّه (ص) و ذكر ندمه و حزنه الشديد على ذلك ، فساله رسول اللّه : كيف طلقتها ثلاثا؟ قال : في مجلس واحد و في حديث ابن عباس : ان عبد يزيد طلق زوجته و تزوج باخرى ، فاتت النبي (ص) فشكت اليه فقال النبي لعبد يزيد: راجعها، فقال : اني طلقتها ثلاثا يا رسول الل ه قال : قد علمت ، راجعها، و تلا: (يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن. ((1413)) (
قال ابو داود:ان ركانة طلق امراته البتة (اي الثلاث البائن) فجعلها النبي (ص)واحدة.
و معنى ذلك : ان الثلاث بلفظ واحد ـ من غير مراجعة بينهن ـ تكون الواحدة منهن للعدة ، دون مجموع الثلاث.
فتلاوة النبي (ص) للاية تلميح الى عدم وقوع الثلاث جميعا للعدة سوى واحدة ، و من ثم كانت رجعية و ليست بائنة.
و من غريب الامر ان جمهور الفقها، مع علمهم بان الثلاث بلفظ واحد مخالف للكتاب و السنة اما الكتاب فلماعرفت ، و اما السنة فلما رواه مسلم في الصحيح باسناده الى ابن عباس قال : كان الطلاق على عهد رسول اللّه (ص) و ابي بكر و سنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : ان الناس قد استعجلوافي امر قد كانت لهم فيه اناة ، فلو امضيناه عليهم : فامضاه عليهم ((1414)).
نرى الفقها مع علمهم بذلك ، فانهم تبعوا سنة عمر، و تركوا صريح الكتاب و سنة الرسول و الصحابة المرضيين.
يقول الجزيري : ان الائمة سلموا جميعا بان الحال في عهد النبي (ص) كان كذلك ، و لم يطعن احد منهم في حديث مسلم و كل ما احتجوا به : ان عمل عمر و موافقة الاكثرين له مبنى على ان الحكم كان مؤقتا، فنسخه عمر بحديث لم يذكره لنا والدليل على ذلك الاجماع قال : و لكن الواقع انه لم يوجد اجماع ، فقد خالفهم كثيرمن المسلمين و مما لا شك فيه ان ابن عباس من المجتهدين المعول عليهم في الدين ، فتقليده جائز، ولايجب تقليد عمر فيما رآه قال : و لعله كان تحذيرا للناس من ايقاع الطلاق على وجه مغاير للسنة ، فان السنة ان تطلق المراة في اوقات مختلفة ، فاذا تجرا احد على تطليقها دفعة واحدة فقد خالف السنة ، و جزاؤه ان يعامل بقوله زجرا له((1415)) .
وناقش ابن حزم الاندلسي فيما اخرجه النسائي عن طريق مخرمة عن ابيه بكير

بن عبد اللّه بن الاشـج انـه سمع محمود بن لبيد الخ بان خبر محمود مرسل لا حجة فيه و ان مخرمة لم يسمع من ابيه شيئا.
و كـذا نـاقـش فـيـما اخرجه مسلم عن طريق محمد بن رافع باسناده الى ابن عباس ، بجهالة ابن رافع هذا((1416)) .
اما مـحمود بن لبيد فزعموا انه لم تصح له رؤية و لا سماع من النبي لانه كان طفلا لم يبلغ الحلم يومذاك.
لكن ذكر الواقدي : و غيره انه مات سنة ست و تسعين ، و هو ابن تسع و تسعين سنة ،قال ابن حجر :عـلـى هـذا يـكـون لـه يوم مات النبي ثلاث عشرة سنة ، و هذا يقوي قول من اثبت الصحبة ، و هو قـول الـبـخـاري و من ثم قال ابن عبد البر: قول البخاري اولى ، يعني في اثبات الصحبة و هو الذي روى ان الـنـبي (ص)اسرع يوم مات سعد بن معاذ حتى تقطعت نعالنا قال الترمذي : راى النبي و هو غلام صغير((1417)) .
قلت : لا يقل هذا عن ابن عباس الذي كان يوم مات النبي ابن ثلاث عشرة سنة ايضا.
اما عـدم سـماع مخرمة من ابيه فليس يضره ، بعد ان كان يروي من كتاب ابيه قال ابو طالب : سالت احمد عنه ،قال : ثقة و لم يسمع من ابيه انما يروي من كتاب ابيه و قال مالك : حدثني مخرمة بن بكير و كـان رجـلاصـالـحـاقـال ابـو حاتم : سالت اسماعيل بن ابي اويس ، قلت : هذا الذي يقول مالك بن انس :حدثني الثقة ، من هو ؟قال مخرمة بن بكير بن الاشج و قال الميموني عن احمد: اخذ مالك كتاب مـخرمة فنظر فيه ، فكل شي يقول فيه : بلغني عن سليمان بن يسار، فهو من كتاب مخرمة ، يعني عن ابيه عن سليمان((1418)) .
و اما المناقشة في اسناد مسلم بجهالة ابن رافع و لاحجة في مجهول فيدفعها ان مسلما رواه من طريق اسحاق بن ابراهيم و محمد بن رافع ، جميعا عن عبد الرزاق .
اما محمد بن رافع فقد وثقه الائمة كلمة واحدة قال البخاري : حدثنا محمد ابن رافع بن سابور، و كـان مـن خـيـارعباد اللّه و قال النسائي حدثنا محمد بن رافع الثقة المامون و قال ابو زرعة : شيخ صدوق و قال الحاكم : هو شيخ عصره بخراسان في الصدق و الرحلة((1419)) .
و هـكـذا اسحاق بن ابراهيم بن مخلد المعروف بابن راهويه المروزي ، هو احد الائمة المرموقين بـخراسان ممن قل نظيره قال ابو زرعة : ما رؤي احفظ من اسحاق و قال احمد: لم يعبر الجسر الى خراسان مثله قال : لا اعرف له بالعراق نظيرا((1420)) .
فقد صح قول الجزيري : لم يطعن احد في حديث مسلم حيث كان طعن ابن حزم موهونا الى حد بعيد.
و بـعـد فـمـما يبعث على الاعتزاز، ذلك موقف فقها الامامية جنبا الى جنب من صراحة الكتاب و الـصـحـيـح مـن سـنـة الرسول (ص) حتى و ان خالفهم الجمهور و هذا من بركات تعاليم ائمة اهل البيت (ع) الثابتين على صلب الشريعة و الحافظين لناموس الدين ، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشا و اللّه ذو الفضل العظيم.

الثامن ـ حديث المتعة

قال تعالى : (فما استمتعتم به منهن فتوهن اجورهن فريضة . ((1421)) (ا ـ متعة النسا.
وقـع الـخلاف في هذه الاية الكريمة هل هي منسوخة الحكم ، و ما ناسخها، هل هوالكتاب ام السنة الشريفة ؟.
ذهـب ائمـة اهـل الـبيت (ع) الى انها محكمة لا يزال حكمها ثابتا في الشريعة ، ليس لها ناسخ لا في الكتاب و لا في السنة و اليه ذهب جملة الاصحاب و التابعين.

و خالفهم فقها سائر المذاهب ، نظرا لمنع عمر ذلك ، و كان يشدد عليه كما افترضوا له دلائل من الكتاب والسنة لم تثبت عند ائمة النقد و التمحيص.
قال ابن كثير: و قد استدل بعموم هذه الاية على نكاح المتعة و لا شك انه كان مشروعا في ابتدا الاسلام ، ثم نسخ بعد ذلك و قد روي عن ابن عباس و طائفة من الصحابة القول باباحتها للضرورة ، و هو رواية عن احمد وكان ابن عباس ، و ابي بن كعب ، و سعيد بن جبير، و السدي يقراون (فما استمتعتم به منهن ـ الى اجل مسمى ـ فتوهن اجورهن فريضة) ـ قراة على سبيل التفسيرـ و قال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة.
قال : و لكن الجمهور على خلاف ذلك ((1422)).
و قال ابن قيم الجوزي : الناس في هذا (حديث المتعة) طائفتان : طائفة تقول : ان عمر هو الذي حرمها و نهى عنها، و قد امر رسول اللّه (ص) باتباع ما سنه الخلفا الراشدون ، و لم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة عام الفتح ، فانه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة الجهني ، عن ابيه عن جده و قدتكلم فيه ابن معين و لم ير البخاري اخراج حديثه في صحيحه مع شدة الحاجة اليه ، و كونه اصلا من اصول الاسلام ، و لو صح عنده لم يصبر عن اخراجه و الاحتجاج به قالوا: و لو صح حديث سبرة لم يخف على ابن مسعود، حتى يروى عنه : انهم فعلوها، و يحتج بالاية و ايضا لو صح لم يقل عمر: انها كانت على عهد رسول اللّه (ص) و انا انهى عنها و اعاقب عليها، بل كان يقول : انه (ص) حرمها و نهى عنها قالوا: و لو صح لم تفعل على عهد الصديق و هو عهد خلافة النبوة حقا قال : و الطائفة الثانية رات صحة حديث سبرة ، و لو لم يصح فقدصح حديث علي (ع) ان رسول اللّه (ص) حرم متعة النسا فوجب حمل حديث جابر على ان الذي اخبر عنهابفعلها لم يبلغه التحريم ، و لو لم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر، فلما وقع فيها النزاع ظهر تحريمها واشتهرقال : و بهذا تاتلف الاحاديث الواردة فيها((1423)) .
و ذهب القرطبي ـ من المفسرين ـ الى ان الاية ليست بشان المتعة ، و انما هي بشان النكاح التام قال : و لا يجوزان تحمل الاية على جواز المتعة ، لان النبي ص ـ نهى عن نكاح المتعة و حرمه ، و لان اللّه تعالى قال :((فانكحوهن باذن اهلهن)) و معلوم ان النكاح باذن الاهلين هو النكاح الشرعي بولى و شاهدين ، و نكاح المتعة ليس كذلك.
قال : و قال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الاسلام و نسختها آية ميراث الازواج ، اذ كانت المتعة لا ميراث فيها و قالت عائشة و القاسم بن محمد: تحريمها و نسخها في القرآن ، و ذلك قوله تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ((1424)) (و ليست المتعة نكاحا و لا ملك يمين.
و نسب الى ابن مسعود انه قال : المتعة منسوخة نسختها الطلاق و العدة و الميراث.
و قال بعضهم : انها ابيحت في صدر الاسلام ثم حرمت عدة مرات قال ابن العربي : و اما متعة النسا فهي من غرائب الشريعة ، لانها ابيحت في صدر الاسلام ، ثم حرمت يوم خيبر، ثم ابيحت في غزوة اوطاس ، ثم حرمت بعد ذلك ، و استقر الامر على التحريم و ليس لها اخت في الشريعة الا مسالة القبلة ، لان النسخ طرا عليها مرتين ،ثم استقرت بعد ذلك.
و قال غيره ـ ممن زعم انه جمع طرق الاحاديث في ذلك ـ : انها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات.
و قال جماعة : لا ناسخ لها سوى ان عمر نهى عنها و روى عطا عن ابن عباس ، قال : ما كانت المتعة الارحمة من الل ه رحم بها عباده ، و لولا نهي عمر عنها ما زنى الا شقى ((1425)).
وهكذا روى ابن جرير الطبري باسناده الى الامام امير المؤمنين (ع) قال : ((لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الاشقى ((1426)) ((و يروى ((الا شفى)) بالفا المفتوحة ، اي قليل من الناس ((1427)).
قال ابن حزم الاندلسي كان نكاح المتعة ـ و هو النكاح الى اجل ـ حلالا على عهد رسول اللّه (ص (ثم نسخهااللّه تعالى على لسان رسوله ، نسخا باتا الى يوم القيامة.
و قد ثبت على تحليلها بعد رسول اللّه (ص) جماعة من السلف ، منهم من الصحابة :

اسما بنت ابي بـكر((1428)) وجـابـر بن عبد اللّه الانصاري((1429)) و ابن مسعود((1430)) و ابن عـبـاس ((1431)) و عمرو بن حريث ((1432)) و ابو سعيدالخدري((1433)) و سلمة و معبد ابنا امية بن خلف ((1434)).
قال : و رواه جابر عن جميع الصحابة ، مدة رسول اللّه (ص) و مدة ابي بكر و عمر الى قرب آخر خلافته.
قال : و من التابعين : طاووس و عطا و سعيد بن جبير و سائر فقها مكة((1435)) .
و بعد فالذي يشهد به التاريخ و متواتر الحديث ، ان المتعة (النكاح المؤقت) كانت مما احله الكتاب و جرت به السنة و عمل بها الاصحاب ، منذ عهد الرسالة و تمام عهد ابي بكر و نصفا من خلافة عمر حتى نهى عنها و شددعليه لاسباب وعلل ، كان يرى انها تخوله صلاحية المنع.
اخـرج مـسـلم من طريق عبد الرزاق قال : اخبرنا ابن جريج عن عطا، قال : قدم جابر بن عبد اللّه مـعـتـمـرا فجئناه في منزله ، فسـاله القوم عن اشيا ثم ذكروا المتعة ، فقال : نعم ، استمتعنا على عهد رسول اللّه (ص) و ابي بكر وعمر.
وايـضـا عـن ابـن جريج قال : اخبرني ابو الزبير قال : سمعت جابر بن عبد اللّه يقول : كنا نستمتع بـالـقبضة من التمر والدقيق ، الايام على عهد رسول اللّه (ص) و ابي بكر، حتى نهى عنه عمر في شان عمرو بن حريث ((1436)).
و فـي حـديـث قـيس عنه قال : رخص لنا ان ننكح المراة بالثوب الى اجل ثم قرا عبد اللّه : (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل اللّه لكم و لا تعتدوا ان اللّه لا يحب المعتدين(((1437)) .
و كـان استشهاده بهذه الاية تدليلا على ان اللّه يحب ان يؤخذ برخصه و لا سيما الطيبات ما لم ينه عنه الشارع الحكيم ذاته اشارة الى ان نهي مثل عمر لا تاثير له في حكم شرعي مستدام بذاته.
امـا قـضـيـة عمرو بن حريث فهو ما اخرجه الحافظ عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج ، قال :اخـبـرني ابو الزبيرعن جابر قال : قدم عمرو بن حريث الكوفة فاستمتع بمولاة ، فاتي بها عمر و هي حبلى ، فساله فاعترف ، قال :فذلك حين نهى عنها عمر((1438)) .
و قريب منها قصة سلمة و معبد ابني امية بن خلف:
اخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس ، قال :لم يرع عمر الا ام اراكة قد خرجت حبلى ، فسالها عمر، فقالت : استمتع بي سلمة بن امية ((1439)).
وذكر ابن حجر ـ في الاصابة ـ ان سلمة استمتع من سلمى مولاة حكيم بن امية الاسلمي فولدت له فجحدولدها.
وزاد الـكـلـبـي : فـبـلـغ ذلـك عـمـر فنهى عن المتعة و روى ايضا ان سلمة استمتع بامراة فبلغ عمرفتوعده((1440)) .
قـال ابـن حـجـر: الـقـصـة بـشـان سلمة و معبد ابني امية واحدة ، اختلف فيها هل وقعت لهذا او لهذا((1441)) .
و اخرج مالك و عبد الرزاق عن عروة بن الزبير: ان خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب , فقالت : ان ربيعة بن امية استمتع بمراة مولدة فحملت منه فخرج عمر بن الخطاب ـ يجر رداه فزعا فقال : هذه المتعة ((1442)) اي لو اعلنت بالمنع قبل ذلك.
و اخـرج ابو جعفر الطبري في تاريخه بالاسناد الى عمران بن سوادة ، قال : صليت الصبح مع عمر ثـم انـصـرف وقمت معه ، فقال : احاجة ؟ قلت : حاجة قال : فالحق فلحقت ، فلما دخل اذن لي ، فاذا هو على سرير ليس فوقه شي فقلت : نصيحة ؟ فقال : مرحبا بالناصح غدوا و عشيا قلت : عابت امتك عليك اربعا فوضع راس درته في ذقنه و وضع اسفلها على فخذه ، ثم قال : هات.
فذكر اولا: انه حرم العمرة في اشهر الحج((1443)) و لم يفعل ذلك رسول اللّه (ص) و لا ابو بكر و هي حلال فاعتذرعمر: انهم لو اعتمروا في اشهر الحج لراوها مجزية عن حجهم.

والـثاني : انه حرم متعة النسا، و قد كانت رخصة من اللّه نستمتع بقبضة و نفارق عن ثلاث فاعتذر عمر: ان رسول اللّه احلها في زمان ضرروة و الان قد رجع الناس الى السعة.
والثالث : انه حكم بعتاق الامة ان وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها((1444)) فقال عمر: الحقت حرمة بحرمة و ماردت الا الخير و استغفر اللّه.
والـرابـع : انـه يـاخـذ الـرعـية بالشدة و العنف فاجاب عمر بما حاصله : ان ذلك مما لا بد منه في انتظام الرعية((1445)) .

قصة المنع من المتعتين

و الـذي يـبت من الامر بتا ان عمر هو الذي حال دون تداوم شريعة المتعة ، و انها كانت محللة حتى اصدر الخليفة المنع منها لا عن سابقة نسخ او تحريم تلك قولته المعروفة : ((متعتان كانتا على عهد رسول اللّه ، و انا محرمهما ومعاقب عليهما: متعة النسا و متعة الحج.((
و هذا الكلام و ان كان ظاهره منكرا ـ كما قال ابن ابي الحديد المعتزلي((1446)) ـ فله مخرج و تاويل اختلف الفقها فيه.
و في ذلك يقول الامام الرازي : ظاهر قول عمر: و انا انهى عنهما انهما مشروعتان غير منسوختين ,و انه هوالذي نسخهما و ما لم ينسخه الرسول فلا ناسخ له ابدا.
ثـم اخذ في تاويل كلامه بان المراد: انا انهى عنهما لما ثبت عندي ان النبي نسخها قال : لانه لو كان مـراده ان الـمتعة كانت مباحة في شرع محمد(ص) و انا انهى عنها، لزم تكفيره و تكفير كل من لم يـحـاربـه ، و يـفـضـي ذلـك الـى تـكـفـيـر امـير المؤمنين ، حيث لم يحاربه و لم يرد عليه ذلك القول((1447)) .
و اغـرب الـقـسـطـلانـي في شرحه على البخاري ، حيث قوله : ان نهي عمر كان مستنداالى نهي الـنـبـي (ص) و كـان خـافـيـا عـلـى سـائر الـصـحـابـة ، فـبـينه عمر لهم ، و لذلك سكتوا او وافقوا((1448)) .
اللهم ان هذا الا تخرص بالغيب و تفسير كلام بما لا يرضى صاحبه و اشد غرابة ما ذكره القوشجي ـ في شرحه على تجريد الاعتقاد للخواجه نصير الدين الطوسي ـ قـال : ان عـمرقال على المنبر: ايها الناس ثلاث كن على عهد رسول اللّه)ص) و انا انهى عنهن و احرمهن و اعاقب عليهن :متعة النسا، و متعة الحج , و حي على خير العمل ثم اعتذر بان ذلك ليس مما يوجب قدحا فيه ، فان مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع ((1449)).
انـظـر الـى هذا الرجل العالم المتجاهل ، كيف يجعل من صاحب الرسالة الذي لا ينطق الا عن وحي يـوحـى الـيه ، كيف يجعله عدلا لفرد من آحاد امته ، و لا سيما مثل ابن الخطاب الذي اعلن صريحا ومرارا: كل الناس افقه منه((1450)) .
و بعد فلنعطف الكلام عن حديث المتعتين الذي اعلن به عمر على رؤوس الاشهاد:
1ـ اخـرج الـبيهقي في سننه بالاسناد الى ابي نضرة قال : قلت لجابر بن عبد اللّه الانصاري : ان ابن الـزبـيـر يـنهى عن المتعة و ان ابن عباس يامر بها اللّه (ص) و مع ابي بكر، فلماولي عمر خطب الناس فقال:
))ان رسـول اللّه هـذا الرسول ، و ان هذا القرآن هذا القرآن و انهما كانتا متعتان على عهد رسول اللّه ، و انـا انهى عنهما و اعاقب عليهما، احداهما: متعة النسا، و لا اقدر على رجل تزوج امراة الى اجل الا غيبته بالحجارة والاخرى : متعة الحج. ((1451)) ((
2ـ و اخـرج مـسـلـم في صحيحه ايضا عن ابي نضرة ، قال : كان ابن عباس يامر بالمتعة ،و كان ابن الـزبـيـر يـنهى عنها، فذكرت ذلك لجابر، فقال : على يدى دار الحديث تمتعنا مع رسول اللّه (ص (فلماقام عمر قال : ((ان اللّه كان يحل لرسوله ما شا بما شا، و ان القرآن قد نزل منازله ، فاتموا الحج و الـعمرة للّه كماامر اللّه ، و ابتوا نكاح هذه النسا، فلن اوتي برجل نكح امراة الى اجل الا رجمته بالحجارة. ((1452)) ((
3ـ و اخـرج ابـو بـكـر الجصاص باسناده الى شعبة عن قتادة قال : سمعت ابا نضرة يقول : كان ابن عـبـاس يـامـربـالـمتعة و كان ابن الزبير ينهى عنها، قال : فذكرت ذلك لجابر فقال : على

يدى دار الحديث ، تمتعنا مع رسول اللّه (ص) فلما قام عمر قال : ((ان اللّه كان يحل لرسوله ما شا بما شا ,فاتموا الحج و العمرة كما امر اللّه ، وانتهوا عن نكاح هذه النسا، لا اوتي برجل نكح امراة الى اجل الا رجمته.
قال الجصاص : فذكر عمر الرجم في المتعة ، و جائز ان يكون على جهة الوعيد والتهديد لينزجر الناس عنها((1453)) .
4ـ و ذكر بشان متعة الحج ، و هي احدى المتعتين اللتين قال عمر بن الخطاب : ((متعتان كانتا على عهد رسول اللّه (ص) انا انهى عنهما و اضرب عليهما: متعة الحج و متعة النسا)) ((1454)) .
و هكذا رواه الحافظ ابو عبد اللّه بن القيم الجوزي قال : ثبت عن عمر انه قال ((1455)).
وقال شمس الدين السرخسي : و قد صح ان عمر نهى الناس عن المتعة ، فقال : متعتان كانتا((1456)) .
و ذكره القرطبي بنفس اللفظ((1457)) , و الفخر الرازي بلفظ: ((متعتان كانتا مشروعتين. ((1458)) ((
الى غيرذلك من تصريحات اعلام الفقه((1459)) و التفسير، تنبؤك عن تواتر حديث منع المتعتين منعا مستندا الى عمر بالذات و ليس مستندا الى شريعة السما.
الا مر الذي دعا بكثير من النبها ان ياخذوا من قولة عمر هذه دليلا على الجواز استنادا الى روايته تاركين رايه الى نفسه ، او لا حجية لراي في مقابلة الشريعة ، كما لا اجتهاد في مقابلة النص.
يذكر ابن خلكان ـ في ترجمة يحيى بن اكثم ـ ان المامون العباسي امر فنودي بتحليل المتعة فدخل عليه ابن اكثم فوجده يستاك ، و يقول ـ و هو مغتاظ ـ : متعتان كانتا على عهد رسول اللّه و على عهد ابي بكر و انا انهى عنهما((1460)) .
و في لفظ الخطيب : و من انت يا احول حتى تنهى عما فعله النبي و ابو بكر؟((1461)) .
و ذكر الراغب ان يحيى بن اكثم ـ و كان قاضيا في البصرة نصبه المامون ـ قال لشيخ بالبصرة : بمن اقتديت في جواز المتعة ؟ قال : بعمر بن الخطاب الخبر الصحيح انه صعد المنبر فقال : ان اللّه و رسوله قد احلا لكم متعتين و اني محرمهما عليكم و معاقب عليهما فقبلنا شهادته و لم نقبل تحريمه ((1462)).
وهناك من الصحابة و التابعين من ثبتوا على القول بالتحليل الاول منذ عهد الرسول (ص) و لم يستسلموا لنهي عمر، و جاهروا في مخالفته اما في حياته او بعد مماته.
هذا جابر بن عبد اللّه الانصاري هو اول من جاهر بالتحليل و اعلن بالمخالفة لنهي عمر.
وهذا ابو سعيد الخدري قد عرفت مواكبته مع جابر في اعلام المخالفة.
وعبد اللّه بن مسعود قرا: (الى اجل مسمى) بملا من الناس.
و ابي بن كعب كان يقرا قراة ابن مسعود.
وسعيد بن جبير، و طاووس ، و عطا، و مجاهد، و سائر فقها مكة و اضرابهم حسبما تقدم الكلام عنهم.
ويقول الامام امير المؤمنين (ع): لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شفى ـ او ـ الا شقي ((1463)) , على ما سبق بيانه.
وكذلك ابن عباس في قوله : يرحم اللّه عمر، ما كانت المتعة الا رحمة من اللّه رحم بها امة محمد(ص) و لولانهيه ما احتاج الى الزنى الا شقي ـ او ـ الا شفى((1464)) .
و قد عرض ابن الزبير بابن عباس في قوله :ان ناسا اعمى اللّه قلوبهم كما اعمى ابصارهم يفتون بالمتعة فناداه ابن عباس : انك لجلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد امام المتقين ـ يريد رسول اللّه (ص) ـ فقال له ابن الزبير: فجرب بنفسك فو اللّه لئن فعلتها لارجمنك باحجارك ((1465)).
وهذا ابنه عبد اللّه تراه لا يكترث بنهي نهاه ابوه تفاديا دون سنة سنها رسول اللّه (ص) و نطق بها الكتاب فقداخرج احمد في مسنده عن ابي الوليد قال : سال رجل ابن عمر عن المتعة و انا عنده)متعة النسا)، فقال : و اللّه ما كنا على عهد رسول اللّه (ص) زانين و لا

مسافحين((1466)) .
وهـكـذا نـجـد كبار الصحابة و التابعين و من ورائهم الفقها لم يابهوا بنهي عمر عن متعة الحج مع تصريحه بالمنع وارداف لها مع متعة النسا و ما ذلك الا من جهة عدم اعتبار اى اجتهاد في مقابلة نص الشريعة.
هذا ابن عمر نراه كما لم يكترث بنهي ابيه عن متعة النسا، كذلك لم يكترث بنهيه عن متعة الحج:
روى الـتـرمذي باسناده الى ابن شهاب ان سالما حدثه انه سمع رجلا من اهل الشام و هو يسال عبد اللّه بـن عـمـرعـن التمتع بالعمرة الى الحج ، فقال عبد اللّه : هي حلال فقال الشامي : ان اباك قد نهى عـنـها اللّه ؟ فقال الرجل : بل امر رسول اللّه (ص)فقال : لقد صنعها رسول اللّه (ص. ((1467)) (
وكـذلـك روى ابـن اسحاق عن الزهري عن سالم قال : اني لجالس مع ابن عمر في المسجد، اذ جاه رجل من اهل الشام فساله عن التمتع بالعمرة الى الحج ، فقال ابن عمر: حسن جميل قال : فان اباك كان ينهى عنها ام بامر رسول اللّه ؟ قم عني ؟ قال القرطبي : اخرجه الدار قطني((1468)) .
وهـكـذا نرى سعد بن ابي وقاص لم يابه بمنع عمر تجاه سنة سنها رسول اللّه (ص)رواه الترمذي ايضا باسناده الى شهاب عن محمد بن عبد اللّه بن الحارث : انه سمع سعد بن ابي وقاص و الضحاك بن قـيس ، و هما يذكران التمتع بالعمرة الى الحج فقال الضحاك : لا يصنع ذلك الا من جهل امر اللّه فقال سـعد: بئس ما قلت ، يا ابن اخي اللّه ، و صنعناها معه ((1469)).
و هذا عمران بن الحصين يحذو حذوهما في جراة و صراحة ،يقول : ((ان اللّه انزل في المتعة آية و ما نسخها بية اخرى و امرنا رسول اللّه (ص) بالمتعة و ما نهانا عنها قال رجل فيها برآيه ما شا ,((يـريد عمر بن الخطاب ، على ما صرح به الرازي((1470)) و ابن حجر((1471)) اخرجه ابن ابي شيبة و البخاري ومسلم((1472)) .
واخـرجه ايضا احمد في مسنده عنه قال : ((نزلت آية المتعة في كتاب اللّه تبارك وتعالى ، و عملنا بها مع رسول اللّه (ص) فلم تنزل آية تنسخها، و لم ينه عنها النبي حتى مات ((1473)).
وعـمـران هذا من فضلا الصحابة و فقهائهم ، و قد بعثه عمر ليفقه اهل البصرة ، ثقة بمكان فقهه و امانته قال ابن سيرين : كان افضل من نزل البصرة من الصحابة((1474)) .
قـال الـشـيخ ابو عبد اللّه المفيد ـ في جواب من ساله عن قول مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع)) (ليس منا من لم يقل بمتعتنا)) ـ : ان المتعة التي ذكرها الامام الصادق (ع) هي النكاح المؤجل الذي كـان الـنبي (ص) اباحها لامته في حياته و نزل بها القرآن ايضا، فتؤكد ذلك باجماع الكتاب و السنة فـيـه ، حـيـث يـقول اللّه : (و احل لكم ماورا ذلك ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين ، فما اسـتـمتعتم به منهن فتوهن اجورهن فريضة , ((1475)) (فلم يزل على الاباحة بين المسلمين لا يـتـنـازعون فيها حتى راى عمربن الخطاب النهي عنها فحظرها و شدد في حظرها و توعد على فعلها، فتبعه الجمهور على ذلك ، و خالفهم جماعة من الصحابة و التابعين فاقاموا على تحليلها الى ان مـضـوا لـسبيلهم ، و اختص باباحتها جماعة من الصحابة و التابعين وائمة الهدى من آل محمد(ع ,(فلذلك اضافها الصادق (ع)بقوله : متعتنا((1476)) .

لا نسخ و لا تحريم

و بـعـد اذ عرفت ان القوم لم يكد ان يصدقوا منع عمر ذاته لشريعة سنها الكتاب والسنة , التمسوا لتبرير موقفه ذاك معاذير و تعاليل لا تكاد تشفي العليل و لا تروي الغليل.
قال الشيخ محمد عبده : و العمدة عند اهل السنة في تحريمها وجوه:
اولها: ما علمت من منافاتها لظاهر القرآن في احكام النكاح و الطلاق و العدة ، ان لم نقل لنصوصه.

ثـانـيـها: الاحاديث المصرحة بتحريمها تحريما مؤبدا الى يوم القيامة ، و قد جمع متونها و طرقها مسلم في صحيحه.
ثالثها: نهي عمر عنها في خلافته ، و اشادته بتحريمها على المنبر، و اقرار الصحابة له على ذلك.
قال : و كان اسناد التحريم الى نفسه (انا محرمهما) فمجاز، و معناه : انه مبين لتحريمهما.
و قد شاع مثل هذا الاسناد، كما يقال : حرم الشافعي النبيذ و احله او اباحه ابو حنيفة لم يعنوا انهما شـرعـا ذلك من عند انفسهما، و انما يعنون انهم بينوه بما ظهر لهم من الدليل
قال : و قد كنا قلنا: ان عمر منع المتعة اجتهادا منه ثم تبين لنا ان ذلك خطا فنستغفر اللّه منه((1477)) .
و لننظر في هذه البنود باختصار:
اما التنافي مع ظاهر الكتاب او نصه فلم يتبين وجهه بوضوح اذ المتمتع بها زوجة عند القائل بها، و لـهـا احـكام تغاير احكام الدائمة ، فطلاقها انقضا اجلها و عدتها كعدة الامة((1478)) : نصف عدة الحرة الدائمة.
قال المحقق : و لا يقع بها طلاق ، و تبين بانقضا المدة و عدتها: حيضتان اوخمسة و اربعون يوما و لا يثبت بينهما ميراث ، الا اذا شرط على الاشهر و لو اخل بالمهر مع ذكر الاجل بطل العقد و لو اخل بالاجل بطل متعة وانعقد دائما((1479)) .
و ذكـر الشيخ محمد عبده وجها آخر للتنافي مع القرآن ، حيث قوله عز و جل في صفة المؤمنين) : و الذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ،فمن ابتغى ورا ذلك فاولئك هم العادون ((1480)) (قال : و المراة المتمتع بها ليست زوجة ليكون لهامثل الذي عـلـيها بالمعروف و الشيعة انفسهم لا يعطونها احكام الزوجة و لوازمها، فلا يعدونها من الاربع و لايـكـون بها احصان و ذلك قطع منهم بانه لا يصدق على المستمتعين ((محصنين غير مسافحين ((وليس لها ميراث و لا نفقة و لا طلاق و لا عدة ((1481)).
لـكن اسبقنا انها زوجة و ان كانت تخالف احكامها احكام الدائمة و استدل الشهيد الثاني ((1482)) على انها زوجة بنفس الاية ، حيث عد ابتغا ما ورا الزوجة و ملك ليمين سفاحا و السورة مكية ، نزلت قـبـل الهجرة بفترة طويلة ، حيث نزلت بعدها ـ و هي برقم ٧٤ ـ اثنتا عشرة سورة الى تمام العدد (86)الـسـورة المكية و لا شك انهاكانت محللة ذلك العهد، و آخر تحريمها ـ على الفرض ـ بعد سنة الفتح (عام اوطاس سنة ٨ للهجرة) و لازمه ان المسلمين كانوا مسافحين في تلك الفترة ، اذا لم يكن المتمتع بها زوجة ، اذ لم تكن ملك يمين ايضا.
كما ان تحليل الامة عند القائل باباحته داخل في ملك يمين بنفس دليل الحصر في الاية ((1483)).
نعم ذكرنا ان طلاقها انقضا امدها، و ان لها عدة نصف عدة الدائمة ، و نفقتها اجرتها و الميراث حكم تعبدي خاص ، يمكن ان لا يجعله الشارع في موارد، منها: القاتل ، و خارج الملة ، و المتقرب بالاب مع وجود المتقرب بالابوين او الام و غير ذلك مما هو تخصيص في عموم الكتاب .
عـلـى ان فـقـها اهل السنة يجيزون نكاح الكتابية و لا يقولون بالتوارث بينهما ((1484)) ,و ذلك تخصيص في عموم الكتاب كما هنا حرفا بحرف كما انهم لا يرون الاحصان بملك يمين ((1485)) فكذلك المتعة عندنا و هو حكم خاص ثابت في الشريعة بالتعبد.
اما مسالة العدة فقد عرفت ان الشيخ اشتبه عليه الامر فتدبر.
و امـا الاحـاديـث الـتـي هـي عـمـدة اسـتـدلالـهم على التحريم ، فقد ادعى ابن رشد الاندلسي تـواترها((1486)) لكنه كلام ملقى على عواهنه اذ لا تعدو رواية التحريم اسنادها الى ثلاثة من اصحاب النبي (ص:(
.
1ـ علي بن ابي طالب (ع.(

2ـ سلمة بن الاكوع.
3ـ سبرة بن معبد الجهني.
اما الرواية عن امير المؤمنين (ع) فمفتعلة عليه بلا شك ، لانه (ع) كان من اشد الناقمين على عمر في تحريمه المتعة ، و لولا نهيه ما زنى الا شفى فكيف يؤنب على عمر امرا سبقه تحريم رسول اللّه ، لا سيما و روايته هوبذلك ؟ علـى ان الرواي فـي ذلـك ـ حسب اسناد البخاري((1487)) ـ هو سفيان بن عيينة المعروف بالكذب و التدليس عن لسان الثقات ((1488)).
وكذا الرواية عن سلمة ايضا لا اصل لها، و انما هي فرية الصقوها بصحابي كبير و من ثم لم يورد البخاري رواية التحريم عنه ، بل العكس اورد عنه رواية الاباحة ، رغم عقد الباب للتحريم((1489)) .
فقد اسند عنه و جابر، قالا: كنا في جيش فاتانا رسول اللّه (ص) فقال : انه قد اذن لكم ان تستمتعوا فاستمتعوا وايضا عنه قال : قال رسول اللّه (ص) : ايما رجل وامراة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال ، فان احبا ان يتزايدا اويتتاركا تتاركا.
وهنا ياتي البخاري ليجتهد في الموضوع قائلا: قال ابو عبد اللّه : و بينه على عن النبي انه منسوخ و كذلك روى مسلم عن سلمة و جابر ـ الى قوله ـ ((اذن لكم ان تستمتعوا)) فقال مسلم : يعني متعة النسا((1490)) .
نعم تفرد مسلم عن البخاري في اسناد حديث النهي الى سلمة ، عن طريق فيه ضعف ،تركه البخاري لذلك.
روى مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة عن يونس بن محمد عن عبد الواحد ابن زيادعن ابي عميس عن اياس بن سلمة عن ابيه قال : ((رخص رسول اللّه (ص) عام اوطاس في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها. ((1491)) ((
وابو بكر بن ابي شيبة هذا، هو عبد الرحمان بن عبد الملك الحزامي ضعفه ابو بكر بن ابي داود، و قال ابو احمدالحاكم : ليس بالمتين عندهم و ابن حبان مع عده في الثقات وصفه بانه ربما اخطا((1492)) و في لفظ ابن حجر: ربماخالف قال : و لم يخرج عنه البخاري سوى حديثين((1493)) .

وكذا عبد الواحد بن زياد، كان مدلسا، يدلس في حديثه عن الاعمش قال ابو داود الطيالسي : عمد الى احاديث كان يرسلها الاعمش فوصلها كلها و قد بينه القطاني و قال ابن معين : ليس بشي و كانت له مناكير نقمت عليه ووصفه الذهبي بانه صدوق ، يغرب ((1494)).
وهكذا حديث سبرة الجهني ، لم يروه عنه سوى ابنه الربيع ، و من ثم لم يخرجه البخاري ((1495)) , و انما اخرجه مسلم باسناده الى عبد الملك بن الربيع بن سبرة ، عن ابيه عن جده قال : امرنا رسول اللّه (ص) بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها((1496)) .
كما لم يخرج مسلم للربيع عن ابيه حديثا غيرحديث المتعة ، و لم يات ذكره في غير هذا الباب ((1497)).
الامر الذي يثير الريب بشان الربيع ، و حديثه ذلك عن ابيه حديثا لم يروه عنه غيره اطلاقا؟ قال ابن قيم الجوزي ـ بعد تقسيمه للناس الى طائفتين بشان حديث المتعة ، طائفة تقول : ان عمر هو الذي حرمها و نهى عنها. قال : و لم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة ، فانه من رواية عبدالملك بن الربيع بن سبرة عن ابيه عن جده و قد تكلم فيه ابن معين ,و لم ير البخاري اخراج حديثه في صحيحه ، مع شدة الحاجة اليه و كونه اصلا من اصول

الاسلام ، و لو صح عنده لم يصبر عن اخراجه و الاحتجاج به((1498)) .
قال ابن حبان ـ في ترجمة عبد الملك هذا ـ : منكر الحديث جدا، يروي عن ابيه ما لم يتابع عليه قال : و سئل يحيى بن معين عن احاديث عبد الملك عن ابيه عن جده ، فقال : ضعاف ((1499)).
هذه حالة الاحاديث المزرية ، و التي استندها القوم دليلا على التحريم فتدبر و اقض ما انت قاض.

محاورة مفيدة

و يتناسب هنا ان ننقل محاورة وقعت بين الشيخ ابي عبد اللّه المفيد، و شيخ من الاسماعيلية كان على مذهب الجماعة يعرف بابن لؤلؤ قال المفيد: حضرت دار بعض قواد الدولة ، و كان بالحضرة شيخ من الاسماعيلية ،فسالني : ما الدليل على اباحة المتعة ؟.
فقلت له : الدليل على ذلك قول اللّه عز و جل : (واحل لكم ماورا ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فتوهن اجورهن فريضة و لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان اللّه كان عليما حكيما. ((1500)))
فاحل جل اسمه نكاح المتعة بصريح لفظها، و بذكر اوصافها من الاجر عليها، و التراضي بعد الفرض له ، من الازدياد في الاجل و زيادة الاجر فيها.
فقال : ما انكرت ان تكون هذه الاية منسوخة بقوله : (و الذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورا ذلك فاولئك هم العادون ((1501)) (فحظر اللّه تعالى النكاح الا لزوجة او ملك يمين و اذا لم تكن المتعة زوجة و لا ملك يمين ، فقدسقط من احلها.
فقلت له : قد اخطات في هذه المعارضة من وجهين:
احدهما: انك ادعيت ان المستمتع بها ليست بزوجة ، و مخالفك يدفعك عن ذلك ، و يثبتها زوجة في الحقيقة.
والثاني : ان سورة المؤمنون مكية ، و سورة النسا مدنية ، و المكي متقدم على المدني ، فكيف يكون ناسخا له وهو متاخر عنه ، و هذه غفلة شديدة فقال : لو كانت المتعة زوجة لكانت ترث ، و يقع بها الطلاق.
فقلت له : و هذا ايضا غلط منك في الديانة ، و ذلك ان الزوجة لم يجب لها الميراث ويقع بهاالطلاق من حيث كانت زوجة فقط، و انما حصل لها ذلك بصفة تزيد على الزوجية((1502)) .
والدليل على ذلك ان الامة اذا كانت زوجة لم ترث و لم تورث ((1503)) و القاتلة لا ترث ، و الذمية لا ترث و الامة المبيعة تبين بغير طلاق((1504)) و الملاعنة ايضا تبين بغير طلاق((1505)) و كذلك المختلعة((1506)) و المرتد عنهازوجها((1507)) و المرضعة قبل الفطام بما يوجب التحريم من لبن الام ، و الزوجة تبين بغيرطلاق((1508)) .
و كل ما عددناه زوجات في الحقيقة ، فبطل ما توهمت فلم يات بشي.
فقال صاحب الدار ـ و هو رجل اعجمي ، لا معرفة له بالفقه و انما يعرف الظواهر ـ انااسالك في هذا الباب عن مسالة : هل تزوج رسول اللّه (ص) متعة ، او تزوج امير المؤمنين ؟ فلو كان في المتعة ماتركاها فقلت له : ليس كل ما لم يفعله رسول (ص) كان محرما و ذلك ان رسول اللّه و الائمة (ع) لم يتزوجوا الاما و لانكحوا الكتابيات و لا خالعوا و لم يفعلوا كثيرا من اشيا كانت مباحة و بعد ان تبادلت مسائل من هذا القبيل ،قال الشيخ المفيد:
فقلت له : ان امرنا مع هؤلا المتفقهة عجيب ، و ذلك انهم مطبقون على تبديعنا في نكاح المتعة مع اجماعهم على ان رسول اللّه (ص) قد كان اذن فيها، و انها عملت على عهده ، و مع ظاهر الكتاب و اجماع آل محمد(ع) على اباحتها، و الاتفاق على ان عمر حرمها في ايامه ، مع اقراره بانها كانت حلالا على عهد رسول اللّه (ص.(
فلو كنا على ضلالة فيها لكنا في ذلك على شبهة ، تمنع ما يعتقده المخالف فينا من الضلال و البراة منا و فيمن خالفنا من يقول في النكاح و غيره بضد القرآن و خلاف الاجماع و المنكر

في الطباع ـ ثم جعل يعدد مواردمنها((1509)) ـ ثم قال : و هم يتولى بعضهم بعضا و ليس ذلك الا لاختصاص قولنا بل محمد(ع. ((1510)) (
ب ـ متعة الحج.
تنقسم فريضة الحج الى تمتع و قران و افراد و الاول فرض من ناى عن مكة ، و لم يكن اهله حاضري المسجدالحرام فيهل بالعمرة الى الحج ، فاذا طاف و سعى قصر و خرج عن احرامه حتى اذا كان يوم التروية اهل بالحج و ذهب الى عرفات و كان له بين تحلله و احرامه هذا ان يتمتع بما كان قد حرم عليه لاجل احرامه و من ذلك جات هذه التسمية.
و لا زال يعمل بها المسلمون على مختلف مذاهبهم جريا مع نص الكتاب و سنة الرسول و عمل الاصحاب غيران عمر حاول المنع منه ، لما استهجنه من توجه الناس الى عرفات و رؤوسهم تقطر ما اجتهادا مجردا في مقابلة النص الصريح.
و قد عرفت تشديده بشان المتعتين ، لكن تعليله لذلك يبدو اغرب.
اخرج مسلم باسناده عن ابي موسى انه كان يفتي بالمتعة ، فقال له رجل : رويدك ببعض فتياك فانك لا تدري ما احدث امير المؤمنين في النسك بعد، حتى لقيه بعد فساله ـ فقال عمر:
كرهت ان يظلوا معرسين بهن في الاراك ((1511)) ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم((1512)) .
ولعلها بقية من عقائد قديمة((1513)) وقع مثلها في حياة الرسول (ص) مما اثار غضبه.
فقد اخرج مسلم باسناده عن عطا: ان جماعة من صحابة النبي (ص) اهلوا بالحج مفردا فقدم النبي صباح رابعة مضت من ذي الحجة فامرهم ان يحلوا و يصيبوا النسا قال عطا: لم يعزم عليهم و لكن احلهن لهم فقال بعضهم لبعض : ليس بيننا و بين عرفة الا خمس ، فكيف يامرنا ان نفضي الى نسائنا فناتي عرفة تقطر مذاكيرنا.
فبلغ ذلك النبي (ص) فقام فيهم و قال ـ مستغربا هذا الفضول من الكلام ـ : قد علمتم اني اتقاكم للّه و اصدقكم ،ابركم و لولا هديي لحللت كما تحلون و لو استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدى فحلوا قال جابر:فحللنا، و سمعنا و اطعنا.
و في رواية : فكبر ذلك علينا و ضاقت به صدورنا و في اخرى : كيف نجعلها متعة و قد سمينا الحج فقال (ص) :افعلوا ما آمركم به ففعلوا((1514)) .
و في حديث طويل اخرجه مسلم باسناده الى الامام جعفر بن محمد الصادق (ع)عن ابيه عن جابر ,يشرح حج رسول الل ه (ص) حتى ينتهي الى قوله (ص) : ((فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل و ليجعلها عمرة)) قال :فقام سراقة بن مالك بن جعشم ، فقال : يا رسول اللّه ، العامنا هذا ام لابد؟ فقال (ص) : بل لابد ابد((1515)) .
قال العلامة الاميني : و لم يكن نهي عمر عن المتعتين الا رايا محضا و اجتهادا مجردا تجاه النص , اما متعة الحج فقد نهى عنها لما استهجنه من توجه الناس الى الحج و رؤوسهم تقطر ما لكن اللّه سبحانه ابصر منه بالحال ، ونبيه (ص) كان يعلم ذلك حين شرع اباحة متعة الحج حكما باتا ابديا((1516)) .
قال ابن قيم : و منهم من يعد النهي رايا رآه عمر من عنده ، لكراهته ان يظل الحاج معرسين بنسائهم في ظل الاراك قال ابو حنيفة عن حماد عن ابراهيم النخعي عن الاسود بن يزيد، قال : بينما انا واقف مع عمر بن الخطاب بعرفة عشى ة عرفة ، فاذا هو برجل مرجل شعره يفوح منه ريح الطيب ، فقال له عمر: امحرم انت ؟ قال :نعم فقال عمر: ما هياتك بهياة محرم ، انما المحرم الاشعث الاغبر الاذفر((1517)) قال : اني قدمت متمتعا و كان معي اهلي ، انما احرمت اليوم فقال عمر ـ عند ذلك : لا تتمتعوا في هذه الايام ، فاني لو رخصت في المتعة لهم لعرسوابهن في الاراك ثم راحوا بهن حجاجا قال ابن قيم : و هذا يبين ان هذا من عمر راي رآه ((1518)).

مذاهب الفقها في حج التمتع

ذهب الفقها من الامامية الى افضلية حج التمتع على الافراد و القران و انه فرض من

ناى عن مكة((1519)) .
وقالت الشافعية : بافضلية الافراد ثم التمتع ثم القران ، ان كان قد اعتمر في عامه ، لان تاخير العمرة عن عام الحج عندهم مكروه((1520)) .
وقالت المالكية : بافضلية الافراد ثم القرآن ثم التمتع((1521)) .
والحنابلة : افضلها التمتع ثم الافراد ثم القران((1522)) .
والحنفية : افضلها القران ثم التمتع ثم الافراد((1523)) .
والمذاهب الاربعة جميعا قائلون بالتخيير.

التاسع ـ حديث الرجعة .

قال تعالى : (و يوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بياتنا فهم يوزعون . ((1524)) (هذه الاية الكريمة اظهر آية دلتنا على ثبوت الرجعة ، و هي الحشرة الصغرى قبل الحشرة الكبرى يوم القيامة حيث التعبير وقع في هذه الاية بحشر فوج من كل امة ، اي جماعة منهم و ليس كلهم اما الحشر الاكبرفهوالذي قال فيه تعالى : (و حشرناهم فلم نغادر منهم احدا ((1525)) (و قد تكرر قوله تعالى : (و يوم نحشرهم جميعا. ((1526)) (
قال الامام الصادق (ع) : هذا في الرجعة فقيل له : ان القوم يزعمون انه يوم القيامة اللّه يوم القيامة من كل امة فوجا و يدع الباقين ؟ حشرناهم فلم نغادرمنهم احدا. ((1527)) (
و مسالة الرجعة ، حسبما تعتقده الشيعة الامامية ، و هي رجعة اموات الى الحياة قبل قيام الساعة ، ثم يموتون موتهم الثاني ، ليست بدعا من القول الى جنب قدرة اللّه تعالى في الخلق ، كما قص في كتابه من قصة عزير، و اصحاب الكهف ، و الذين خرجوا من ديارهم و هم الوف ، و السبعين رجلا من قوم موسى ، و غير ذلك مما وقع في امم خلت ، فلا بدع ان يقع في هذه الامة مثلها.
ولعلمائنا الاعلام بهذا الشان دلائل و مسائل استقصوا فيها الكلام نذكر منها:
وللصدوق (ره) في رسالة الاعتقاد بيان واف بشان اثبات الرجعة ، استشهد بيات جا فيها ذكر الاحيا لاموات في هذه الحياة ، فبعثهم اللّه احيا بعد ما اماتهم ، فعاشوا زمانا ثم ماتوا موتهم الثاني ، نظير ما نقوله في الرجعة ،يعود اقوام الى الحياة ويعيشون فترة ثم يموتون قبل قيام الساعة كل ذلك دليل على امكان الرجعة و انها ليست بدعا من القول او يستنكر الى جنب قدرة اللّه تعالى في الخلق.
والايات التي استشهد بها هي:
1ـ قوله تعالى : (الم تر الذين خرجوا من ديارهم و هم الوف حذر الموت فقال لهم اللّه موتوا ثم احياهم ((1528)) (هؤلا قوم حزقيل ـ و يقال له ابن العجوز((1529)) ـ فروا من القتال او الطاعون ،فاماتهم اللّه فخرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فدعا اللّه ان يعيد اليهم الحياة فاحياهم اللّه فرجعوا الى الدنيا و سكنوا الدور و اكلوا الطعام و نكحوا النسا و مكثوا ما شا اللّه ثم ماتوا بجالهم((1530)) .
2ـ قوله : (او كالذي مر على قرية و هى خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه اللّه بعد موتها فاماته اللّه مائة عام ثم بعثه ـ الى قوله ـ و لنجعلك آية للناس ((1531)) (هو عزير، وقيل : ارميا و كلا هما مروى ، الاول عن الامام ابي عبد اللّه و الثاني عن الامام ابي جعفر(ع).
وروي عن علي (ع) ان عزير خرج من اهله و امراته حامل ، و له خمسون سنة ثم لما رجع و هو على سنه الاولى وجد ابنه اكبر منه ، ابن مائة سنة و هذا من آيات اللّه((1532)) .
3ـ و قوله تعالى : (و اذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهرة فاخذتكم الصاعقة و انتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ((1533)) (قال الطبرسي :اي ثم احييناكم لاستكمال آجالكم.
قال : و استدل قوم من اصحابنا بهذه الاية على جواز الرجعة و قول القائل : لا تجوز الا في حياة النبي لتكون دليلا على نبوته باطل ، لانه عندنا بل عند اكثر الامة يجوز اظهار المعجزات على ايدي الائمة و الاوليا و قال ابو القاسم البلخي : لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها،

لاستلزامه الاغرا بالمعاصي اتكالا على التوبة عند الكرة وجوابه : ان الرجعة التي نقول بها ليست لجميع الناس فلا اغرا، اذ لا قطع برجوع اى احد((1534)) .

4ـ و قوله تعالى ـ خطابا مع عيسى (ع) ـ : (و اذ تخرج الموتى باذني ((1535)) (قال الصدوق : و جميع الموتى الذين احياهم عيسى المسيح باذن اللّه ، عاشوا فترة ثم ماتوا بجالهم.

5ـ و اصحاب الكهف (لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين و ازدادوا تسعا) ثم بعثهم اللّه قال تعالى :(فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدا، ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا ـ الى قوله ـ و كذلك بعثناهم ليتسالوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوالبثنا يوما او بعض يوم. ((1536)) (

قال الصدوق : و حيث كانت الرجعة في الامم السالفة ، فلا غرو ان يقع مثلها في هذه الامة ، كما في الحديث : يكون في هذه الامة ما وقع في الامم السالفة((1537)) .

6ـ و زاد ابو عبد اللّه المفيد الاستدلال بقوله تعالى : (قالوا ربنا امتنا اثنتين و احييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ((1538)) (فهذا الاعتراف و الاستدعا كان يوم القيامة والمراد بالحياتين و المماتين : الحياة قبل الرجعة و الحياة بعدها و كذا الموتتان قبل و بعد الرجعة و ذلك لانهم ندموا على ما فرط منهم في تينك الحياتين ، و معلوم ان لا عمل نافعا و لا تكليف الا في الحياة الدنيا.

و قد استوفى الكلام حول الاية بمناسبة المقام ، حسبما ياتي عند نقل كلامه.

7ـ و هكذا قوله تعالى : (انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا ((1539)) (حيث سئل عن هذا النصر، فاجاب من وجوه : و قال : و قد قالت الامامية : ان اللّه تعالى ينجز الوعد بالنصر للاولیا قبل الاخرة عند قيام القائم و الكرة التي وعد بها المؤمنين في العاقبة ((1540)).

8ـ و استدل الصدوق ايضا بقوله تعالى : (واقسموا باللّه جهد ايمانهم لايبعث اللّه من يموت ،بلى وعدا عليه حقا و لكن اكثر الناس لا يعلمون. ((1541)) (

قال : يعني في الرجعة ، و ذلك انه يقول : (ليبين لهم الذي يختلفون فيه ((1542)) (و التبيين يكون في الدنيا((1543)) .

9ـ و ذكر جار اللّه الزمخشري في حديث ذي القرنين عن علي امير المؤمنين (ع)، ساله ابن الكوا: ما ذوالقرنين ، املك ام نبي ، فقال : ليس بملك و لا نبي و لكن كان عبدا صالحا، ضرب على قرنه الايمن في طاعة اللّه فمات ، ثم بعثه اللّه فضرب على قرنه الايسر فمات ، فبعثه اللّه فسمي ذا لقرنين ، و فيكم مثله((1544)) يعني نفسه (ع.(

قال السيد رضي الدين بن طاووس : قول مولانا علي (ع) : ((وفيكم مثله)) اشارة الى ضرب ابن ملجم له ، و انه يعود الى الدنيا بعد وفاته كما رجع ذو القرنين و هذا ابلغ من روايات الشيعة في الرجعة((1545)) .

10ـ و روى الشيخ حسن بن سليمان في كتابه المحتضر حديث الائمة الاثني عشر، رواه سلمان الفارسي عن رسول اللّه (ص) ثم قال سلمان : فبكيت و قلت يا رسول اللّه ، فانى لسلمان لادراكهم ؟ قال : يا سلمان انك مدركهم و امثالك و من تولاهم حقيقة المعرفة قال سلمان : فشكرت اللّه كثيرا، ثم قلت : يا رسول اللّه ، اني مؤجل الى عهدهم ؟ قال : يا سلمان ، اقرا: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم و امددناكم باموال وبنين و جعلنكم اكثر نفيرا(((1546)) .

قال سلمان : قلت بعهد منك يا رسول الل ه ؟ قال : اي و كل من هو منا و مظلوم فينا، ثم ليحضرن ابليس و جنوده و كل من محض الايمان محضا و محض الكفر محضا حتى تؤخذ الاوتار و الثارات ، و لا يظلم ربك احداو نحن تاويل هذه الاية : (و نريد ان نمن على الذين استضعفوا في الا رض و نجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين و نمكن لهم في الا رض. ((1547)) (

قال العلامة المجلسي : و رواه ابن عياش في المقتضب باسناده الى سلمان ايضا((1548)) .

قلت : و هذا عن تاويل الايتين و تفسير معاني القرآن الباطنة.

قال ابو علي الطبرسي : و استدل بهذه الاية ـ سورة النمل / ٨٣ ـ على صحة الرجعة من ذهب الى ذلك من الامامية بان قال : ان دخول ((من)) في الكلام يوجب التبعيض ، فدل ذلك على ان اليوم المشار اليه في الاية يحشر فيه قوم دون قوم ، و ليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه : (و حشرناهم فلم نغادرمنهم احدا.(

قال : و قد تظاهرت الاخبار عن ائمة الهدى من آل محمد(ص) في ان اللّه تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماممن تقدم موتهم من اوليائه و شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و يبتهجوا بظهور دولته ، و يعيد ايضا قوما من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من الخزي و الهوان.

قال : و لايشك عاقل ان هذا مقدور للّه تعالى غير مستحيل في نفسه و قد فعل اللّه ذلك في الامم الخالية ، و نطق به القرآن في عدة مواضع ، مثل قصة عزير و غيره على ما فسرناه في موضعه.

قال : الا ان جماعة من الامامية تاولوا ما ورد من الاخبار في الرجعة ، الى رجوع دولة الحق ، دون رجوع الاشخاص باحيا الاموات و اولوا الاخبار الواردة في ذلك ، ما ظنوا ان الرجعة تنافي التكليف.

قال : و ليس كذلك ، لانه ليس فيها ما يلجئ الى فعل الواجب و الامتناع من القبيح ، والتكليف يصح معها كمايصح مع ظهور المعجزات الباهرة و الايات القاهرة.

قال : و لان الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار ليتطرق اليها التاويل ، و انما المعول في ذلك اجماع الشيعة الامامية ،و ان كانت الاخبار تعضده((1549)) .

وللعلامة المجلسي كلام مسهب حول مسالة الرجعة ، اورد اكثر من مئتي حديث عن مصادر معتبرة , ثم يقول : وكيف يشك مؤمن بحقية الائمة الاطهار، فيما تواتر عنهم في قريب من مئتي حديث صريح رواها نيف و اربعون من الثقات العظام والعلما الاعلام ، في ازيد من خمسين من مؤلفاتهم ثم ياخذ في تعداد من الف في ذلك بالخصوص ، او اورد احاديثه في كتابه من قدما اصحابنا و متاخريهم و ياخذ بالاستشهاد بيات ، و كذاروايات عن غير طرق اهل البيت ، مما يمس مسالة الرجعة او تكون نظيرة لها فراجع((1550)) .

و كان بين السيد اسماعيل بن محمد الحميري و القاضي سوار((1551)) مناوشة و عدا على عهد المنصورالعباسي فمما جرى بينهما ـ فيما رواه الشيخ ابو عبد اللّه المفيد باسناده الى الحرث بن عبد اللّه الربعي ـ قال : كنت جالسا في مجلس المنصور، و هو بالجسر الاكبر، و سوار عنده ، و السيد ينشده:

ان الاله الذي لا شي يشبهه ـــ آتاكم الملك للدنيا و للدين.

آتاكم اللّه ملكا لا زوال له ـــ حتى يقاد اليكم صاحب الصين.

و صاحب الهند ماخوذ برمته ـــ وصاحب الترك محبوس على هون.

حتى اتى على القصيدة و المنصور مسرور.

فقال سوار: هذا و اللّه يا امير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه ، و اللّه ان القوم الذين يدين بحبهم لغيركم ،و انه لينطوي على عداوتكم.

فقال السيد: و الل ه انه لكاذب ، و اننى في مديحك لصادق ، و لكنه حمله الحسد، اذ رآك على هذه الحال و ان انقطاعي و مودتي لكم اهل البيت لمعرق((1552)) لي فيها عن ابوى ، و ان هذا و قومه لاعداؤكم في الجاهلية والاسلام ، و قد انزل اللّه عز و جل في اهل بيت هذا (ان الذين ينادونك من ورا الحجرات اكثرهم لا يعقلون. ((1553)) (

فقال المنصور: صدقت.

فقال سوار: يا امير المؤمنين ، انه يقول بالرجعة ، و يتناول الشيخين.

فقال السيد: اما قوله : باني اقول بالرجعة ، فان قولي في ذلك على ما قال اللّه تعالى :(ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بياتنا فهم يوزعون ((1554)) (و قد قال في آخر: (و حشرناهم فلم نغادر منهم احدا ((1555)) (فعلمت ان هاهنا حشرين : احدهما عام و الاخر خاص و قال سبحانه : (ربناامتنا اثنتين و احييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ((1556)) (و قال اللّه تعالى : (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم و هم

الوف حذر الموت فقال لهم اللّه موتوا ثم احياهم ((1557)) (و قال اللّه تعالى : (فاماته اللّه ماة عام ثم بعثه. ((1558)) (
فـهـذا كـتاب اللّه عز و جل و قد قال رسول اللّه (ص): ((يحشر المتكبرون في صورة الذر يوم الـقـيـامة)) و قال (ص): ((لم يجر في بني اسرائيل شي الا و يكون في امتي مثله حتى المسخ و الـخـسـف و الـقـذف)) و قـال حذيفة : ((واللّه ما ابعد ان يمسخ اللّه كثيرا من هذه الامة قردة و خنازير.((
فالرجعة التي نذهب اليها هي ما نطق به القرآن و جات به السنة و انني اعتقد ان اللّه تعالى يرد هذا ـ يعني سوارا ـ الى الدنيا كلبا او قردا او خنزيرا او ذرة ، فانه و اللّه متجبر متكبر كافر فضحك المنصور((1559)) .
وقـال الـشـيخ ابو عبد اللّه المفيد، في جواب من ساله عن قول مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع)): (لـيـس مـنا من لم يقل بمتعتنا و لم يؤمن برجعتنا)) ا هي حشر في الدنيا مخصوص للمؤمنين او لغيرهم من الظلمة الجائرين يوم القيامة ؟.
فـاجاب عن المتعة بما اسلفنا ثم قال : و اما قوله (ع) : من لم يؤمن برجعتنا فليس منا فانما اراد بذلك مـا اخـتصه من القول به في ان اللّه تعالى يحيي قوما من امة محمد(ص) بعد موتهم قبل يوم القيامة و هذا مذهب مختص به آل محمد، و قد اخبر اللّه عز و جل في ذكر الحشر الاكبر: (و حشرناهم فـلم نغادر منهم احدا) و قال في حشر الرجعة قبل يوم القيامة : (و يوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بياتنا فهم يوزعون) فاخبر ان الحشر حشران : حشر عام و حشر خاص و قال سبحانه يخبر عمن يحشر من الظالمين انه يقول في القيامة يوم الحشر: (ربنا امتنا اثنتين و احييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل.(
وللعامة في هذه الاية تاويل مردود،و هو: ان المعنى بقوله : (امتنا اثنتين) انه خلقهم امواتا ثم اماتهم بعدالحياة((1560)) .
و هذا باطل لا يجري على لسان العرب ، لان الفعل لا يدخل الا على ما كان بغير الصفة التي انطوى الـلـفظ على معناها، و من خلقه اللّه ميتا لا يقال له : اماته ، و انما يقال ذلك فيمن طرا عليه الموت بعد الحياة((1561)) , و لذلك لايقال : جعله اللّه ميتا الا بعد ما كان حيا و هذا بين.
قـال : و قـد زعـم بعضهم ان المراد بقوله : (امتنا اثنتين) الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسائلة ،فتكون الاولى قبل الاحيا و الثانية بعده.
و هـذا ايضا باطل من وجه آخر، و هو: ان الحياة للمسائلة ليست لتكليف فيندم الانسان على ما فاته فـي حياته ، و ندم القوم على ما فاتهم في حياتهم مرتين ، يدل على انه لم يرد حياة المسائلة ، لكنه اراد حـياة الرجعة التي يكون لتكليفهم الندم على تفريطهم ، فلم يفعلوا فيندعون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك ((1562)).
و سـئل الـسيد المرتضى علم الهدى عن حقيقة الرجعة ، لان شذاذ الامامية يذهبون الى ان الرجعة رجوع دولتهم في ايام القائم (ع) من دون رجوع اجسامهم.
فـاجـاب (قـدس سـره) بـان الـذي تذهب الشيعة الامامية اليه : ان اللّه يعيد عند ظهور امام الزمان الـمـهـدي (ع) قـوماممن كان قد تقدم موته من شيعته ، ليفوزوا بثواب نصرته و معونته و مشاهدة دولـته ، و يعيد ايضا قوما من اعدائه لينتقم منهم ، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق و علو كلمة اهله.
و الدلالة على صحة هذا المذهب ان الذي ذهبوا اليه بما لا شبهة على عاقل في انه مقدور للّه تعالى غير مستحيل في نفسه ، فانا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة انكار من يراها مستحيلة غير مقدورة.
و اذا ثبت جواز الرجعة و دخولها تحت المقدور، فالطريق الى اثباتها اجماع الامامية على وقوعها ,فانهم لا يختلفون في ذلك ، و اجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا انه حجة.
و قـد بـينا ان الرجعة لا تنافي التكليف ، و ان الدواعي مترددة معها، حيث لا يظن ظان ان تكليف من يـعـاد باطل وذكرنا ان التكليف كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة و الايات القاهرة ، فكذلك مع الرجعة ، لانه ليس في الجميع ملجئ الى فعل الواجب و الامتناع من فعل القبيح

.
فاما من تاول الرجعة من اصحابنا، على ان معناها رجوع الدولة و الامر و النهي ، من دون رجوع الاشخاص واحيا الاموات ، فان قوما من الشيعة لما عجزوا عن نصرة الرجعة و بيان جوازها و انها تنافي التكليف ، عولواعلى هذا التاويل للاخبار الواردة بالرجعة و هذا منهم غير صحيح ، لان الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار المنقولة ،فيطرق التاويلات عليها، فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحته باخبار الاحاد التي لا توجب العلم و انماالمعول في اثبات الرجعة على اجماع الامامية((1563)) .
و قال الامام كاشف الغطاـ ردا على من زعم ان القول بالرجعة ركن من اركان التشيع ـ ((1564)). :
))وليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم ، و لا انكارها بضار، و ان كانت ضرورية عندهم , و لكن لا يناطالتشيع بها وجودا و عدما و ليست هي الا كبعض انبا الغيب ، و حوادث المستقبل ، و اشراط الساعة مثل : نزول عيسى من السما، وظهور الدجال ، و خروج السفياني و امثالها، من القضايا الشائعة عند المسلمين ، و ما هي من الاسلام في شي ، ليس انكارها خروجا منه ، و لا الاعتراف بها بذاته دخولا فيه و كذا حال الرجعة عند الشيعة.
ثم قال : هل ترى المتهوسين على الشيعة بحديث الرجعة قديما و حديثا، عرفوا معنى الرجعة و المراد بها عندمن يقول بها من الشيعة ؟ و اي غرابة و استحالة في العقول ان سيحيي اللّه سبحانه جماعة من الناس بعد موتهم ،و اي نكر في هذا بعد ان وقع مثله بنص الكتاب الكريم الم يسمع المتهوسون قصة ابن العجوز التي قصها اللّه سبحانه بقوله : (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم و هم الوف حذر الموت فقال لهم اللّه موتوا ثم احياهم (((1565))الم تمر عليهم كريمة قوله تعالى) : و يوم نحشر من كل امة فوجا , ((1566)) (مع ان يوم القيامة تحشر فيه جميع الامم لا من كل امة فوج.
قال : و حديث الطعن بالرجعة كان داب علما السنة من العصر الاول الى هذه العصور، فكان علما الجرح والتعديل منهم اذا ذكروا بعض العظما من رواة الشيعة و محدثيهم و لم يجدوا مجالا للطعن فيه لوثاقته و ورعه وامانته نبزوه بانه يقول بالرجعة فكانهم يقولون : يعبد صنما او يجعل للّه شريكا و نادرة مؤمن الطاق مع ابي حنيفة معروفة و انا لا اريد ان اثبت ـ في مقامي هذا و لا غيره ـ صحة القول بالرجعة ، و ليس لها عندي من الاهتمام قدر صغير او كبير، و لكني اردت ان ادل (فجر الاسلام) على موضع غلطه و سؤتحامله. ((1567)) ((
و قال العلامة العميد الشيخ محمد رضا المظفر: الذي تذهب اليه الامامية اخذا بما جا عن آل البيت (ع) ان اللّه تعالى يعيد قوما من الاموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقا و يذل فريقا آخر، و يدين المحقين من المبطلين ، والمظلومين منهم من الظالمين ، و ذلك عند قيام مهدي آل محمد(ع.(
و لا يرجع الا من علت درجته في الايمان او من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك الى الموت ، و من بعده الى النشور و ما يستحقونه من الثواب او العقاب ، كما حكى اللّه تعالى في قرآنه الكريم ، تمنى هؤلاالمرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع ، فنالوا مقت اللّه ان يخرجوا ثالثا لعلهم يصلحون : (قالوا ربنا امتنااثنتين و احييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل. ((1568)) (
نعم قد جا القرآن الكريم بوقوع الرجعة الى الدنيا، و تظافرت به الاخبار عن بيت العصمة و الامامية باجمعها عليه الا قليلون منهم تاولوا ما ورد في الرجعة بان معناها رجوع الدولة و الامر والنهي الى آل البيت بظهور الامام المنتظر، من دون رجوع اعيان الاشخاص و احيا الموتى.
ثم يتعرض للنقاش حول امكان الرجعة ، و الروايات الواردة بشانها، و انها مما تواترت عن ائمة آل البيت و لاموضع للتشنيع بها على الشيعة و اخيرا يقول:
وعلى كل حال فالرجعة ليست من الاصول التي يجب الاعتقاد بها و النظر فيها و انمااعتقادنا بها كان تبعا للاثار الصحيحة الواردة عن آل البيت (ع) الذين ندين بعصمتهم من الكذب ، و هي من الامور الغيبية التي اخبروا عنها، و لا يمتنع وقوعها((1569)) .

و فسر الاية (النمل / ٨٣) من لا يعتقد بالرجعة بانه حشر ثان الى النار، بعد الحشر الاكبر من القبور.
قالوا: و المراد بالفوج هم الزعما و قادة الضلال ، يحشرون الى النار في مقدمة اتباعهم فيساق ابو جهل و الوليدبن المغيرة و شعبة بن ربيعة بين يدي كفار مكة و هكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار((1570)) .
قال الزمخشري : (فهم يوزعون) اي يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار قال : و هذه عبارة عن كثرة العدد و تباعد اطرافه ، كما وصفت جنود سليمان بذلك ((1571)).
قال تعالى ـ : (و حشر لسليمان جنوده من الجن و الا نس و الطير فهم يوزعون. ((1572)) (غير ان الذين يحشرون الى النار هم اعدا اللّه جميعا و ليس فريق منهم قال تعالى : (و يوم يحشر اعداءاللّه الى النار فهم يوزعون ((1573)) (قوله : يوزعون ، اي يدفع بعضهم بعضا فيتدافعون الى النار لكثرتهم وازدحامهم.
اما تلك الاية فالحشر و التدافع كان بالفوج فحسب ، و ليس كل اعدا اللّه والتفسير بالزعما و القادة امام الاتباع و السفلة ، تخرص بالغيب لا مستند له.

العاشر ـ مسالة البدا

البدا في التكوين كالنسخ في التشريع ، امر واقع ، و قد صرح به الكتاب و تواترت به الروايات عن اهل بيت العصمة.
و هو كالنسخ ، له معنى باطل و مستحيل على اللّه تعالى ، و هو عبارة عن نشاة راي جديد هذا المعنى مستحيل على اللّه ، و لا تصح نسبته اليه تعالى شانه.
وله معنى آخر، هو معقول ، عبارة عن ظهور امر بعد خفائه على الناس كان يعلم به اللّه منذ الازل , و قدره كذلك منذ البد، و لكن لمصلحة في التكليف اخفاه ثم ابداه لوقته كما في مسالة النسخ ، كان الامد (امد التكليف)معلوما للّه و مقدرا من البد، سوى ان الناس حسبوا دوامه و استمراره استنادا الى ظهور اللفظ في الدوام ، ما لم يات ناسخ.
و هكذا الاجل في مسالة البدا، له ظاهر يعلمه اولو البصائر في اسرار الوجود، وله واقع يعلمه علام الغيوب فيبديه لوقته وفق حكمته.
فالبدا من البدو، اي الظهور، انما يحصل للناس ، و كانت نسبته الى اللّه مجازا بالمناسبة ، لانه الذي يظهره لهم وتشبيه في التعبير، كانه بدا للّه و هو في الحقيقة ابدا منه تعالى.
و اليك من دلائل الكتاب ما يدلك على هذه الحقيقة ، مشفوعة بنبذ من كلمات الائمة الاطهار.
1ـ قال تعالى : (لكل اجل كتاب ، يمحو اللّه ما يشا و يثبت و عنده ام الكتاب. ((1574)) (الاجال مقدرة في الازل حسب استعدادات الاشيا و الاشخاص كل بحسب ذاته وطبعه ، لولا عروض الطوارئ المغيرة للاجال ، و التي لا يعلمها سوى اللّه ، و من ثم يمحو ما يشا و يثبت و عنده ام الكتاب ، اي العلم النهائي المكنون في اللوح المحفوظ.
فعلمه تعالى التدبيري لاحوال الخلق علمان : علم مخزون لا يعلمه سوى اللّه ، و هو المسمى باللوح المحفوظ وعلم علمه ملائكته و انبياه و سائر اوليائه ، و هو الذي يصير فيه البدا، المعبر عنه بلوح المحو و الاثبات.
قال الامام الصادق (ع) : ((ان للّه علمين ، علم مكنون مخزون لا يعلمه الا هو، من ذلك يكون البدا و علم علمه ملائكته و رسله و انبياه و نحن نعله. ((1575)) ((
قوله : ((من ذلك يكون البدا)) اي منشا البدا هو ذلك العلم الازلي المخزون الذي لا يتغير فهناك علم يكون منه البدا، و هو اللوح المحفوظ و علم يكون فيه البدا، و هو لوح المحو و الاثبات.
قال (ع) : ((من زعم ان اللّه عز و جل يبدو له في شي لم يعلمه امس ، فابرؤوا منه)) ((1576))و هذا هو معنى البداالباطل ، المستحيل على اللّه سبحانه و تعالى.
2ـ و قال تعالى : (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا، و اجل مسمى عنده ((1577)) (

.

فـهناك اجلان : اجل قضى و قدر حسب طبائع الاشيا و استعداداتها يعلمه من يعلم من اسرار طبيعة الوجودحسبما علمه اللّه و فيه البدا، و اجل مسمى عنده في علمه المخزون الذي لا يتغير و يكون منه البدا حسب تعبير الامام الصادق (ع.(
و قد احتار الامام الرازي في تفسير هذه الاية و الاية الاولى قال في قوله تعالى : ((و اجل مسمى عنده)) :اختلف المفسرون على وجوه:
الاول : ((قضى اجلا)): آجال الماضين ، ((و اجل مسمى)) : آجال الباقين.
الثاني : ان الاول اجل الموت ، و الثاني اجل القيامة.
الثالث : ان الاول اجل هذه الحياة ، و الثاني اجل الحياة البرزخية.
الرابع : القبض عند النوم ، و القبض عند الموت.
الخامس : مقدار ما انقضى من العمر، و مقدار ما بقي من العمر.
السادس : و هو قول الحكما: احدهما الاجال الطبيعية ، و الثاني الاجال الاخترامية((1578)) .
وقال في قوله تعالى : (يمحو اللّه ما يشا و يثبت): في هذه الاية قولان : القول الاول : انها عامة في كل شي ، فهو تعالى يزيد في الرزق و ينقص ، و كذا في الاجل والسعادة و الشقا و الايمان و الكفر و هو مذهب جماعة من السلف.
القول الثاني : انها خاصة ببعض الاشقيا قال : و على هذا التقرير ففي الاية وجوه:
الاول : المحو و الاثبات ، بنسخ حكم سابق و اثبات حكم لاحق.
الثاني : المحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة و لا سيئة.
الثالث : اثبات الاثم بالذنب و محوه بالتوبة.
الرابع : يمحو ما يشا، اي يتوفى من جا اجله و يثبت من لم يجئ اجله فيبقيه.
الخامس : يثبت في ابتدا السنة فاذا انتهت محاه.
السادس : يمحو نور القمر و يثبت نور الشمس .